المشروع القومي للترجمة

964





أصول التطرف

اليمين المسيحي في أمريكا

تحرير: كيمبرلى بلاكر

ترجمة:
هبة رءوف
تامر عبد الوهاب

مراجعة:
هبة رءوف

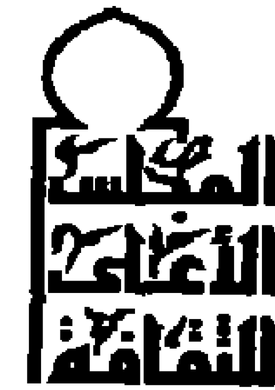
مكتبة الشروق الدولية

أصول التطرف

اليمين المسيحى فى أمريكا

• المشروع القومى للترجمة
إشراف: د. جابر عصفور

* العدد: ٩٦٤
* أصول التطرف.. اليمين المسيحى فى أمريكا
* تحرير: كيمبرلى بلاكر
* ترجمة: هبة رءوف ـ تامر عبد الوهاب
* مراجعة: هبة رءوف
* الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٥م)



شارع الجبلاية بالأوبرا ـ الجزيرة
القاهرة: تليفون: ٧٣٥٢٣٩٦
فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤



٩ شارع السعادة ـ أبراج عثمان ـ روكسى ـ القاهرة
تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٥٦٥٩٣٩
Email: < shoroukintl @ hotmail. com >
< shoroukintl @ yahoo.com >

• المشروع القومى للترجمة •

أصـــول التطرف

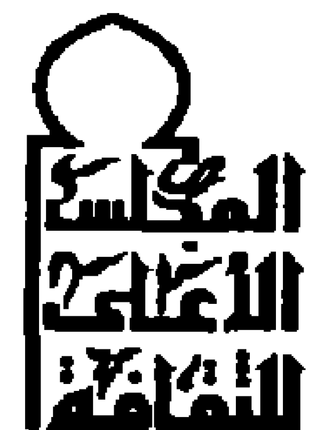
اليمين المسيحى فى أمريكا

تحرير: كيمبرلى بلاكر

ترجمة: هبـــة رءوف
تامر عبد الوهاب

مراجعة: هبـــة رءوف





هذه ترجمة لكتاب :

THE FUNDAMENTALS OF EXTREMISM

The Christian Right in America

Edited by Kimberly Blaker

New Boston Books, Inc.
Michigan

المحتويات

تقديم

ظهرت كلمة الأصولية فى الولايات المتحدة فى مطلع القرن العشرين، نتيجة لعدة أسباب متنوعة أدت إلى تميز تيارات فكرية ثلاثة فى الولايات المتحدة: التيار المسيحى الأصولى - التيار المسيحى الليبرالى - التيار العلمانى.

كان من تلك الأسباب الهجرة الكبيرة للكاثوليك واليهود من أوروبا إلى الولايات المتحدة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر - للبحث عن العمل والفرص المالية والاقتصادية، وللبحث عن الذهب - وما أتت به الهجرة من أفكار وثقافات مغايرة للثقافة البروتستانتية، كذلك كان نشر داروين لنظرية التطور فى كتابيه عام ١٨٥٩، وعام ١٨٧١م، والتى غايرت ما جاء عن قصة الخلق فى سفر التكوين فى الكتاب المقدس، لمن يأخذونه حرفيًا، ويصرون على عصمته الكلية.

وأيضًا كان للحرب الأهلية فى ستينيات القرن التاسع عشر تأثيرها . . . حين أصبحت الخلافات بين الشمال والجنوب متعددة فى المجالات الصناعية والاقتصادية والمالية، ومسألة الرق، وبدء كفاح السود للحصول على حقوقهم . . .

صدرت فى عام ١٩٠٩م سلسلة كتب (الأصول - شهادات الإيمان)، كشاهد ومرشد لأولئك الإيفانجليكيين الذين يتمسكون بعصمة الكتاب المقدس وتفسيره الحرفى، والتبشير لتنصير كل الأمريكيين، وبعد ذلك كل العالم. تمثل تلك الكتب علامة مهمة فى المد والجزر، إن لم يكن الصراع بين المسيحيين المتشددين، والمسيحيين المعتدلين أو الليبراليين، فى تاريخ الولايات المتحدة، والذى بدأ مع موجات الهجرة الأولى فى مطلع القرن السابع عشر، وإن زاد فى نهاية القرن التاسع عشر طرف ثالث فى الصراع، وهو العلمانيون.

اجتمع المؤلفون فى هذا الكتاب ـ وهم يمثلون التيار العلمانى فى أمريكا ـ على خطر الأصولية المسيحية على الولايات المتحدة فى مجالات السياسة، والقضاء، والدين، والتعليم، والصحة الجسدية والنفسية، والبرامج الاجتماعية، وتهديدها المباشر لكل الأغيار . . . سواء كانت تلك الغيرية من ناحية الدين، أو العرق، أو حتى الجنس (المرأة)، بل والأطفال. فعند الأصوليين الولايات المتحدة هى بلد الواسپ (الپروتستانت الأنجلوساكسون البيض ـ White Anglo Saxon Protestant) ولا ينفى هذا نشأة وتطور الأصولية الكاثوليكية، وتعاونها من حين لآخر مع الأصولية الپروتستانتية فى بعض القضايا.

وقد تطرق الكتاب فى صفحات قليلة منه للأصولية الإسلامية، وأرسلت لمحررة الكتاب لماذا تذكرون الأصولية الإسلامية وتغفلون عن الأصولية اليهودية؟! فهذا يماثل ما حدث للعراق من جراء تزييف الادعاءات بحيازته لأسلحة الدمار الشامل، مع غض النظر تماماً عن الترسانة النووية الحقيقية لدى إسرائيل.

فجاءت الإجابة بأن الأصولية الإسلامية أصبحت حاضرة فى كل وسائل الإعلام وعند الشعب الأمريكى بعد أحداث ١١/ ٩ ، ولهذا جاء تشبيه الأصولية المسيحية بالأصولية الإسلامية من عدة نواح.

وسيجد القارئ فى الكتاب دراسة تفصيلية أشبه بالبحث الأكاديمى، مزودة بالوثائق من مئات المصادر، مما يجعل للكتاب مصداقية كبيرة، حتى اعتبره المتخصصون فى دراسة الأصولية فى الولايات المتحدة، علامة كاشفة وفارقة لذلك الخطر المتفاقم.

وقد ركزت الدراسة فى الكتاب على خطر الأصولية المسيحية داخل الولايات المتحدة، وسننشر فى كتاب لاحق خطر الأصولية المسيحية على بقية العالم، وخصوصاً على منطقة الشرق الأوسط .

عادل المعلم

ديسمبر ٢٠٠٥م

مقدمة المراجعة

الإمبراطورية والهيمنة والعقيدة: سوسيولوچيا المسيحية الصهيونية

شغلت دراسة صعود الصهيونية المسيحية الباحثين العرب عبر العقد الماضي لأسباب سياسية بالأساس، نظراً لأثر هذا الصعود على السياسة الخارجية الأمريكية فى المنطقة، سواء بدعم إسرائيل لإيمانهم بأن سياسة إسرائيل تعجيل بنزول المسيح وأن السلام يعوق حركة التاريخ فى هذا الاتجاه.. نحو نهايته، ومروراً بنشاط واسع للدفع بالحرب ضد العراق؛ لأن من علامات نهاية العالم حربًا فى أرض الفرات كما يزعمون، وذلك عبر تحالف مع المحافظين الجدد اختطف فى النهاية السياسة الخارجية الأمريكية باتجاه تحقيق هذه الأساطير، ونجح فى تصوير أهدافه باعتبارها المصلحة القومية الأمريكية، وخدمته أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م فى الترويج لفكرة الحرب على الإرهاب التى كانت الدخان الذى انطلق ليحجب رؤية الكثير من الأمريكيين فلا يرون كيف فقدت ديمقراطيتهم روحها ونجح التحالف بين المحافظين الجدد وتيار الصهيونية المسيحية فى إعادة هيكلة النظام والسياسة الأمريكية ـ الداخلية والخارجية ـ فى اتجاه آخر.

بيد أن معظم اهتمام الكتابات العربية انصب على بيان الرؤى والأفكار وتفكيك الأساطير التى تدور حولها عقائد التيارات «الأصولية» المسيحية فى الولايات المتحدة من ناحية، أو تحليل ودراسة السياسة الخارجية الأمريكية وكيف تصنع على عين اللوبى الذى تغلغل داخل الإدارة الأمريكية وصار يحكم سياستها واقتصادها من ناحية أخرى، لكن الكتابات العربية التى تحلل البنية

التحتية أو البعد السوسيولوچى لانتشار أفكار هذه الجماعات فى المجتمع الأمريكى وكيف سيطرت على القواعد الانتخابية وتمكّنت من الهيمنة على صنع السياسات المحلية داخل الولايات، والمعارك القضائية والحملات المنظمة التى أدارتها لتحقيق ذلك، كل هذه الأبعاد كان يتم المرور عليها سريعًا دون وقفة متأنية.

ميزة هذا الكتاب، والتى دفعت المهندس عادل المعلم للحماسة لترجمته ونجح فى ضمى مع الباحث والمترجم الشاب تامر عبد الوهاب لمشروعه ليخرج هذا الكتاب للقارئ العربى، هى أنه يلقى الضوء بشكل مفصل على كل هذه الأبعاد، وهو يفعل ذلك عبر رصد مئات المقولات المتداولة ورسم خريطة للفرق والجماعات الدينية التى تحمل هذا الفكر، والحياة الاجتماعية التى تعيشها، ورؤيتها من موقعها فى الكنائس والجمعيات الأهلية والمؤسسات والمنظمات المختلفة التى أسستها لكيفية تحويل أفكارها لسياسات محلية ثم فيدرالية ثم سياسات خارجية للولايات المتحدة، ويوضح بعداً مخيفًا لأفكارها وممارساتها تجاه المرأة والأقليات العرقية والدينية فى أمريكا.

صحيح أن المشاركين فى كتابة فصول الكتاب هم من الأمريكيين الليبراليين الذين ينشغلون وسط هذه الخريطة بالحرية الجنسية وحقوق الشواذ وهو ما سيلاحظه القارئ فى مواضع متفرقة من الكتاب، لكن هذا معروف، المهم والذى يعيننا على الفهم أن هؤلاء الذين يرون فى مشروع الأصولية الدينية والمسيحية الصهيونية تهديداً لليبراليتهم قد بذلوا جهداً لا ينكر فى جمع الوقائع وتتبع الجدل ورصد السياسات وكشق الممارسات السلبية فكتبوا كتابًا مفيداً لنا كى نفهم بعمق ما يجرى فى الولايات المتحدة الأمريكية على هذا الصعيد، وهذا الجهد يفيدنا فى الفهم دون أن نقف على أرضيتهم أو نصل للنتائج التى وصلوا إليها بدون تدقيق أو تمييز.

وقد لفت نظرى أثناء الترجمة والمراجعة والتحرير عدة أمور فى الصورة التى يرسمها هذا الكتاب للأصولية البروتستانتية المسيحية وأطيافها المختلفة ـ المتشددة واليمينة والمتطرفة :

أولاً : أن هذه التيارات ليست محاولة لاستعادة روحانية العقيدة في مواجهة الرأسمالية المتوحشة وثقافة الاستهلاك كما قد يظن البعض، فأفكارهم تتبنى منظومة الأخلاق البروتستانتية التي صنعت النمو الرأسمالي ، والثراء قيمة مركزية ، والمزج بين اليقين الديني والأساطير السياسية هو ما يثمر السياسات التوسعية الإمبريالية للولايات المتحدة اليوم.

ثانيًا : أن المسيحية الصهيونية ليست رؤية مختلفة للمسيحية أو عقيدة ألفية تؤمن بقرب نهاية العالم وتدفع نحوها، بل نفهمها جيداً لو أدركنا أن ما تم هو «تهويد المسيحية» وسلبها روحها، حتى إن معظم أفكارها ولغتها والرؤى التي تعتنقها مصدرها العهد القديم وليس العهد الجديد، وهو ما يفسر لماذا يقوم هذا التحالف بينها وبين الأفكار الصهيونية ، ولماذا وهي الأصولية التطهرية المسيحية تقيم تحالفًا مع التصورات الصهيونية، ولماذا فقدت «روحها المسيحية» المميزة رغم كل مظاهر التشدد ومزاعمه.

ثالثًا : أن رؤى التيارات الأصولية والمسيحية الصهيونية وسياساتها الداعمة للهيمنة الأمريكية ليست غريبة على الثقافة الأمريكية، فهي امتداد لرؤى الأمريكيين الأوائل لأنفسهم باعتبارهم شعب الله المختار وأنهم يمثلون «مدينة على جبل» يجب أن يستلهم نورها العالم الذي يعمه الظلام وينتظر دورها في تنويره (وتحريره!)، وهي الرؤى التي نجدها موصولة في فكر الزعامات الأمريكية عبر التاريخ الأمريكي والتي ترى في الشعب الأمريكي شعباً مختاراً وتكرس فكرة «الاستثناء الأمريكي».

رابعًا : أن هذه الرؤى جذورها الفكرية والتاريخية ليست تحررية أو تتبنى مفهوماً للمساواة والحرية، حتى وإن كانت مسيرة النظام السياسي الأمريكي منذ تأسيسه على يد «الآباء المؤسسين» قد سعت لضمان تلك القيم في حدها المعروف من أجل إدارة مجتمع جديد من المهاجرين بحثًا عن معادلة لعلاقة الدين بالدولة يقوم على التنوع والتعدد، ففي التاريخ الأمريكي إبادة وحملات استعمارية خارجية وفصل عنصري بدرجات مختلفة، وفي الأزمات تعود أفكار التميز

الأنجلو - بروتستانتى للصعود كما يبرز الجدل بشأن الدستور الذى هو محل جدل واسع تذكيه التيارات الدينية وتسعى لتأويله أو تعديله.

خامسًا: أن معرفة الصورة الكاملة والمركبة والديناميكية للتيارات الأصولية المتطرفة التى تؤثر على السياسة الأمريكية وتدعم المنظور التوسعى والتطرف المتسربل بخطاب مسيحى، لا يجب أن تصرفنا عن الوعى ومعرفة الخرائط المقابلة للكنائس المسيحية المعتدلة والتى تدعم السلام وترفض التطرف والحرب وتشارك فى أنشطة المجتمع المدنى العالمى كافة من أجل عالم أفضل، فهم «ليسوا سواء»، وكما يهمنا معرفة خرائط التطرف يجب أن يشغلنا التواصل مع منطق ودوائر وجهود الاعتدال، ولا يصرفنا عن التنسيق مع تيارات العلمانية الإنسانية التى تحترم التعدد والتنوع وتضمن حقوق العيش المشترك فى الداخل الأمريكى واحترام الشرعية الدولية والسلام الدولى.

سادسًا: أن الصورة التى يرسمها الكتاب للتصور السائد لدى هذه التيارات للأسرة والمجتمع يلزمنا بطرح العديد من التساؤلات حول التصور البسيط الذى يقدمه البعض عن التيارات الدينية والمحافظة، بل وأحيانًا الأصولية المتطرفة كحليف فى دعم منظومة الأسرة والقيم الأخلاقية، سواء فى داخل الولايات المتحدة أو خارجها على مستوى مؤتمرات الأمم المتحدة وغيرها من المؤتمرات الدولية، فالكتاب يوضح بجلاء أن تصوراتهم عن المرأة والأسرة وما يعنونه بالقيم والأخلاق الدينية يختلف عن التصور الإسلامى، وأن هذا التصور يحتاج إلى تعمق ومراجعة، وتفكير عميق فى بدائله والحلفاء الآخرين المحتملين داخل الولايات المتحدة وخارجها دفاعًا عن القيم الأخلاقية والأسرة.

وإذا كان للمقدمة أن ترشح للقارئ المهتم بالموضوع كتبًا أخرى تعطيه صورة أوضح عن أصوات ورؤى مختلفة موازية أو مناقضة على الساحة الفكرية الأمريكية، فإننى أرشح له ثلاثة كتب (بجانب تلك التى فى نهاية المقدمة) أعطيها ثقلاً؛ نظرًا لأنها حتى الآن لم تحظ بنقاش كاف فى الدائرة العربية، **الكتاب الأول** هو كتاب صامويل هنتنجتون الأخير الصادر ٢٠٠٤م تحت عنوان «من نحن؟»

والذى يبحث فى الهوية الأمريكية ويؤسسها على الثقافة الأنجلو ـ پروتستانتية ويدعو الأمريكيين للتمسك بهذه الثقافة على تنوع مشاربهم، وهو أمر توظفه التيارات المتطرفة لفرض تصور مسيحى عن أمريكا يستبعد الباقين، وهو يرفض فى كتابه فكرة بوتقة الصهر، ويرى أن أمريكا مجتمع مستوطنين لا مهاجرين، وأن من يلحق بهم عليه أن يقبل قيمهم، ثم هو يرى فى الحرب طويلة الأجل خارج الأرض الأمريكية الحل الوحيد لعدم انهيار أمريكا من الداخل لتعدد ثقافاتها، ويلمح أن الإسلام المسلح هو العدو الأساسى، وهو ما يشرح لنا كيف يفكر هذا العقل ويرى العالم فى هذه اللحظة الحربية ـ العسكرية من تاريخ الولايات المتحدة.

الكتاب الثانى هو كتاب ريتشارد بوليت، وهو مؤرخ أمريكى، والكتاب بعنوان: «نحو تصور للحضارة الإسلامية المسيحية» يقدم فيه أطروحة عن المشترك بين المسيحيين والمسلمين رغم الصراعات السياسية التاريخية، وهو تصور نحتاجه لمواجهة الربط المقدس بين المسيحية واليهودية والذى يتأسس عليه الحلف المسيحى الصهيونى.

الكتاب الثالث هو كتاب روبرت أليسون المؤرخ الأمريكى الذى يرصد الدور الاستعمارى للولايات المتحدة فى المنطقة العربية منذ بواكير القرن السابع عشر، ويوضح أن أمريكا كانت دولة استعمارية تاريخيًا قبل استقلالها بفترة طويلة.

أما الكتاب الأخير فهو لرجل عسكرى أمريكى هو كارى كاش، والكتاب عنوانه «استعادة مائدة العشاء الأخير»، وهو رواية شخصية ليوميات ضابط جيش أمريكى وقائد كتيبة فى العراق يروى فيها كيف رأى المعجزات بعينه هو وكتيبته فى العراق وكيف أن مهمتهم هناك هى نشر رسالة المسيح فى مجتمع إسلامى لا يحترم الإنسان، وهو كتاب طريف ودار نشره مغمورة لكن الذى يعرف الساحة الثقافية الأمريكية يدرك تمامًا تأثير هذه الكتب على الغالبية من الأمريكيين الذين يحصلون على هذه الكتب بسهولة فى المكتبات فى المكتبات المحلية أو يجدونها بسعر منخفض فى الكنائس التى تروج للفكر البروتستانتى المتطرف، لذا فهى

أوسع انتشاراً وأهم تأثيراً من مئات الكتب الرصينة الأكاديمية التى لا يقرأها ولا يتداولها سوى عدد قليل من المتخصصين فى بعض الدوائر الأكاديمية .

ولا يسعنى أن أكتب هنا كل الأفكار التى تتداعى للذهن والخواطر التى سجلتها عبر النقاش مع الزملاء فى هذا العمل المهندس عادل المعلم وتامر عبد الوهاب ، لكن أعتقد أن جهداً أكبر مطلوب من جانبنا لفهم أمريكا وفهم أنفسنا والوعى بشروط اللحظة التاريخية وأفق العلاقات الدولية ، والعلاقات الإسلامية ـ الأمريكية تحديداً ـ لأن العرب والمسلمين الآن فى لحظة فارقة ، لكنهم فى الوقت ذاته ليسوا وحدهم فى مواجهة الإمبريالية الجديدة ، ومفتاح الفعل الملائم والمطلوب هو الفهم ، وهذا الكتاب خطوة على هذا الطرق .

والله أعلم .

هبة رءوف عزت

ديسمبر ٢٠٠٥م

❋ ❋ ❋

الهوامش:

من أحدث الكتب الصادرة فى الموضوع :

- جهاد الخازن ، المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون ، لندن : دار الساقى ، ٢٠٠٥م .
- ستيفن سايزر ، الصهيونيون المسيحيون : على الطريق إلى هرمجدون ، بيروت : فريق العربى للحوار الإسلامى المسيحى ، ٢٠٠٤م .
- طارق مترى ، مدينة على جبل : عن الدين والسياسة فى أمريكا ، بيروت : دار النهار ، ٢٠٠٤م .
- عادل المعلم ، مقدمة فى الأصولية المسيحية فى أمريكا والرئيس الذى استدعاه الله وانتخبه الشعب الأمريكى مرتين ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م .
- كليفورد لونجلى ، الشعب المختار : الأسطورة التى شكلت انجلترا وأمريكا ، ترجمة د . قاسم عبده قاسم ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٣م .
- سمير مرقص ، الإمبراطورية الأمريكية : ثلاثية الثروة . . الدين . . القوة (من الحرب الأهلية إلى ما بعد ١١ سبتمبر) ، القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٣م .

وهناك العديد من الكتابات الرصينة والدراسات المهمة منها كتابات الباحث اللبنانى الأستاذ محمد السماك، وكذا عدة كتابات مهمة صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، وكتابات لا يتسع المجال لذكرها كلها هنا.

ومن الكتابات المهمة باللغة الإنجليزية التى تكسب الموضوع أبعاداً مهمة قد تهم القارئ العربى أشارت لها المقدمة فى كلمات قليلة :

-Richard W. Bulliet , The Case for Islamo-Christian Civilization, New York: Columbia University Press, 2004.

-Samuel Huntington, Who Are We: The Challenges to America's National Identity, New York: Simon and Schuster, 2004.

-Lt. Carey H. Cash, A Table in the Presence, Nashville-Tenessee: W Publishing Group, 2004.

-Robet J.Allison, The Crescent Obscured: The US and the Muslim World 1776-1815:The Legacy of the Barbary Wars, Chicago:The University of Chicago Press,2000.

***

مقدمة

جون. إم. سووملى
أستاذ فخرى الآداب الاجتماعية
مدرسة القديس بولس للدراسات اللاهوتية
رئيس مؤسسة تشرشمان
مؤلف كتاب: الحرية الدينية والدولة العلمانية

ها نحن ذا أخيراً نحمل بين أيدينا كتابًا مُحكم التوثيق حول أخطار الأصولية المسيحية فى شقيها البروتستانتى والكاثوليكى. فهو يكشف بالوقائع والأدلة الموثقة خطر السيطرة على العقل، ويميط اللثام عن العلاقة الوطيدة بين الأصولية من جانب، والتحيز والتمييز وعدم التسامح وجرائم الكراهية من جانب آخر. النساء ـ بصفة خاصة ـ لا تقتصر معاناتهن على ما يواجهنه فى البيوت ذات الميول الأصولية، بل يعانين ـ بصفة عامة ـ من النتائج السياسية للأصولية أيضًا.

وكتاب كيمبرلى بلاكر لا يعرض فقط للعلاقة بين الأصولية ومنظمات اليمين المتطرف ـ مثل منظمة «التركيز على الأسرة ـ Focus on the Family» التى يتزعمها «دوبسون ـ Dobson»، أو تلك التى يتزعمها «چيرى فالويل ـ Jerry Falwell» و«پات روبرتسون ـ Pat Robertson» ـ بل يميط اللثام أيضًا عن عمليات التمويل بواسطة المؤسسات اليمينية، والشركات الراعية لها. ولا مجال للدهشة من تأييد الأصوليات الدينية للمدارس الخاصة وللتعليم المنزلى على حساب المدارس العامة التى يتعلم فيها الطلاب أن يفكروا بأنفسهم.

يتناول الكتاب أيضًا معارضة الأصولية للتثقيف الجنسى بالمدارس العامة، كما يعرض للنتيجة المترتبة عن تلك المعارضة، والمتمثلة فى ارتفاع معدلات الحمل بين المراهقات بالولايات المتحدة الأمريكية عنه فى ست من الدول المتقدمة الأخرى.

فى الواقع، يعد هذا الكتاب أفضل تقييم صدر فى الولايات المتحدة على الإطلاق، من حيث الدقة والشمول فى تناول أثر الأصولية المسيحية على المجتمع والسياسة والعادات الأمريكية.

وعلى الرغم من كون كيمبرلى بلاكر هى صاحبة الفكرة والمؤلفة الرئيسية لهذا الكتاب، فقد أرشدتها حكمتها إلى تضمين فصول لعدد من المؤلفين الرجال، بينهم طبيب، وقد دعموا من خلال أبحاثهم الأطروحة والأفكار الرئيسية فى الكتاب، التى قامت كيمبرلى بتطويرها بشكل جيد.

أود الإشارة إلى أنه من النادر جداً - إن كان قد سبق لى على الإطلاق - أن قمت بمراجعة كتاب قوى الحجة، فائق الدقة، ومستنير مثل هذا الكتاب. إنه يفتح آفاقًا جديدة للمعرفة والفكر، ويشكل إسهامًا مهمًا للآباء والمعلمين وقادة الفكر الدينى والعلمانى فى أمريكا.

***

شكر وعرفان

لم يكن هذا الكتاب ليثمر لولا جهود العديد من الأشخاص الذين عملوا معًا حتى يرى النور. فالكتاب بهيئته التى هو عليها ليس ثمرة جهد مؤلفيه فقط، وإنما أيضًا جهد أولئك الذين تكرموا بتقديم العون والخبرة. أحب أن شكرى الخاص إلى كل مَنْ ساعدوا فى إتمام هذا العمل. وأود الإعراب عن تقديرى لكل من: إد بوكنر، وإدوين كاجين، وبوبى كيركهارت، وهيرب سيلڤرمان، وچون سوارز، الذين شاركونى التأليف وتبادلوا تجاربهم الشخصية وخبراتهم، فألقت فصولهم مزيدًا من الضوء على قضايا لها بالغ الأثر علينا جميعًا.

ولا أجد من الكلمات ما أستطيع التعبير بها عن مدى امتنانى لكل من ريتشارد داوكنز، وجيرالد. أ. لورى، وچون شيلبى سپونج، ونادين ستروسن، وچون إم. سووملى، الذين رحبوا بشدة بقراءة المخطوط الأولى للكتاب دون أن يكون لهم سابق معرفة بى. وكان تأييدهم الرائع للكتاب بمثابة ملحمة لم أكن أتوقعها. إننى أيضًا أقدر لهم نصيحتهم.

أود تحية چورچ فوستر، مصمم غلاف الكتاب، فقد صنع غلافًا متميزًا يجدر بهذا الكتاب. كان العمل مع چاى ڤان دايك بمثابة الحلم الذى تحقق، ولم يتوقف عن تقديم المساعدة وإسداء النصائح لى. أود أيضًا شكر تيريلين هنكل على تصويره إياى، وبذله ما فى وسعه مع وجه معاد للكاميرا.

أريد أيضًا توجيه الشكر والإشادة بهؤلاء الذين راجعوا وانتقدوا الكتاب فى مراحل الإعداد، وقدموا مقترحات بشأن الصياغة والتحرير، وساعدوا فى التوثيق والفهرسة، وأمدونى بمصادر البيانات، وقاموا بعمل المقابلات، وبهذا الصدد، ندين بشكر خاص إلى كيسى بلاكر، وكين بونيل، وديان بوكنر، وچاك

سينسر، وأماندا تشيسورث، ولارى داربى، وچان سى. فوكس، وشارون فراتيپترو، وپات هاريس، وچيم هيلدبيرج، وديلارد هندرسون، وهيلين كاجين، وپول كيرتز، ووليام مارتن، وچون نيلسون، وپول أوبرين، وفران پريڤاس، ومارچى سى. سووملى، ود. هارڤى تيپت. كما يستحق ماكسين پارشال منا التقدير لمراجعته الكتاب كاملاً، ولتقديمه نصائح شاملة فى الصياغة دون تقاضيه أى أجر. وأشكر أيضًا تيموثى ديلون لطباعته الكتاب وحرصه على أن يكون خاليًا من الأخطاء الطباعية قدر الإمكان.

وأخيرًا، أشكر مارجريت أوكيللى لإتاحتها الفرصة لى لتوجيه مهاراتى فى الكتابة بوصفى مراسلة لصحيفة هورون ريڤر الأسبوعية. كما أقدر الأثر القوى الذى أحدثه أساتذتى تيموثى ديلون، ود. چون هولاداى، وآن أوروين، على هذا المشروع. فلولا مهاراتهم التدريسية المتميزة وتوقعاتهم العالية، لما أمكن اكتشاف مقدرتى على تناول هذا الموضوع، وعلى حبى للكتابة.

***

الفصل الأول

مقدمة:

أخطار الأصولية وتقويض الديمقراطية

بقلم: كيمبرلى بلاكر

ترجمة: تامر عبد الوهاب

«من يتحكمون فيما يُدرس للشباب وفيما يُعايشون من خبرات ـ بمعنى ما يرون ويسمعون وفيما يفكرون ويؤمنون ـ هم الذين سوف يحددون مسار الأمة فى المستقبل»[1].

چيمس دوبسون

من ذا الذى يستطيع صياغة هذه المقولة بأفضل من الدكتور چيمس دوبسون، أستاذ طب الأطفال السابق ومؤسس منظمة «التركيز على الأسرة ـ Focus on the Family»؟ وهو رجل يُشار إليه بالبنان فى أوساط المسيحيين المحافظين بأمريكا، فهو أهم سلطة مرجعية فى تنشئة الأطفال. وصوته الهادئ يصل بصفة يومية إلى أسماع الآباء والأمهات فى عموم البلاد عبر ألفى إلى ثلاثة آلاف محطة إذاعية. يتوجهون إليه بالأسئلة ويلتمسون منه الإجابات حول مسائل الزواج والعلاقات بين الجنسين وتربية الأطفال.

آخرون يعرفون دوبسون بوصفه شخصًا له شبكة علاقات قوية باليمين المسيحى. وفى الواقع قد يوهم نفوذه القوى على الحزب الجمهورى بأنه زعيم اليمين المسيحى. وهو بطريرك إيڤانجليكى يدافع عن فكرة العقاب الجسدى، ويعارض بشدة سيادة المرأة على «قرارها الخاص فى مسألة الحمل والإنجاب ـ Reproductive Choice»(*)، وحقوق

(*) لا يوجد اتفاق حول معنى مصطلح Reproductive Choice أو القضايا المتضمنة به، وهو ما يجعل الترجمة الحرفية للمصطلح لا تعبر عنه بشكل دقيق. وقد فضلنا هنا استخدام عبارة «سيادة المرأة على قرارها فى مسألة الحمل والإنجاب»، حيث إن بعض التيارات والحركات النسوية تنطلق فى تبنيها للمفهوم من أرضية سيادة المرأة على جسدها بصفة عامة، فى حين يقصره البعض على حريتها فى تقرير الإنجاب من عدمه كحق شخصى لها أن تتمتع به. وهنا تحتل قضية الإجهاض موقعًا محوريًا فى الجدل الدائر حول المصطلح، الذى لم يعد جدلاً فلسفيًا فقط وإنما أصبح سياسيًا/ حقوقيًا/ دينيًا. فقد نشأ حول هذه القضية تياران رئيسيان متعارضان، الأول تيار المناصرين لإقرار هذا الحق ويطلقون على أنفسهم Pro- Choice، والتيار المعارض الذى ينتمى غالبيته إلى اليمين الدينى ويطلقون على أنفسهم Pro-Life أو المناصرين لحق الحياة. وهناك تيار يحاول تحقيق قدر من التوازن بين هذين التيارين، حيث يقترح صيغة وسط تقضى بتنظيم ممارسة الإجهاض بحيث لا تُمنع المرأة من هذا الحق ولا يتم الافتئات على حق الجنين فى الحياة، وذلك بأن يتم الإجهاض قبل التشكيل الكامل للجنين أى فى فترة الشهور الخمسة الأولى من الحمل ـ المترجم.

المثليين (*)، وحرية التعبير، والتربية الجنسية الليبرالية، و«الحق فى ميتة كريمة - Right to die with dignity» (**).

ورغم ذلك، فإن لدوبسون قدرة فائقة على تضليل الأمريكيين قليلى الدراية، الذين قد لا يوافقونه آراءه أصلاً. فمناوراته على الساحة السياسية تجرى خلسة دون أن يلحظها أو يسمع بها أحد - فيما عدا أولئك النفر الذين يقبض على عقالهم ويقودهم من أعناقهم - وهذا هو مصدر قوته ومفتاح نجاحه. ويأتى التصريح المنقول عنه فى مفتتح هذا الفصل بمثابة انعكاس لذلك النهج، لما يشكله من كشف لصميم وأعماق الذهنية الإيڤانجليكية والأصولية. **ففى هذا التصريح، يصور دوبسون مدى لهفة الأصولية المسيحية للسيطرة على عقول الشباب، تلك اللهفة التى نادرًا ما تختلف عن نظيرتها فى الأصولية الإسلامية بتجسيداتها الپاكستانية والأفغانية.**

فالعديد من أطفال پاكستان ينشئون فى مثل ذلك المحيط من السيطرة، حيث يلتحق الصبيان - خاصة فى الأسر الفقيرة - بالمدارس الدينية بمجرد بلوغهم السادسة، ويقضون معظم صباهم فى تعلم شكل متطرف من الإسلام. وفى تلك المدارس لا يتوافر للأطفال إلا القليل من فرص التفاعل الاجتماعى، فهم

(*) استخدمت فى الترجمة هنا الترجمة الحرفية للفظ المستخدم فى الأصل، وهو «المثليين» من باب الأمانة فى نقل اللفظ والفكرة والتوجه، مع التنويه بأنه لفظ حديث يسعى لتحييد المدلول من الناحية الأخلاقية، فى حين أن اللفظ العربى المقابل الصحيح هو: الشواذ، وهو يحمل فى لغته العربية مضمونًا قيميًا ووصفيًا فى آن واحد، فهو يعتبر اللواط والسحاق شذوذًا عن الفطرة، كما أنه يعتبره شذوذًا كظاهرة، فى حين يزعم المدافعون عنه أنه حق وأنه طبيعى وأنه ظاهرة واسعة الانتشار - المترجم.

(**) يعنى الحق فى ميتة كريمة «Right To die With dignity» فى الغرب الآن، تمكين المريض الذى عجز الطب عن شفائه من إنهاء حياته. ويتم استخدام هذا الحق للتأسيس لمبدأ الإماتة الرحيمة Euthanasia أو التدخل الطبى لإنهاء حياة مريض لا يوجد أمل فى شفائه، والذى يتم فيه توسيع دائرة الأفراد المرخص لهم استخدام هذا الحق لتشمل - إلى جانب المريض المتمتع بالأهلية العقلية - من ينوب عنه، أو الطبيب المعالج - فى حال فقدان المريض لأهلية اتخاذ القرار. لكن ثمة جدل حول الأسس التى يرتكز عليها الحق فى ميتة كريمة، وبالتالى مبدأ الإماتة الرحيمة. ويدور هذا الجدل بصورة موجزة حول قضايا فلسفية معقدة من قبيل مصدر الحياة، ومدى سلطان الفرد على قرار حياته ومماته، والتى تتفاوت حولهما الرؤى بين دينية وعلمانية على اختلافهما وتفرعاتهما. وعلى سبيل المثال، لم تستطع الحكومة الفرنسية - نتيجة لتلك الحساسية المحيطة بالموضوع - من إقرار قانون يسمح بتطبيق الإماتة الرحيمة، واكتفت فى شهر مايو ٢٠٠٥م بإقرار قانون يسمح بنزع أجهزة التنفس الاصطناعى عن حالات الموت الإكلينكى - المترجم.

يمضون معظم سنيهم الثلاث الأولى فى حفظ القرآن باللغة العربية التى لا يفقهونها، ولا يدرسون العلوم ولا الرياضيات، والتاريخ الوحيد الذى يتعلمونه هو تاريخ العالم الإسلامى. ويقف خريجو هذه المدارس وراء تنامى أعداد جند طالبان فى منتصف التسعينيات[٢]، فقد استمرت طالبان فى اكتساب موالين جدد عبر تمرين الأطفال من سن مبكرة على التفكير بشكل دوجماتى، مثلما يفعل قادة طالبان.

وبطريقة مشابهة، كثيرًا ما يُعَلِّم الأصوليون المسيحيون أطفالهم بالمنازل، أو بإرسالهم إلى مدارس مسيحية ذات توجه محافظ شديد المغالاة، وذلك للحد من عملية التفاعل الاجتماعى التى قد تفتح أمامهم الأبواب للتفكير النقدى. فالفكرة المحورية فى التعليم الأصولى هى أن يتم التحكم فيما يتعلمه الأطفال. وكما يفعل أولئك الذين يمولون ويديرون المدارس الدينية الپاكستانية بإعداد الأطفال للجهاد، يتوصل دوبسون إلى القول: «إذا كان خلاص أطفالنا بهذا القدر من الأهمية بالنسبة لنا، فإن تدريبنا الروحى لهم يجب أن يبدأ حتى من قبل أن يفقهوا الغرض من ورائه»[٣] ويزيد الفكرة وضوحًا قائلاً:

«إننى أؤمن بشدة فى وجوب تعريف الأطفال فى صغرهم بقضاء الرب وغضبه. فلم يرد بالكتاب المقدس ما يأمرنا بتخطى النصوص التى قد لا تَسُر فى تعاليمنا. الخطيئة عاقبتها الموت، ومن حق الأطفال أن يعوا تلك الحقيقة»[٤].

ويشتهر التعليم الأصولى المسيحى بأدلجته الأطفال عبر حفظ وتسميع آيات وصلوات الكتاب المقدس، بالإضافة إلى الدروس عن عذاب الجحيم والتى تدعم من عملية التنشئة المأمولة. بل ويتم التدريس لأولئك الأطفال باستخدام كتب تشوه الحقائق العلمية والتاريخية. ولسوف يتبين ـ بعد مطالعتنا للفصل الثالث ـ أن هؤلاء الأطفال لا يتعلمون إلا ما يتوافق تمامًا مع الرؤى قصيرة النظر لآبائهم ومدرسيهم. ويكفينا الآن أن ندرك مدى مقت الأصوليين واشمئزازهم من الرياضيات الحديثة، ـ التى تعلم الأطفال مهارات حل المشكلات ـ لا لشىء إلا لأنها لا تصنف الأشياء لأبيض وأسود.

يعرف تمامًا الأصوليون أن الأطفال الذين يتعلمون التفكير الحر والاختيار لأنفسهم قد يشبون يومًا ما عن الطوق ليختلفوا مع منظومة القيم التى ترعرعوا فى ظلها. ولأن أمر الأيديولوچية والعقيدة التى يجب على الأطفال الالتزام بها فى الأسر الأصولية هو من الأمور المحسومة سلفًا، فإنه لا مجال للأصوليين - مسيحيين أو مسلمين أو يهودًا أو أيًا كان مشربهم - فى اكتساب موالين إلا عبر أسر العقول من خلال التنشئة والتربية المغلقة. ولأن طبيعتهم سلطوية، فإن تأويلهم للنصوص المقدسة يحثهم على أن يبسطوا هيمنتهم على المجتمع وأن «يحددوا مستقبل الأمة»، كما توحى مقولة دوبسون المذكورة فى مستهل هذا الفصل. فالأصوليون يتصورون أنهم إذا لم يتصدوا لمناهج تدريب الصغار على التفكير بأنفسهم، فإنهم يخاطرون بمآل الأطفال الذين سيغدون أفرادًا بالغين وسيتخذون مسارًا قد لا يتناغم - بل قد يتعارض - مع طريق الأصوليين، هذا الطريق الذى يصفه العديد من الأصوليين بأنه ببساطة: أن تخدم الرب وأن تجلب له خدمًا مخلصين. لكن ما يثير الارتياب أن قطاعًا عريضًا من هؤلاء يعمل على تربية الكوادر والأتباع لإحداث تغيير سياسى وإقامة مجتمع تسوسه أيديولوچية لا تقيم وزنًا للديمقراطية. ومن الخطورة بمكان - أيضًا - أن بعض الأصوليين عازمون على تكوين جيش من المغفلين، يُحركونهم كالدمى، على استعداد للقتل - بل والتضحية بأرواحهم - فى سبيل قضية قد تم تحديدها سلفًا لهم.

إن حرب أمريكا الجديدة على الإرهاب - وقد جاءت كرد فعل على الخسائر الفادحة فى الأرواح التى أحدثتها هجمات الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م - تؤكد على رسالة واحدة مفادها: **أننا - ولخير هذا العالم - سوف نمحو أولئك الذين يهددون أرواحنا وأمننا، بل وحتى من يقفون فى طريق القبض على الإرهابيين، لكن شريطة ألا يكونوا مسيحيين أو أمريكيين! فلطالما اتسم تعامل الولايات المتحدة مع الجماعات الإرهابية بتلك الازدواجية المثيرة للقلق. إن إدارة بوش - بحصرها مجال القضاء على الإرهاب فى الخارج - تتجاهل الاعتراف والتعامل مع الأخطار التى نواجهها من داخل أمتنا.** فى الواقع يعد الرئيس

چورج بوش مسئولاً بشكل أساسى عن تشجيع العوامل التى تسببت فى كارثة إقحام الدين فى السياسة .

إن أمريكا ليست معصومة من تغذية مثل ذلك التطرف، بدليل قيام المسيحيّين تيرى نيكولاس وتيموثى ماكفى بتفجيرات أوكلاهوما، فقد وقع نيكولاس وماكفى تحت تأثير حركة «الهوية المسيحية ـ Christian Identity(*)» المتطرفة. كان التفجير هو الطريقة التى اختارها ماكفى كى يعارض على الملأ غزو الحكومة لمقر جماعة «واكو برانش ديڤيديانز ـ Waco Branch Davidians(**)» وكى يثأر أيضًا لمقتل أسرة «ويڤر ـ Weaver»، التى كانت تروج لفكرة السمو العرقى للبيض ويتبعون عقيدة الهوية المسيحية، فى روبى ريدج.

(*) يعد شعار «الهوية المسيحية» بمثابة المظلة التى يندرج تحتها مجموعة واسعة ومتنوعة من الجماعات والكنائس ذات الميول الدينية العنصرية، والتى يروج معظمها لنوع من المسيحية المسلحة تؤمن بالتفوق العرقى للجنس الأبيض وتلتقى فى قليل أو كثير مع ما يدعو إليه النازيون الجدد. كما يُعتبر لاهوت «الإسرائيلية البريطانية» العقيدة أو الأيديولوجية التى تجمع بين مختلف فروع وتنويعات فكرة «الهوية المسيحية»، حيث يروج هذا اللاهوت لفكرة أن الأوروبيين البيض هم الأسلاف الحقيقيون لبنى إسرائيل، وأن بنى إسرائيل ما زالوا هم «الشعب المختار» لدى الرب. **أو بعبارة أدق، تؤكد «الهوية المسيحية» على أن الجنس الآرى هو العرق المختار لدى الرب، وأن الأوروبيين البيض يشكلون القبائل الإسرائيلية العشر المفقودة.** وبالرغم من عدم وجود وثيقة واحدة تؤيد هذه المعتقدات، فإن أنصار حركة «الهوية المسيحية» يقومون بتأويل الكتاب المقدس بحيث يدعم أفكارهم، وتعود بدايات الحركة فى أمريكا إلى الأربعينيات من القرن العشرين، حيث أنشأ ويسلى سويفت أول كنيسة تروج لهذه الأفكار بولاية كاليفورنيا، ومن بعدها انتشرت الكنائس التى تعتنق وتروج لأفكار سويفت، والتى تتفاوت أيضًا فى حجم أعضائها من بضع عشرات من الأشخاص إلى كنائس كبيرة الحجم أشهرها على الإطلاق كنائس «الأمة الآرية ـ Aryan Nation» ـ المترجم.

(**) «برانش ديڤيديانز ـ Branch Davidians» هى جماعة دينية مشتقة فى الأساس من كنائس «سبتيو اليوم السابع ـ The Seventh -Day Adventists» التى تؤمن بأن المجىء الثانى للمسيح سيتحقق فى القريب العاجل. ويعبر لفظ ديڤيديانز عن استعادة مملكة داود، أما لفظ «برانش» فهو الاسم الجديد للمسيح. وتعود نشأة الجماعة إلى ثلاثينيات القرن العشرين، حين أسس ڤيكتور هيوتف جماعة Davidians Seventh- Day Adventists بمنطقة واكو بولاية تكساس، ثم قام بينيامين رودين بتأسيس Branch Davidians Seventh-Day Adventists عام ١٩٥٥م على أنقاض الأولى. تولى ديڤيد كورش أمر الجماعة عام ١٩٨٨م، وفى عام ١٩٩٣م قام عملاء المباحث الفيدرالية الأمريكية بمحاصرة واقتحام مقر الجماعة، الأمر الذى خلف ٧٥ قتيلاً من ضمنهم شيوخ وأطفال ونساء ـ المترجم.

إرهابيون من الطراز المسيحى

ليس من الإنصاف وضع كل الأصوليين فى خانة الإرهابيين، بيد أن ذلك لا ينفى العلاقة القوية التى تربط ـ ولا شك ـ بين الأصولية والعنف. كما لا يعنى ذلك إنكار أن ثمة أصوليين لا يتورعون عن إنزال الرعب والدمار بمن يصنفونهم أعداء.

إن جماعة «جيش الرب ـ Army Of God» ـ الصغيرة الحجم الراديكالية التوجه ـ هى مجرد مثال على ذلك، فقد استهدفت عيادات الإجهاض وتورطت فى عمليات اختطاف وتفجير وقتل. ووفقًا لتقارير عدة، كانت تلك الجماعة على صلة باستهداف تلك العيادات بمائتين وثمانين رسالة ملوثة بمادة الأنثراكس السامة فى شهر أكتوبر التالى مباشرة لهجمات الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

لقد لاحت ذهنية الكراهية لجماعة «جيش الرب» فى اجتماع مؤيديها بتاريخ ٢١ يناير عام ٢٠٠١م فى بووى بولاية مارى لاند، للاحتفال بالذكرى الخامسة لنشأتها، أو ما يُطلق عليه اسم «مأدبة الوردة البيضاء ـ White Rose Banquet»، فقد أورد تقرير نشرته «الكنيسة والدولة ـ Church & State»، أنه «أثناء الاحتفال، حث كثير من المتحدثين على تبنى العنف ضد عيادات الإجهاض، واستحلوا دم العاملين فى هذا المجال، كما رددوا النكات حول قتل المثليين»(٥). وتذمر تشاك سبنجولا من «أن هؤلاء الناس (المثليين الذكور) هم فئات كريهة. . . ولو تسنى لكم الاحتكاك بهم لفترة كافية، لتفهمتم حكمة الرب من قوله بوجوب قتلهم(٦)».

فى نفس المحفل، مُنح الإكليركى مايكل براى لقب قس، رغم قضائه ست سنوات بالسجن لاشتراكه فى تفجير عيادات الإجهاض(٧). **ليست الأصولية الكاثوليكية أقل من نظيرتها البروتستانتية**. ففى ١٦ يوليو عام ١٩٩٤م كتب الإكليركى ديڤيد تروش رسالة للكونجرس قال فيها:

من المتوقع أن نُواجَهَ بحرب أهلية فى المستقبل غير البعيد. . إن سلب حياة الإنسان فى أى وقت عقب وقوع الحمل يُعد جريمة قتل. . إن عصيانًا مدنيًا غاية فى الدموية على وشك أن يبدأ. . . كانت الطلقة الأولى فى پنساكولا أوائل هذا

العام . . كان د. جن قاتلاً ممارسًا [طبيب يمارس الإجهاض] . . لقد تطلب وقف ذبح ملايين الأبرياء قيام الحرب العالمية الثانية . . إن الرب سيحاسبهم (المؤمنين) على عدم اتخاذهم لإجراء مباشر لمنع ذلك الشر . . (عندما) تزول القيود الطبيعية التى تفرضها حالة السلم الذى يعم البلاد . .

فإن القتل، من أجل حماية الأبرياء سيبدأ فى التفشى، ليتحول إلى قتل أفراد الشرطة والجيش الذين يحاولون حماية ممارسى عمليات الإجهاض. ثم تبدأ عمليات القتل فى استهداف الذين يأمرونهم بتوفير تلك الحماية، وسوف يحتل اتحاد الحريات المدنية الأمريكية مكانًا متقدمًا على قائمة الاستهداف، وأيضًا المنظمة الوطنية للنساء، وأعضاء منظمات تنظيم الأسرة والمنظمات المؤيدة لإقرار الإجهاض . . سيُقضى عليهم كما يُقضى على الحشرات الطفيلية . . وعما قريب سيُنظر إلى المشاركة فى تدمير الشر على أنه عمل جدير بالتقدير، باعتباره شرطًا مسبقًا للتنعم بالحياة الأبدية . . تمنيت أن يكون ذلك كافيًا كى يعكس مجلس النواب الأمريكى قرارات المحكمة العليا فى قضية «روي ضد ويد»، وأيضًا قضية «دويي ضد بولتون» . . يجب أن يكون للمعتقدات الدينية الأولوية إذا تعارضت مع القوانين المدنية . . إن خطر الاشتراكية يزحف إلينا . . ونظام الرعاية الصحية الوطنية جزء من هذه الاشتراكية المتسلقة . . وبمجرد شروعها فى العمل الجدى، فليس بمقدور بشر إيقاف هذه الحركة . . كل من يؤيد إقرار حق الإجهاض سيكون عرضة لأن يفقد حياته. من المحتمل أن تكون حياة السياسيين الذين فشلوا فى معارضة الإجهاض معرضة للخطر أيضًا . . ليس فى النية توجيه تهديدات شخصية.

المخلص فى المسيح، الأب ديفيد سى تروش(٨)

وبعد أسبوعين، توجه قس سابق يُدعى پول هيل بسيارته إلى مركز الخدمات النسائية، وهى إحدى عيادات الإجهاض فى پنساكولا بولاية فلوريدا، وأطلق النار على الدكتور چون بيارد بريتون وحارسه چيمس باريت، فأرداهما قتيلين. وفى نفس العام، تلقى الأطباء فى مونتانا رسائل بريدية بداخلها طلقات نارية مطبوع عليها اسم الطبيب المرسلة إليه.

وكذلك الأمر بالنسبة للأطباء فى عموم البلاد، فقد تلقوا تهديدات بالقتل عبر البريد والهاتف، وفى التاسع من أغسطس تم العثور على قنبلة خارج إحدى عيادات تنظيم الأسرة. ورغم أن ترويج تروش لقتل الأطباء والمؤيدين لحرية الإجهاض كان مستمراً على مدار سنوات، فإن الكنيسة الكاثوليكية لم تتحرك إلا بعد وقوع حوادث القتل تلك، وذلك عندما قررت فصل تروش من الكنيسة.

إن تقليل الولايات المتحدة من أهمية الجماعات المتطرفة الموجودة بالداخل يزداد وضوحًا، **فبينما ينصرف التركيز فى الحرب على الإرهاب على الخطر الموجود جزئيًا فى أرجاء العالم، لم يكن هناك سوى إشارات نادرة إلى العديد من الميليشيات ومعسكرات التدريب ذات الخلفية المسيحية المنتشرة فى الولايات المتحدة، أو العديد من الجماعات المسيحية ذات الفكر المتطرف. لكن إذا ما انجلت أوجه التطابق بين الأصوليتين المسيحية والإسلامية بصورة كاملة، عندئذ لن نستطيع الاستمرار فى تجاهل الواقع.** إننا فى حاجة ملحة لأن يدرك الأمريكيون و تدرك حكومتنا تهديدات أولئك القاطنين بيننا على مستقبلنا. فالإرهاب إرهاب مهما اختلفت عباءة الدين التى يستتر خلفها. ولا بد من التعامل معه حتى يطمئن كل أمريكى على أمنه، فى نفس الوقت الذى نحفظ فيه ديمقراطيتنا.

حياتنا، وحياتهم، والإعلام

على الرغم من كون الإرهاب أحد أشد أخطار الأصولية المسيحية ضراوة، فإنه ليس إلا واحداً بين حزمة المشاكل التى تطرحها تلك المعتقدات المتطرفة. فالأطفال فى الأسر الأصولية ـ كما سيتضح فى الفصول اللاحقة ـ لا يفتقرون فقط إلى التعليم الملائم، بل هم أكثر عرضة من غيرهم للعقاب البدنى والاستغلال الجنسى، وبغض النظر عن معارضة الأصوليين لممارسة الجنس قبل الزواج، ففتياتهن يتهددهن خطر الحمل فى سن المراهقة. فالمراهقات البالغات فى تلك الأسر أقل ميلاً لاستخدام موانع الحمل، وثمة رقابة على أطفال آخرين

تجعل استفادتهم من برامج التربية الجنسية بالمدارس العامة أمرًا بالغ الصعوبة، حيث يُحظر عليهم مطالعة بعض الأدبيات والكتب، كما نجد أن الطفل الأصولى - وبخاصة الفتيات - عرضة لضعف التحصيل الدراسى.

والنساء - سواء نشأن فى بيوت أصولية أم لا - أكثر الفئات تضررًا من المعتقدات الأصولية. فثمة علاقة قوية بين الأصولية المسيحية وافتقار النساء للحرية الإنجابية وللفرص التعليمية والوظيفية، وبتعرضهن للمعاملة السيئة على أيدى أزواجهن، وللعنف الجنسى، وللاضطرابات الجنسية والعقلية، وبالتبعية الاقتصادية والمعيشية. والمعتقدات الأصولية لا تسهم فقط فى خلق تلك المشكلات بالمنزل، وإنما فى تكريس النمط الاجتماعى، وأشكال الفعل - أو اللافعل - السياسى، الناتجة عن رؤى اليمين المسيحى. **والرجال - كما سيتبين فى الفصول القادمة - ليسوا أقل تضررًا من الأصولية، لكن غالبًا ما يتجلى أثر المعتقدات الأصولية السلبى على الرجال فى معاملتهم للنساء والأطفال وفى أفعالهم السياسية، وفى تبنيهم أحيانًا لبعض أعمال العنف والإرهاب.**

وتتسبب الأصولية المسيحية فى خلق عدد آخر من المشاكل، حيث ثمة علاقة قوية بين الأصولية والتعصب، الأمر الذى يؤدى إلى التفرقة، وعدم التسامح، وجرائم الكراهية ضد المثليين، وضد الأعراق والديانات الأخرى، وضد النساء. كما يقف اليمين المسيحى أيضًا عائقًا أمام صدور تشريع يتيح للناس خيار تقليل أو إنهاء آلامهم ومعاناتهم حال الموت الإكلينيكى. فاليمين المسيحى يعارض التعامل مع الحالات المستعصية بالاستجابة لطلب المريض أو ذويه بإنهاء حياته، ويطالبون بمحاكمة الأطباء الذين يستجيبون وينفذون عمليات «الإماتة الرحيمة»(*).

(*) الموت الرحيم هو الوصف الذى يستخدم لنزع أجهزة الدعم الطبى للحالات الميئوس منها، وهى قضية رأى عام فى مجتمعات كثيرة وينقسم الرأى بشأنها، ويختلف الكثيرون مع وصف «الرحيم» حيث يرون أن هذا الفعل غير أخلاقى، فى حين يبرر أنصاره موقفهم بإرادة المريض أو من يتولى أمره وحقهم فى الاختيار تارة، أو التكلفة المادية مقابل عدم وجود أمل فى الشفاء وأولوية الدعم الطبى للحالات المرجو شفاؤها تارة أخرى - المترجم.

من ناحية أخرى، يفتقر الأصوليون إلى الاهتمام بالبيئة بناء على اعتقادهم بأن كل الأشياء مسخرة للإنسان بمنحة من الرب، كما جاء في سفر التكوين. وحيث إنهم يتوقعون المجيء الثاني للمسيح في المستقبل غير البعيد، فهم لا يعتقدون في الحاجة للحفاظ على مقومات الحياة على الكوكب لمئات ملايين أخرى من السنين على أية حال.

وبالإضافة إلى ذلك، يسيء الأصوليون تفسير دستور الولايات المتحدة، خاصة التعديل الأول والفقرة المتضمنة الفصل بين الدين والدولة، ويعيدون كتابة التاريخ لإضفاء الصبغة المسيحية على الأمة. **وقد اكتسب اليمين المسيحي في السنوات الأخيرة مزيدًا من القوة السياسية، حيث جنى عددًا لا يستهان به من المناصب في مستويات الحكومة كافة.** وستتولى الفصول القادمة الكشف بصورة كاملة عن مقدار المشكلات الناجمة عن الأصولية المسيحية، فالأصولية تضر بحياتنا بوسائل شتى، ولسوف يتضح مدى اتساع دائرة الضرر التي لا يفلت منها سوى فئات قليلة وما ينتج عن الأصولية من آثار وخيمة على القضايا السياسية والاجتماعية.

ما يهمنا الإشارة إليه الآن هو كشف العوامل التي تؤدي إلى أن يغفل كثير من الناس عن هذا الخطر. وجزء من الإجابة على هذا السؤال يوضح الأوهام التي يناضل اليمين المسيحي من أجل خلقها، فكما تشير باربرا إم. چونز ـ مؤلفة كتاب «المكتبات، الإتاحة، والحرية الفكرية: تطوير سياسات المكتبات العامة والأكاديمية»: **«أصبح اليمين الديني يشكل إحدى جماعات المصلحة المهمة في تشكيل الرأي العام»** [٩]. ويقوم اليمين المسيحي بإنجاز ذلك عبر وسائل متعددة. فبالإضافة إلى امتلاكه العديد من وسائل الإعلام، فإن المنظمات والطوائف المسيحية ـ مثل «مؤتمر المعمدانية الجنوبية ـ Southern Baptist Convention» و«الرابطة الكاثوليكية للحقوق الدينية والمدنية ـ Catholic League For Religious And Civil Rights» ـ أصبحت معروفة بتأثيرها على الإعلام، حيث تهدد وسائل الإعلام باللجوء إلى القضاء، وتشارك في حملات كتابة الخطابات. أضف إلى ذلك أنها تقاطع الشركات الراعية لبرامج أو منشورات يعارضها اليمين المسيحي. وعبر هذه الأفعال تستطيع إسكات الأصوات التي تبرز سلبياتها، ووقف غالبية البرامج الناقدة للدين أو التي تتعارض بشكل مباشر مع آرائها.

لقد لمست شخصيًا واقع السيطرة الأصولية على الإعلام عندما اصطدمت بغير قصد بالرابطة الكاثوليكية، تلك المنظمة التى تهدف إلى منع وإزالة أى نقد للكاثوليكية وقيادتها. فبتاريخ ٢٠ سبتمبر عام ٢٠٠١م، نشرت صحيفة «سان فرانسيسكو إكزامنر» تعليقًا لى حول أوجه الشبه بين المتطرفين الإسلاميين ونظرائهم المسيحيين، وكشفت فيه عن استخدام الرابطة الكاثوليكية للتخويف ضد المعارضين والإعلام حتى لا يخرجوا عن الخط، وقد كتبت ما نصه:

رغم طبيعتها الأقل عنفًا، إلا أن الرابطة الكاثوليكية للحقوق الدينية والمدنية - التى هى فى ذاتها متناقضة - موجودة لخدمة القانون الكنسى ١٣٦٩، والذى ينص على: «يعاقب بجزاء عادل الشخص الذى.. يجدف، أو ينتهك الأخلاقيات العامة، أو يستخدم ألفاظًا نابية أو يستثير الكراهية أو الازدراء ضد الدين أو الكنيسة»[١٠].

وقد أوضحتُ أنه:

«فى صلاة الإفطار التى جرت أثناء المؤتمر العام للحزب الجمهورى عام ٢٠٠٠م، زعم الأب فرانك بروفون من منظمة «قساوسة من أجل الحياة- Priests For Life» أن الكنيسة تملى سياسات الأمة. فالكنيسة تعلن الحقيقة الربانية التى لا بد لجميع تلك السياسات (العامة) من أن تتوافق معها»[١١].

إن الكنيسة الكاثوليكية هى إحدى المنظمين والداعمين الرئيسيين لليمين المسيحى. لكنها كانت حريصة على عدم الكشف عن هويتها، وحثت الطوائف المعمدانية والمسيحية الأخرى أن تقوم مقامها فى أداء الأدوار. وهناك دائرة واسعة من مجموعات اليمين المسيحى تبذل جهدًا حثيثًا من أجل هدم الجدار المقام للفصل بين الكنيسة والدولة الذى نص عليه الدستور الأمريكى»[١٢].

وبعد نشر مقالتى، قام ويليام دوناهو - رئيس الرابطة الكاثوليكية - بالاتصال مباشرةً بمايكل ستول محرر صفحة الرأى فى صحيفة «إكزامنر»، حيث اتهمنى بارتكاب جريمة القذف بحق «ملايين المسيحيين»[١٣]. ووفقًا لمقالة دوناهو، فقد طلب من «الإكزامنر» بأن «تقدم (إليه) دليلاً - من واقع السجلات الجنائية - يفيد

بأن الرابطة الكاثوليكية منظمة عنيفة»[١٤]. وقد رد ستول على هذا الكلام مشيراً إلى أنه فى حين يمكن أخذ انتقادات دوناهو بعين الاعتبار، إلا أن تعليقى القائل «رغم أن طبيعتها أقل عنفًا»، لم يكن بأكثر من «توظيف بلاغى»[١٥] كما بدا واضحًا، فضلاً عن أنه «وجهة نظرى»[١٦] التى من حقى تبنيها. وقد رد دوناهو على ذلك بالقول: «وإنها لوجهة نظرى بأنها كانت متحفزة لأن توجه بشكل ينم عن تهور واضح وينطوى على قذف، اتهامات ضد الرابطة الكاثوليكية»[١٧]. يسهل لأى شخص يطالع كامل المقال أن يتعرف على الاستعارة المتضمنة فى المقال. فلم أزعم أن الرابطة الكاثوليكية قد ارتكبت أعمال عنف، لكننى أشرت إلى طبيعة المنظمة التى رغم كونها ليست بدرجة تطرف المنظمات الأخرى التى ناقشتها فى المقال، ما تزال منظمة خطرة يجب أخذها فى الحسبان، كونها قائمة على نص القانون الكنسى ١٣٦٩.

وبعد النداء الذى وجهه دوناهو، نشرت الرابطة بيانًا إخباريًا على موقعها الإلكترونى[١٨]، ثم نشرته فيما بعد بالنسخة المطبوعة من مجلتها المسماة الـ«كتاليست ـ Catalyst» ويُستخدم كل من الموقع الإلكترونى والمجلة للتحرش بكل من يتجرأ على التحدث علانية عن مثالب الكنيسة الكاثوليكية ومساوئ أجندتها السياسية. فالذين يهاجمون الكاثوليك معرضون للتقريع الشديد. واستمراراً فى نهجها فى استخدام الكلمات الواردة بمقالتى خارج سياقها وفى تضليل أعضائها، استأنفت الرابطة القول: «نحن نحث الأعضاء على الكتابة إلى مايكل ستول، فى سان فرانسيسكو إكزامنر.. وسؤاله لماذا لم تقم الصحيفة إلى الآن باستبعاد بلاكر؟».

إن التخويف هو وسيلة الرابطة لبلوغ هدف ما. فالرأى الذى لا يعرض الدين أو الكاثوليكية بطريقة إيجابية، هو تجديف من وجهة نظر دوناهو والمناصرين له، بغض النظر عن القوانين التى تقول عكس ذلك. إن دعوة دوناهو السخيفة لاستبعاد كاتبة مستقلة ما هى إلا محاولة أخرى للاستئساد على الـ«إكزامنر» وإدخالها فى حظيرة الطاعة.. وإسكات صوتى.

وبعد نشر البيان الإخبارى للرابطة الكاثوليكية، تلقت الـ«إكزامنر» أكثر من مائة رسالة من ولايات أخرى غير كاليفورنيا. جل هذه الرسائل تقريبًا طالبت

بإقالتى من دار صحفية لم أعمل بها يومًا، ولم تتم ترقيتى ـ فقط من قبل المهاجمين ـ إلى مرتبة العاملين الدائمين بالصحيفة، بل إن العديد ممن كتبوا رسائل الرابطة قاموا بتصعيد الأمر، وكانوا «غاضبين» من حقيقة كونى «مراسلة» قد أدلت برأيها فى غير مجال «الأخبار».

لكن ذلك لم يكن سوى البداية. فمعظم الرسائل الواردة إلى الـ «إكزامنر» قد استخدمت كلمتى «التجديف» و «القذف» فى وصفها للآراء الواردة بمقالتى، والبعض جمع خياله متمنيًا لو أن الرابطة تقاضى الصحيفة. وقد كتبت إحدى النساء مطالبةً الجريدة بأن تقدم لها دليلاً على أن الرابطة تشكل تهديداً للحرية. وقد رد ستول قائلاً:

«ألاحظ أن العديد من الأشخاص من شتى المذاهب السياسية والفلسفية ينظرون إلى دائرة واسعة ومتنوعة من المؤسسات والأشخاص ومناحى الفكر على أنها «تهديد للحرية»، ومثل هذا التصريح يعد من قبيل الرأى المجرد، الذى لا يحتاج فى تقديرى إلى إثبات. بل ليس فى الإمكان إثباته أو عدم إثباته، وهذا تحديداً هو السبب وراء ظهوره فى صفحة الرأى»[١٩].

لم تلحظ هذه المرأة أن حلفاءها تبرعوا بصياغة وجهة نظرى نيابة عنى. فقد وردت رسالة من لويزيانا تطالب الصحيفة «باتخاذ الإجراء السليم»؛ لأن «المحكمة العليا ـ نقلاً عن النص الأصلى ـ الأمريكية أكدت أن الولايات المتحدة دولة مسيحية...». وعلى الرغم من خطأ ذلك التصريح، إلا أنه فى الحقيقة هو عين التهديد الذى وصفته فى ثنايا مقالتى ـ أى محاولة إقامة حكومة على أسس دينية.

دليل آخر على التهديد الذى تشكله الرابطة للحرية ورد فى رسالة من ولاية «أوريجون»، حيث حث كاتبها الـ «إكزامنر» على أن «تتخذ موقفًا نقديًا أكثر حزمًا مع مثل هذه المقالات» وأن «تستهجن مثل هؤلاء الكُتَّاب من ذوى التحيز الواضح». ويبدو من ذلك أن الأعضاء بالرابطة الكاثوليكية يناقضون الغرض المعلن من إنشاء الرابطة، ألا وهو الدفاع عن «الحريات الدينية والمدنية»! لكن من

الواضح أن حرية التعبير غير مكفولة ضمن هذه الفئة من الحريات، على الأقل لغير المتدينين.

فقد كتب عضوان من الرابطة أنه كان ينبغى على الجريدة أن تستبعد مقالتى بشكل تلقائى لأننى «من الملحدين المعروفين»، كما شددت امرأة من ولاية نيڤادا على أنه كان من واجب المحرر أن يُذيِّل مقالتى بملاحظة تفيد «بأنها ملحدة معروفة»، حتى على الرغم من أن مشاركات المتدينين نادراً ما زُيلت بملاحظة تتضمن التنويه بتدين المؤلف!

إن ردود أفعال دوناهو وهؤلاء الأعضاء فى الرابطة الكاثوليكية تدل على أنهم يدافعون عن الحريات المدنية الدينية الكاثوليكية فقط، وليس الحريات الدينية والمدنية. وأصبح من الواضح أيضًا أنهم لا يهتمون بتبيين ما إذا كان قول شىء سلبى عن المسيحية أو الكاثوليكية مجرد تجديف أم يشير لممارسات سلبية حقيقية وفعلية. فما يهمهم فى المقام الأول هو مدى وقوع النقد العلنى للكاثوليكية من عدمه. وقد توافرت الأدلة على ذلك من خلال ردود العديد من أعضاء الرابطة، فقد زعم رجل من ولاية «ماساشوستس» أن قسًا قريبًا له أتى بأعمال طيبة. وبالتالى، فقد تساءل قائلاً «بأى حق تقوم (بلاكر) بانتقاد أناس هجروا الحياة المريحة ليؤدوا مثل هذا العمل؟» ففى نظر العديد من الأصوليين ـ پروتستانت كانوا أو كاثوليك ـ أى عمل طيب يجب أن تنتفى كل ألوان النقد له.

ولكن ما الذى يجعل أعضاء الرابطة الكاثوليكية متحمسين للمشاركة فى حملات كتابة تلك الرسائل؟ الإجابة هى أنه بالإضافة إلى إيمانهم بضرورة كبح ألوان النقد كافة للدين، فإن العديد منهم على قناعة بأن الكنيسة والكاثوليك، بصفة عامة، قد أصبحوا هدفًا ضمن حملة واسعة لازدراء الكاثوليكية. وقد عبر عضو من نيويورك عن ذلك الاعتقاد، الذى جاء وصفه فى العديد من خطابات أعضاء الرابطة الكاثوليكية. وكانت حسرته أن «معاداة الكاثوليكية فى أمريكا هذه الأيام تفوق أفعال التحيز ضد أى جماعة من جنس أو عرق أو ديانة أخرى»، ورغم عدم صحة هذا القول، فقد أشار هذا العضو: **«تقدم الصفحة تلو الصفحة**

من نشرة الكاتاليست الدليل على مدى العداء وعدم التسامح الذى تتعرض له الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا».

. إن الرابطة تستغل أعضاءها بصراخها الزاعق فى مطبوعاتها، والمستثير لهم ضد أى هجوم ولو ضئيلاً ضد الكنيسة. **لكنها نادراً ما تقدم دليلاً حقيقياً على حدوث ممارسات تمييزية أو جرائم كراهية ضد الكاثوليك. فى المقابل، تتوافر العديد من القضايا الموثقة بشأن وقوع تمييز ضد الأمريكيين من أصول أفريقية، وضد المثليين، واليهود، والمسلمين، والملحدين، والأقليات الأخرى فى بلادنا.**
إن المقصود من «التحيز» الذى يشجبه أولئك الكاثوليكيون هو فى الغالب ذلك النقد الموجه للمعتقدات الكاثوليكية المفروضة على الموالين لها، والمعتقدات التى تحاول فرضها على شعوب العالم، بما فيهم الشعب الأمريكى. لكن بغض النظر عن ذلك النقد، فإنه ما من أحد يعترض ممارسة المعتقدات الكاثوليكية.

وبالرغم من أنهم قد يدّعون عكس ذلك، فاليوم هناك قليل من التمييز ضدهم.

ومن الأمور الطريفة أنه فى ديسمبر ٢٠٠١م اتصل مساعد إنتاج يعمل لحساب نفسه بالـ «إكزامنر» ليستفسر عن تلك المشاجرة الكلامية. بعد ذلك بيومين، وبينما كنت أتابع الحديث مع مساعد الإنتاج، شرح لى أن مجلة متخصصة فى مجال الفيديو تدعى «الكاثوليك الأمريكان ـ American Catholic»، كان قد طُلب منها عمل حلقة عن تعرض الكاثوليك للظلم، لكن التحقيق الصحفى سرعان ما أخذ منحى معاكساً. فوفقاً لمساعد الإنتاج، أنه فى أثناء محاولته لكشف المظالم، اكتشف الكثير مما يناقض ذلك. وكان مفاد ما توصل إليه أن الرابطة الكاثوليكية تطغى بقوتها على أى شخص يتعرض للكنيسة أو للرابطة[٢٠]، وبدا واضحاً أن البرنامج سوف يتطور ليأخذ منحى فضح تكتيكات الترهيب التى تتبعها الرابطة الكاثوليكية لتقييد محاولات إظهار مثالبها فى العلن. لكن ـ وكما كان متوقعاً ـ لم يتم إنتاج هذه الحلقة أبداً[٢١].

وبعد فترة ليست طويلة، أصبحت صحيفة «بالم بيتش بوست ـ Palm Beach Post» مستهدفة من الرابطة الكاثوليكية، عندما نشرت كاريكاتيراً لدون رايت

(ظهر أيضًا فى صحيفتى النيويورك تايمز وساكرامنتوبى) وتضمن الكاريكاتير رسمًا لامرأة مكرسة للصلاة تقول لنفسها:

«بالنسبة للنساء، الممارسة الجنسية موضع مراقبة بصفة دائمة. فالكنيسة الكاثوليكية تخبرنى بما يجب وبما لا يجب علىّ أن أفعل بجسدى. حقيقى هى غير متسامحة. فلا يوجد لديها حلول وسط على الإطلاق. الاستثناء الوحيد - بالطبع - هو أن تكون من محبى ممارسة الجنس مع الأطفال»(*).

وبناء على أمر مباشر من دوناهو، قام مدير اتصالات بالرابطة باتريك سكالى بالاتصال بمحرر صفحة الرأى بصحيفة پالم بيتش پوست، طالبًا اعتذار الصحيفة. وقد أجاب راندى سكولتز على طلبه بالقول: «لن يكون هناك اعتذار لأنه لا يوجد ما يعتذر عنه». وأوضح سكولتز لسكالى أن الكاريكاتير لم يكن إلا مجرد «نقد» لسياسات الكنيسة. لكن لم يكن ذلك بالنسبة للرابطة أقل «إثمًا» من النقد الذى سقته فى مقالتى، ولذلك فقد استحق حملة رسائل أخرى، بغض النظر عن الأسس الواقعية التى ظهر عليها هذا الكاريكاتير، وعن أن الرابطة لم تستطع حتى إساءة تفسير «التشهير». حثت الرابطة أعضاءها فى «الكاتاليست» على الكتابة بالقول «هذا هو الوقت لكى يسمع سكولتز ذلك منكم».

وفى الصيغة الموصى بها للكتابة إلى صحيفة پالم بيتش پوست، طلبت الرابطة من أعضائها أن «يخبروه (أى سكولتز) أنه وصبيه دون رايت يؤديان عملهما بشكل طيب لدرجة أننا قررنا تكريمهما وإدراج عملهما فى التقرير السنوى القادم عن معاداة الكاثوليكية!»[٢٢] وبصدور هذا التقرير، كنت أنا أيضًا من بين المكرمين فيه[٢٣]. ومثلما هو الحال فى رد سكولتز على المتاجرين بالكاثوليكية، قال لى محرر الـ«إكزامنر» مايكل ستول: «لم تقنعنى أى من الرسائل بشىء سوى أن هناك مئات من الأشخاص فى ربوع هذا البلد يتوجسون من النقد ولا يتسامحون معه»[٢٤].

(*) الإشارة هنا تهكم على فضائح متتالية للكنيسة الكاثوليكية فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة، كشفت عن ممارسة قساوسة للجنس مع الأطفال - المترجم.

فى المثالين السابقين، نجد أن استراتيچيات الرابطة الكاثوليكية فى السيطرة لا تتضمن الانتقام، فكما أشار ستول: «إنها تعبير عن الضيق أكثر منه عن أى شىء آخر». لكن نشرة الـ«كاتاليست» تحوى العديد من التقارير عن الانتصارات التى رضخ فيها الإعلام لمطالب الرابطة، هذا الرضوخ الذى يشير ستول بأنه لو لم يكن لأى سبب آخر، فإنه لتجنب الدخول فى مشاحنات من هذا القبيل. وغالبًا ما تكون تلك التهديدات فعالة، حيث يعتبر العديد من أصحاب الأعمال والشركات أن مثل هذا التشاحن لا يستحق عناء الوقت والكلفة الضائعَيْن فى عمليات التقاضى. وهذا الموقف لا يتغير، حتى مع يقين الشركة التى تعرضت لتهديد الرابطة من حسم القضية لصالحها. ويمكن القول إنه فى المحصلة النهائية تلعب الرابطة دورًا محوريًا فى تشكيل الرأى العام، باعتبار أن لديها أدوات كبح لأى وسيلة من وسائل الإعلام.

إثارة هلع الجماهير

يلعب الإعلام دورًا محوريًا فى تشكيل الرأى العام - كما تشير باربرا چونز؛ لأن الأمريكيين يتقبلون «لف الحقائق» - الذى يقوم به الإعلام فى تناوله لبعض الموضوعات، قبل أن يتمكنوا من التقويم النقدى للمعلومات والرسائل التى يستقبلونها[٢٥]. ويوظف اليمين المسيحى هذه الظاهرة أيضًا فى صالحه، فهو يعلم مدى تعطش الإعلام للمعلومات، ويدرك ميله إلى الإثارة، لذا يقوم اليمين المسيحى بتغذية الإعلام بالمعلومات المغلوطة وبأنصاف الحقائق حول الموضوعات التى يعارضها الأصوليون. وبهذه الطريقة يستطيع الأصوليون تحقيق أغراضهم بسهولة، وتكون لهم الكلمة العليا. وتتسم هذه الطريقة بالفاعلية، ذلك أن الجدل الناشئ عنها يؤدى إلى اتساع الحوار على المستوى الوطنى. فتدابير التخويف تلك تستثير الفعل السياسى وتوجه التصويت لدى العامة بما لا يضاهيه تأثير أى شىء آخر، وهو بالضبط ما حدث فى الجدل الأخير بشأن استخدام «الريتالين - Ritalin» الذى يعد أفضل عَقّار لعلاج اضطراب تشتت

الانتباه/ النشاط الزائد أو «اضطراب نقص الانتباه المصحوب بزيادة النشاط الحركي ـ AD/HD Attention- Deficit/Hyperactivity Disorder»(*) فقد تبين أن اليمين المسيحي وراء منع استخدام العَقّار رغم أهميته للعديد من الحالات؛ ببساطة لأن كثيراً من الأصوليين المسيحيين لا يقرون بحقيقة تأثير الاضطرابات النيوروبيولوچية على السلوك.

ويُعرف اضطراب (تشتت الانتباه/ النشاط الزائد) بأنه «حالة من التزايد غير الموائم في الشعور بالاستثارة، وبقلة الانتباه، المصحوبين في بعض الحالات بنشاط مفرط»(٢٦). وقد أقر «الطبيب العام الأمريكي ـ U.S. Surgeon General» ورابطة «مراكز الوقاية والسيطرة على الأمراض ـ Centers For Disease Control Prevention» و«تجمع المعاهد الوطنية للصحة العقلية ـ National Institutes For Mental Health (NIMH)» و«الجمعية الأمريكية للطب النفسي ـ American Psychiatric Association» و«الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال ـ American Academy Of Pediatrics» و«الجمعية الطبية الأمريكية ـ U.S. Medical Association»، أقروا جميعًا بأن متلازمة تشتت الانتباه/ النشاط الزائد، تعد اختلالاً نيوروبيولوچيًا Neurobiological خطيراً(*) كما أوصت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال، وتجمع معاهد الصحة العقلية (NIMH)، وكذلك الطبيب الأمريكي العام، ضمن

(*) اضطراب «تشتت الانتباه/ النشاط الزائد» هو إفراط الحركة وضعف التركيز وممارسة حركات عشوائية كثيرة. ويطلق عليه البعض اسم «اضطراب نقص الانتباه المصحوب بزيادة النشاط الحركي»، في حين يطلق عليه بعض آخر اسم «اضطراب نقص الانتباه ـ Attention Deficit Disorder (ADD)». وتعرفه منظمة الصحة العالمية WHO بأنه «مزيج من النشاط الزائد والسلوك غير المتكيف، مع تشتت الانتباه والميل إلى المقاطعة في الأحاديث والسيطرة على المواقف، والإصرار الدائم على هذه السمات السلوكية» وترجع خطورة متلازمة «تشتت الانتباه/ النشاط الزائد» إلى كونها واحدة من أكثر مشكلات الطفولة انتشاراً، ومن أكبرها تأثيراً على الطفل سواء كان جسديًا أو نفسيًا أو دراسيًا، حيث يسبب «اضطراب نقص الانتباه المصحوب بزيادة النشاط الحركي» عديداً من المشكلات: أولها صعوبات التعلم، بالإضافة للمشكلات الصحية التي يسببها الطفل لنفسه نتيجة النشاط الحركي الزائد المصحوب بالسلوك الاندفاعي، بالإضافة إلى نقص أو تشتت الانتباه، مما يجعله يضع نفسه في الكثير من المواقف الصعبة أو الخطرة دون تفكير، كما يمكن أن يسبب هذا الاضطراب تعقيدات على المدى الطويل من عمر الطفل، إذا لم تتم السيطرة عليه. وعادة ما تكون بداية ظهور المرض في مرحلة ما قبل المدرسة، كما أنه أكثر شيوعًا بين الذكور عن الإناث. وتتنوع الأسباب المؤدية لهذا المرض لتضم ما هو وراثي وما هو عضوي وما هو نفسي (الحرمان العاطفي، الضغط النفسي، التفرقة بين الأبناء في المعاملة» ـ المترجم.

هيئات أخرى، بعلاج قد يتضمن وصفات دوائية، من شاكلة الأدوية المنبهة. ومن بين تلك الوصفات عَقّار أديرال Adderall، وديكسيدرين Dexedrine، وريتالين Ritalin، وقد بلغ معدل استجابة الأطفال المصابين بمتلازمة تشتت الانتباه/ النشاط الزائد لهذه الأدوية نسبة ٧٥٪[٢٧].

لكن قدرة اليمين المسيحى على تشكيل الرأى العام لعبت دوراً محوريًا فى إثارة ذلك الجدل. وليس الأثر الذى يخلفه ذلك الدور على المصابين بمتلازمة تشتت الانتباه/ النشاط الزائد هو وحده الشىء الأكثر إثارة للبلبلة، **وإنما أيضًا اقتراح ما لا يقل عن ٢٩ ولاية لمشروعات قوانين واسعة النطاق فى أقل من عامين بهذا الخصوص. تم صياغة أحد هذه التشريعات بهدف تنظيم استخدام أدوية العلاج النفسى فى المدارس؛ الأمر الذى يمكن أن ينتهى بمنح الولاية سلطة حرمان الطفل من حقه فى تعاطى أدوية العلاج النفسى الموصوفة والضرورية له أثناء اليوم الدراسى.** بيد أن المسئول الوحيد عن تنظيم استخدام بعض تلك الأدوية الموصوفة والضرورية على المستوى الفيدرالى هو «الهيئة العليا لسلامة الأغذية والدواء ـ Food And Drug Administration»، ويجب أن تبقى كذلك. تشريع آخر سيقضى بمراقبة اتصالات المعلمين بالآباء وسيقضى نهائيًا على اكتشاف اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد ـ كل ذلك من أجل كبح استخدام الريتالين. وفى العديد من الولايات يتم طرح مشروعات قوانين راديكالية لحظر استخدام الريتالين فى المدارس بشكل عام، وهو الإجراء الذى يمكن أن يجد طريقه فى أماكن أخرى. ومن المرجح أن تصبح هذه السياسات جزءًا من القوانين المنظمة لعمل المدارس، إذا ما تمكن بعض المعارضين لاستخدام الريتالين من إساءة استخدام الإحصاءات وتفريغ المعلومات المتعلقة بالمرض من سياقها لخدمة غرضهم.

إن تعاطى الأطفال للأدوية دون حاجة أو مبرر لذلك تثير مخاوف غالبية الآباء. فإذا تسنى لهؤلاء الآباء الاطلاع بشكل كامل ودقيق عن حالة إعياء أو مرض أو خلل ما وعلاجها، فإن جلهم سيختارون المداواة عندما يعلمون أن

(*) النيوروبيولوچى Neurobiology، أو بيولوچيا الجهاز العصبى، هو أحد فروع علم الأعصاب ـ المترجم.

عقاراً ما هو العلاج الأفضل لمرض معين وأنه ضرورى لخير ورفاهية أطفالهم. لكن كثيراً من العامة - للأسف - لا يزالون يسيئون فهم حقيقة وفاعلية علاج اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد، ويفشلون فى الإقرار بخطورة هذا الخلل نتيجة للإثارة المفرطة التى تحيط بالموضوع. ولذلك نجد أن قطاعًا عريضًا من المصابين بمتلازمة تشتت الانتباه/ النشاط الزائد لا يتلقون علاجًا على الإطلاق أو يستخدمون أدوية قليلة الفاعلية أو غير فعالة بالمرة.

يمكن بيان الانعكاس الخطير لهذا التضليل الإعلامى بطرق شتى، فبينما تتراوح نسبة المصابين بهذا الخلل بين ٣ إلى ٥٪ من السكان، توصلت إحدى الدراسات بولاية أوتاوا إلى أن نسبة ٢٤٪ من النزلاء الذكور بسجن الولاية كانوا من المصابين التقليديين باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد. وقد أجرى هذه الدراسة تى. دوين ماك - كالون المدير الطبى لسجن بوينا ڤيستا، ومساعد كبير الضباط الأطباء بإدارة سجون كلورادو. وقد أشار ماك - كالون إلى أن خبرته والدراسات التى أجراها، تقودنا إلى الاعتقاد بأن ما يزيد على ٤٠٪ من النزلاء فى سجن متوسط الحراسة يتوزعون على خريطة الإصابة باضطرابات تشتت الانتباه/ النشاط الزائد/ توريت Tourette (*). ويضيف أنه: «إذا ما استبعدنا المتورطين فى جرائم التهور والجرائم غير العنيفة (مثل سرقة السيارات وانتهاك قواعد المرور)، فإن نسبة المصابين باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد تكون أكبر من ذلك بكثير[٢٨]. ومن الإحصاءات الجدية الأخرى، أن ما بين ٣٢ إلى ٤٠٪ من الأطفال المصابين باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد يتسربون من التعليم، وأن ما بين ٥٠ إلى ٧٠٪ لديهم عدد قليل من الأصدقاء أو لا يحظون بصديق بالمرة، وأن ما بين ٤٠ إلى ٥٠٪ سوف يتبنون سلوكيات ضد - اجتماعية،

(*) يُعرف اضطراب توريت Tourette Disorder أو متلازمة توريت Touette Syndrome بهذا الاسم نسبة إلى الطبيب الفرنسى توريت الذى اكتشف المرض عام ١٨٧٣م، كما يُسمى أيضًا باضطراب الحركة المزمن. والصورة التقليدية لمرض توريت هى قيام المريض بحركات لا إرادية، اندفاعية، مفاجئة، وكذلك خروج ألفاظ نابية من المريض بصورة اندفاعية، وعدم قدرة الشخص على السيطرة على ما يخرج من كلمات نابية مستغربة، وكذلك بعض الأعراض الوسواسية القهرية، وأحيانًا العدوانية، حيث يمكن للمريض أن يأتى بسلوك عدوانى ضد الآخرين وأحيانًا ضد نفسه - المترجم.

وأن ما بين ٧٠ إلى ٨٠٪ سيكونون ضعيفى الأداء فى العمل، وأن ٤٠٪ من الفتيات المصابات باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد يتعرضن للحمل فى سن المراهقة[٢٩]، ولا يمثل هذا إلا قمة جبل الجليد.

إذا كان ذلك كذلك، فمن هم أبرز المعارضين لاستخدام الريتالين وللحديث عن اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد وما هى دوافعهم؟ لقد استهدفت كثير من جماعات المصالح فى السنوات الأخيرة وقف استخدام الريتالين ورفضت الاعتراف باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد النيوروبيولوچى. وتتقدم هذه الحملة كنيسة الساينتولوچى أو العلمُولُوچى Church Of Scientology غير المسيحية[*] بيد أن قليلاً من الأمريكيين فقط - حتى بين المصابين بهذا الخلل - على دراية ببعض هذه الجماعات وبالدوافع وراء تلك الحملة. ولم أستطع الكشف عن جذور أخرى لهذا العار إلا من خلال التعمق فى الاستقصاء الذى أجراه «مركز ماكيناك للسياسات العامة - Mackinac Center For Public Policy»، بولاية ميتشجان، حول هذا الموضوع. فقد تكشفت علاقة اليمين المسيحى بالحملة، وأصبحت دوافعه لحظر استخدام الريتالين أو المنبهات أكثر وضوحًا.

(*) الساينتولوچى Scientology أو العلمُولوچى - أو العلمُولوچيا كما تسميه بعض المصادر العربية - هو نظام من المعتقدات والتعاليم والشعائر الطقوسية الوضعيةَ بدأ فى الظهور بأمريكا عام ١٩٥٢م على يد الكاتب إل رون هابرد L.Ron Hubbard، الذى قدمه فى البداية على أساس أنه فلسفة علمانية، ثم أعاد توصيفه باعتباره «فلسفة دينية تطبيقية - Applied Religious Philosophy»، ولاحقًا قدمه ويقدمه أتباعه من بعده على أنه دين، لذلك يُدخله البعض فى دائرة الأديان الوضعية. وتشتمل المقولات الرئيسية للساينتولوچى على الاعتقاد فى أن الإنسان طاقة روحية لا تفنى يمتلك عقلاً وجسداً وأنه بطبيعته خير، وأنه لكى يحقق الإنسان خلاصه النهائى ويكون نافعًا فى خلق عالم أفضل لا بد له من تكريس حياته لتحصيل العلم والوعى الروحانى والأخلاقى بشكل متواصل، وتُعتبر كنيسة الساينتولوچى المؤسسة الرسمية الممثلة لهذه العقيدة، وقد أنشئت لأول مرة فى ديسمبر عام ١٩٥٣م بولاية نيوچيرسى، ثم انتشرت فيما بعد فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها إلى العالم. تقدم كنيسة الساينتولوچى نفسها على أنها منظمة دينية غير هادفة للربح تهدف إلى تشجيع ودعم الروح الإنسانية، كبديل للطب النفسى. وتقدم الكنيسة الاستشارات فى مجالات الصحة النفسية والعقلية، وتركز نشاطها فى برامج إعادة تأهيل المدمنين والمجرمين، كما أن لديها نشاطات فى مجال التعليم وحقوق الإنسان. كانت ولا زالت أفكاراً وأنشطة، والذمة المالية لكنيسة الساينتولوچى موضع شبهة ومثار للجدل والنقد فى أى بلد من البلدان التى تنتشر بها والتى يبلغ عددها ١٢٩ بلدًا، ومن أبرز الانتقادات التى وجهت للكنيسة الفساد المالى، واستغلال القائمين عليها للإعفاء الضريبى الممنوح لها فى الثراء الشخصى، وتحرشها وتبنيها للعنف ضد منتقديها - المترجم.

يرى مركز ماكيناك أن: «أفضل السبل لإحداث أثر دائم بالسياسات العامة هو تغيير الرأى العام. فعندما نغير معتقدات الناس، فإن السياسيين والأحزاب السياسية تتغير معهم»[٣٠]. ويعد هذا المركز - بميزانيته التى تقارب المليون دولار - من الفاعلين الرئيسيين فى تشكيل الرأى العام. ويتضح - فيما يخص موضوع الريتالين - أن المركز وإخصائى العلاقات العامة به صامويل ووكر يخوضان حملة دعائية لخلق حالة من القلق والهستيريا العامة حول تشخيص - أو سوء تشخيص - وعلاج اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد. فقد قام ووكر والمركز بنشر العديد من المقالات التى تناقض الحقائق العلمية فى مختلف الصحف الصادرة بولاية ميتشجان، مما أحدث حالة من البلبلة بين قطاعات الرأى العام.

وقد تصدى العديد بالنقد لحملة مركز ماكيناك ذى الميول اليمينية، والذى يباشر عمله خلف لافتة «منظمة بحثية وتعليمية محايدة»[٣١]، وكان من بين هؤلاء چيمس فيرنسى الكاتب بصحيفة مترو تايمز التى تصدر بولاية ديترويت[٣٢]، والباحث بمركز «مراقبة السياسات العامة لماكيناك - Mackinac Center For Public Policy Watch»[٣٣]. والسبب وراء هذا النقد هو الأجندة اليمينية الراديكالية الخفية لمركز ماكيناك والتى تسعى إلى خصخصة المدارس، وتطبيق نظام «سندات المصروفات المدرسية - School Voucher System»[*] وخلق سوق حرة. وفى ظل هذا النظام الاقتصادى، يباشر القطاع الخاص عمله بحرية كاملة بعيداً عن القواعد الحكومية ودون أى حماية للمصالح العامة أو للاقتصاد الوطنى.

(*) لم نتمكن من إيجاد ترجمة للمركب الإنجليزى School Voucher، لذلك اصطلحنا على ترجمته إلى «سند المصروفات المدرسية»، حيث يهدف هذا النظام إلى تحويل قيمة الدعم الحكومى الموجه إلى المدارس العامة بأمريكا إلى سندات مالية بقيمة المصروفات المدرسية. ويتم منح هذه السندات إلى الآباء مباشرة ليقوموا بدورهم بدفع مصروفات المدارس التى يريدون لأولادهم الدراسة بها. وتتنوع القوى المطالبة بتطبيق هذا النظام، حيث لا تقتصر فقط على القوى اليمينية الراديكالية، التى ترى أنه من حق دافعى الضرائب اختيار مدارس أبنائهم وألا يُفرض عليهم إرسال أبنائهم إلى المدارس العامة إذا كانوا هم - وليس الحكومة - الذين يدفعون قيمة هذه المصروفات فى كل الأحوال، بل هناك بعض القوى والدراسات التى ترى أن هذا النظام يسهم فى تحسين جودة العملية التعليمية، وفى الحد من قوة الانتماءات الجهوية التى يعززها أتباع المدارس العامة لنظام التوزيع الجغرافى - المترجم.

ولكن لماذا يشترك اليمين المسيحى فى هذا البرنامج؟ إن فى مقدمة الأسباب التى تدفعناللربط بين اليمين المسيحى وهذا البرنامج، أن كثيراً من الأصوليين المسيحيين لا يقرون بحقيقة تأثير الاضطرابات النيوروبيولوچية على السلوك كما أسلفنا . وأفضل مثال على وجهة النظر الأصولية تلك ما يشير إليه تيرى إل . كومر راعى «كنيسة الكتاب المقدس المعمدانية بإلوود ـ Elwood Bible Baptist Church» ، الذى يقول :

«كراع للكنيسة، يراودنى قلق عظيم بشأن ما أرى وأسمع من أن العديد من الآباء المسيحيين يسمحون بإعطاء مخدرات على شاكلة الريتالين لأطفالهم من أجل ضبط سلوكهم . أعتقد أن ذلك ما هو إلا وباء ذو عواقب وخيمة على أطفال أمريكا . وإنه ليظهر افتقار الآباء للتدريب الروحى الذى يتلقونه فى الكنيسة لتنشئة أطفالهم روحانيًا كما يأمر الكتاب المقدس . فالآية السادسة من الإصحاح الثانى والعشرين فى كتاب الأمثال يقول «درب الولد بمقتضى مواهبه وطبيعته، فمتى شاخ لا يميل عنها»(٣٤) .

إنها عقلية «ترك العصا يفسد الولد» السائدة لدى الأصوليين . فليس مهمًا وجود خلل ما فى كيمياء العقل، وأن المصابين به لديهم قليل من القدرة، أو غير قادرين بالمرة، على التحكم فى سلوكهم . فما يهم الأصوليين هو كون هذا السلوك خيراً أم شرّا، وتحطيم إرادة الطفل . لكن هناك من الأصوليين من يقرون بحقيقة اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد النيوروبيولوچى، ولا يطرحون مثل هذه الإجراءات التأديبية فى حالة الأطفال المصابين بهذا الاضطراب . بيد أنهم ما زالوا يعارضون العلاج النفسى بالعقاقير ذات الأثر المخدر .

كذلك، يمكن إضافة سبب آخر لاشتراك اليمين المسيحى فى تلك الحملة، وهو أن تطبيق نظام سندات (كوبونات) المصروفات وخصخصة المدارس ـ أو تأسيس المدارس على قواعد مسيحية ـ هو أحد أبرز أهداف اليمين المسيحى، مثله فى ذلك مثل مركز ماكيناك . فبخلاف بعض الجماعات التى تفضل إتاحة الحق فى اختيار المدرسة وإتاحة فرص المدارس الخاصة، فإن أحد أهداف الأصوليين

ونظرائهم هو التدمير الكامل لنظام المدارس العامة. وكما سيتضح فى الفصلين الثالث والسابع، اكتشف اليمين الدينى طريقه للظفر بذلك الهدف. فمن خلال مهاجمة التعليم العام، والتلاعب بالإحصاءات، ونشر المعلومات المضللة، وتضخيم مسألة فشل الطلبة، يمكنه الحصول على تأييد بشأن خصخصة المدارس وطرح سندات (كوبونات) المصروفات، وهو ما يحقق هدفهم. **يعتقد الأصوليون أن الرب قد كلفهم واجب تحويل كل الأطفال الأمريكيين إلى شكل متطرف من المسيحية. وأسرع السبل لكى يحقق كلٌ من مركز ماكيناك واليمين المسيحى أهدافهما، هى تصفية نظام التعليم العام بدلاً من أن تظل المدارس الدينية قائمة إلى جانبه.**

لكن ما هى علاقة الريتالين واضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد بكل هذا؟ لقد ذكرنا الآثار المدمرة لعدم علاج اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد. وبناءً عليه، لو انخفض استخدام الريتالين، فإن مزيداً من الطلبة سيرسبون ويتسربون من المدرسة، وستنخفض نتائج تقويم العملية التعليمية، وستتصاعد المشكلات السلوكية وتعاطى المخدرات - بما يؤدى إلى تكرار معدلات إيقاف وفصل الطلبة. ولسوف يخلق كل ذلك وهمًا مفاده أن المدارس العامة قد فشلت؛ الأمر الذى يعزز من تأييد خصخصة المدارس، وهو منتهى حلم الأصوليين.

ومما سيصب فى مصلحة اليمين المسيحى أنه لن يتسنى ملاحظة تلك المشكلة فى المدارس الخاصة، ذلك أن المدارس الخاصة تستطيع انتقاء الطلبة واستبعاد مثيرى المشاكل (غالبًا المصابين باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد) الذين سيكون معظمهم بالتبعية مقيدين بالمؤسسات العامة. ويكرس ذلك ظهور المدارس العامة فى مظهر الفشل إذا ما تم إجبار الأطفال على عدم العلاج، أو على العلاج غير الفعّال، من اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد. وبالرغم من أن هذا التخطيط قد لا يكون وحده فعّالاً لتحقيق هدف اليمين المسيحى، فإن تعزيزه بألاعيب أخرى يمكن أن يكون بمثابة المسمار الأخير فى نعش نظام المدارس العامة.

لقد استعاض اليمين المسيحى عن التورط علنيًا فى تلك الحملة بتدابيره المتقنة بالاختفاء وراء آخرين لتحقيق أهدافه والتنسيق معهم. وقد وفر مركز ماكيناك - ضمن منظمات أخرى - الغطاء الأفضل فى هذه القضية. فبدلاً من أن يتصدر الحملة الدعائية، أمدت منظمات اليمين المسيحى مركز ماكيناك بالتمويل اللازم وأنابته ليحل محلها. ففيما يأتى ٢٠٪ من تمويل المركز من شركات كبرى مثل «داو كيميكال - Dow Chemical»، تأتى نسبة ٥٠٪ من تمويل المركز من مؤسسات، يحتفظ العديد منها بروابط مع اليمين المسيحى - بما فى ذلك مؤسستى «پرينس - Prince» و«ميريلات - Merillat»[٣٥].

ولم يكن اكتشاف أمر هذه الروابط أمرًا يسيرًا بالطبع، فمركز ماكيناك يرفض الإفصاح عن مصادر تمويله. كما لم يكن اكتشاف تلك المعلومات ممكنًا إلا من خلال الاستقصاءات والبيانات التى طرحتها كل من «الجمعية الوطنية للتعليم - National Education Association»، ورس بيلانت، مؤلف كتاب «اليمين الدينى والسياسة فى ميتشيجان - The Religious Right And Michigan Politics».

وتعد «مؤسسة ريتشارد آند هيلين داڤوس - Richard And Helen Davos Foundation»، التى أسست آمواى Amway، ممولاً رئيسيًا آخر لمركز ماكيناك[٣٦]. فعائلة داڤوس، المعروفة بروابطها مع اليمين المسيحى، أنفقت ما يزيد على ٤ ملايين دولار عام ٢٠٠٠م فى محاولة «لإقناع الناخبين بولاية ميتشجان لتحويل قيمة التمويل الخاص بالمدارس العامة إلى سندات (كوبونات)، يستفيد بها المواطنون لدفع مصروفات المدارس الخاصة»[٣٧]. كما تبرعت مؤسسة داڤوس بما يقارب ثلث القيمة الإجمالية لهباتها فى الفترة من ١٩٩١م إلى ١٩٩٧م، والبالغة ٩٥,١ مليون دولار، إلى «منظمات تناصر القيم المسيحية»[٣٨]. أكثر من ذلك، فإن مؤسسة داڤوس عضو فى «مجلس السياسات الوطنية - Council For National Policy»، وهى منظمة يمينية متطرفة ذات روابط بمنظمة كنيسة الساينتولوچى. وقد اشتهرت المؤسسة بالسرية المحيطة بها، بما فى ذلك عضويتها التى يحظى بها أكثر قادة اليمين الدينى فى أمريكا نفوذًا وخطورةً، مثل پول ويريش، پات روبرتسون چيرى فالويل، بيل برايت، فيليز شلافلى، چيمس دوبسون، دى چيمس كنيدى، أولڤر نورث، آر چى رشدونى الراحل[٣٩].

لقد تجلى الأثر القوى لاشتراك اليمين المسيحى فى الترهيب من استخدام الريتالين من خلال «لجنة المواطن لحقوق الإنسان ـ Citizen's Commission On Human Rights» التابعة لكنيسة الساينتولوچى، وهى المنظمة التى تعارض أى عَقَّار أو علاج للأمراض النفسية. ففى عام ١٩٩٥م اجتمعت هيئة موحدة تمثل ٤٠ مليون شخص بالعاصمة الأمريكية واشنطن لتوقيع ميثاقها، ومن بين الأمور التى وردت بذلك الميثاق القول: «نتعهد بالقضاء على. . كافة البرامج والتقويمات والاختبارات الخطيرة والعدوانية المؤسسة على الطب النفسى/ علم النفس من مدارسنا، ووقف تمويلها»(٤٠).

ولا يعمل الساينتولوچيون وحدهم على تنفيذ التعهد، فالموقعون على التعهد ضموا منظمات يمينية مسيحية مثل «منتدى إيجلز ـ Eagles Forum» الذى يرأسه فيليز شلافلى، و«مجلس بحوث الأسرة ـ Family Research Council» الذى يرأسه جارى باور، و«معهد راذرفورد ـ Rutherford Institute»، و«منظمة نساء مهتمات بأمريكا ـ Concerned Women For America» التى ترأسها بيڤيرلى لاهاى، ومنظمات عدة أخرى(٤١).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الحركات، مثل أنصار التداوى بالأعشاب والـ«نيو إيدجيرز ـ New Agers»(*) قد تعارض أيضًا استخدام العلاجات غير العضوية، لكن الفارق بينهم وبين المنظمات السابقة أنهم ـ بصفة عامة ـ لا يميلون إلى التحرك السياسى لسد الطريق أمام الآخرين.

ومن الأشياء التى لم يُلتفت إليها أيضًا فى هذه الحملة، المواقع الإلكترونية لليمين المسيحى والأصوليين، بما فى ذلك الموقع الإلكترونى لمنتدى إيجلز الذى

(*) انتشر تعبير New Agers فى ثمانينيات القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية، ليصف وجود شبكة واسعة من الأفراد والجماعات تتبع خليطًا متنوعًا من المعتقدات والطقوس والشعائر غير المتجانسة، وإن كانت تدخل كلها فى إطار الاهتمام بالروحانيات. وكما يبدو جليًا، فقد اشتق هذا التعبير من مصطلح «New Age» (أو العصر الجديد)، الذى يشير إلى الاعتقاد بأن الإنسانية ستنتقل إلى عصر جديد من الاعتقاد الروحى وعالم الكواكب، يتميز بالتغيرات البدنية والتجديد الروحى، وهو واحد من المعتقدات التى يؤمن بها قطاع عريض من حركة النيو إيدج. ويدفع ذلك البعض إلى ربط حركة الـ«نيو إيدج» بالمعتقدات الفلكية، التى تؤمن بأن العلم يتغير كل ٢٠٠٠ سنة تقريبًا، نتيجة دوران الأرض فى=

يرأسه فيليز شلافلي. فالبعض من هذه المواقع صار منفذًا للتشكيك بحقيقة اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد، وبانعكاساته المدمرة، وبجدوى استخدام الأدوية المنبهة خاصة حينما يقترن بتعديل السلوك. وقد نشرت هذه المواقع مقالات تناقض الحقائق الطبية وتولد الشعور بالذنب لدى الآباء الذين يعالجون أولادهم بالمنبهات أو بأدوية العلاج النفسي بصفة عامة. وأبلغ نموذج لهذه المقالات يزيف ويقلل من شأن الأعراض التشخيصية لاضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد ومن الحاجة إلى علاجه بأدوية العلاج النفسي. ففي مجلة Policy Review التي تصدر عن «مؤسسة هيريتج ـ Heritage Foundation»، تصر ماري إيبرستدت على أنه:

يمكن اختصار أوضح سبب لتعاطي ملايين الأمريكيين ـ معظمهم من الأطفال ـ عَقَّار الريتالين، في كلمة واحدة تمتلئ بها الأدبيات المملة حول اضطراب نقص الانتباه، والعَقَّار المعالج له: الخضوع. ففي يوم من الأيام، سيؤدي العَقّار بالأطفال إلى العجز عن فعل ما يستطيع الآباء والمدرسون إجبارهم على فعله بالعَقّار: اجلس، اسكت، لا تتحرك، انتبه(٤٢).

ومثل تلك الاتهامات تجعل الآباء المعنيين يتشككون في حقيقة الوضع ويهملون خطورة الأعراض التي يعاني منها أطفالهم. فلا يوجد من الآباء من يريد أن يُنظر إليه على أنه كسول ولا يريد أو يفتقر إلى القدرة على العناية بطفله. والقول بأن الآباء والمدرسين لن يضيقوا ذرعًا بمخالفة الأطفال اليومية لأوامرهم،

=دائرة على مدار ٢٥,٩٢٠ سنة (أو ما يُعرف باسم «مبادرة اعتدال الربيع»)، حيث تلتقي كل حقبة من تاريخ العالم مع عهد مختلف من الأبراج. كما يُرجع البعض جذور هذه الحركات إلى عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، حيث ظهرت وانتشرت جماعات الهيبز والخنافس والجماعات الرافضة للثقافات والديانات التقليدية، حيث يُنظر إلى هذا الرفض باعتباره سببًا وجيهًا يمكن التأسيس عليه في تفسير توجه أنصار هذه الحركة إلى تأسيس طقوس ومعتقدات خاصة بهم لتحقيق خلاصهم الروحاني في ظل هيمنة المادة وفي ظل عدم إشباع المسيحية لهذا الغرض لديهم. إلا أن بعضًا آخر يرى أن جذورها تمتد إلى القرن التاسع عشر، بل وإلى الفلسفات اليونانية القديمة. ورغم اختلاف الجذور والتجليات والركائز الروحانية للجماعات المنضوية في حركة النيو إيدج، فإنها جميعًا تدور حول فكرة أن الإنسانية قادرة على أن تصل إلى الحقيقة والمعرفة القصوى (درجة الألوهية) وإن اختلفت سبل الوصول لهذه الحقيقة ـ المترجم.

يجعل المزيد من هؤلاء يميلون إلى الخضوع لضغط الحملة المعادية لاستخدام الريتالين. في الحقيقة، غالبًا ما يكون الأطفال المصابون باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد غير مطيعين (ليس عن عمد بالضرورة) ويفتقدون السيطرة على مشاعرهم. كما يترتب على الإصابة بذلك الاضطراب أيضًا الرسوب المدرسى، الذى يعزو إلى النشاط الانفعالى المفرط وإلى عدم القدرة على التركيز وإلى العديد من المشكلات طويلة الأمد، كما تشير الدراسات المذكورة سابقًا.

وبالإضافة إلى التدابير التى استخدمها كل من اليمين المسيحى والإعلام لتشكيل الرأى العام، فإن الأچندة الخفية هى التى وفرت الجانب الأكبر لنجاح حملة التضليل الإعلامى تلك. فبدون فهم الدوافع وراء هذا الجدل كان من الصعب على جماعة الأطباء والعلماء النفاذ إلى العامة لتوضيح الأمر لهم، كما كان صعبًا على الناس أن يروا ما وراء الحملة.

وظل الكثير من المصابين باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد على حيرتهم بسبب حملة الإثارة المعادية لاستخدام الريتالين ولتشخيص اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد، ولذلك لم يخضعوا للعلاج المناسب. فلا يوجد من الآباء من يريد إخضاع طفله إلى علاج دون وجود حاجة لذلك. وكان من السهل استقطاب كل من لم يكن لديه الفرصة للاطلاع الكامل على الجوانب المختلفة للموضوع إلى المعسكر الرافع لشعار «لن أعطى الدواء لابنى» وأخذ المحركون للحملة - وحتى المناصرون سليمو النية انزلقوا فى فخها - راحوا يُدخلون فى قلوب الآباء المعنيين شعورًا بالذنب، لولاه ما تراجع هؤلاء الآباء عن تأييد مبدأ العلاج الذى كان ضروريًا فى أغلب الحالات. إنه تدبير متقن للغاية الغرض منه تأسيس ممارسات أيديولوچية عبر مختلف قطاعات المجتمع وتقليل استخدام الريتالين إلى أن يُعرى نظام التعليم العام.

وللأسف، وقع بسذاجة كثير من الأمريكيين فريسة لانتشار التضليل الإعلامى الذى ساقته تلك الحملة، وهم الآن يوقدون الحريق عن جهل - تمامًا كما توقع الساينتولوچيون واليمين المسيحى - تلك الحملة إذن هى أفضل مثال

على قدرة اليمين المسيحى لتضليل الإعلام والعامة بطرق قد بدأنا فقط وللتو معرفتها. فى هذا المثال، تكون العاقبة وقوع ملايين الأطفال والكبار المصابين باضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد وعائلاتهم فريسة للمعاناة. لكن الضرر الناجم عن حملة اليمين المسيحى والساينتولوچى، يلحق بالمجتمع ككل، كما أوضحت الإحصاءات المتعلقة بمرضى اضطراب تشتت الانتباه/ النشاط الزائد.

وبينما لا تدخل تلك القضية ضمن الموضوعات الثابتة على أجندة اليمين المسيحى فى وقتنا الحالى، إلا أنها مثال واضح على أن حركة اليمين المسيحى تزال بعيدة عن مجال انتباه ووعى أكثرية المجتمع. وأنه لمن الضرورى التعرف حتى على الجوانب البسيطة لتأثير الأصولية على المجتمع كى ننجح فى محاربتها وتحجيم أضرارها.

رغم كل الأخطار والإحباطات التى تُوقعنا فيها الأصولية المسيحية، فإن مؤلفى هذا الكتاب يدركون أن أكثرية الأصوليين ومن على شاكلتهم أناس طيبون. فالأصوليون لا يختلفون عنى وعنك من نواح كثيرة، ونحن لا نتمنى أن يلحق الأذى بأى من الموالين لهذه المعتقدات. فما نأمل أن يثمره هذا الكتاب هو فهم أسباب الأصولية، التى نناقشها فى الفصل الثانى، ووعى أعمق بالضرر الذى تلحقه المعتقدات الأصولية بالموالين لها وبمعارضيها، وبالقطاع الواسع الواقع بين هاتين الفئتين.

بيد أن الفهم وحده لا يكفى. فمعرفة عواقب السماح لهذه الحركة بالاختراق البطىء لكافة الأصعدة، بدءًا من المدارس العامة وأجهزة الحكم المحلى، ووصولاً إلى الكونجرس وحتى جهاز الرئاسة، يولد الحاجة إلى إيجاد الأمريكيين للسبل الكفيلة للحماية من هذا الغزو.

ما نأمله هو أن يخرج القارئ بعد مطالعته لبعض الحلول المقترحة للتغلب على هذا الخطر المتنامى (الفصل الثامن) برؤية واضحة حول سبل تجاوز المشكلات التى تطرحها الأصولية. وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نأمل أن يخلق هذا الكتاب رغبة المبادرة بالتحرك العملى لحماية أنفسنا وديمقراطيتنا ـ دون تعطيل لحقوق من نقف فى مواجهتهم، ودون إلحاق الأذى بهم.

الفصل الثانى

نذر العاصفة

بـقـلـم: إدوين. إف. كاجين
ترجمة: تامر عبد الوهاب

أريدكم فقط أن تدَعوا موجة اللاتسامح لتغمركم. أريدكم أن تسلموا أنفسكم لموجة من الكراهية. نعم أريد منكم ذلك، فالكراهية شيء طيب.. وهدفنا هو إقامة أمة مسيحية. إن الكتاب المقدس يحملنا المسئولية، فالرب قد اختارنا كى نفتح هذا البلد. لا نبغى مساواة. ولا نريد تعددية[٤٣].

راندل تيرى (مؤسس منظمة Operation Rescue المعادية للإجهاض)

تتصاعد وتيرة التوجه الأصولى بين المسيحيين والمسلمين والهندوس واليهود فى شتى أنحاء العالم، بما فى ذلك الولايات المتحدة[٤٤]، فقد لوحظ تزايد الأصولية المسيحية مع تنامى أعداد المسيحيين المعتنقين لفكرة الميلاد الثانى born-again من الإيڤانجليكيين، حيث ارتفعت نسبتهم من ٣٢٪ إلى ٣٧٪ فى الفترة بين عامى ١٩٨٦م و١٩٩٠م وحدها، وكانت أسرع كنائس أمريكا نموًا عام ١٩٩٣م هى «كنيسة الرب فى المسيح ـ Church of God in Christ»، وهى طائفة بروتستانتية أصولية[٤٥]. وفى العام نفسه أجرت مؤسسة «جالوب للاستطلاعات ـ Gallup Poll» دراسة اتضح من خلالها أن غالبية الأمريكيين فى ذلك الوقت كانوا يعتنقون معتقدات تقليدية. ورغم انحسار اهتمام الأمريكيين بالدين خلال عقدى الستينيات والسبعينيات، **إلا أن الأصولية تنامت باضطراد منذ ذلك الحين[٤٦]، فكثير من المسيحيين لا يعتبرون أنفسهم أصوليين، رغم ميولهم المشابهة أو المطابقة للميول الأصولية، لكن حوالى ٥٠٪ مع معتنقى فكرة «الميلاد الثانى» البالغ عددهم ٦٠ مليون عضو فى أمريكا، يعلنون هويتهم الأصولية، وفى الوقت الذى ينحسر فيه الانتماء إلى الطوائف البروتستانتية المعتدلة[٤٧].**

لقد شهدت أجزاء أخرى من العالم تناميًا مشابهًا فى الأصولية المسيحية، حيث تتزايد وتيرة تحول الناس إلى الكنائس الإيڤانجليكية والأصولية فى الفلبين، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وفى أماكن أخرى[٤٨]. **ورغم هذا التنامى الأصولى**

المسيحى، فقد ظل نجاح الأصولية الإسلامية فى تحقيق هدفها الداعى إلى فرض قيود ثيوقراطية فى كثير من المجتمعات[٤٩]، هو وحده الأكثر إثارة للقلق. وتلك حقيقة هيمنت على اهتمام وسائل الإعلام منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر، التى ألمحت إلى مدى قوة وتطرف الأصولية الإسلامية دون غيرها.

وبعد، يظل السؤال هو: ما الذى تعنيه الأصولية المسيحية بالضبط؟

مبدئيًا، يمكن وصف الأصولية المسيحية بأنها رؤية مطلقة وغير مرنة للعالم. فحتى وقت قريب، كان الأصوليون يعترفون فقط بنسخة الكتاب المقدس التى أصدرها الملك چيمس عام ١٦١١م: (The 1611 king James version of the Bible).

لكن ذلك الإصدار المعتمد أحاط به مؤخرًا شيء من اللغط بسبب اكتشاف الأصوليين الدعاوى التى يسوقها عديد من المؤرخين والقائلة بأن الملك چيمس كان من المثليين الجنسيين. فكثير من الأصوليين يعتبرون أن مثلية الملك چيمس تُسقط الأهلية عن ترجمته للكتاب المقدس. وقد نُقل عن جارى باوير الذى جاء من شمال كنتاكى قوله بأن أى شيء يلمسه المثلى لا يمكن أن يكون طيبًا للمسيحيين الصالحين. كان جارى باوير رئيسًا لـ«مجلس بحوث الأسرة - Family Research Council» وهى منظمة أصولية مسيحية «مناصرة للأسرة»، وشغل فى إدارة ريجان منصب مستشار الرئيس للسياسات المحلية، كما كان أحد المرشحين الجمهوريين فى انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة، وقد كتب قائلاً:

لا أطمئن لاستخدام المسيحيين الصالحين فى عموم أمريكا - والعالم أيضًا - لوثيقة أشرف على صدورها أحد المثليين الجنسيين. فمن الواضح أن أى شيء يصدر بمعرفة المثليين تلحق به الشبهة بطريقة ما[٥٠].

ورغم أن ذلك المقتطف يفصح بدقة عن رؤية باوير، وبدا كأنه طرفة، لكن ألسنة الأصوليين استساغته وأخذت فى تداوله.

ونتيجة للميول الجنسية للملك چيمس، فقد أنشأ الأصوليون ترجمات أخرى، و«صياغات» جديدة - ولكن أفضل - للكتاب المقدس. وحرصوا فى هذه

الترجمات على إفادة قضيتهم، فاتجهوا إلى «تنقيح» بعض القصص، وتغيير العبارات، وتوضيح المعانى، لكن قد تصبح تلك الفقرات المعدلة مثار جدل بالنسبة لعمل يفترض خلوه من الأخطاء وموائمته للتدريس بالمدارس. **فحجية التعديلات فيما يخص تأويل الكتاب سرعان ما تثير الحيرة، حيث لم يعد لدى الأصوليين ترجمة محددة للمجموعة الأصلية من الكتابات التى وسمت بالقدسية، وبأنها كلمة الرب المعصومة من الزلل**، وبالإضافة لذلك فإن من لهم عقلية أصولية يؤمنون بأنه لا بد وأن تخضع القوانين والممارسات الدينية والعلمانية كافة إلى منظومتهم العقيدية.

بتعبير أدق، يريد الأصوليون المسيحيون ـ المعروفون سياسيًا باليمين المسيحى ـ السيطرة على قوانيننا وحياتنا. فلديهم يقين تام من أنهم على دراية سليمة بما يريده الرب.. وأن الرب يريدهم فى السلطة ويدفعهم ذلك إلى استخدام تدابير شتى لتحقيق هذا المأرب.

وكلمة الرب لدى الأصوليين هى السلطة النهائية التى يجب أن يخضع لها كل مظهر من مظاهر قوانيننا وحياتنا، وأى رؤية مغايرة للكتاب المقدس تخرجه عن إطار العصمة والفهم الحرفى ينظر إليها وتشجب باعتبارها «حداثة ـ modernism»، وبداهة، الأصوليون فقط هم الذين يقررون ما هى كلمة الرب.. ذلك أن الحقيقة تجلت لهم فقط.. فهم من اصطفاهم الرب وسيسكنهم الجنة، أما المخطئون فهم من يعرضون عن رؤية الأصوليين للحقيقة، وعن تعريفهم للصلاح، ويرفضون رؤيتهم لمنشأ الحياة ومنتهاها ومعناها. فهؤلاء «سيتركون» ليذوقوا عقابًا أبديًا مستحقًا وعادلاً.

ولا تتفرد الأصولية المسيحية بتلك الذهنية المتحجرة حول مقولة «نحن على صواب، وأنتم على خطأ»، ولا بالإصرار على التفسير الحرفى لحوادث تاريخية اخترعت وقولبت فى إطار أسطورى، **فثمة اختلاف ضئيل فيما بين الأصولية المسيحية والإسلامية من حيث الجوهر**، بل لا يوجد اختلاف كبير بين أى نظام عقيدى يؤمن بأن الكيان الكلى لمنظومة أسطورية ـ تجمد تاريخها ـ وصار مقدسًا ليس لشىء سوى كونه عتيق القدم، وبأن الاعتقاد فيه واجب ملزم ليس على

أسس من الجدارة والبرهان، وإنما بالإيمان والأمل. كل الأصوليين سواء، مهما اختلفت مسمياتهم، قد لا يكونون سواء من حيث المناهج والأهداف، وقد تختلف كلمات بعضهم عن بعض، لكن جميعهم لا يجيدون إلا نغمة واحدة، ألا وهى أن الرب يقف إلى جانبهم، وبالتالى فإن عقائدهم صحيحة ويجب أن تفرض بالإكراه على أفراد المجتمع كافة.

الأصولية فى أكثر معانيها رحابة، أو فى مزاعمها حول التفانى فى الإخلاص لما هو «تقليدى» أو «للسبل القديمة» أو للنهج «الأرثوذوكسى» نشأت طالما ظهرت أديان. نقول ذلك على الرغم من أنه فى كثير من الحالات لم تكن التقاليد بالشىء الذى يحرص عليه الأصوليون، بل هم سرعان ما يتبنون الطرائق الحديثة والمستجدة التى تفيد قضيتهم. فقد ينشأ دين ما لمجرد أن بعض البدائيين ـ تحت زعامة كاهن بدائى ـ قرروا أن أموراً طيبة قد تقع لهم إذا ما وضعوا عظمة داخل تجويف العين اليسرى لجمجمة دب فى كهف، وقد تنتج انشقاقات دينية عندما تعلن جماعة إصلاحية ما، أو بعض الإصلاحيين الدينيين، طريقة أخرى لتأدية شىء ما. فمثلاً، قد يقترح الإصلاحيون وضع العظمة فى تجويف العين اليمنى ظنًا منهم بأن ذلك يخدم الدين بصورة أفضل، فيثيرون بذلك استياء وقلق التقليديين. وقد يمعن هؤلاء فى الارتداد ويوصون بوضع عظمة فى كل تجويف على حدة، مما قد يؤدى إلى وقوع حرب دينية وانقسام الدين إلى طوائف.

إن الكهنوت الأصولى يمكنه السيطرة على الممالك، وقد يكون الفرعون المصرى إخناتون قد لقى مصرعه بأيدى التقليديين، أو الأصوليين من كهنة الإله آمون رع[٥١]، ففيما استقر حكام مصر على مدار القرون المتعاقبة على الاعتراف لآمون رع بالربوبية العليا على ما عداه من آلهة، سعى الملك المهرطق لأن يحل دينه وإله الشمس ـ آتون ـ محل آمون رع. وكان قد نشأ حول ديانة آمون رع والطقوس الدينية المرتبطة بها نظام كهنوتى ذو ثراء وقوة سياسية، بدا وأن إخناتون قد حاول منفرداً تغيير الرؤية التقليدية، أو الأصولية للدين.

لقد حاول المسيحيون الإصلاحيون ـ وبنفس المنطق ـ تعديل التأويلات المسيحية التقليدية أو الأساسية على أساس من المعارف الجديدة أو من فكر ورؤية

أكثر انفتاحًا. لكن رؤية إخناتون الجديدة للدين وحداثته لقيتا رفضًا من الكهنة الأصوليين، وكذلك فقد انصرف عنه من وجدوا راحتهم فيما هو مألوف وتقليدى، تمامًا مثلما يؤمن أصوليو هذه الأيام. الأصولية إذن ما انفكت تعيش بيننا بشكل أو آخر منذ فترة من الزمن، بل قد تكون ملازمة لوجودنا بصفة دائمة، بسبب ما اصطلحنا على تسميته بـ «الطبيعة الإنسانية». لكن يحدونا أمل فى أن يتيح إقرار وفهم الأصولية مزيدًا من السبل الموائمة والفعالة لإبراز مشكلاتها ووسائل التغلب عليها. فهذا هو السبيل لضمان استمرار نظامنا الديمقراطى.

ثمة جانب إيجابى يتمثل فى محاولة الأصولية التطرق إلى مشكلات حقيقية، لكن الصعوبة - مثلما يشير ريتشارد سويفت فى كتابه «الأصولية: بلوغ اليقين» - تأتى من معالجتهم المشكلات بشكل غير متزن وغير كامل(٥٢)، فمحاولات الأصوليين لمواجهة المشكلات غالبًا ما تتم بطرق رجعية، وغير قانونية، وغير فعّالة. وفى بعض الأحيان، يتم طرح المشكلات بشكل يزيد من تعقيدها بدلاً من حلها، وبناء عليه يصبح الأصولى جزءًا من المشكلة، بدلاً من أن يكون جزءًا من الحل. ويمكن بيان ذلك فى معالجة الأصوليين لبعض الموضوعات الحيوية مثل حمل الفتيات فى سن المراهقة، وإساءة معاملة الأطفال.

التطهريون (البيوريتانز) من نصيب أمريكا(*)

يمثل التيار الدينى المحافظ إحدى القوى بالمجتمع الأمريكى منذ بواكير القرن التاسع عشر، إن لم يكن قبل ذلك، حسبما أشار مايكل لينش، فى كتابه «استرجاع أمريكا: التقوى والسياسة عند اليمين المسيحى الجديد»، ولا يتسنى للعامة دومًا إدراك مظاهر سطوة تلك الجماعات التى عُرفت مؤخرًا باليمين الدينى، لكن ذلك لا يمنع من القول بأنها استطاعت الاعتماد على ذاتها

(*) لم يعد لفظ التطهريون (البيوريتانيين - Puritans) يعبر عن المعنى الأصلى الذى نشأ لأجله (أى الأنقياء، أو الأطهار، أو التطهريون، أو الطهوريون، كما يجرى تداول المصطلح فى الكتابات العربية)، وأقرب معانيه تداولاً فى وقتنا الحالى هو (الأصوليون - Fundamentalists). والبيوريتانية (أى الطهرية، أو التطهرى - Puritanism) هى مذهب بروتستانتى ظهر فى إنجلترا التى تقلبت بين الكاثوليكية=

والتكيف عبر الأزمنة المتغيرة، وأنها كانت دائمًا تعيش بيننا ـ سواء أدركنا وجودها أم لم ندركه(٥٣). ومرد ذلك، حسبما تقول الطرفة التي لا تخلو من الفطنة، أن **أستراليا حصلت على المدانين بارتكاب جرائم، في حين حصلت أمريكا على البيوريتانز. أو لم يكن لزامًا علينا ترك الاختيار لأستراليا!؟**

لقد رست سفن أطياف كثيرة ومختلفة من الناس بالشاطئ الأمريكي مدفوعين بأسباب شتى ومتنوعة، وجاء البيوريتانز من انجلترا وأماكن أخرى ليمارسوا دينهم دون قيد، وبعيداً عن الشعوب التي رفضت الخضوع لحكمهم. لكن هؤلاء المهاجرين الأول Pilgrims(*)، من نقوم بتكريمهم في العروض المسرحية بالمدارس في عيد الشكر ونطبع صورهم على الأطباق الورقية في الاحتفالات العامة، كانوا في الحقيقة بعضًا من أكثر الجماعات الدينية في العالم تعرضًا للقمع، أيضًا أكثرهم قمعًا على مدار التاريخ! فعندما سيطر البيوريتانز على انجلترا، إبّان

=والبروتستانتية القريبة من الكاثوليكية، مع تقلب ملوكها وملكاتها أبناء هنري الثامن بين الكاثوليكية والبروتستانية، طبقًا لأمهاتهم. وأحسن وصف للبروتستانتية القريبة من الكاثوليكية هو أن الملك هنري الثامن أراد بروتستانتية يمثل هو البابا لها. وكان أولئك التطهريون غير راضين كنيسة انجلترا عن الإنجليكية وهيراركيتها، فكانت معاناتهم مستمرة إن لم تكن مضاعفة، سواء جاء ملك بروتستانتي أو ملك كاثوليكي، فهاجروا إلى هولندا، ثم هاجروا إلى العالم الجديد ـ أمريكا ـ ليعبدوا الرب كما يشاءون، كما جاء في ميثاق سفينة ماي فلاور، في نوفمبر ١٦٢٠.

ترجع الأصول الفكرية للبيوريتانية إلى حركة الإصلاح الديني التي بدأها مارتن لوثر عام ١٥١٧م، وإن كانت البيوريتانية قد استقت أكثر أفكارها من النسخة الكالفينية لحركة الإصلاح البروتستانتية. دعا لوثر إلى العودة بالمسيحية إلى صورتها النقية، وأكد على أن المؤمن يدخل الجنة بإيمانه ودون حاجة إلى وسيط، لذلك دعا إلى إنهاء سلطة البابا، وإلى أن يعتمد كل مسيحي على نفسه في قراءة وفهم نصوص الكتاب المقدس. كان چون كالڤن متشدداً مقارنة بلوثر، فقد ذهب إلى أن الخلاص الروحي سيكون من نصيب قلة قليلة، كما دافع عن حياة اجتماعية منغلقة، حيث حرم على أتباعه الرقص ولعب الكوتشينة وغيرها من الملاهي التي تصرف الإنسان المسيحي عن العمل الجاد، لذلك عُرف عن البيوريتانز التزامهم الديني الشديد، وخوفهم الرهيب من الخطيئة، وإيمانهم بقلة من سيحظون بنعيم الآخرة، وعزلتهم الاجتماعية، واهتمامهم الكبير بقيم العمل والاجتهاد في الحياة الدنيا. لكن البيوريتانية كانت أكثر تشدداً من الكالڤينية، حيث آمن البيوريتانز بقوة الرب وسيطرته على جميع جوانب حياة الإنسان، واشتهروا بالتزامهم الحرفي بتفسير الكتاب المقدس، وبمحاولتهم تطبيق الدين وأحكامه الأخلاقية في جوانب الحياة العامة والخاصة كافة. وتتنوع الجماعات والكنائس المنطوية تحت المظلة البيوريتانية في أمريكا حاليًا ـ المترجم.

(*) الحجاج، وهي تسمية ذات مدلول ديني ـ المترجم.

حكم أوليفر كرومويل، ما كان منهم إلا أن أغلقوا المسارح وجرموا الاحتفال بالكريسماس، ضمن إجراءات قمعية أخرى(٥٤)، حتى قيل عن البيوريتانى - على سبيل التهكم - إنه شخص مسكون بتوجس أن ثمة احتمالاً لأن يكون شخص ما فى مكان ما وبطريقة ما . . سعيداً !

لقد ساهمت كثير من فضائل البيوريتانز فى تشكيل الشخصية الأمريكية بطرق إيجابية، ومن بين تلك الفضائل التزامهم بالعمل الجاد وبالأمانة وبالنزاهة وبالواجب وبالتعليم وبالأسرة. لكن الأذى الذى خلفه الإرث البيوريتانى يتجلى فى تعبيرهم الواضح ونيتهم المفهومة لإقامة حكم دينى فى العالم الجديد. **فغالباً ما يشير الأصوليون المعاصرون إلى ميثاق مايفلاور Mayflower Compact، الصادر عام ١٦٢٠م، باعتباره برنامج عمل لما يجب أن تكون عليه أمريكا، من حيث الخضوع لقانون الرب ولأولئك الذين يخصهم الرب بإلهامه.**

ولأهمية تلك الوثيقة التاريخية، التى يتردد ذكرها كثيراً، ولا تقرأ إلا قليلاً، نورد فيما يلى نصها كاملاً:

«باسم الرب، آمين. نحن الرعايا - المدونة أسماؤهم بالأسفل - الموالون لحاكمنا المهيب، بنعمة الرب، الملك چيمس، ملك انجلترا وفرنسا وأيرلندا، ملك الدين والمدافع عنه، . . . إلخ.

بقيامنا بهذه الرحلة، من أجل مجد الرب ونشر الدين المسيحى، ولتشريف مليكنا ووطننا، لزرع أول مستعمرة فى الأجزاء الشمالية بڤيرچينيا، نتعهد بحق تلك الهبات، بإخلاص وبشكل متبادل، بشهود الله وبعضنا البعض، أن نجمع أنفسنا فى كيان مدنى سياسى، من أجل تنظيم حياتنا وحفظها، ومن أجل تعزيز الغايات المذكورة سابقاً، وبفضل تجمعنا، نسن ونؤسس ونؤطر من وقت لآخر القوانين والمراسيم والقرارات والدساتير والمناصب التى تكفل المساواة والعدل، وفقاً لأفضل ما فيه خدمة الصالح العام للمستعمرة، والتى نعد بالخضوع والطاعة الكاملين لسلطانها.

وإشهاداً على ذلك وقعنا بأسمائنا فى كيپ كود Cape Cod بتاريخ الحادى عشر من نوڤمبر، فى عهد حاكمنا المطلق، الملك چيمس، الملك الثامن عشر لانجلترا وفرنسا وأيرلندا، والرابع والخمسين لاسكتلندا. سنة ١٦٢٠ م[٥٥].

نادراً ما لوحظ أن الوثيقة وقد وقعها واحد وأربعون فقط من إجمالى مائة واثنين مهاجراً كانوا قد سافروا على مايفلاور، وأن سبعة وثلاثين من الموقعين كانوا من الانفصاليين(*) الذين فروا من «الاضطهاد الدينى» فى أوروپا[٥٦].

لقد تأسست أمتنا على مبادئ رفضت ـ اختياراً وبإصرار ـ التدين المفروض بالسلطة القهرية للدولة [الكنيسة الأنجليكية فى انجلترا]، لكن الأصوليين الذين وضعوا «ميثاق ماى فلاور» حاولوا إقراره. يبدو أن البذور التى نثرها الپيوريتانز قد وجدت تربة خصبة وغنية فى قلب الأراضى الأمريكية، فرغم الاختلاف الكبير بين الأمس واليوم، فإن كثيراً من ملامح اليوم تتطابق وذلك الأمس البعيد. **فأصوليو اليوم هم أحفاد الپيوريتانز على المستوى الفكرى، وهم يعرضون على أمريكا حكماً دينياً، يختلف قليلاً عما اعتزمه الپيوريتانز، وبعض الأصوليين لا يطرحون الحكم الدينى باعتباره مجرد عرض أو خيار، وإنما كشرط مفروض لا بد من قبوله.**

لكن ميثاق ماى فلاور ليس جزءاً من قوانين الولايات المتحدة، رغم ادعاء الحركة الأصولية المعاصرة بعكس ذلك. فلم تكن الولايات المتحدة الأمريكية موجودة فى ذلك الوقت، كما أنها لم تظهر كدولة إلى حيز الوجود إلا بعد التصديق على دستور الولايات المتحدة، الذى تم تبنيه عام ١٧٨٧م، ودخل حيز التنفيذ عام ١٧٨٨م، أى بعد ١٦٨ عاماً من توقيع ميثاق مايفلاور. وبينما وضع ذلك الميثاق «من أجل مجد الرب ونشر الدين المسيحى. . » فإن ديباجة دستور الولايات المتحدة تحدد غاية تختلف تمام الاختلاف. فتقول الديباجة:

«نحن شعب الولايات المتحدة، من أجل أن نبنى اتحاداً أكثر كمالاً، وأن نقيم

(*) الذين رأوا أنه لا يمكن إصلاح الكنيسة الإنجليكية (الكنيسة البروتستانتية التابعة لملك انجلترا وحكومته)، والحل الوحيد هو الانفصال عنها ـ المترجم.

العدل، وأن نضمن السلام الداخلى، وأن ننهض بأعباء الدفاع المشترك، وأن ننشر الرفاهة العامة، وأن نؤمن نعمة الحرية لأنفسنا ولذريتنا، نقر وندشن هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية»[٥٧].

لم يأت ذكر للرب فى هذه الديباجة ولا فى أى مكان آخر فى الدستور. ولم يكن ذلك ليحدث بمحض صدفة، وإنما عن قصد ودراية، فقد عزم واضعو الدستور على إقامة الولايات المتحدة كدولة علمانية، رافضين كل المحاولات لجعلها غير ذلك، ولم يغب عن الأصوليين ملاحظة تلك الحقيقة، فهم يشجبون الدستور باعتباره «وثيقة ملحدة»؛ لأن العبارة الثالثة من المادة السادسة من الدستور، تؤكد بوضوح لا يقبل الشك الطبيعة العلمانية الكلية للحكومة الجديدة التى جرى تشكيلها، حيث تقول:

«على نواب وممثلى الأمة السابق ذكرهم، وأعضاء المجالس التشريعية بالولايات المختلفة، وكل موظفى السلطتين التنفيذية والقضائية سواء على المستوى الفيدرالى أو على مستوى الولايات، حلف اليمين أو الشهادة على تأييد هذا الدستور، لكن لن يكون من المطلوب أبداً أى اختبار دينى للتأهل لأى منصب أو أمانة عامة فى الولايات المتحدة»[٥٨].

لم يتقبل الأصوليون تلك الحقيقة الأمريكية فى ذلك الوقت، ولا يسلمون بها اليوم أيضًا، فما زالوا يتمسكون بأن أمريكا أقيمت لتكون «أمة مسيحية» ويصرون على أن الدستور لم يخلق «جداراً فاصلاً» بين الكنيسة والدولة، رغم طمأنة الرئيس توماس جيفرسون لـ «المعمدانيين ـ Baptists» فى دانبرى بولاية كونيكتكت بوجود ذلك الجدار، فقد أراد هؤلاء المعمدانيون الفصل بين الكنيسة والدولة فى تلك الحقبة من تاريخنا لأنهم كانوا مستبعدين وقتها، وكانوا فى وضع مماثل لمن يتحرش بهم الأصوليون اليوم[*].

لدينا الكثير من وسائل الحماية والوقاية التى تضمن بقاء أمتنا بعيدة للأبد عن أى شكل من أشكال الحكم الدينى، لكن بعض الأصوليين استمروا رغم ذلك، وعلى مدار التاريخ، فى محاولاتهم جعل الولايات المتحدة أمة خاضعة لدينهم،

(*) «المعمدانيون ـ Baptists» اسم يطلق على الجماعات والكنائس التى ترى أن ثمة شروطًا محددة لصحة التعميد، والتعميد هو إحدى الشعائر التطهرية باستخدام الماء، كانت متبعة فى بعض الأديان، =

وبالتالى لهم. ولقد تأسست أمتنا على ركائز تفصل شئون الدولة إلى الأبد عن ثوابت دين معين أو دوجما الدين بصفة عامة، ذلك أمر واضح كل الوضوح، وموثق تمام التوثيق. لذلك يكون المرء محقًا فى النظر إلى تلك المحاولات باعتبارها خيانة لدستورنا ونظامنا الديمقراطى، والأصوليون الذين يتفقون مع رؤى من خسروا المناظرات الدينية الكبرى وقت نشأة هذه الدولة ودستورها، يعيشون بيننا لكنهم أكثر مكرًا من أى وقت مضى.

الأصولية التى تصاعدت فى الولايات المتحدة لها تاريخ واضح تمامًا، على الأقل فيما يخص الأحداث الفاصلة التى شكلت مسارها. وقد سجل المؤرخ آلان برنكلى، فى المجلد الأول من دراسته «التاريخ الأمريكى: دراسة مسحية» والذى تناول البدايات الأولى حتى عام ١٨٧٧م، أنه بعد قرن من وصول البيوريتانز، خلص المستعمرون إلى أن «التقوى الدينية كانت فى انحسار، وفرص الصحوة الروحانية كانت تتضاءل»[٥٩]. **وقد أفضى ذلك إلى وقوع «أول إحياء أمريكى كبير» فيما يعرف الآن باسم «الصحوة الكبرى ـ Great Awakening»[٦٠]، والتى كانت قد بدأت فى نيوجيرسى فى ثلاثينيات القرن الثامن عشر. كانت حركة الإحياء الدينى قد انتشرت عبر المستعمرات، لكن أبرز نجاحاتها تحقق فى نيوإنجلاند[٦١]، حيث تلقى المستعمرون التعاليم الدينية على يد الواعظ البريطانى الأصل وذى الميول الإيفانجليكية چورج وايتفيلد، وعلى يد كبير كرادلة نيوإنجلاند الواعظ چوناثان إدواردز، المولود فى كونيكتكت وخريج جامعة «يال ـ Yale»**[٦٢].

أطلق إدواردز واحدة من مواعظه الظلامية التى استخدمها فى إثارة الموالين،

=إلا أنها تكاد تقترن فى وقتنا الحالى بالدين المسيحى بصورة حصرية، حيث ترمز إلى التطهر من الخطايا والتوحد مع المسيح فى مماته ودفنه وقيامته. لكن تتفاوت درجة الإيمان فيما يمثله التعميد من أهمية للفرد المسيحى، ومن ثم تختلف الرؤى حول الشروط الواجب توافرها لصحة التعميد. ويعتقد المعمدانيون أن التعميد هو إقرار بالإيمان، لذلك لا بد وأن يتوافر فى الشخص الذى يجرى تعميده شرط الإدراك العقلى، وغالبًا لا يقبلون تعميد الأطفال. وهناك تفاصيل كثيرة فى التعميد، وفى نبرة الكاتب تهكم؛ لأن أغلبية الأصوليين الذين يريدون فرض آرائهم اليوم هم من المعمدانيين ـ المترجم.

فشعار الصحوة الكبرى: «المخطئون فى قبضة رب غاضب»[٦٣]. إنها نموذج تقليدى عنيف، فهى إدانة مريرة ومتعسفة لأولئك الذين لا يوافقون آراء الواعظ، ووعيد بما سيفعله غضب الرب بهم:

الشيطان على أهبة الاستعداد للإيقاع بهم، ولأسرهم وتملكهم، لحظة أن يأذن له الرب. إنهم ينتمون إليه، فقد تملك أرواحهم. والكتاب المقدس يصفهم على أنهم بضاعته، «إنجيل لوقا ١٢ : ١١». إن الشياطين تتربص بهم، تسكن إلى جوارهم وعن يمينهم للأبد، ويقفون فى انتظارهم، مثل الأسود الشرهة الجائعة التى ترى فريستها، وتتلهف للنيل منها، فسيتبعون أرواحهم المسكينة فى لحظة. إن إبليس العجوز ليترقبهم، وإن الجحيم لفاغر فاه ليتلقفهم، وحين يأذن الرب، فلسوف يبتلعهم ويتيهون فى جوفه فى التو.. سوف يصحبكم الجحيم إذن يا من لا تبدلون حالكم، لئن أنتم ظللتم على حالكم، فلسوف يحل عليكم بطش الرب القادر، وعذابه الأبدى لا توصف شدته. سوف تعذبون فى حضرة الملائكة المقدسة، وفى حضرة المسيح، وعندما تقبعون فى حالة المعاناة تلك، فإن أصحاب الجنة المتنعمين فيها سوف يتقدمون لينظروا مشهدكم القبيح، ليعلموا مدى غضب وبطش الجبار، وعندما يرونه، يخرون معظمين قوة الرب وجلاله.

لقد انتشلت تلك الموعظة مؤخراً من دائرة المجهول، التى كانت تستحق أن تظل أسيرة فيها للأبد، وهى الآن من المواعظ ذات الشأن لدى كثير ممن يزعمون أنهم« يخشون ربهم ـ God-fearing» فى الحركة المسيحية الأصولية المعاصرة، حيث أضحى الخطاب الوعظى البسيط والمباشر والمطلق والذى يدين الآخرين موضع تفضيل فى كثير من الكنائس الأصولية.

وبالإضافة إلى انحسار المجال الدينى تاريخيًا، كان وراء انبعاث حركة الإحياء الدينى أيضًا تنامى التوترات الاجتماعية، ورغبة الناس القوية «فى تجربة دينية مكثفة»[٦٤]. **وهكذا انتشرت الحركة فى المستعمرات كـ«الوباء الدينى»[٦٥]، وسرعان ما بلغت ذروتها خلال عقد الأربعينيات من القرن الثامن عشر[٦٦]. ثم**

ما لبثت أن فقدت كثيراً من قوتها وسرعة انتشارها لأن كثيراً من المستعمرين ـ بما فيهم زمرة ممن سيصبحون فيما بعد مؤسسي الولايات المتحدة ـ كانوا قد تبنوا رؤى أكثر عقلانية، ولذلك لقب عصرهم بـ «عصر التنوير»[٦٧]، رغم ذلك فإن إدواردز ووايتيلد كانا قد أحدثا تغييرات جذرية، فقد أخذت الكنائس الإحيائية شكلاً مثيراً وجذاباً لجماعات المصلين، وللأمانة فإن تلك الكنائس كانت تدار بطريقة ديمقراطية[٦٨]، لكن التخويف من نار جهنم والقدرة على كسب الأتباع أثبتت قليلاً من الفاعلية القادرة على الاستمرار، فقد اختلف الوضع قليلاً عن انتشار التشدد البيوريتاني فى انجلترا، ومع تغير الظروف تراجع تبنى صيغ التطرف وتضاءل، خاصة مع غياب تهديد ما، أو وفاة رائد دينى أصولى.

لقد بدا عامل الدين كأنه يضعف ويحتضر فى أمريكا لعقود، لكن بعد الثورة الأمريكية وفى مستهل قرن جديد اكتسب دفعة جديدة مع «الصحوة الكبرى الثانية»[٦٩]، ووفقًا لويليام مارتن، أستاذ الدين والسياسات العامة بقسم الاجتماع بجامعة رايس، ومؤلف كتاب «حين يكون الرب فى صفنا: صعود اليمين الدينى فى أمريكا»:

« أعادت المرحلة الأولى لهذا الإحياء، والاجتماعات الدينية للمعسكرين الجنوبى والغربى، صياغة الجنوب الأمريكى، وربما جعلت منه أكثر مناطق العالم المسيحى تميزًا ووعيًا بهويته الدينية، ثم اقتربت المرحلة الثانية بشكل ملحوظ من تحقيق الحلم الإيفانجليكى الخاص بجعل أمريكا أمة مسيحية خالصة»[٧٠].

ولم تكن الطوائف الإحيائية مهتمة هذه المرة باستعادة المؤسسات الدينية التى كانت موجودة بالماضى، بل دعوا بدلاً من ذلك إلى قبول مختلف الفرق والطوائف، باعتبارهم جميعًا «ملتزمين بجوهر الدين المسيحى نفسه»، فقد كان الإحيائيون يسعون إلى خلق نظام واستقرار اجتماعى بمجتمعات لم تكن لها هوية بعد[٧١]. وكانت نبوءات نهاية العالم (الألفية) قد ظهرت ثانية، لكن الأكثر أهمية أنه كان ثمة انشغال لاهوتى، ودعوة للعيش بلا خطيئة، أو ما عرف باسم «التقدس ـ Sanctification». حيث نظر إلى ارتكاب الزنا، والتجديف بالدين،

وشرب الكحوليات، ولعب الميسر، وعدم الأمانة، كأشد الأمور خطراً على تقوى الفرد، وبدا التركيز على حفظ الفرد من الزلل وكأنه قد رفع عن كاهل الأصوليين أى واجبات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. ووفقا لمارتن فقد أحدثت الصحوة الكبرى الثانية أقوى أثر لها بالجنوب، حيث تغلغلت أفكار الإحياء وعصمة الكتاب المقدس والتقوى والطهارة فى أعماق الثقافة[٧٢].

لكن عندما قبل تشارلز فينى، المحامى ذو الميول المشيخانية(*) الانضمام إلى «جمعية النبلاء ـ Association of Gentlemen» التى ضمت مجموعة من الأثرياء المؤمنين بالألفية ـ وقد اقترنت المسيحية الإيفانجليكية بها فيما بعد ـ نجده استهل الحركة على أسس سياسية، فقد استحث أقرانه بالقول: «إن أعظم عمل تقوم به الكنيسة هو أن تصلح العالم ـ أن تمحو كل أشكال الخطيئة»[٧٣]، وقال واعظًا: «إنه كان من واجب المسيحيين الحقيقيين سن التشريعات بما يتفق وقانون الرب[٧٤]». وبدأ فينى فى إلقاء الخطب الوعظية فى اجتماعات الإحياء الدينى فى شمال ولاية نيويورك بعد أن شهد «معمودية جليلة للروح القدس»(**) أثناء «الصحوة الثانية»[٧٥].

وبسبب ذلك الإحياء الدينى يذهب مارتن إلى أن أمريكا أصبحت أكثر الأمم المسيحية تدينًا على مر العصور، وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، كانت الحركة الإيفانجليكية هى القوة المسيحية المهيمنة. وقد حققت الحركة نجاحها بسبب طريقة العمل التى اعتمدها تمارسوها على كافة الأصعدة، بدءاً من حملات التبرع والدعاية والتدريس للأطفال غير المنتسبين إلى الكنيسة، ووصولاً إلى التسلية، وتوظيف التجمعات الإحيائية الفعالة[٧٦]. ولم يضيع خلفاؤهم فى العصر

(*) «المشيخانية ـ Presbyterianism» هى إحدى الطوائف البروتستانتية، تقوم على تدبير شئون الكنيسة بها شيوخ منتخبون Presbyterians يتمتعون بالمساواة فى القدر والمنزلة ـ المترجم.

(**) يشير تعبير «معمودية الروح القدس ـ Baptism of the Holy Ghost» إلى ما جاء فى إنجيل متى (٣: ١٣ ـ ١٧)، ومرقس (١ : ٩-١١)، ولوقا (٣: ٢١ ـ ٢٢) عن قصة تعميد السيد المسيح على يد يوحنا المعمدان فى نهر الأردن. والنص الإنجليزى يشير إلى أن فينى بدأ إلقاء المواعظ (after an experience of «a might Baptism of the Holy Ghost») ونظن أن المؤلف يوحى بأن فينى رأى ذلك فى المنام ـ المترجم.

الحديث تلك التقنيات. ففى النصف الأول من القرن التاسع عشر، أطلق المسيحيون الإيفانجليكيون حملة حماسية بالولايات الشمالية للقضاء على الحروب والفقر والعبودية والتجديف وإخضاع النساء، بين قضايا أخرى، وآمنوا بأن سعيهم لإقامة المجتمع الكامل سوف يثمر المجيء الثانى للمسيح(٧٧).

وفى الجنوب أصبحت جمعية «كوكلوكس كلان ـ Ku Klux Klan» مركز الأصولية البروتستانتية(*)، وقد كرست هذه الحركة البيوريتانية الجديدة نفسها للحفاظ على النهج القديم الذى أفاد قضيتها ضد الضغوط التى جلبتها الحداثة، لكن الخلافات الطوائفية حول قضية الرق، وكذلك الأثر الذى خلفته الحرب الأهلية وإعادة البناء، قد أضعفت المسيحيين الإيفانجليكيين وأحدثت انقسامًا فى صفوفهم فى التحليل الأخير، كما تسبب مزيج التمدن والهجرة والتصنيع فى تغيير وجه الحياة فى أمريكا بصورة جوهرية؛ الأمر الذى أضعف هيمنة البروتستانت على أمريكا(٧٨).

ومن ناحية أخرى، أصبح العلم ذا تأثير أقوى من الدين والإيمان منذ منتصف القرن التاسع عشر، فقد أدى نقد الكتاب المقدس وإدراك أن محتوياته قد كتبت بواسطة كثير من المؤلفين فى مختلف العصور على مر التاريخ، إلى صراع أفضى إلى انقسام البروتستانت فيما بينهم إلى مجموعتين، فالبروتستانت الحداثيون قبلوا نقد الكتاب المقدس، فى حين تمسك الأصوليون باعتقادهم فى عصمة الكتاب المقدس(٧٩).

وكان كتاب «أصل الأنواع» الصادر عام ١٨٥٩م لتشارلز داروين، بمثابة تحدٍّ

(*) لا يوجد اتفاق حول معنى تعبير كو كلوكس كلان Ku Klux Klan، لكن بعض المصادر تشير إلى أن أحد معانيه هو «جماعة البيض فقط»، حيث Ku تعنى فقط، وKlux تعنى أبيض، Klan تعنى جماعة. والكوكلوكس منظمة سرية من البروتستانت البيض، تم تأسيسها عام ١٨٦٦م بولايات الجنوب الأمريكى بواسطة أفراد خدموا مسبقًا فى الجيش الكونفيدرالى، وحُظر نشاطها عام ١٨٦٩ بسبب تبنيها للعنف ومعارضتها لوجود الأجناس والأديان الأخرى بأمريكا، خاصة الزنوج. عادت هذه الجماعة لتنشأ من جديد عام ١٩١٥م، إلا أنها فقدت جاذبيتها فى فترة الكساد الكبير. ثم استخدم الاسم مرة ثالثة فى عقد الستينيات بواسطة بعض الجماعات المعارضة لقانون الحريات المدنية. ويوجد الآن العشرات من الجماعات التى تستخدم هذا الاسم أو جزءاً منه بالولايات المتحدة وأماكن أخرى من العالم ـ المترجم.

لأساس الكتاب المقدس وللمذهب الآخذ بحرفيته، والاعتقاد فى أن كل كلمة فى الكتاب المقدس من صنع الرب، وأن الكتاب معصوم من الخطأ. فقدْ رُوى أن أسطورة الخلق كما جاءت فى سفر التكوين لا تتفق والنظريات العلمية الخاصة بأن الحياة ارتقت دون عملية خلق خارقة للطبيعة، وإذا كانت الأدلة التى طورها داروين والخاصة بأن الحياة ارتقت عبر ملايين السنين صحيحة، فإن سفر التكوين لايمكن أن تكون روايته صحيحة حرفيّا. لقد أدرك داروين ذلك، وفهم ما تضمنته اكتشافاته من مغزى وما يمكن أن تحدثه من رد فعل لدى الناس، لذلك لم يقم بذكر شىء بخصوص ارتقاء العنصر البشرى فى كتاب «أصل الأنواع».

لكن يبدو أن داروين الشاب، الذى كان قد درس فى كمبريدچ بهدف أن يصبح رجل دين فى يوم من الأيام، لم يحتمل الصدمة التى أحدثها هذا الاكتشاف وذلك الإدراك، واضطرته أمانته العلمية إلى تغيير اعتقاده السابق بقصة الخلق كما وردت فى الكتاب المقدس. بيد أن الأمر قد استغرق منه سنوات قبل أن يخاطر بإصدار كتابه «أصل الإنسان» عام ١٨٧١م، الذى دفع داروين فيه برأيه القائل: «إن البشر ـ مثلهم مثل الطيور ـ قد ارتقت من أشكال أخرى من الكائنات الحية تختلف عنهم كثيراً». ورأى الأصوليون وقتها ـ مثلما يرون اليوم ـ أن هذا العلم يشكل تهديداً، وأنه شىء قد اخترع من قِبل بعض الأشرار لتضليل المسيحيين الصالحين.

وإذا كان هناك تنوع كبير فى الآراء حول نشأة الأصولية الحديثة، كما يحدث عادة عندما يحيط الغموض والتعقيد بأصل شىء ما، **فإن الحركة الأمريكية التى عُرفت باسم «الأصولية» قد بدأت فى بواكير القرن العشرين. ففى عام ١٩٠٩م بدأ رجلان مسيحيان ـ ليسا من رجال الكنيسة ـ فى إصدار سلسلة من الكتيبات بعنوان «الأصول: شهادة الإيمان»، وكانت هذه الكتيبات توزع على القساوسة والإيفانجليكيين وغيرهم. سلسلة الأصول «طلبت أن يقبل المسيحيون الكتاب المقدس باعتباره، موحى به من الله، لا يأتيه الباطل، ومعصومًا من الخطأ»[٨٠]، وكانت قناعة الأصوليين أنه إذا ما تعارضت الاكتشافات العلمية بأى شكل مع الكتاب المقدس، فإن الكتاب صحيح ومزاعم العلم خاطئة.**

لقد تصاعدت الأصولية كرد فعل لقراءة أكثر ليبرالية للكتاب المقدس، حسبما أشار دون لاتن ـ كاتب الصفحة الدينية بجريدة سان فرانسيسكو كرونيكل. والقراءة الليبرالية هي أن يتفحص المسيحيون والدارسون الكتاب المقدس في سياقه التاريخي، بدلاً من مجرد اعتباره كلام الرب الأزلي، غير القابل للتشكيك[٨١].

قدمت سلسلة الأصول (١٩١٠م) الحركة الأصولية، وأكدت على خمس نقاط اعتبرت أركان الأصولية، وهذه النقاط هي:

١ ـ الكتاب المقدس موحى به حرفيًا.

٢ ـ المسيح مولود لعذراء[*].

٣ ـ آلام المسيح تكفر خطايا البشر.

٤ ـ بُعث المسيح جسديًا بعد موته.

٥ ـ سيكون هناك مجيئًا ثانيا للمسيح[٨٢].

أفسحت الأصولية ـ في عام ١٩٤٢م ـ الطريق لتشكيل «الجمعية الوطنية للإيفانجليكيين ـ The National Association of Evangelicals»، هذا الثمرة للأصولية الأقل تشدداً ـ من حيث تأويل الكتاب المقدس ـ تم التعارف على تسميتها بحركة «الميلاد الثاني أو الميلاد من جديد ـ born again» و«الكاريزمية»[٨٣]. نزع الأعضاء الأكثر ميلاً إلى البيوريتانية إلى الحفاظ على هويتهم بالانضمام إلى الطوائف الأصولية، بينما اقترن نظراؤهم المشابهون لهم ـ لكن الأكثر اهتماما بالدنيا منهم ـ بالطوائف والفرق الإيفانجليكية التي اشتهرت باهتمامها بتجربة التحول الشخصية[٨٤].

أعمالهم تدل عليهم

ليس كل فكر القديم ـ دينيًا كان أو غير ذلك ـ بدائيًا أو غير موائمًا للعصر أو

(*) ليس كل المسيحيين في الغرب يؤمنون بذلك، بل وليس كل رجال الدين المسيحي في الغرب يؤمنون بذلك ـ المترجم.

مغلوطًا. لكن من الواجب إدراك خطر من قد يسلبوننا حرياتنا التى كافحنا من أجل الحصول عليها، بأن نحدد ونفهم معتقداتهم التى يشتركون فيها عامة، والتى لا يتماشى كثير منها مع الحاضر، خاصة فى ضوء ما بلغه مجتمعنا المعاصر من تطور وبلوغه عصر المعلومات. هناك ثمة ملامح فكرية محددة يشترك فيها جميع الأصوليين المسيحيين، هذا ما أشارت له نانسى أمرمان، أستاذة الاجتماع والدين بكلية هارتفورد سيمنارى فى ولاية كونيكتكت، والتى عملت ضمن فريق بحث فى مشروع عن الأصولية. فالأصوليون كما يقول دون لاتن: **«يؤمنون بأن الكتاب المقدس لا يزل صحيح بكل ما تعنيه الكلمة، ويصرون على الإيفانجليكية، ويؤكدون على قرب «نهاية الزمن» وعلى اقتراب المجىء الثانى للمسيح، ويعتزلون غير المؤمنين»**[٨٥].

وثمة خصائص أخرى تجمع بين الأصوليين يمكن ملاحظتها فى ردود أفعالهم نحو «اللايقينيات» التى تزخر بها الحياة. فهم إما أن يتبنوا مواقف رجعية، أو يزيدوا فى تبسيط الأمور، أو ينكروا الواقع، ولا يقبلون المجادلة فيما يعتنقون[٨٦]، ولذلك فإن بعض الأصوليين - وليس كلهم - يجتنبون الحياة الدنيا وهم يتطلعون إلى العالم الآخر. ويميل الأصوليون أيضًا إلى الاعتقاد بأنهم وحدهم يمتلكون الحقيقة، وأنها قد تجلت لهم من لدن رب مهيمن يصرف كل أمور العالم وينتصر لأولئك الذين لا يتطرق الشك إليهم فيما يؤمنون، كما يعرف الأصوليون فى الغالب بانتمائهم لليمين السياسى. ورغم وجود الخصائص المذكورة سابقًا، وغيرها من الملامح العامة التى يشترك فيها الأصوليون، فإن وضع إطار عام واضح يجمع الأصوليين المسحيين يظل من الناحية العملية أمرًا مستحيلاً. فالأصوليون - كما يؤيد لاتن - يأتون على أشكال شتى. ويتفاوت تنوعهم فى الأساليب والمعتقدات ليضم طوائف وحركات شتى، من بينها: «المعمدانيون - Baptists»، و«الخمسينيون - Pentecostals»[*] والپروتستانت

(*) الخمسينيون جماعة أمريكية نشأت فى أمريكا فى مطلع القرن العشرين، واليوم الخمسون هو الذى نزلت فيه الروح القدس على حوارىى المسيح بعد صعود المسيح، وجعلتهم يتكلمون بألسنة (لغات) عديدة. وتؤمن جماعة الخمسينيين بأن كل ما ورد فى الكتاب المقدس صحيح وتؤكد على أهمية الروح القدس فى حياة الفرد والكنيسة، وقدرة المؤمنين بالتكلم بألسنة (لغات) عديدة بتأثير الروح القدس، وكذلك قدرتهم على شفاء الأمراض. والتبشير عمل أساسى لديهم - المترجم.

والكاثوليك الإيڤانجليكيون، والكنائس الأصولية المستقلة[٨٧]، ضمن آخرين. ولاتخلو بعض فروع الطوائف المسيحية من كنائس أصولية، مثلما هو الحال مع طائفة «الپريسبيتريانز ـ Presbyterians» أو المشيخيين.

رغم ذلك تظل هناك خصائص رئيسية تجمع بين الأصوليين المسيحيين، أبرزها:

١ - الرأى القائل بحرفية الكتاب المقدس، وينطوى ذلك المذهب على تناقضات مهمة، فوفقًا لهذا الرأى تكون نظرية التطور خاطئة لا محالة، إذ إنها ـ إلى جانب الفيزياء والچيولوچيا والفضاء وكل العلوم البيولوچية ـ تعتقد أن كوكب الأرض أزلى قديم، فالدليل الحالى يشير إلى أن عمر الأرض يبلغ حوالى ٤,٥ مليار عام، وأن أول أشكال الحياة ظهر منذ ما يقرب من ٣ مليارات عام، وأن البشر الأوائل تواجدوا منذ مليار عام تقريبًا[٨٨]، وعلى النقيض من ذلك، يقدم الكتاب المقدس أسطورة للخلق حيث خلقت الأرض وكل شىء حى فى ستة أيام. وإذا ما جمعت أعمار الأجيال المذكورة فى الكتاب المقدس، من آدم إلى يسوع المسيح، لحساب عدد السنين قبل ميلاد المسيح، نجد أن عمر الأرض لا يمكن أن يتجاوز ما بين ستة إلى عشرة آلاف عام. وعندما لا تتوافق الحقائق العلمية مع العقائد الدينية، فإن القائلين بالحرفية يحطون من قيمة الحقائق.

٢ - يشترك الأصوليون أيضًا فى الرغبة فى تدريس نظامهم العقائدى بالمدارس، بحجة أن الكتاب المقدس يوجب ذلك. ليس هذا فقط، بل يريدون أن تقام الصلوات فى الساحات العامة، رغم أن يسوع المسيح، فى «الموعظة على الجبل» (إنجيل متَّى ٦ : ٦) حرم إقامة الصلاة فى الأماكن العامة بصفة خاصة. إن هذا التناقض يفضح نوايا الأصوليين ـ مرة تلو الأخرى ـ فرغم أنهم يصرون على عصمة الكتاب المقدس، وعلى التفسير الحرفى له، لكنهم لا يتمسكون بهذه الآراء إلا عندما تدعم أغراضهم.

يبرز چون شلبى سپونج، أسقف نيوارك بشكل دقيق وكامل المشكلة الناجمة عن اعتقاد الأصوليين فى عصمة الكتاب المقدس والتفسير الحرفى له، ويشير

سبونج إلى أن ذلك يشكل تهديدًا ليس فقط للفكر، وإنما أيضًا للإيمان العقلانى. وكتابه «إنقاذ الكتاب المقدس من الأصوليين: أسقف يعيد التفكير فى معنى النصوص المقدسة» يمثل - أو ينبغى أن يمثل - ضربة قاضية لمقولة أن التفسير الحرفى للكتاب المقدس أمر جوهرى فى العقيدة المسيحية. والواقع أن ثمة ضرورة ملحة فى دعوته لإعمال العقل فى عالمنا المعاصر، فهو يحذر «إذا ما استمر النظر إليه بحرفيته، فإن الكتاب المقدس - من وجهة نظرى - سيطرح جانبًا باعتبار أن ما جاء به قد بلى ولا يتفق مع الحاضر»[٨٩].

٣- كذلك إحدى السمات العامة الأخرى فى الأصولية هى التبشير والتنصير Evangelizing، أو إنقاذ الناس من الخطيئة والجحيم الأبدى، بالتبشير الحماسى بالإنجيل. ويمكن رؤية تلك الممارسة فى اجتماعات الإحياء [الدينى]، والتى كانت غالبًا ما تعقد تحت المظلات أو فى الساحات الواسعة، وأصبحت مؤخرًا تعرض بالتليفزيون، وعلى الفضائيات المسيحية. ويقوم التبشير على اعتقاد بأن نهاية العالم وشيكة وأن المجىء الثانى للمسيح قريب، آنذاك فإن المنقذين أو «من ولدوا ثانيًا أو من جديد» سوف يدخلون الجنة. فرسالة التبشير هى خلاص الأرواح.

وربما يكون بيلى جراهام أكثر نماذج التبشير فى العصر الحديث شهرة ونجاحًا، فقد كان مستشارًا لعديد من رؤساء الولايات المتحدة. ومن خبرتى الطويلة به، أستطيع القول إنه خطيب مفوه من الدرجة الأولى. فحديثه فيه من القوة ما يحدث أثرًا كهربائيًا ومغناطيسيًا فى الحضور. فهو يرسم صورة لمباهج الجنة فى انتظار أولئك الذين حازوا خلاصهم، أما الذين يرفضون هبة الخلاص المجانية فإنهم يكادون يلمحون من خلال خطبه مشهدًا بالألوان لأهوال النار. وتقدر أعداد الحضور فى خطب جراهام بالآلاف. وهؤلاء يجيبون نداءاته التحذيرية بأن تعالوا تنالوا خلاصكم، بينما يردد فيه مئات من المرتلين آيات من أنشودة التسبيح البروتستانتية المجيدة «كما أنا». وقد نال ملايين البشر «خلاصهم» على يد بيلى جراهام فى مناسبات عديدة ومتفرقة.

٤- يتفق عدد كبير من الباحثين على أن التسلطية، أو اشتراط الطاعة العمياء، هى إحدى الملامح العامة الأخرى لدى الأصوليين. صحيح أن من الممكن للمرء أن يكون أصوليًا دون أن يكون تسلطيًا، والعكس، وصحيح أن ليس من الواضح إن كان التسلطيون يرتدون قناع الأصوليين، أو أن الأصولية تفضى إلى شخصية تسلطية، لكن ثمة دلائل تؤكد الارتباط بين السلوكين. ففى كثير من الأسر الأصولية يحظى النساء والأطفال بقدر ضئيل من الحقوق، إن كان ثمة حقوق لهم على الإطلاق، نتيجة لقراءة حرفية للكتاب المقدس تستوجب أن تكون السلطة العليا للرجال. فالرب، الذى تم تعريفه فى الكتاب المقدس على أنه ذكر، يصدر القوانين، والرجال يفسرونها ويفرضونها. وصحيح أن كل المجتمعات المتحضرة تقر بالحاجة إلى قواعد، لكن المسيحيين الأصوليين يؤمنون بأن القواعد التى يفرضونها قد تنزلت عليهم من الرب، وأنه لا بد من طاعة تلك القواعد. وشخصيتهم التسلطية تساعدنا فى تفسير لماذا يؤمن الأصوليون بأنه لا بد للمجتمع من أن يطيع رؤاهم الصلفة، وفى الوقت نفسه تساعدنا طبيعة التسلطية فى فهم بعض الملامح العامة فى شخصية الأصولى.

لقد وجد جارى ليك وبراندى راندال، فى جريدة Scientific Study of Religin (١٩٩٥)، أن من أحرزوا نقاطًا عالية على مقياس التسلطية اليمينية لهم ميول عديدة، فهم على الأرجح «يعتدون على الأقليات غير التقليدية والتى لا تحظى بشعبية، ويشعرون بأنهم أفضل أخلاقًا وأكثر استقامة»، كما أن «لديهم قلب غير محب مقترن بنوع من تفضيل الذات»[٩٠]، وغالبًا أيضا ما «يشعرون بسعادة داخلية إذا تعثر الآخرون، ويتحيزون ضد الجماعات المهمشة»[٩١]، هذه الصفات السلبية يمكن ملاحظتها فى الأصوليين بصفة عامة، وهو ما سوف يتضح أكثر فى الفصول التالية. فإذا ما أدركنا الرابط بين الأصولية والتسلطية، يمكننا فهم تلك الجماعات بطريقة أفضل والتعامل معها بشكل أوفق.

٥- سمة أخرى تقترن بالأصولية أيضًا هى الاعتقاد فى المجىء الثانى للمسيح، سواء لدى جماعات «ما - قبل الألفية - premillennial» أو جماعات «ما - بعد الألفية - postmillennial». فالفئة الأولى لديها العديد من النظريات

المتصارعة بشأن «الاختطاف إلى السماء ـ Rapture » و«الضيقة العظيمة ـ Tribulation » فالاختطاف إلى السماء هو الوقت الذى يدرك فيه المؤمنون الحقيقيون أنهم سينجون من أهوال الخراب فى آخر الزمان. إنه «هجرة هائلة للأحياء والأموات المسيحيين المولودين من جديد. . [الذين] سيصعدون ويقابلون يسوع المسيح فى السماء»[٩٢] وكلمة الاختطاف مشتقة من الكلمة اللاتينية «rapare» و«تعنى يُنتزع أو يُختطف بسرعة»[٩٣]، وتبعًا لهذه الرؤية فسيختفى الطيارون من طائراتهم، وسائقو الشاحنات من شاحناتهم، [و] الناس من سياراتهم. . »[٩٤].

أما الضيقة العظيمة، فهى الاعتقاد بأن «عدو المسيح ـ Anti-christ» سيظهر على الأرض مستهلاً سبع سنين من البؤس التام. ووفقًا لجماعات «ما ـ قبل الألفية» فإن المجىء الثانى للمسيح سيقع وقتئذ، وسيحكم المسيح الأرض لمدة ألف عام، تعرف باسم «الألفيـة ـ Millennium». لكن ثمة خلاف دينى حول توقيت حدوث الاختطاف. فالبعض يعتقد أن الاختطاف يحدث قبل الضيقة العظيمة مباشرة. فى حين يعتقد آخرون أن المؤمن سوف يهنأ بعد أهوال الضيقة العظيمة. وبعض ثالث يرى أن الاختطاف سيقع وسط الضيقة العظيمة، أو بعد مضى اثنين وأربعين شهراً من بدايتها[٩٥].

لقد أصبحت الغلبة لجماعات «ما ـ قبل الألفية» فى كثير من الكنائس الخمسينية والأصولية فيما يخص عقائد نهاية الزمان[٩٦]، ويلاحظ مارتن أن تلك الجماعات تعتقد أن الأخبار السيئة: الفوضى السياسية، الارتداد الدينى، تزايد الأذى بشكل غير مسبق، وقوع الزلازل، وانتشار الأوبئة، وما إلى ذلك»[٩٧]، هى علامة اقتراب المجىء الثانى للمسيح. **ربما لهذا السبب زعم چيمس وات، وزير الداخلية فى إدارة ريجان، أننا «لسنا مضطرين لحماية البيئة، حيث إن المجىء الثانى على وشك الحدوث»[٩٨].**

تجد عقيدة « ما ـ قبل الألفية ـ Pre-millennialism » رواجًا وقت الأزمات لأنها تعطى أملاً للمؤمنين بها[٩٩]، فالاختطاف إلى السماء يمثل ـ فى عيون الأصوليين ـ لحظة مجيدة للاخيار لأنها تضمن لهم الخلاص الأبدى. والمؤمنون بأفكار «ما ـ قبل الألفية» يتخيلون الأرض وقد حل الفساد فى ربوعها، والأنهار وقد امتلأت

بالدماء، وأن حربًا نووية قد اندلعت، ووحوشًا غريبة قد انتشرت[١٠٠]. وفى الوقت الذى يُختطف فيه الصالحون إلى الجنة ليقابلوا المسيح، فإن اللعنة الأبدية تحل بغير المؤمنين[١٠١]. وقد انتقد مارك توين تلك الرؤية فى كتابه المنشور بعد وفاته «رسائل من الأرض»[١٠٢]، حيث وصف توين المنقَذين الذين يقطنون الجنة وهم ينظرون فى الأسفل إلى النار، **فهذه المخلوقات المنعمة فى الجنة تسعد بمراقبة العذاب الذى يعانيه كل الأطفال، خاصة من ينتمون إلى أديان مختلفة عن تلك التى يدين بها المراقبون، واليوم يمكن للمرء أن يرى ملصقات على السيارات تقول: «لن تجد هذه السيارة من يشغلها وقت الاختطاف».**

رغم ذلك تبدو عقيدة «ما ـ قبل الألفية» للمؤمن الأصولى وكأنها منطوية على تناقض داخلى، فالمسيح يمكنه العودة فقط عندما تبلغ الأمور أقصى درجات الخطيئة. وبينما يتطلع الكثير من أنصار فكر «ما ـ قبل الألفية» فى لهفة إلى تلك العودة، فإنهم فى نفس الوقت، ووفقًا للموقع الإلكترونى لـ «جمعية التسامح الدينى ـ Religious Tolerance. org»:

ينزعون إلى التعبير صراحة وبنشاط عن معارضتهم لإتاحة الحق فى الإجهاض، ولإعطاء المثليين حقوقًا متساوية، ولممارسة الجنس قبل الزواج، وللتثقيف الجنسى للبالغين فى المدارس، ولإتاحة الحق فى الانتحار بمساعدة الطبيب، ولزراعة الأجنة، إلخ. فبمعارضتهم لتلك الموضوعات الساخنة والمثيرة للجدل دينيًا، فإنهم يؤخرون عودة يسوع للأرض، وحدوث الاختطاف، ومجىء الألفية السعيدة والخالية من الخطيئة[١٠٣].

إن خير مثال على فكر «ما ـ قبل الألفية» هو ما صرح به د. إدوارد هيندسون، عميد معهد دراسات الكتاب المقدس بجامعة ليبرتى، فى مؤلفه بعنوان «كيف يكون الحال إن فاتك الاختطاف؟» فهو يعتمد على سفر الرؤيا فى الكتاب المقدس ليهاجم فكرة أن يحل السلام بالعالم، فذلك وضع يرى الأصوليون أنه «نظام عالمى جديد» ضد المسيحية. يقول هيندسون:

بينما تقبع رغبة أن يعم السلام فى أعماق قلب الإنسان، إلا أن التوقعات

بوقوع الدمار الكونى أكبر بكثير من التوقعات بأن يحل السلام الكونى. سيستمر بلا شك نضال الإنسان من أجل الحلول السلمية، بيد أن محاولات إحلال السلام تحمل فى طياتها المحرقة النائية. ومن يتركوا بعد وقوع الاختطاف إلى السماء فسيواجهون مستقبلاً فظيعًا. وصف يوحنا لما يجرى حين تنفخ الأبواق السبعة (كتاب الرؤيا ٨: ٢ـ١٩) يشبه كثيراً وقوع محرقة كونية. ولسوف يتعرض كامل الكوكب إلى دمار هائل، وإلى فقدان الحياة، وسوف تتسبب الفوضى فى إيقاع الاضطراب بالاقتصاد العالمى والحكومة العالمية التى تنبأ بها فى الإصحاح ١٣.. يرسم يوحنا (صاحب الرؤيا) صورة لكارثة كونية. فيرى الزروع قد احترقت، وجبلاً من نار قد سقط فى البحر، ونجومًا تسقط من الجنة، والشمس قد أظلمت بفعل دخان كثيف. وليس من الغريب أنه قد سمع ملاكًا يطير فى السماء ويصيح زاعقاً، «الويل، الويل، الويل لسكان الأرض» (رؤيا يوحنا ٨: ١٣)[١٠٤].

يحظى هذا الخطاب بشعبية بين المسيحيين الأصوليين فى وقتنا الحالى، فهم يؤكدون على أن الدمار سيحل بالعالم، بسبب شرور العلمانيين دعاة النزعة الإنسانية، وبسبب أولئك الذين لا يسيرون وفق منهج الأصولية.

تقدم الدراسات الحديثة للكتاب المقدس، وتلك التى تستخدم «النقد الشكلى» أو فهم النص تبعًا لكيفية وأوان إنشائه، تقدم دليلاً على أن كتاب الرؤيا قد ألف لكى يثلج صدور المسيحيين الأوائل الذين كانوا يعانون من نير الاضطهاد الرومانى. لكن بالنسبة للعقلية الأصولية، فإن كتاب الرؤيا، الذى يأتى فى آخر الكتاب المقدس، هو نبوءة حقيقية تنطبق على وقتنا الحالى، وليس على الزمن الذى كتب فيه ومن أجله هذا الكتاب.

أما عقيدة «ما ـ بعد الألفية ـ Postmillennialism»، التى تروج هى الأخرى لعقيدة نهاية الزمان، فتعرف أيضًا باسم «لاهوت المملكة الآن ـ Kingdom Now Theology»، وأيضًا باسم «اللاهوت المهيمن ـ Dominion Theology»، وباسم «إعادة البناء المسيحى ـ Christian Reconstruction»، ويعتقد أنصارها أن المجىء

الثانى للمسيح لا يمكن أن يتحقق إلا بانتهاء الألفية، أو «فترة الألف عام المجيدة»، وبالتالى فإنه يجب تحويل المجتمع إلى مجتمع أخلاقى خال من أشكال الخطيئة كافة[١٠٥]، وقد ظهر فكر «ما ـ بعد الألفية» فى أوائل القرن التاسع عشر من خلال الاعتقاد بأن الناس يمكنهم تحقيق الكمال الاجتماعى، وبأنه إذا ما جرت عملية الإحياء الدينى والصحوة الروحانية والتطهر من الخطايا على نطاق واسع وشامل، فقد يتحول الجنس البشرى كله ـ بما فيهم اليهود ـ إلى اعتناق المسيحية. ثم يتبع ذلك ألفية من السلام والصلاح، وبمجرد انقضاء هذه الألفية، يجئ يسوع للمرة الثانية. لذلك فإن أنصار «إعادة البناء المسيحى»، مثل «مؤسسة خلقيدون ـ Chalecedon Foundation»، لا يكترثون برواية الاختطاف والضيقة العظيمة، ويروجون بحماس لعقيـــدة « ما ـ بعد ألألفية»[١٠٦].

ويتضح من مناقشتنا لعقائد نهاية الزمان ـ فى كلتا الحالتين ـ أن الأصوليين لا يجدون راحتهم فى الحقائق مثلما يجدونها فى الفكر الخرافى وفى الإيمان بالأحداث الأسطورية ـ الدينية المصدر حصراً. لذا تثير سلسلة الروايات الخيالية مثل «هارى بوتر» والتى تحظى بشعبية كبيرة مخاوف كثيرة تتردد بين الأصوليين **ويحاول الأصوليون حظر هذه السلسلة، تمامًا كما حاولوا من جيل مضى حظر سلسلة «ساحـر أوز ـ The Wizard of Oz»**، ذلك أنه فى ظل غيـاب أو إنكار التفسيرات العلمية للسلوكيات الغريبة أو للأحداث المجهولة، يسود إيمان الأصوليين بأنه يوجد فى الحقيقة شياطين، وساحرات، وعرافون، وكائنات أسطورية أخرى. **ويعتقدون أن هذه الكائنات قادرة على أن تسكن أجساد الناس، وبأنه من الممكن إخراجها باتباع بعض الممارسات التى تعود إلى القرون الوسطى مثل الأحجبة والتعويذات، لذلك لا ينظر الأصوليون إلى مغامرات پوتر باعتبارها روايات خيالية مشوقة، وإنما باعتبارها حقائق خطيرة لا بد وأن تحجب عن الأطفال شديدى التأثر، الذين قد يتبعون ما يأتى بهذه الروايات. كما أنهم يطالبون بحظر مغامرات «دورثى وتوتو ـ Dorothy and Toto» لأن محتواها الخيالى قد يجعل الأطفال يصدقون أن هناك ساحرات طيبات. بيد أن الاستمرار فى ترديد مثل هذا المزاعم يرجح أن الخرافات التى سادت عام ١٦٩٢**

ومحاكمات العرافات بقرية سالم «Salem Witch trials» لم تختف من زماننا بالقدر الذى نريد تصديقه(*).

٦- وإحدى السمات العامة المشتركة أيضا فيما بين الأصوليين، هى افتقارهم - ولكن بأشكال متفاوتة - للمسئولية الاجتماعية، فهم لا يكترثون بإيجاد حلول مفيدة للمشكلات الاجتماعية، **وبدلاً من أن يشغلوا أنفسهم بالبحث عن تلك الحلول، فهم يركنون إلى سلطة قديمة تتمثل فى الكتاب المقدس، فيفتشون فى ثناياه عن مقاطع يستطيعون من خلالها تفسير المشكلات التى بين أيديهم. وكانت إحدى الممارسات الشائعة لاستشارة الرب - فى العصور الأقل حظًا من «العقلانية» - أن تفتح الكتاب المقدس بصورة عفوية، وأن توجد معنى أو تفسيراً للمشكلة فى أول مقطع يشير إليه أصبعك، أو يقع عليه بصرك، حيث يتولى الخيال والتأويل الرمزى المبدع إيجاد الإجابة، وكانت طريقة مشابهة قد استخدمت من قبل بواسطة الأقل تدينا، ولكنهم تلقوا تعليمًا عاديًا، وذلك بأن يفتحوا أعمال ڤيرجل Virgil(**) للاسترشاد فى تخطيط المستقبل أو فى تجاوز معضلة ما فى الحاضر.**

إن إيمان الأصوليين بالاختطاف، أى أنهم محميون من كوارث نهاية الزمان، هو ما يقود البعض منهم لأن يتشبثوا بعالمهم الانعزالى ويتجنبوا تحمل المسئولية الاجتماعية(١٠٧)، فالبعض يتقوقعون حول أنفسهم متخذين فى الغالب مظهر الاعتكاف والانعزال التعبدى كى يتجنبوا الانخراط فى «أمور هذه الدنيا»، وهم

(*) جرت هذه المحاكمات عام ١٦٩٢ فى قرية سالم بمستعمرة ماسوشتس التى كانت خاضعة فى ذلك الوقت لحكومة البيوريتانز. ودارت هذه المحاكمات حول اتهام بعض الفتيات الصغيرات - من بينهن - ابنة رجل الدين فى القرية - لبعض النساء بالتحالف مع الشيطان، وامتلاك تلك النساء لأرواحهن. وفى البداية وجهت حكومة القرية تهمة التحالف مع الشيطان إلى عدد قليل من نساء القرية وخيرتهن بين الاعتراف على شركائهن أو مواجهة الموت، مما أدى بالنساء إلى الاعتراف على أعدائهن بالقرية وبالقرى المحيطة بها للفرار من الموت. وقد أسفرت هذه المحاكمات عن إعدام ما لا يقل عن خمسة وعشرين امرأة، وسجن العشرات - المترجم.

(**) شاعر رومانى شهير، ألف الإلياذة، واعتبر مسيحيو العصور الوسطى بعض الأبيات الواردة بالإلياذة متضمنة التبشير بميلاد المسيح ونبوته، فاستخدموا أعماله وعلى رأسها الإلياذة لمساعدتهم على التنبؤ بالمستقبل - المترجم.

يتطلعون لمجيء عالم آخر، ويبقون أنفسهم، وأطفالهم، وأنشطتهم بمنأى عن الشئون الخاصة بالفعل السياسى والاجتماعى. والأرض - من وجهة نظرهم - ليست بدار قرار، وإنما كل الأنشطة الدنيوية مكرسة للرحيل عن عالم الجسد هذا لبلوغ دار القرار فى الجنة.

سبب آخر لتجنب الأصوليين حمل المسئولية الاجتماعية، إنهم - كما يشير سويفت «يعتقدون فى أن «الرب يساعد من يساعدون أنفسهم، وأن الأغنياء يقومون بذلك، بينما الفقراء لا يفعلون»[١٠٨].

ولتبرير رؤيتهم تلك، يستشهد أنصار حرفية الكتاب المقدس بنص الآية العاشرة فى الإصحاح الثالث من الرسالة الثانية لمؤمنى تسالونيكى، والتى تقول: «أوصيناكم بهذا المبدأ: إن كان أحد لا يريد أن يشتغل، فلا يأكل»، فالمحتاجون - من وجهة النظر السطحية التى يتبناها الأصوليون - كسالى بوجه عام ويستحقون ما يعانونه فى الحياة، ولذلك فهم يعتبرون أن تقديم العون للفقراء فيه تشجيع لميول الكسل لدى الفقراء، فضلاً عن أنه فيه مخالفة لأوامر الكتاب المقدس.

وهذه الرؤية لا يمكن التوفيق بينها وبين تعاليم أخرى فى الكتاب المقدس تحض على عمل الخير والتصدق لصالح الفقراء. ويمكن إضافة هذا الأمر إلى المتناقضات التى لا يلقى لها الأصوليون بالاً. ومنه أيضًا، أن عمل الخير جائز من الكنيسة فقط، وليس من الدولة. فنفس الأصولى الذى يساعد فى منح إعانات الكريسماس إلى الفقراء، قد يعارض تمامًا أى شكل من أشكال الدعم والمساعدة من قبل الدولة، والعلمنة من وجهة نظرهم شر مستطير، كونها تشير إلى إزالة «السيطرة الدينية عن الحياة الاجتماعية»، وإلى محو «السيطرة على القرار الفردى»[١٠٩]، ومن الأهمية بمكان التأكيد على حقيقة أن الجماعات الأصولية ترغب بشدة فى توجيه المنح الحكومية لأعمالهم الخيرية، لكنهم يعارضون فى نفس الوقت تخطى الحكومة لهم وتقديمها الدعم للفقراء بصورة مباشرة.

وعلى ذلك، بينما توجد من الجماعات الأصولية من يعرض عن هذا العالم، فإن آخرين منهم يريدون السيطرة على العالم ويشتهرون بالتحرك السياسى من

أجل إقامة مجتمع مسيحى، وتلك الجماعات بلغت من النشاط السياسى حداً يجعلها تشكل تهديداً للحريات الفردية وللديمقراطية ككل. وقد ازداد الأمر وضوحًا فى السنوات الأخيرة، حيث عمد الأصوليون إلى السيطرة على الحزب الجمهورى. ومن بين الأهداف والقضايا محط اهتمام الجماعات الأصولية النشيطة سياسيًا، التصدى لإقرار الحق فى الإجهاض ولحقوق المثليين، وللفنون الإباحية، وللتثقيف الجنسى، ولتدريس نظرية التطور [الداروين]، ولضبط مبيعات السلاح للأفراد، ولمساواة المرأة فى الحقوق، ولتنظيم الحكومة للأنشطة والممارسات البيئية والصناعية، وللفصل بين الدين والدولة، وللتعديل الأول First Amendment. وفى المقابل، فهم يؤيدون الصلاة فى المدارس العامة، وعقوبة الإعدام، واستخدام الحكومة، وإظهارها للشعارات الدينية، وتمويل الحكومة للجمعيات الخيرية الدينية، ودعم مصروفات المدارس الدينية، وتضمين قصة الخلق الواردة بالكتاب المقدس فى مقرر العلوم وتحليلها، والعرض العام للوصايا العشر.

وقد يعترض أو يؤيد كثير ممن لا ينتمون إلى الأصولية الدينية واحداً أو أكثر من الأمور المتضمنة فى هذه القائمة. وقد يوجد من الأصوليين من لا يعارض ولا يؤيد أمراً معينًا مما سبق ذكره. ولكن كقاعدة عامة، فإن الأصوليين هم أبرز المدافعين عن تلك القضايا، كما سبق وأوضحنا.

الحنين للأصولية: نبيذ جديد فى زجاجات قديمة

يشير چيفرى إس. ڤيكتور إلى أن الهوس الأصولى، الذى استمر على مدار العقد الماضى، يشبه ما كان يحدث فى فترات يعتصرها تغيير اجتماعى واسع[١١٠]، فأسباب الأصولية رغم تعقدها، غالبًا ما تضرب جذورها فى فشل وعد الحداثة؛ فالتسارع الشديد فى تغير وتيرة الحياة - خاصة فى هذا القرن - أوقع الناس تحت ضغط دائم لمواءمة عاداتهم ومعتقداتهم مع تلك التغيرات. وقد أوجدت كل تلك الحيرة تربة خصبة للأصولية كى تنمو وتترعرع[١١١].

إن التعطش للرؤية السطحية التى تقدمها الأصولية للعالم، ما هو إلا دليل على الإرهاق الذى أصاب البشر من جراء اللهث وراء الحداثة، ومن جراء مظاهر «اللا إنسانية» التى يرجعها البعض إليها. فكثير مما هو جديد أو تقدمى أو مضاد للتقاليد، يثير شك الأصوليين ومخاوفهم. لكن بغض النظر عن مخاوفهم ورغبتهم فى استرجاع الأيام الخوالى، فإن الأصوليين ما زالوا يميلون إلى استخدام التكنولوچيا. ومن المفارقات الظريفة، أن الأصوليين وظفوا الاختراع الحديث للتليفزيون على مدار العقود القليلة الماضية، حيث استعملوه فى نشر رؤاهم حول شرور الحداثة وخطأ المنهج العلمى.

ففى عقد الستينيات، ظهرت موجة من الإيڤانجليكية التليفزيونية «Televangelism» بعد أن قضت إحدى المحاكم الفيدرالية بالسماح لمحطات التليفزيون ببث برامج دينية، من خلال برامج تخدم عامة الشعب، وقد ربط إيڤانجليكيو التليفزيون أنفسهم بالأصولية، بترويجهم لفكرة حرفية الكتاب المقدس وبتأكيدهم على «الوجود الفعلى للشيطان، وللنار، وللمجىء الثانى للمسيح»(١١٢) ولأن كثيراً من مشاهديهم لم يستريحوا للقساوسة الإيڤانجليكيين الذين حاولوا استيعاب مجتمع يجنح للتحرر بدرجة ما، فقد اتخذ الأصوليون عبر التليفزيون منهجًا جديداً، فقد آمنوا أن من واجبهم الحفاظ على الأخلاق العامة(١١٣). وما زال الأصوليون يقومون بذلك مع أحدث التقنيات التى غالبًا ما يكون استخدامهم لها على درجة عالية من المهارة، مثلما هو الحال فى توظيفهم للكمپيوتر والإنترنت لتطوير رسائلهم التى تندد بالمجتمع الحديث.

ينبع دافع آخر لنمو الأصولية من الأزمات الحياتية أو من الصراعات مع ظروف العيش بصفة عامة. الپروفسور إيلمر تاونز، نائب رئيس جامعة ليبرتى فى لينشبرج بولاية ڤيرجينيا، والمعروف أيضًا بانتمائه المسيحى الأصولى، يتفق مع الرأى القائل بأن الأصولية تروق للناس الذين يمرون بأزمة حياتية(١١٤). وحتى فى أسوأ الأحوال - حسبما يشير ستروزير - تعطى الأصولية المسيحية أملاً لمن هم أقل حظًا فى المجتمع(١١٥)، فالأصولية تقدم اليقين فى حياة طيبة بعد الموت. وقد كان هذا اليقين بوجه خاص مغريًا - فى وقت ما - للأمريكيين الذين

مرت بهم فترة من «ضيق المعاش المدقع» حسبما أوضح نورمان ف. فيورنس فى مؤلف بعنوان «الخلاف الأصولى بين عامى ١٩١٨م - ١٩٣١م»[١١٦]. ففى الغالب تنجذب فئات الفقراء، والمعاقين، وغير المتعلمين، والمضطهدين إلى الأصولية، ليس فقط لأن الأصولية تعدهم بحياة بعد الموت، بل لأن باختيارهم الأصولية يصبحون هم الأخيار المصطفين من قبل الرب، وهو ما يمنح شعوراً بالأهمية والأمل لأولئك الذين يكافحون ضد مستقبل يخلو من الوعود. ويمكننا رؤية ذلك فى السنوات الأولى من عمل الإيفانجليكية التليفزيونية، حيث حظى الجنوبيون، والأقل حظًا فى التعليم، وكبار السن بجل اهتمام الإيفانجليكيين[١١٧].

لكن لا يعنى هذا أن كل الأصوليين ينتمون إلى الطبقات الدنيا من المجتمع، فهناك أعداد متزايدة من الأصوليين ينتمون إلى فئة أصحاب الأعمال الأثرياء، وفئة ملاك الشركات ذوى النفوذ، ومن النخبة. وما يجذب هؤلاء نحو الأصولية هو حاجتهم النفسية لـ «شعور بالهوية، ولإحساس بالاستقرار، ولشعور بالانتماء إلى جماعة متوافقة الهدف...»[١١٨]، فالأصولية توفر جواً من الزمالة وتضع نهاية لوحدة ثرى أمريكى يمتلك كل أشكال الرفاهية فى مجتمعنا المعاصر، لكنه لم يحقق بعد سعادة حقيقية[١١٩].

وذاك كان حال الرئيس چورچ دبليو بوش، الذى لم يجد معنى للحياة إلا بعد أن أصبح «مولودًا ثانيا، أو مولودًا من جديد - born-again»، وهو تعبير محبب لدى الأصولى. نشط بوش فى جمع زملائه الأصوليين من حوله ليساعدوه فى حكم البلاد. فجاء چون أشكروفت المدعى العام الأمريكى، الذى عينه بوش فى ذلك المنصب على نفقة دافعى الضرائب، وقرر تغطية الصدر العارى فى تمثال العدالة بواشنطن. وقد ذكرت بعض التقارير أن أشكروفت، الذى ندفع «نحن الشعب» راتبه، يستخدم مكتبه فى إقامة الصلاة وعقد حلقات لتدارس الكتاب المقدس. وأيضًا هناك تشاك كولسون، أحد المتآمرين السابقين فى فضيحة ووترجيت فى إدارة نيكسون، الذى أصبح فى السجن مسيحيًا «مولودًا من جديد» ويبدو أنه، قبل ذلك الميلاد من جديد، لم يكن يعرف أن الكذب والغش

والسرقة خطأ. وقد أعطاه العضو الحالى فى مجلس النواب توم ديلاى ثقته بأن حفزه على أن يخرج من الكنيسة إلى الشوارع للدفاع عن رؤية الرب للعالم»[١٢٠].

إن فهم طبيعة «الطوائف الدينية» و«الفرق والجماعات الأصولية» يمدنا برؤية حول الأسباب التى تدفع الناس للانخراط فيها، خاصة فى الفرق الأصولية. فالطوائف بوجه عام تتقبل المعتقدات الدينية الأخرى، ويتوافقون مع المجتمع. أما الفرق، فتنشق عن المجتمع ويزعم أعضاؤها أنهم فقط المؤمنون حقّا، أو المسيحيون حقّا - فى حالتنا هذه[١٢١]، ولأن الطوائف تقبل التنوع فإنهم بصفة عامة لا يبحثون عن أعضاء جدد. أما الفرق فتمقت التنوع، وبالتالى تعتبر أن تجنيد الأعضاء ضرورى لتحويل المجتمع واكتساب طاعته. لذلك، تستخدم الفرق تشكيلة متنوعة من الخطط لتجنيد أعضاء جدد، وبتركيز البعض منهم على الحاجات الاجتماعية القوية للإنسان يقدمون خدمات اجتماعية ودودة كعامل جذب[١٢٢].

وتبدو القيادة الكاريزمية من عوامل الجذب أيضًا، فبعض الفرق يمكن وصفها بدقة بأنها تتجمع حول شخصية محط إعجاب؛ الأمر الذى يفضى فى بعض الأحيان إلى نتائج كارثية مريعة، مثل حادثتى الانتحار الجماعى التى وقعت إحداهما فى چونزتاون، والثانية بين أعضاء جماعة «برانش ديڤيديانز أوف واكو - Branch Davidians of Waco» بولاية تكساس، حيث أطاع الأتباع فى كل فرقة جنون قائديهما، چيم چونز وديڤيد كورش على الترتيب.

أحد التكتيكات الأخرى، التى غالبًا ما يتبعها القادة الأصوليون لتجنيد أعضاء جدد، هو الخطب المؤثرة، مثلما فعل چوناثان إدواردز ذات مرة وأخاف مستمعيه بمقولاته المؤثرة عن العذاب، فهذا الخطاب يغرى الناس، خاصة المتشككين والخائفين والمترددين بشأن تعقيدات الحياة، فيتركون طوائف أكثر رسوخًا، ثم يلتمسون الحماية من عذاب النار الأبدى لدى واعظ ذى شخصية كاريزمية.

يمكن أن تكون حاجة المرء إلى إجابات بسيطة ومباشرة هى الأخرى أحد

الأسباب الجذرية فى الانجذاب للأصولية، حيث يوضح سكوت آپلباى أن الأصوليين «يحتاجون إلى بعض الحقائق البسيطة فى حياتهم الشخصية»(١٢٣)، فالأصوليون يجدون صعوبة فى التعامل مع الأمور المعقدة والغامضة، وتمنحهم القراءة الحرفية للكتاب المقدس نوعية الأجوبة البسيطة والمباشرة التى يبحثون عنها. وفى كتابه «الأصولية ودوافعها» يوضح آپلباى أن الناس يشعرون أنهم «لا حول لهم ولا قوة» عندما لا تكون لديهم أجوبة بسيطة لمسائل الحياة(١٢٤)، لكن للأسف الشديد ـ وكما تصرح اللجنة الأسقفية للكتاب المقدس فى «تفسير الكتاب المقدس بالكنيسة» ـ فإن:

المنهج الأصولى خطر، حيث إنه يتمتع بجاذبية لدى الناس الذين يتطلعون إلى الكتاب المقدس بحثًا عن حلول جاهزة لمشكلات الحياة. ويمكن لهذا المنهج خداع هؤلاء الناس، بأن يمدهم بتفسيرات واهمة لها مظهر التدين، بدلاً من إخبارهم بأن الكتاب المقدس لا يحتوى بالضرورة على إجابة مباشرة لكل مشكلة(١٢٥).

هناك بالطبع كثير من الأسباب الأخرى التى تؤدى بالناس إلى الانجذاب إلى الأصولية، فكما يزعم فلو كونواى وچيم سيجلمان مؤلفا كتاب «الإرهاب المقدس: حرب الأصوليين على الحريات الأمريكية فى الدين والسياسة وحياتنا الخاصة»، «فإن الحماس الشديد للأصولية يمكن رده بدرجة قليلة لأسباب دينية، وبدرجة كبيرة إلى الرغبة فى القوة والحكم، ويؤكدان أننا جميعا نشكل هدفًا له»(١٢٦).

والتحليل الأخير هو الأرجح لكثير من الأصوليين، حيث إن الدراسات الأكثر تمحيصًا ترجح أن التسلطية اليمينية قد تتخذ لنفسها مظهر الأصولية الدينية، والأصولية ـ فى المقابل ـ تشجع وتعزز الشخصية التسلطية اليمينية(١٢٧).

بل أكثر من ذلك ـ وحسب زعم بعض الباحثين ـ فإن الحركات الأصولية تؤيد فكرة المجتمعات الأبوية، و«يسعون لاستعادة وإنقاذ المكانة التقليدية [الخاصة بهم] للسيادة»(١٢٨)، **وفى ضوء الوضع الحالى، فإن مسألة سيطرة وتحكم اليمين**

الدينى بالحكومة الأمريكية أصبحت أمراً يتعدى دائرة الاهتمام الأكاديمى، فثمة مسئولون فى أعلى المستويات الحكومية بالولايات المتحدة يسعون بالفعل إلى نشر الأصولية. وإذا ما تسنى للتسلطيين الدينيين القدر الكافى من السلطة، فإن الأمر قد يصبح مسألة حياة أو موت بالنسبة للديمقراطية.

فى ظلال الأطهار (البيوريتانز)

وبغض النظر عما تم استعراضه من عموميات، فإن محاولة تعريف «الأصولية المسيحية» فى الحقيقة أشبه ما يكون بمحاولة الإمساك بالدخان، فالأصولية المسيحية لديها من الخصائص العامة ما يجعلها تتسع لتضم عدداً من الجماعات المحافظة الثانوية، وأغلب الأصوليين المسيحيين ليسوا بأعضاء فى الجماعات الأكثر خطراً من ذوى «الميول المحافظة المغالية ـ ultra-conservative»، التى تمارس وتشجع على العنف غير القانونى بطريقة ضالة ومرضية.

وليس من الإنصاف وضع كل الأصوليين المسيحيين مع هؤلاء المجرمين فى سلة واحدة، تماماً مثلما لا يصح الزعم بأن كل من يدينون بالإسلام يتبنون رؤية جماعة طالبان المجرمة. فكل الجماعات الفرعية التى نعرض لها فى الفصول القادمة ـ وغيرها كثير ـ يمكن اعتبارها جماعات أصولية. لكن ليس من الممكن اعتبار كل الأصوليين جزءاً من كل تلك الجماعات الفرعية. أكثر من ذلك، فإنه يمكن لأفراد بعينهم الانتماء ـ وبعضهم ينتمى بالفعل ـ لأكثر من جماعة من تلك الجماعات فى نفس الوقت.

يشترك الأصوليون بالفعل وبوجه عام فى خصيصة التطلع إلى الأيام الخوالى والأساليب القديمة كنموذج لحياة أفضل، كما يشتركون فى الاعتقاد بعصمة الكتاب المقدس، وفى وجهة النظر القائلة بأن الرب يرزقهم العلم الصحيح. لكن ثمة قليل من الشبه بين مجموعات «أميش ـ Amish» وجماعة «جيش الرب ـ Army of God» تلك الجماعة المتزمتة التى تخصصت فى تفجير عيادات الإجهاض وقتل مقدمى تلك الخدمة. فالأعضاء فى مجموعات أميش يتسمون بحسن

المعاشرة والجيرة. أما أعضاء جيش الرب، فينتهى بهم المآل فى السجن أو المستشفيات نتيجة لجنونهم ذى الطابع الإجرامى. وكثير من الأصوليين المسيحيين هم من المسالمين الذين قد ينتفضون رعبًا لدى تعرفهم على الطبيعة الحقيقية لبعض من زملائهم فى تيارات الهجرة إلى الدين. لكن إذا ما أهملنا النظر إلى تلك الاختلافات، فإن تلك الجماعة الواسعة - ولأغراض البحث - سوف يشار إليها بمصطلح «الأصوليين» على اعتبار أنها تشكل مصدراً لعدد من الأخطار على المجتمع الأمريكى.

وقد استخدم وصف «الأصولى - Fundamentalist » لأول مرة للإشارة بوجه خاص إلى الحركة التى نشأت من جراء نشر مجموعة «الأصول - The Fundamentals» فى بواكير القرن العشرين. لكن المصطلح، فى الأعوام الأخيرة، أصبح يطلق بشكل واسع على كثير من الطوائف والفرق المسيحية. وبغض النظر عن تبنيهم لهذا اللقب من عدمه، فإن كثيراً من هذه الطوائف والفرق لديها من الخصائص ما يشبه بشدة - أو يتطابق فى بعض الحالات - خصائص أولئك الذين يتبنون العقيدة الأصولية. مصطلح «أصولى - fundamentalist » يستخدم فى هذا الكتاب كمصطلح وصفى عام لأى مسيحى له معظم - إن لم يكن كل - السمات التالية:

* الاعتقاد فى عصمة الكتاب المقدس أو التفسير الحرفى للكتاب المقدس.

* الانعزال عن غير المؤمنين، أو التحرك السياسى - على وجه التحديد - من أجل فرض الدين المسيحى، أو مثالياته على المجتمع.

* إرجاع معظم أو كل ما فى الحياة إلى قدر إلهى.

* التأكيد على نهاية الزمان والمجىء الثانى للمسيح.

* التبشير الإيڤانجليكى.

* الطبيعة التسلطية، والاعتقاد بأن هناك حقائق مطلقة لكل القضايا بغض النظر عن الظروف التاريخية والاجتماعية المحيطة.

من الناحية السياسية، قد يُشار إلى الأصوليين باسم «اليمين الجديد»، أو باسمى «اليمين المسيحى» و«اليمين الدينى»، وهى الأوصاف التى أصبح من المألوف إطلاقها على الأصوليين فى السنوات الأخيرة. وتلك الفئة لا تضم فقط الذين «ولدوا ثانيا أو من جديد» وإنما تتسع لتضم الكاثوليك الذين يلتفون حول الرؤى التقليدية الدينية.

يوفر العرض السابق لتطور الأصولية وخصائصها وأسبابها قدراً ضرورياً من الوعى كى نتفهم الأصولية ونلم بالمخاطر التى تمثلها. فالأصوليون ـ ربما يخشون الموت أكثر من الآخرين، ولا يشعرون بالطمأنينة إزاء التخلى عن الأساليب القديمة. وبالرغم من يقينهم بقدرتهم على التمييز بين الصواب والخطأ فى هذا العالم، فإن الأصوليين غاية فى التشاؤم لأنهم يعيشون فى عالم لا يملكون السيطرة عليه[١٢٩]، ويوقعهم ذلك فى مشاكل باعتبار أنهم يؤمنون بأن الكتاب المقدس يقدم حلولاً لا تقبل الشك لكل المسائل الأخلاقية، كما يغايرون بين البراءة والطهر داخل الكنيسة والأذى الواقع خارجها[١٣٠]، وبالتالى فهم يرفضون «نسبية الأخلاق باختلاف المواقف ـ Situational Morality» ويعتقدون فى وجود أخلاق مطلقة لا تتغير بتغير الأحوال وتصلح لكافة الناس فى كل العصور.

ولهذا السبب، فإن الأصوليين يرغبون فى نشر الوصايا العشر فى الأماكن العامة، لكن الكثيرين منهم قد لا يعلمون مضمون ودلالة تلك الوصايا، أو كيفية مواءمتها فى مجتمع اليوم. فما يعرفه الأصوليون هو أن الوصايا مقدسة فحسب، وبالتالى لا يعتبرونها نبراسًا قد يرشد السلوك، وإنما يرونها كتعويذة سحرية لطرد الشرور، ومثل هذا التفكير ينطوى على احتمالات مستقبلية خطيرة.

وبغض النظر عن أضرار التحديث على المجتمع، فإن وتيرة التحديث تتسارع، وبالتالى فإنه من المرجح أيضًا أن يستمر نمو الأصولية. وكما يوضح ستروزير إذا كانت الأصولية تضغط باتجاه تلك القضايا، فإنه من المرجح أن تقاوم أى محاولة لترويضها، بل ومن الممكن أن تنتشر بسرعة وقت الأزمات[١٣١]،

مثلما سبق ورأينا فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، فمنذ ذلك اليوم ثمة إحياء للمطالب الخاصة بإقامة الصلاة بانتظام فى المدارس العامة، وبوضع ملصقات بالوصايا العشر فى الأماكن العامة، وثمة نمو فى التوجه الدينى لدى مسئولين حكوميين.

ربما كان البيوريتانز المتزمتون من نصيب أمريكا تاريخيًا، لكن رؤيتهم لما ستكون عليه البلاد لم يتم تضمينها فى الدستور الأمريكى. وأمريكا الآن موطن لخلفائهم الروحانيين، **ولا بد للعلمانيين أن يستمروا وبلا تقاعس - كما درج أسلافهم - فى تذكير هؤلاء بالطبيعة العلمانية الكاملة للدستور الأمريكى، وبالتالى للحكومة الأمريكية. وما عدا ذلك، إنما يُعد تدنيسًا لقبور شهدائنا.**

* * *

الفصل الثالث

الأطفال ملك الرب

بقلم: بوبى كيركهارت

ترجمة: تامر عبد الوهاب

لسنا نهدف إلى تطوير المدارس إلى الأفضل. . بل نهدف إلى تعطيلها بحيث لا تزيد أعدادها. . هدفنا بوصفنا مسيحيين نتقى الرب ولا نساوم فى إيماننا. . هو أن نغلق المدارس العامة. . خطوة خطوة، ومدرسة تلو مدرسة، فى حى تلو الآخر[١٣٢].

روبرت ثوبرن فى كتاب «مصيدة الأطفال»

«العصا والتأنيب يثمران حكمة..»[١٣٣] (سفر الأمثال -٢٩ : ١٥)

كان «لارى سلاك» يعمل ميكانيكيًا بهيئة ترانزيت شيكاجو، وكانت زوجته «كونستانس» تعمل ممرضة فى إحدى مستشفيات الأطفال. وكان أبرز ما يلاحظ على الزوجين هو تدينهما الشديد، لذلك أسسا أسرتهما على التقاليد الصارمة لجماعة «شهود يهوه ـ Jehovah's Witness»، وسعى الزوجان إلى حماية أطفالهما الستة من أى تأثير خارجى، فاقتصرا على تعليم أطفالهما بالمنزل، ولم يسمحا لهم باللعب مع أطفال الجيران بالحى الجنوبى من شيكاجو. وكان الجيران لايشاهدون أسرة سلاك إلا فى صبيحة يوم الأحد، حين تتجه إلى الكنيسة. فقد كان زواج سلاك من كونستانس، ومنزل الزوجية، وأطفالهما، مكرسين لخدمة الرب.

وفى يوم السبت الموافق العاشر من نوفمبر عام ٢٠٠١م، وبينما تستعد الأسرة لتناول العشاء وقضاء أمسية ترفيهية استثنائية بالخارج، لم تجد كونستانس سترتها التى كانت قد تركت بها محفظة النقود والكروت الائتمانية، فأمرت هى وزوجها لارى الأطفال بالبحث عن السترة، لكن يبدو أن الأطفال لم يجتهدوا بما فيه الكفاية، مما أغضب والديهم. فما كان من لارى إلا أن تناول سلكًا كهربائيًا سمكه ٣/٤ بوصة، وعاقب أصغر أبنائه ليستر البالغ من العمر ثمانية أعوام، ببضع ضربات على المؤخرة والفخذين.

لكن بدا أن ذلك لا يجدى نفعًا، فقد استفز الزوجين مشكلة تبعثر الملابس المتسخة فى كافة أرجاء المنزل، وأن الصغيرة ليرى البالغة من العمر اثنى عشر عامًا، لم تؤد الواجب المنوط بها، والخاص بتولى أمر الملابس المتسخة. لذلك، تحول لارى إلى ليرى، مستخدمًا سلك الكهرباء نفسه، وأوقع بها أربع أو خمس ضربات قبل أن تحاول الإفلات من شدة الألم. عندئذ أمر لارى اثنين من أبنائه الذكور تقييد الفتاة فى هيكل سرير معدنى، بحيث يكوّن وجهها لأسفل، ثم قام بجلدها تسعًا وثلاثين جلدة على ظهرها. كان لارى حريصًا على عد الضربات، الأمر الذى فسره فيما بعد بالقول إنه أراد اتباع الكتاب المقدس الذى يوصى بأربعين جلدة إلا واحدة، بعد ذلك سلم لارى السلك إلى زوجته كونستانس التى أضافت عشرين جلدة أخرى.

كانت ليرى قد بدأت فى الصراخ، فأمر لارى الصبيان أن يحضروا إليه منشفة، حيث كمم بها فم الفتاة، ثم أحضر رابطة عنق ولف بها رأس ليرى، حتى لاتنزلق المنشفة، وأحكم ذلك بعصا عقدها فى رابطة العنق. بعد ذلك خلع عنها قميصها، وبينما طلب من بنيه نزع البنطلون الذى كانت ترتديه، كان هو يستعد لجلدها تسعًا وثلاثين جلدة إضافية. ثم أتبعته كونستانس بعشرين أخرى. لكن الأمور لم تكن على ما يرام، فقد كان ظهر ليرى ينزف. لذلك، قرر طرحها على ظهرها، ثم أذاقها تسعًا وثلاثين جلدة، كانت هى الأخيرة، فقد ماتت ليرى بعد أقل من ساعة من وصولها إلى المستشفى.

لقد وُجد أن العامل الدينى يمكن الاعتماد عليه أكثر من عوامل أخرى، مثل العمر والجنس والطبقة الاجتماعية وحجم المسكن، فى التنبؤ باحتمالات السلوك العنيف ضد الأطفال، كما جاء فى التقرير الذى أعده إتش إيرلانجر، نشر عام ١٩٧٤م فى مجلة American Sociological Review[١٣٤]، كما وُجد أيضًا أن الاتجاهات الدينية المحافظة هى الأكثر عنفًا. ومع الأسف فإن الأصوليين على صواب فى قولهم إن الكتاب المقدس يقر العقاب البدنى، لكن المعتدلين من المسيحيين واليهود يقرون بأن قواعد تربية الأطفال ـ التى تعود إلى خمسة آلاف عام ـ لا تناسب اليوم. فالعهد القديم يمجد كل أشكال العنف، ويحض على

عبادة رب لا يتوانى عن قتل طفل يهزأ بنبى(١٣٥)(*)، وهو مؤلف جماعى يضم كلاً من الحكمة والشعر، لكنه ليس بالنص الذى تستطيع البشرية فى وقتنا الحاضر تقبل ما به حرفيًا.

من يتلقون الكتاب المقدس بشكل حرفى، يرون فى الطفل وحشًا يجب ترويضه، وليس شخصًا يجب تعليمه. فالمتدينون المحافظون يتحدثون عن الطفل باعتباره «مشكلة»، ويعتبرون أن الطفل يحتاج إلى تعلم الطاعة، ويجب ألا يعلو مُدخل الثقة على مُدخل الخوف فى منظومة الطاعة، فالآية الخامسة عشرة من الإصحاح الثانى والعشرين فى كتاب الأمثال تتأسس على مفهوم الخطيئة الأولى، أى الاعتقاد بأن كل الأطفال يحملون عند ميلادهم خطيئة آدم، حيث تعلن الآية «الحماقة متأصلة فى قلب الولد، وعصا التأديب تطردها منه»(١٣٦).

من ناحية أخرى، تمثل سلطة الذكور إحدى الركائز العقائدية فى الكتاب المقدس، وإساءة معاملة الأطفال وثيق الصلة بتلك القناعة الأصولية. وليس أدل على ذلك من تقرير «الطفل المسحوق ـ The Battered Child» الذى يستشهد بمقولة اثنين من أشهر الأطباء الناشطين فى مجال حماية الأطفال هما راى إى. هيلفر وسى. هنرى كيمپ: «يفوق معدل سوء معاملة الأطفال بين الآباء الذين يعتقدون فى هيمنة الذكر نظيره بين الآباء الذين لا يقتنعون بتلك الهيمنة بنسبة ١٣٦٪»(١٣٧).

ليس هذا فقط، بل إن عالم النفس الاجتماعى هنرى دانسو، فى كتابه «دور الأصولية الدينية والتسلطية اليمينية لدى الآباء فى صياغة أهداف وممارسات تربية الأطفال»، يشير إلى أن ثمة بحوثًا أخرى تتفق والنتيجة السابقة(١٣٨). **فهذه الدراسات تتفق حول وجود علاقة بين تبنى الاتجاهات الدينية المحافظة واعتماد العقاب البدنى فى تربية الأطفال**(١٣٩). وبالرغم من أن استخدام العقاب البدنى

(*) . . . وفيما هو سائر (أليشع) فى طريقه خرج بعض الفتيان الصغار من المدينة وشرعوا يسخرون منه قائلين: اصعد (فى العاصفة) يا أقرع» فالتفت وراءه وتفرس فيهم ثم دعا عليهم باسم الرب. فخرجت دُبتان من الغابة والتهمتا منهم اثنين وأربعين فتى. . . » ـ سفر الملوك الثانى، الإصحاح ٢: ٢٤.

قد يكون راجعًا إلى اتباعهم لنصوص معينة فى الكتاب المقدس، فإن تلك الدراسات تشير إلى إمكانية عزوه أيضًا إلى نصيب الشخصية من التسلطية، التى تعد إحدى السمات العامة للشخصية بين الأصوليين فى كل الأديان.

لكن ليست المنازل الأصولية هى المحل الوحيد لاستخدام العقاب البدنى القاسى، بل يتم العمل بالعقاب الجسمانى فى المؤسسات التربوية الدينية أيضًا، **فالقوانين المعمول بها فى الولايات، والتى عادة ما تحظر على المدرسين والإدارة فى المدارس العامة ضرب الطلبة، لا تسرى فى الغالب على المدارس الدينية، والصورة أكثر قتامة فى حالة مؤسسات الرعاية.** فوفقًا لجريدة النيويورك تايمز، هناك ما يقرب من خمس عشرة ولاية تمنح استثناءات على أسس دينية لدور الحضانة، والمدارس الداخلية. ورغم أن وضع بعض الاستثناءات يفتقر إلى ضوابط من الناحية العملية، فإن «الاستثناءات غالبًا ما تصاغ فى الظل. فالجماعات الدينية توافق على اتباع متطلبات الأمان والصحة الأساسية، فى مقابل أن يسمح لهم بالتدريس والتأديب وتعيين العاملين وفق المعايير التى يشاءون»(١٤٠).

ويقول إيروين هيمان من المركز الوطنى لدراسة العقاب البدنى وبدائله بجامعة تيمبل، إنه رغم عدم توافر بيانات دقيقة عن اتجاهات استخدام العنف فى المدارس، فإن ملاحظاته تفيد بأن ثمة انخفاضًا فى ممارسة الضرب على المؤخرة فى المؤسسات التعليمية، حتى بين المدارس الكاثوليكية، التى اشتهرت فى الماضى بالاعتماد على العقاب البدنى، لكنه يشير أيضًا إلى أنه فى ازدياد بين الأكاديميات المسيحية ذات الميول الأصولية(١٤١).

ففى الغالب لا تبدى المدارس المسيحية الأصولية ـ مثلها مثل البيوت التى يأتى منها تلاميذها ـ أى لين فى عزمها الالتزام بالعقاب المستمد من الكتاب المقدس، ويعطينا طبيب الأطفال الدكتور إيلى نيوبيرجر مثلاً من اعتراف أحد المتهمين فى قضية بجنوب كارولينا، حيث ضُرب طفلٌ يبلغ من العمر تسعة شهور حتى ازرقت مؤخرته لمجرد أنه كان يبكى. حدث ذلك لطفل أثناء أسبوعه الأول بدار

حضانة تابعة للكنيسة، رغم أنه من الطبيعى لطفل أن يبكى فى هذه الفترة. وقد عرضت الولاية استمرار دار الحضانة فى العمل بشرط التوقف عن استخدام العقاب البدنى، لكن القس رفض مستنداً على أسس من الكتاب المقدس[١٤٢].

وفى أريزونا، صرح أولياء الأمور لمدرسة دينية باستخدام السياط ضد أطفالهم، وذكرت صبية أنها تعرضت للجلد والضرب على يد مدير المدرسة فى حضرة والديها، وكان ثلاثتهم يتلون الصلوات. ولما ألقى القبض على مدير المدرسة، اتضح من التحقيقات أنه قد اتهم فى السابق بسوء معاملة الأطفال، لكن كثيراً من الآباء ظلوا يدعمونه[١٤٣].

وفى ريف ميسورى، استخدمت أكاديمية هارتلاند المسيحية ما وصفته نيويورك تايمز بأنه «دين العصور القديمة، وأسلوب قديم فى التأديب لكى تنقذ حياة وأرواح تلاميذها»، وكشفت الصحيفة أن **«المدرسين لا يستخدمون العصا هنا - بل الألواح الخشبية أو المجاديف (paddle) - ويتوقعون من الأطفال الصلاة»**[١٤٤].

لكن يبدو أن كل تلك «الآلات» لم تُجد نفعًا فى ردع مخالفات، مثل عدم الانتباه والحديث أثناء الدرس، **لذلك تم اصطحاب أحد عشر مراهقًا إلى مزرعة ألبان فى الجوار، وأجبروا على الوقوف فى حفر مليئة بروث البهائم[١٤٥]، وقد حوكم خمسة من المدرسين - على خلفية ذلك الإجراء - فى يونيو ٢٠٠١م، ووجهت لهم تهمة إساءة معاملة الأطفال.**

ولاحقًا اتهم أربعة بضرب أحد الأطفال بلوحة الحائط، وفى أكتوبر من العام نفسه فصل مائة وخمسة عشر طفلاً من المدرسة بعد الإبلاغ عن إصابة أحد الأطفال فى طبلة الأذن أثناء عقابه على هروبه من المدرسة. وفيما تنوعت الروايات حول الحادث، فقد رفض الموظف المسئول عن الواقعة التحدث إلى الشرطة، ولم تكن المدرسة مستعدة للإقدام على فصله، وكتب مؤسس ومدير هارتلاند مخاطبًا أبوى الطفل أن «مسئولى الأحداث المحليين شنّوا حملة تخريبية لزعزعة الاستقرار الذى توفره البيئة المزدهرة للمدرسة»[١٤٦].

وحيث إنه لا يوجد قانون أمريكي يبرز مسلك الآباء في الضرب على المؤخرة باعتباره انتهاكًا في حد ذاته، ولأن الخصوصية المكفولة للمنازل تحمى الآباء المسيئين من أى تدخل خارجي، فإنه ليس في الإمكان معرفة مدى اتساع دائرة استخدام الضرب فى المنازل. وبينما قد تتم مقاضاة الانتهاكات السافرة، التى لا تسفر بالضرورة عن موت الأطفال، فإن الموضوع نادراً ما يصبح موضع نقاش عام.

وتُعد إحدى الحالات الاستثنائية؛ لأنها شملت عدداً كبيراً من العائلات، حالة بيت الصلاة فى أتلانتا، چورچيا، حيث ضمت كثيراً من الأسر. وتعود بدايات الموضوع إلى صدور حكم قضائى بإجلاء تسعة وأربعين طفلاً عن ذلك البيت، لكن رجع معظمهم بعد موافقة الآباء ـ مضطرين ـ على أوامر القاضية. تضمنت تلك الأوامر تعهد الآباء بعدم السماح للقس بضرب أطفالهم أو أخذ بناتهن القاصرات للزواج خارج الولاية، حيث اعتادت الكنيسة ممارسة هذين الإجراءين. ولم يوافق ديڤيد ويلسون على تعليمات القاضية بزيارة أطفاله فى بيوت الرعاية التى تم توفيرها للأطفال، كما توجب عليه تلقى دروس فى التربية، وخاطب القاضية قائلاً «سوف نقبل الزيارة لكن بشرط أن يحضروهم إلى منزلنا» وأضاف بأنه وزوجته ليسا بحاجة لأخذ دروس فى التربية؛ لأن الكتاب المقدس علمهما بالفعل كيفية تأديب الأطفال[١٤٧].

وعلى الرغم من أن بعض الأصوليين يؤيدون استخدام بعض طرق العقاب البدنى، التى تدخل صراحة ضمن مفهوم سوء معاملة الأطفال مهما اختلف تعريفه، فإن أشهر الأصوليين يؤكدون أن ثمة ضوابط لاستخدام الضرب ضد الأطفال. ويعرض مارڤن منيون، من «منتدى بحوث الأسرة ـ Family Research Forum»، بمدينة ماديسون بولاية ويسكنسون، والمعروف باتجاهاته الدينية المحافظة، يعرض الطريقة «المثلى» للضرب على المؤخرة. يقول منيون: **«تضربونهم هنا بالضبط فى الجزء العلوى من الإلية، التى خلقها الرب لهذا الغرض»**، وليس غريبًا أن واحداً ـ إن لم يكن أكثر ـ من المواقع الإلكترونية التى تروج للسادية والماسوشية الجنسية Sado-masochism قد تلقف مقولته تلك[١٤٨]،

لكن آيات الكتاب المقدس التى رجع إليها منيون فى محاضرته ـ التى استغرقت ساعتين ونصف الساعة ـ لم تظهر فى التقارير الإخبارية[149].

وچيمس دوبسون، من منظمة «التركيز على العائلة ـ Focus on famliy» كان أكثر حذرًا واعتدالاً حين قال:

يمكن للضرب على المؤخرة أن يكون وسيلة فعالة إذا ما استخدم بالطريقة المناسبة. فمن الضرورى أن يوازن دائمًا بين إبداء الصرامة وإظهار الإحساس بالحب. والضرب على المؤخرة ـ فى الواقع ـ ليس مناسبًا لكل طفل أو مع كل الأعمار، بل وغير ضرورى فى كثير من المواقف. فعلى سبيل المثال، قد يستوجب العصيان المتعمد أو تجاهل الأوامر اللجوء إلى العقاب البدنى، فى حين لا تستوجب التصرفات الصبيانية غير المسئولة ذلك. فعندما يتم استخدام الضرب على المؤخرة بالصورة المناسبة، فلن يكون هناك داع للخوف من أن يسفر ذلك عن إيذاء لمشاعر الأطفال أو ترك أثر نفسى لديهم[150].

لكن حديث دوبسون يغفل حقيقة مهمة، لا بد من أنه يعيها تمامًا، وهى أن ضرب المؤخرة الذى يؤيده نادرًا ما يكون مؤثرًا على المدى الطويل، وهو ما يؤدى فى بعض الحالات إلى تبنى إجراءات أقسى تتطور إلى درجة الاعتداء على الأطفال.

ورغم أنه من الواضح أن الأصوليين ليسوا الفئة الوحيدة بين الأمريكيين الذين يستخدمون الضرب على المؤخرة ضد أطفالهم، إلا أنهم دون غيرهم لايسمح لهم بإعادة النظر فى هذه الوسيلة حينما يثبت عدم فاعليتها. فالأصوليون هم الفئة الوحيدة بالفعل التى لديها الاعتقاد الواضح بأن رفاهة الطفل شىء ثانوى إذا ما قورن بقاعدة التأديب على هدى من الكتاب المقدس. ويبدو أن الجزء الأعظم من المجتمع والحكومة الأمريكية قد تخلوا عن أبناء هؤلاء المتعصبين، حيث وضعوا ثقتهم فى مشاعر الرحمة الشحيحة لدى آباء غالبًا ما يسيئون استغلال مبدأ احترام الدولة لخصوصية الأسرة. فأكثر من ٦٠٪ من الأمريكيين يعتقدون فى الضرب على المؤخرة كوسيلة لتأديب الأطفال[151]، رغم استهجان الخبراء

والمختصين فى مجال التنشئة لهذه الوسيلة. تستهجن «الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال - American Academy of Pediatrics» الضرب على المؤخرة، وكذلك «الجمعية الأمريكية للطب النفسى - American Psychiatric Association» و«الجمعية الوطنية للتربية - National Educational Association»[١٥٢]. واستخدام الضرب فى عقاب الأطفال أمرغير قانونى فى تسع دول متقدمة، وليس كل الآباء يتبعون فلسفة «القوة تصنع الحق - Might makes Right» مع أطفالهم، لكن كثيرًا منهم يترجمون تلك الفكرة بقليل من الضربات المؤلمة على الأرداف.

وبالإضافة إلى الاعتراضات النظرية، فإن وسيلة الضرب على المؤخرة غير فعالة وخطرة، حيث إنها تنذر بسوء سلوك محتمل لدى كل من الآباء والأطفال. وليس من المرجح أن يقدم الآباء والأمهات على ضرب أطفالهم لو أدركوا مدى الخطر المتضمن فى تلك العادة، ولو علموا أنها غالبًا ما تؤدى إلى مشكلات تربوية أثناء نمو الطفل، وأنها تتسبب فى مشكلات عاطفية خطيرة فى الكبر.

لا يتيسر الاطلاع على تلك المعلومات فى الولايات المتحدة إلا للأسر ذات التعليم العالى ولقلة من المجتمعات المحلية والنظم المدرسية التى يتوافر لها قدر مناسب من الاعتمادات المالية للإرشاد التربوى. ففى أحسن الأحوال، ينظر البعض إلى الإرشاد التربوى باعتباره أمرًا يمكن الاختلاف بشأنه. ويعود ذلك جزئيًا إلى حملات التعبئة التى يقوم بها اليمين الدينى من خلال مؤسسات «تربوية» من على شاكلة «التركيز على العائلة»، فهذه المنظمة تبث نصائح عبر أكثر من ٣٠٠٠ محطة إذاعية فى أمريكا الشمالية. وفى مواجهة ذلك تقدم فئة المتخصصين دراسات وتقارير رسمية، لكن لا يطلع عليها سوى عدد قليل من الذين يكونون فى الغالب غير فاعلين فى مجال تعليم الآباء، ربما لأن ليبراليتهم تجعلهم لايتحمسون لمواجهة المعتقدات الدينية لأى فرد بصورة مباشرة. لقد استطلعت ويندى ولش فى مجلة «العلاقات الأسرية - Family Relations» مصادر المعلومات التى يعتمد عليها الناس لاتخاذ قرار بشأن استخدام أو عدم استخدام الضرب على المؤخرة، وقد وجدت ولش أن أهم النتائج التى توصلت لها قاطبة هو الحاجة لأن يزيد المتخصصون فى رعاية الطفولة جهودهم من أجل تعليم

الآباء. ومن النتائج المهمة أيضا أن الأمهات اللائى يستخدمن الضرب على المؤخرة كن أكثر - بقليل - ميلاً لنصيحة مرشدهم الدينى فى قضايا كثيرة، ولكن يملن كثيراً إلى تكرار كلام القس وهو ينصح بالضرب على المؤخرة[١٥٣] ويرجع ذلك أن المعتقدات الدينية ربما تستخدم فى بعض الأحيان للتجاوز عن بعض السلوكيات غير اللائقة والتى من الصعب تغييرها. وفى الحقيقة فإن بعضًا من جاذبية التقاليد الدينية المحافظة هو أنها تتمسك بالاعتقاد أن الأساليب القديمة للترابط بين بعضنا البعض أفضل مما هى عليه الآن.

ومن ناحية أخرى، تربط العديد من الدراسات بين التعرض للضرب على المؤخرة فى الصغر، والسلوك العدوانى وغير الاجتماعى فى الطفولة والكبر. فقد وجدت موراى ستروس من جامعة نيو هامپشير أن الأمهات اللائى استخدمن الضرب على المؤخرة ولو مرة واحدة فى الأسبوع، عندما سئلن بعد مضى عامين، ذكرن عدداً من السلوكيات غير الاجتماعية لدى أطفالهن يفوق ما ذكرته الأمهات اللاتى لم يقمن بضرب أبنائهن[١٥٤].

وأوضحت دراسات كثيرة أنه عندما يتوقف استخدام الضرب على المؤخرة فى حالة الأطفال الذين لديهم مشكلات سلوكية خطيرة، فإن سلوكياتهم غير الاجتماعية تقل. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كشفت دراسة كندية، أجريت عام ١٩٩٩م - وهى الأشمل من نوعها على موضوع الضرب على المؤخرة - بأن احتمالات الإصابة بالاضطراب والقلق لدى البالغين الذين كانوا يضربون فى طفولتهم ضعف مثيلتها لدى نظرائهم الذين لم يتعرضوا للضرب على المؤخرة أبدًا. ووجد أيضًا أن معدل الجنوح الناتج عن الإفراط فى شرب الكحوليات وتعاطى المخدرات أعلى بين أولئك الذين تعرضوا للضرب على المؤخرة فى صغرهم[١٥٥].

الربط بين الضرب على المؤخرة وتلك الحوادث، لا يعنى أن الضرب على المؤخرة هو السبب فى وقوع تلك الحوادث، إذ إن المقارنة بين الأثر الذى يحدثه ضرب طفل صغير على مؤخرته بكف مبسوط بصورة عرضية، والأثر الذى يحدثه الضرب القاسى أو المتعسف (بقبضة اليد) بصورة متكررة، لا تقدم نتائج

واضحة تمامًا. فالإخصائية النفسية ديانا بومريند، فى دراستها التى استغرقت اثنى عشر عامًا وبالتعاون مع زميلتها د. إليزابث أوينز، تخلص إلى قلة عدد السلبيات الناتجة عن الضرب على المؤخرة، وتربط بين تلك السلبيات وجوانب أخرى فى العلاقة التى تجمع بين الأبوين والطفل. ولا يفهم من ذلك أن د. بومريند تؤيد الضرب على المؤخرة، فبينما تثنى د. ستروس على دراستها، فقد أضافت القول بأنه «ليس هناك من دليل نهائى مطلق بأن الضرب غير المتعسف على المؤخرة مؤذ للطفل الصغير، لكن هناك دليل قوى جدًا على ذلك، وهناك دليل قوى أيضًا على أن طرقًا أخرى تؤدى الغرض نفسه»[١٥٦] فبغض النظر عن اهتمامات د. بومريند، فإن دراستها تركز بشكل رئيسي على الضرب غير المتعسف على المؤخرة من قبل أبوين ودودين. وفى حين يوجد احتمال لأن يكون بعض الضرب قد انطوى على عنف أكثر من ذاك الذى ذكر بالدراسة، فإن الغالبية العظمى من الضرب لم تكن على نفس القدر من البراءة الذى تم تصويرها به، فمجتمعنا لا يعتبر أن الضرب المتكرر أو ضرب طفل كبير أمرًا من قبيل التعسف، بالرغم من استبعاد د. بومريند لهذه الممارسات من دراستها حول الضرب الرقيق.

لكن هناك بعض الأدلة على أن الضرب على المؤخرة قد يؤدى إلى ازدياد السلوك العدوانى لدى الآباء، فاحتمال القيام باعتداء بدنى على الأطفال بين من يستخدمون الضرب على المؤخرة تبلغ أربعة أضعاف نظيره بين من لا يستخدمون الضرب على المؤخرة[١٥٧]، وبعض الجوانب فى تلك العلاقات الإحصائية يمكن إرجاعها بدون شك إلى حقيقة أن الآباء الذين يتعسفون، هم على الأرجح يستخدمون الضرب على المؤخرة، كما تعكس تلك العلاقات حقيقة أن الأطفال الذين يتعرضون للضرب على المؤخرة أكثر ميلاً لإساءة التصرف، وقد يدفع ذلك الآباء الذين ليس لديهم وسائل تأديبية تربوية أخرى إلى الغضب والضرب.

لماذا إذن ـ ورغم كل تلك المعلومات ـ يعتقد الأمريكيون فى الضرب على المؤخرة؟ الإجابة أنه بالإضافة إلى حقيقة عدم توافر المعلومات لعموم الناس، فإن ثمة العديد من الأسباب التى تجعل الآباء العاديين يقاومون مواجهة أنفسهم بالحقائق المتوافرة حول الضرب على المؤخرة. فمحاولات تغيير الأنماط الخاصة

بتنشئة الأطفال دائمًا ما تواجه بالصعوبات. والناس عادة يريدون أن يربوا أولادهم على الطريقة التى نشئوا هم عليها. وقد يكون الأكثر أهمية هنا فى التحليل أن نفهم أن الثقافة العامة للأسرة الأمريكية تتقبل مقولة إن «الضرب على المؤخرة حل سريع وسهل» للحفاظ على الأخلاق، خاصة فى ضوء ضيق الوقت السائد فى المجتمع. وغالبًا ما يحقق العقاب البدنى النتائج المرجوة منه على المدى القصير، لكن شيئًا واحدًا يتضح من الأدلة القوية ضد الضرب على المؤخرة: لا يوجد إله محبة يقضى بضرب طفل لا حول له ولا قوة.

بنات لوط

«الأب پورتر قادم، الأب پورتر قادم» يسرى ذلك التحذير فى الممرات الهادئة من مدرسة القديسة مارى كلما شاهدت إحدى الفتيات القس مقتربًا، فعندها تركض عشرات الفتيات، مرتدين الجوارب القصيرة والزى المدرسى الذى يغطى ركبهن ناحية الحائط مفسحين وسط الممر له وهن يدفعن بظهورهن الحائط الصلب البارد من الخوف. فقد تعلمن أنه إذا أعطيت ظهرك لپورتر، فسيكون بمقدوره أن يغدر بالواحدة منهن [نقلاً عن النص الأصلى] ويجرها من الخلف. إذا قامت بحماية ظهرها، فلن يستطيع أن يمد يده تحت ملابسها. لم يعلم أحد تلك القواعد لفتيات المدرسة الإبراشية المؤدبات... فقط عرفوها... وتعلموها من التجربة»(١٥٨).

يظهر التدين الأصولى فى كثير من الدراسات باعتباره مؤشرًا خطرًا فيما يخص القيام بالتحرش الجنسى، ويعود ذلك فى الغالب إلى عدد من الخصائص التى تتسم بها الممارسات الدينية المحافظة. وفيما يخص الاعتداء الجنسى، فهناك اثنان من بين أكثر مؤشرات الخطر التى يزعم البعض ارتباطها بالأسر الأصولية، هما: الدرجة العالية من العزلة، واختلال الأسرة. لكن تلك العلاقات المقترحة لا تفسر الارتباط المباشر بين الدين والوقوع ضحية الاعتداء الجنسى.

اقترحت إحدى الدراسات عام ١٩٨٨م وجود ثلاث خصائص للأسر التى

ترتفع بها احتمالات وقوع اعتداء جنسى، وذكرت أن هذه الخصائص على علاقة مباشرة بالمثاليات الأصولية. أولى هذه الخصائص أن الأسر الأصولية غالبًا ما تكون ذات نظام أبوى، حيث ينظر إلى الرجل باعتباره ربًا للأسرة. والخصيصة الثانية أن كل الممارسات الجنسية تعد خطيئة؛ الأمر الذى يفسد التفرقة التى يعتمدها غالبية الناس بين الممارسات الجنسية المقبولة وغير المقبولة. والخصيصة الثالثة أن النشاط الجنسى داخل الأسرة يتم إحاطته بقدر من السرية لا ينبغى لأحد الحديث بشأنه[١٥٩]. وفى هذه المتغيرات والمؤشرات ثمة علاقة سبب ونتيجة واضحة وأكيدة، برغم أنه يمكن الجدال حول أى هو السبب، وأى هى النتيجة.

فعندما يأتى ذكر قضية الاعتداء الجنسى على الأطفال فى السياق الدينى، عادة ما تتجه أذهان الناس إلى المشكلة الكاثوليكية لبعض القساوسة من ذوى الرغبة الجنسية فى الأطفال. فتلك فضيحة معروفة على المستوى العالمى، وأفضت إلى تعويضات بلغت قيمتها مليار دولار[١٦٠]، ففى إبراشية بوسطن وحدها بلغ عدد القساوسة المتورطين ما بين ٧٠ و٩٠ قسًا. وبسبب الفضيحة التى أحدثها الاتساع المخيف لدائرة الحوادث، فلسنا فى حاجة للاستطراد فى مزيد من التفاصيل هنا، لكن يجب ملاحظة أن هذه المشكلة جزء لا يتجزأ من مناقشة التحرش الجنسى الأصولى. يطرح عالم اللاهوت، چيمس سيجرز، التعريف الآتى:

ما يُسمى الأصولية الكاثوليكية تشير إلى أولئك الذين يستشهدون بوثائق المجالس الكنسية، وبالمنشورات البابوية، وبكتاب التعاليم الشفهية للكنيسة الكاثوليكية ـ بطريقة حرفية تمامًا ـ لكى يدعموا التعاليم والممارسات الكاثوليكية الأصلية[١٦١].

وفى حين لا يضم هذا التعريف غالبية الكاثوليك الأمريكيين، ولا ينطبق على كل القساوسة الكاثوليك، فإنه وبلا شك ينطبق على الكنيسة نفسها. إنها تلك الهيراركية التسلطية المغلقة والمطلقة التى سمحت بوقوع ـ وبدرجة ما نشرت ـ الخزى الذى تواجهه الكنيسة اليوم. فعلى الرغم من أن القساوسة المعتدين وضحاياهم ليسوا بالضرورة من الأصوليين، فإنه من المؤكد أن فلسفة الكنيسة لها

ضلع فى مأساة التحرش الجنسى التى ارتكبها القساوسة.

فنظام الكنيسة يتمسك بكل مؤشرات الخطر الثلاثة، التى تشجع على الاعتداء الجنسى وربما تسمح بوقوعه. وتتضمن هذه المؤشرات فى حالة الكنيسة: الطبيعة الأبوية، حيث يلقب القس بالأب، وكل الجنس خطيئة، حيث التعهد بالتبتل والرهبنة. وهناك أيضًا طابع السرية المهيمن على الاعترافات، والذى يتخلل الكثير من أنشطة الكنيسة، وهذا رغم التطوير الذى اضطرت الكنيسة لقبوله فى التسيير اليومى للأمور.

لهذه الأسباب، تستحق قضية رغبة القساوسة الجنسية فى الأطفال أن تُضم لأية قائمة مقترحة بالسلوكيات الأصولية محل النقد والقلق. ويبدو أن الكاتبين فرانك برونى وإيلينور بركيت يوافقان ذلك الرأى فى كتابهما المسمى «بشارة العار ـ The Gospel of Shame». يشير الكاتبان إلى افتقار اليهراركية الكنسية إلى المرونة، ويذكران أن «الاعتداء الجنسى على الأطفال أصبح فضيحة داخل الكنيسة الكاثوليكية.. لأنه متجذر فى تكوين الكاثوليكية»[١٦٢].

لا بد من الإشارة إلى أن المعاملة التى يتلقاها الأطفال على يد عامة الكاثوليك ليست موضع تحليلنا فى هذا الفصل، فما نشير له لايعكس سلوك المؤمنين لمجرد اعتناقهم للكاثوليكية، إنما يتم تضمينها فى تحليلنا إذا ما اجتمعت فى الأسر مع السمات الأخرى للأصولية بما ينذر بالخطر ويهدد الأطفال.

فليس الكاثوليك وحدهم بالطبع ـ دونًا عن باقى المسيحيين ـ الذين يتورط بعض رجال دينهم فى التحرش الجنسى. فى الواقع، إذا ما أخذ بعين الاعتبار كل أشكال سوء السلوك الجنسى ـ ليس فقط ضد الأطفال ـ من قبل رجال الدين، فإن الطوائف تكون على قدم المساواة تقريبًا، بل ويكون المعدل مرتفعًا بين الأفراد العاديين أيضًا من غير المتدينين.

ويلاحظ الطبيب النفسى جارى شوينر، المتخصص فى هذا المجال، أن بروتستانت التيار العام هم الأسرع والأكثر حسمًا وصرامة فى رد فعلهم [إزاء الاعتداء عليهم]، بينما الأصوليون هم الأبطأ والأقل فى الرد[١٦٣].

والإحصائيات التى تربط بين الاعتداء الجنسى والمسيحيين الأصوليين ذات نتائج مأساوية، وتفسر چاكى چيه. هدسون فى كتابها «خصائص الأسرة التى يقع بها زنا المحارم ـ Characteristics of the Incestuous Family»، كيف أن معدل التحرش الجنسى بالأبناء يرتفع بشكل طبيعى بين أزواج الأمهات عنه فى حالة الآباء الطبيعيين. لكنها تلاحظ أن معدل سفاح المحارم فى الأسر المسيحية المحافظة مرتفع جداً، فمعدل التحرش الجنسى لدى الآباء الطبيعيين فى تلك الأسر أعلى من معدل التحرش الجنسى من قبل أزواج الأمهات فى عموم السكان(١٦٤).

وتدفع هدسون بأن «اليمين الدينى يروج لسلوكيات المرأة فى التسامح عن الاعتداء الجنسى فى مجتمعنا اليوم»، وتستشهد بكثير من الدراسات التى تفسر أسباب ذلك(١٦٥)، خاصة دراسة كوهين وچيهو، اللذين يقولان بأن الآباء الذين يتحرشون بيناتهم عادة ما يعتبرون النساء والأطفال جزءًا من أملاكهم(١٦٦)، وطبقًا لما توصل إليه علماء اجتماع عديدون(١٦٧) ـ حسبما تشير هدسون ـ فإن الآباء الأصوليين يؤمنون بأن «النساء والأطفال يجب أن يأتوا بعد الرجال فى الأهمية، وأن الأطفال يجب أن يطيعوا الآباء»(١٦٨).

فالأب الأصولى يتوقع طاعة مطلقة، ومثل تلك الطاعة لا يحركها عادة إلا الخوف. وعادة ما يكون هؤلاء الآباء أوتوقراطيين، وأبويين، ودكتاتوريين. وتلاحظ هدسون أن أمهات ضحايا زنا المحارم هن فى الغالب من نوعية النساء اللاتى تقبلن الخضوع(١٦٩) والخنوع(١٧٠).

ربما تكون الدراسة الأكثر مواءمة للنقاش هى «التدين والاعتداء الجنسى على الأطفال: تقييم لمُعامل خطر»، والتى نشرت عام ١٩٩٧م. فقد استطلع المؤلفون رأى ٤١٧ شابًا من الملتحقين حديثًا بإحدى الجامعات فى جنوب الولايات المتحدة. مع ملاحظة بعض صعوبات لاهوتية فى استخدام مصطلح الأصولى، استخدموا مزيجا من هوية الطائفة البروتستانتية الإيڤانجليكية ـ الأصولية، ولم يسأل المؤلفون فقط عن الانتماء الدينى، بل وعن درجة انخراط الأسرة فى الأنشطة الدينية(١٧١).

وقد توقع المؤلفون أن يكون أكثر الشباب قد تعرض لبعض التجارب الجنسية غير السارة؛ لذلك ركزت أسئلة الاستبيان ـ بصفة خاصة ـ على استيضاح ما إذا كان الطلبة قد وقعوا بالفعل ضحية لتحرشات جنسية غير قانونية من قبل أناس بالغين. وتم استبعاد جرائم استغلال الوضع، التى توجد بها شبهة رضا، مثل الاغتصاب لشابة لديها الرغبة فى الممارسة الجنسية من قبل صديق يكبرها قليلاً. وقد تم تقييم الردود وفقًا لمعيار العزلة الاجتماعية للأسرة، بالإضافة إلى مدى تدينها(١٧٢).

للوهلة الأولى أظهرت البيانات المستخرجة تناقضًا غريبًا. ففيما ارتفعت احتمالات تعرض الطفل للاعتداء الجنسى مع زيادة انتماء الأسرة إلى طائفة دينية أكثر أصولية، لكن تلك الاحتمالات تنخفض كلما ازداد انخراط الأسرة فى الأنشطة الدينية. أيضًا نجد أن كثيراً من الدراسات السابقة كانت قد أظهرت أن معامل خطر الاعتداء الجنسى يزيد كلما قل مستوى المشاركة المجتمعية وكلما زادت عزلة الأسرة(١٧٣). لذلك عندما استخرجت أشكال بيانية خاصة بضحايا الاعتداء الجنسى من داخل الأسرة، وأخرى لضحايا الاعتداء من قبل غير الأقرباء، أصبح الأمر أكثر وضوحًا. فالعلاقة بين وجود طائفة دينية تنتمى إليها الأسرة وبين الوقوع ضحية لاعتداء أحد أفراد الأسرة قد ازدادت بروزًا وارتفعت كلما أصبحت الطائفة الدينية للأسرة أكثر ميلاً للتوجهات المحافظة.

لم يُوجد رابط بين درجة الانخراط فى الأنشطة الدينية والوقوع ضحية لزنا المحارم. وارتفع احتمال الوقوع لاعتداء من قبل غير الأقرباء كلما انخفض النشاط الدينى للأسرة. ويعود ذلك فى الغالب إلى ارتباط المستوى المنخفض فى مشاركة الأسرة بالأنشطة الدينية، بدرجة العزلة الاجتماعية لدى تلك الأسرة(١٧٤). ويؤكد المؤلفون على أن الارتباط لا يثبت أى علاقة سببية، وأن البالغين الذى يرتكبون زنا المحارم قد ينجذبون إلى فكر طوائف أصولية، وليسوا نتاجًا لها(١٧٥)، ويبدو أن غالبية الناس تتفق مع هذا الرأى.

يرى مرتكب الاعتداء الجنسى أن السلوك الجنسى المنحرف ثمرة دينه، وليس

سببًا فى تدينه، بل قد يتصور أن التحرش بالأطفال غير مناف للتدين، بل قد ينظر له باعتباره أمرًا من الرب. وقضية ديڤيد كوريش ومنظمة برانش ديڤيديانز تتضمن أكثر حالات التحرش بالأطفال غرابة. فحالة التابع ديڤيد ثيبودو مثيرة للاستغراب، وتقف على النقيض من الحالات الأكثر موضوعية المسجلة فى العديد من المناطق. لكن وصفه لحادثة إغواء المراهقات العذراوات، الأمر الذى لا يوافق هو عليه صراحة، يبدو بالغ الدلالة ليس باعتباره رواية موضوعية للأحداث، بل أقرب لرواية وصفية للطريقة التى يتصور بها المتورطون ويفهمون هذه الأفعال.

فقد ذكر كوريش أنه كان قد رأى منامًا فى القدس يأمره بأن يتبنى طفلاً آخر إلى جانب تبنيه لأخت زوجته البالغة من العمر أحد عشر عامًا. وادعى كوريش أن هذه الرؤية قد سببت له انزعاجًا، وأنه قاوم تنفيذها، وأن زوجته لم توافقه على الفكرة، وأنهما تشاحنا فيما بينهما لأكثر من عام. وبعد ذلك رأت زوجة ديڤيد حلمًا ينذرها بعواقب وخيمة إن لم يتبع كوريش ما جاءته به الرؤيا[١٧٦].

ولا يعلم أحد - بالطبع - ما الذى دار بعقل هذا الرجل الملتوى، لكن يبدو أنه قد نظر فى المرآة وقال لنفسه: «أعتقد أنه بإمكانى إشباع شوقى إلى البنات الصغار إذا ما قلت أن هذه إرادة الرب»، فيبدو أن شيئًا ما لديه فى اللاوعى قد أفضى إلى تلك النتيجة.

ربما لا تمثل أهمية لنا معرفة الكيفية التى يبرر بها محبو ممارسة الجنس مع الأطفال لسلوكهم هذا، لكن يبدو واضحًا من خلال البيانات أن كثيرًا من هؤلاء قد وجد فى التقاليد الدينية الأصولية ملجأ آمنًا لتوطين نزعاتهم البغيضة. وفى حين أنه ليس من الإنصاف وضع كل الأصوليين فى مثل هذا التصنيف الواسع، فإن هناك ما يكفى من المعلومات لتحميل المؤسسات الدينية مسئولية عدم مواجهة مشكلاتها، أو إيجاد الوسائل الفعالة - وليس فقط توجيه التوصيات والعظات - لمحاربة ذلك التكتم الحقير والمفضوح. **فكل ولاية لديها من القوانين ما يأمر بقيام المعنيين - مثل الأطباء والمدرسين - بالإبلاغ عن أى اشتباه فى واقعة تحرش بالأطفال، لكن أربعة وعشرين ولاية تستثنى رجال الدين من هذا الالتزام**[١٧٧].

من شب على شيء شاب عليه[١٧٨]

كان المستشار الجديد لألمانيا ـ الذى تولى منصبه منذ أقل من ثلاثة شهور ـ نشيطًا كالدينامو، وكان عازمًا على أن يعيد للبلاد توجه الالتزام القانونى والدينى، مستخدمًا فى ذلك سلطاته الاستثنائية. وفى ٢٦ أبريل عام ١٩٣٣م، أنشأ أدولف هتلر جهاز البوليس السرى «الجستابو ـGestapo»، لكن خطابه ركز على الشباب، وبصورة أكبر على مفاوضاته مع الكنيسة، مثلما أخبر مواطنيه:

«لا يمكن السكوت على وجود المدارس العلمانية، حيث إن هذه المدارس ليس لديها تعاليم دينية، والتعاليم الأخلاقية العامة بدون أسس دينية هى بمثابة البناء فى الهواء؛ وبالتالى لا بد من أن تُستقى كل تدريبات بناء الشخصية من الدين... نريد أناسًا مؤمنين»[١٧٩].

لا يوجد ما يرعب معتنق الأفكار السيئة مثل التعليم، ومن الواضح أن الأصوليين يقفون ضد التعليم الحقيقى، خاصة فى معناه التربوى، أى «الإرشاد» والتوعية الرشيدة. لكنه من الإنصاف القول بأن الالتزام الأمريكى بالتعليم العام ـ والذى كان قويًا فى يوم من الأيام ـ قد تغير؛ لأن التعليم العام نفسه ـ حسبما تشير قوى اليمين الدينى ـ قد تغير.

إن التغير والاضطراب الذى حدث فى التعليم وفى كثير من أمور مجتمعنا، ليس له علاقة على الإطلاق، أو له علاقة ضعيفة بالدين. طالب حكم المحكمة فى قضية براون ضد مجلس التعليم ـ وأحكام تالية ـ بالمساواة فى التعليم بين الجميع، مما أدى لمزيد من التنوع فى طبيعة الفصول الدراسية. والثورة الثقافية فى الستينيات لم تستحدث فقط مقررات حول تاريخ الأقليات فى هذا البلد؛ بل رجحت من فخر المرء بجماعته العرقية. وقد جعل ذلك من الثقافة السائدة ومن الرواية التاريخية التقليدية عُرضة للنقد، وأحدث جدلاً فى صفوف مادة الدراسات الاجتماعية التى كانت ذات مرة تدرس رواية وحيدة لتاريخ الأمة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد جعلت الحركة النسوية فى عقد السبعينيات من التدريس عالى الجودة ومنخفض التكلفة أمرًا مستحيلاً، ومن ثم ارتفعت تكلفة التعليم الجيد.

لكن الآباء الأصوليين يعتبرون أن القرار المتعلق بتنظيم الصلاة فى المدارس ـ والذى صدر عام ١٩٦٣م ـ كان الضربة المميتة .

فالمسيحيون المحافظون لديهم وجهة نظر حول الغرض التاريخى من التعليم العام، الذى كان قد فُهم فى الغالب أنه يعنى التعليم الپروتستانتى، منذ عصر المدارس الپيوريتانية فصاعداً . وكانت الدفة القوية لنشر التعليم العام فى أواخر القرن التاسع عشر، إنما هى للهجرة الوافدة، فقد كان معظم الأمريكيين الجدد من اليهود والكاثوليك، وخشينا أن تتعرض ثقافتنا لتهديد إذا لم نغرس القيم الپروتستانتية فى الوافدين الجدد .

إن مختارات «ماكجوفى ـ McGuffy's Readers» الشهيرة فى القرن التاسع عشر، أوردت كلمة «الرب» كل ثلاث صفحات[١٨٠] بما يثبت أن الدين لم يكن محرمًا بالمدارس؛ لكنه ـ أى الدين ـ وُضع فى الإطار «السليم» . وكان التعديل الدستورى الرابع عشر قد تم تمريره، موسعًا من ضمانات «قانون الحريات ـ Bill of Rights» ليشمل قانون الولايات، لكن مفسريه ظلوا على مدار عقود تالية يعتمدون تفسيراً ضيقًا، معطلين إياه بعبارة «وفقًا للإجراءات الواجبة» . وبالتالى، لم يسمح فقط بتدريس الپروتستانتية فى المدارس العامة، وإنما شُجع ذلك أيضًا .

رد الكاثوليك من جانبهم بإنشاء مدارسهم الخاصة بموازاة المدارس العامة، بينما استخدم غالبية اليهود المدارس العامة، مع إضافة بعض الفصول لتعليم اليهودية والعبرية بعد مواعيد الدراسة العادية . ويلاحظ بصفة عامة أنه فيما يخص الدين، فقد حافظ الكاثوليك على ولائهم للكنيسة بصورة أكبر كثيراً من اليهود، وربما دعم ذلك من الفكرة الأصولية القائلة : إن التعليم الذى لا يدعم الدين يقوضه .

لكن، وبغض النظر عن ذلك، فقد تفاوتت ردود أفعال الأصوليين بين محاولات للتدخل فى تعليم أولادهم فحسب، ومحاولات التحكم فى تعليم الأطفال كافة بتغيير النظام برمته . وفى الحالة الأولى، لم تحقق أى جماعة نجاحًا

مثل الذى حققته جماعة أميش، الذين أنشأوا مدارس خاصة بهم وأداروها بمدرسين لم يتلقوا فى الغالب سوى التعليم الأساسى. فقد كان التعليم الأساسى هو كل ما يتلقاه الطفل فى المدارس. وكان من النادر تكليف التلاميذ بواجب منزلى، حيث كان الأطفال مطالبين بأداء بعض الأعمال المنزلية، خاصة أعمال الفلاحة بعد المدرسة، بل ولم تكن مادة العلوم من بين المواد المقررة على التلاميذ.

وتوفر جماعة أميش التمويل اللازم لتلك المدارس دون الاعتماد على الحكومة إلا قليلاً. ولا تؤثر الجماعة بمنهجها على المدارس العامة، لذلك يبدو أن غالبية الأمريكيين يتغاضون عن عمد عن ممارسات جماعة أميش. لكن ممارسات هذه الجماعة قد تُعتبر أمثلة صارخة على إنكار الحق الكامل فى التعليم، ومنهجها التربوى ينضوى على انتهاكات خطيرة لقوانين عمالة الأطفال، لو أنها جرت خارج السياق الدينى. فليس سراً أن تلك المدارس قد أنشئت لتسمح باستغلال عمالة الأطفال، ولتضمن أن الطفل لن يغادر الجماعة عند الكبر، لكن المحكمة العليا سمحت بهذه الأمور فى عام ١٩٧٢م، وكتب القاضى وارين بيرجر أن التعليم الثانوى ليس مناسبًا فى حياة أطفال جماعة أميش، وإذا ما أُقر فإنه سيستحيل عليهم الاستمرار كأميشيين(١٨١).

ومن الصعب تصور الكيفية التى يمكن أن يبرر بها تجمع عرقى صغير هذه الفكرة فى الحضر، فكيف يمكن أن نتصور أن عدداً من أعضاء جماعة عرقية يستخدمون أطفالهم للعمل فى محلاتهم، وكيف يُقبل أن يعلموا أولادهم على يد أطفال أكبر منهم سنًا، ويحرموهم من كل الدروس العلمية الواجب تدريسها فى المراحل المبكرة من الصبا، وذلك الحرمان بغرض الانتفاع بهم للمساعدة فى أمور التجارة. لكن لسبب ما، فإن غالبية الأمريكيين يجدون جاذبية فى تقاليد جماعة أميش، والقليل منهم يساءلون مدى أحقية الأميشيين فى أن يملكوا زمام القرار بأن أولادهم لا يمكنهم العيش خارج جماعتهم المغلقة.

وتزداد الصعوبة إذا ما أردنا التعميم بشأن عدد آخر من المدارس الخاصة ذات

التوجه الأصولى، فكما يظهر من المقارنات التى تُعقد بينها وبين المدارس العامة، نجد المدارس الخاصة تنزع إلى التنسيق والتكتل سويًا. وبالرغم من أن العديد منها يسعى إلى الحصول على الاعتماد الخارجى. إلا أنها لا تتقبل معايير إشراف الولايات، بل وكثير من الولايات الأمريكية تستثنى المدارس الخاصة من متطلبات تعيين واعتماد المدرسين أيضًا.

وتشكل المدارس الدينية الجانب الأعظم من المدارس الخاصة، حيث تحتل المدارس الكاثوليكية المرتبة الأولى بنسبة ٣٢٪، و٤٧٪ أخرى من المدارس الخاصة هى مدارس دينية، و٢١٪ فقط مدارس علمانية. وتستوعب المدارس الخاصة ما يقرب من نسبة ١١٪ من إجمالى عدد الطلبة المسجلين فى التعليم الابتدائى والثانوى[١٨٢].

ولذلك سوف يفيد الدفع السياسى باتجاه اعتماد نظام سندات (كوبونات) المصروفات المدارس الدينية، ربما أكثر من المدارس الخاصة الأخرى. ففى كليفلاند، حيث تمت الموافقة على نظام دعم المصروفات الخاص بها من قبل المحكمة العليا، فإن ما يقرب من ٩٩٪ من الطلبة المستفيدين بسندات دعم المصروفات مسجلون بالمدارس الدينية. وفى مناطق أخرى، حيث توجد برامج دعم مصروفات مختلفة، تتكرر هيمنة المدارس الدينية، سواءً فى المدارس التى تقبل دفع المصروفات بسندات الدعم، أو فى المدارس التى تترك للآباء حرية استخدام سندات الدعم. وغالبية هذه المدارس كاثوليكية، ولكن هناك أيضًا عدد كبير من المدارس الأصولية، وعدد متنام من المدارس الإسلامية. وفى المدارس الأصولية، نستطيع التأكيد على أن دروس التثقيف الجنسى والبيولوچى يجرى تسطيحها، بالمقارنة بما عليه مقررات المادتين فى المدارس العامة. وهناك دلائل على أن تلك المدارس عادة ما تنجح بطريقة كافية، وليست نموذجية فى تدريس المهارات الأساسية للمراحل التعليمية الابتدائية. ونتائج الامتحانات الصادرة عن «التقييم الوطنى للتقدم التعليمى ـ National Assessment of Educational Progress» والتى تقارن بين طلاب المدارس العامة والخاصة، إذا ما تم ربطها بدخل الأسرة، لا تعكس اختلافًا فى أداء الطلاب. لكن المدارس الخاصة لديها القدرة على

رفض المتقدمين إليها، وعلى طلب انخراط الآباء فى العملية التعليمية، وعلى فصل الطلبة الذين يثيرون المشاكل. فإذا ما أضفنا الترتيب النسبى الذى تحظى به هذه المدارس فى مقارنة المؤشرات التعلمية، يمكن القول بأن غالبية المدارس الخاصة لا تتمايز فى الوظيفة التى تزعم أداءها.

وقد أصدرت كل الولايات قوانين تطلب قيام المتخصصين الذين يتعاملون مع الأطفال بالإبلاغ عن حوادث الإهمال أو التحرش، لكن هناك دليلاً على أن المدارس الخاصة بكافة أنواعها مرشحة ـ دونًا عن غيرها ـ لأن تتخلف عن الإبلاغ عن الانتهاكات التى تقع فى المدرسة، ذلك أن الضغوط الاقتصادية قد تدفع المديرين لتجنب الفضائح بأى ثمن. إن ما تطرحه الفلسفة الأصولية بأن الأطفال لديهم قليل من الحقوق ـ إن كان لهم أية حقوق على الإطلاق ـ وأن المدرسة دورها السعى من أجل مجد الرب، قد يشكل هو الآخر أحد الضغوط القوية للتغطية على أى فضيحة. بالإضافة إلى أن كتابة التقارير عن الأحوال فى تلك المدارس هى أقل كثيراً فى معاييرها من نظيرتها فى المدارس العامة.

وللأسف، فإن الاستثناءات التى تمنحها العديد من الولايات للمدارس الداخلية الدينية، تسمح لمرتكبى الاعتداءات بالاستمرار فى وظائفهم، حتى بعد تحديدهم بالاسم. فعلى سبيل المثال نجد أن إدارة مدرسة ماونتن پارك المعمدانية الداخلية، تركت ولاية المسيسيبى عام ١٩٨٧م نتيجة لوجود مشكلات بينها وبين السلطات المحلية، وانتقلت إلى ميسورى، وواصلت عملها دون صعوبة تذكر حتى عام ١٩٩٨م، حين قتل تلميذ زميلا له[١٨٣].

أما البديل الأكثر تناميًا عن المدارس العامة، فهو حركة التعليم المنزلى، فقد حازت هذه الحركة على قبول واسع فى السنوات الأخيرة. فى عام ١٩٨٥م، ذكرت صحيفة «يو. إس. إيه. توداى ـ USA Today» أن ١٦٪ من الأمريكيين وافقوا على التعليم المنزلى، وبينما أخذت تلك الموافقة فى الزيادة التدريجية، وصلت نسبة الموافقين ٤٢٪ عام ٢٠٠١م[١٨٤]، بالطبع ليس كل من يقدمون خدمة التعليم المنزلى والداعمين له أصوليين، بل هناك من الآباء والأمهات الملحدين يقدمون خدمة التعليم المنزلى من خلال الإنترنت.

ويشترك غالبية هؤلاء الآباء مع مقدمي التعليم المنزلي في الاعتقاد بأنه كلما كانت طرق التدريس أكثر مباشرة بين الأشخاص، انعكس ذلك بالإيجاب على مخرجات العملية التعليمية، لكن لهؤلاء الملحدين شكوى عامة من أن الدين يلقى على مسامع أبنائهم بالمدارس العامة. وتتنوع الأمثلة التي يضربونها لتتراوح رواياتهم بين شكوى إنشاد «تحت الله - Under God» أثناء تحية العلم إلى الشكوى الذاتية من أن «دائمًا ما يمارس الأولاد الآخرون الوعظ والهداية»، وأحيانًا يستثير غضبهم تجاهل المدرس المقرر وتدريسه الدين كحقيقة.

لكن يظل التعليم المنزلي رائجًا بشكل رئيسي بين أولياء الأمور من البيض البروتستانت ذوي الدخل والتعليم المرتفع عما هو سائد في المجتمع. وإذا ما أردنا تحديد سبب واحد لاختيار هؤلاء الآباء للتعليم المنزلي، فإن السبب الغالب هو الأهمية التي يوليها أولياء الأمور للتعليم الديني. قد يتوقع المرء أن يذكر كل الآباء الذين يقومون بتعليم أبنائهم بالمنزل أنهم يقدمون لأطفالهم تعليمًا أفضل، لكن من المثير أنه في دراسة مسحية - أجريت عام ١٩٩٩م - قام أقل قليلاً من نصف أولياء الأمور المشاركين بوضع هذا الهدف في قائمة الأهداف التي دفعتهم لاختيار التعليم المنزلي، رغم أنه قد أتيح لهم اختيار أكثر من إجابة. وقد جاء الدين في المرتبة الثانية - قريبًا من الأولى - بنسبة ٣٨٪، وتخطى بلا شك هدف بناء الشخصية الذي حصد ١٥٪ من الأصوات، وسبب الاعتراض على ما تعلمه المدارس الذي حصد ١٢٪ [١٨٥].

وبينما يكون المستوى التعليمي بالمنزل أعلى عادة من المتوسط [١٨٦]، فلا يشترط حصول الآباء على شهادة مدرسة عليا أو ما يعادلها حتى يتمكنوا من التدريس بالمنزل إلا في عشر ولايات فقط. وقد وجد أن ما يقرب من ١٩٪ من أولياء الأمور الذين يتولون التدريس لأبنائهم بالمنزل لم ينهوا المدرسة العليا[١٨٧].

ما من شك في أن الأطفال الذين يتلقون تعليمهم بالمنزل قد يؤدون بشكل طيب على المستوى الأكاديمي. ويلفت المؤيدون للتعليم المنزلي الانتباه إلى النسبة

العالية من المتفوقين فى التهجئة وفى الجغرافيا بين الذين تلقوا تعليمهم بالمنازل، فنتيجة لتحرره من الالتزام بالمقرر، فإن التعليم المنزلى يعطى الآباء - الذين تنحصر طموحاتهم لأولادهم فى هذه المواد - ميزة كبيرة. ورغم ذلك يظل من الصعب الحديث عن «متوسط عام»، فالمؤيدون يشيرون إلى النسب العالية نسبيًا لنتائج امتحانات القبول والتأهيل للجامعة SAT و ACT، وهذه النتائج مبهرة فى الواقع، لكنها تعكس أقلية مختارة من طلبة التعليم المنزلى.

على الجانب الآخر، فإن التعليم المنزلى، بطبيعته، تعليم مستقل وذو طابع فردى. وبالتالى، ليس فى متناول اليد دراسته لا بالعينة العشوائية ولا بالعينة الكلية. ويجب ذكر أن ثمة دليلاً يُعتد به على أن التعليم المنزلى كثيرًا ما يزيد من الجرعة الدراسية عن معدل ما يقدم فى التعليم الأساسى فى مجالات مثل القراءة، والحساب، والقواعد اللغوية. لكن أشد ما يقلق المعلمين والمتخصصين فى مجال نمو وتطور الأطفال، هو افتقار التعليم المنزلى إلى تقديم الخبرة الاجتماعية، سواء داخل وخارج الفصل. والكثير من مقدمى التعليم المنزلى يشكلون فيما بينهم تجمعات لتقديم أنشطة جماعية تعويضية، مثل الرحلات الميدانية، أو إلحاق أبنائهم بتجمعات على شاكلة فصول تعليم الرقص الجماعية أو الرياضات الجماعية. بيد أن التفاعل المتواجد فى مثل هذه الأنشطة مصنوع وضيق، ويفتقر إلى التنوع الذى سيواجهه الطفل فى أماكن العمل، ويخلو حتى من حريات التعبير والتجمع الموجودة فى أروقة المدارس الثانوية.

يعتبر الكثير من الآباء أن فى تعليم أبنائهم بالمنازل ميزة. لكن إذا سلمنا جدلاً بأنها ميزة، فمن المؤكد أنها ليست من النوع الذى يستطيع الطفل الاستمرار فى التمتع بها عند النضج، وأنه لا يتمتع بصورة كاملة بالحراك، والتنوع الثقافى، والحريات التى يوفرها مجتمعنا. فالمعلمون يؤكدون على أن التفاعل بين الزملاء مكون ضرورى وقيم فى أى تخطيط أكاديمى ناجح للتدريس. كما أن المناقشة داخل الفصل، وتقديم التقارير الشفهية، وتمارين التعلم بالمشاركة، مثل المشاريع التى تقوم بها مجموعات صغيرة من الطلاب، كل ذلك يشكل أجزاءً هامة فى الفصل المدرسى الحديث، وغالبية المدرسين يعتبرون هذه الأشياء أمرًا حيويًا

لاكتساب خبرة تعليمية شاملة. وقد تكون بعضاً من الأسباب التى تثبت سلامة هذه الرؤية هى فى الحقيقة من بين الجوانب التى يعترض عليها الأصوليون تحديداً فى نقدهم للتعليم العام، حيث التفاعل بين الزملاء يزيد مهارات الإبداع والتفكير النقدى، وحيث مهمة المدرس هو أن يشرح للتلاميذ ما هو مطلوب، ويترك للطلاب السعى فى إنجاز التوقعات.

عندما يحاول أحد إرضاء زملائه الطلبة، فلن يكون هناك خط واضح، ولن تكون هناك «هذه هى الإجابة التى يريدونها». ففى مناقشات الفصل، يتمتع الطلبة ببعض من الحماية الاجتماعية إذا ما أرادوا مساءلة السلطة المعرفية للمدرس وللمواد التعليمية، وهذا من الممارسات التى يشجعها المدرسون الجيدون، حيث إنها تجبر الطالب على التفكير النقدى فى الموضوعات، وأن يبادر بتطوير أفكاره الخاصة به. ولا شك أن أعباء التفرغ وإعطاء الوقت للأبناء هى من الضغوط الضخمة والمتعددة التى يضعها التعليم المنزلى على عاتق الآباء، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن ٦٢٪ من الأسر التى يتولى فيها الآباء تعليم أبنائهم بالمنزل، بها ثلاثة أطفال أو أكثر[١٨٨]. تخيل أن فى هذه المنازل رضيعًا يبكى، وهاتفًا يرن، وطعامًا يُعد، وكلبًا ينبح، فهل يمكن القول إن الأم ـ التى غالبًا ما تتولى التدريس المنزلى ـ تركز كامل انتباهها مع الطفل الذى يستذكر دروسه على مائدة المطبخ؟

ثمة انتقاد آخر غالبًا ما يوجه إلى الآباء الذين يقومون بالتدريس المنزلى، وهو افتقارهم للمعرفة العميقة فى عديد من المجالات بما يجعلهم غير مؤهلين لتدريس موضوعات المدارس الثانوية. ولقد تسنى لى معايشة تلك المشكلة بنفسى وأصبحت على دراية تامة بها. فعلى مدار عشر سنوات قمت بالتدريس فى معامل الإرشاد والتدريب التربوى الفردى بمدرسة لوس أنجليس، وكنت مسئولاً عن أربعين من مناهج التعليم للمدارس العليا فيما يتعلق بكل المواد. وكان على الطلاب أداء قائمة من المهام بما لا يقل عن ٨٠٪ كى يتم اعتماد اجتيازهم لهذه الفصول. ولم يكن لأحد أن يدعى بأن ذلك كان إجراءً تعليميًا مثاليًا، لكنها كانت طريقة للوفاء باحتياجات بعض الطلاب فى ظل الميزانية المحدودة لمدرسة عامة بمقاطعة حضرية.

فى السنوات الأولى - وفى بعض المواد - كان بمقدورى القيام بما هو أكثر قليلاً من مجرد مساعدة المتدربين على فهم المعلومات التى فى الكتب، ولكن ذلك ليس تعليمًا! وبعد سنوات من استخدام المصادر الدراسية فى مدرسة كبيرة بالمقاطعة، أعتقد أننى أديت عملاً معقولاً فى التدريس فى كافة المجالات. وقد استشرت متخصصين فى مجالات دراسية متنوعة، واستطعت تدريجيًا تجميع مواد تدريسية إضافية. لكن عانى الطلبة بشدة فى الأدب والعلوم الاجتماعية (حيث لم تتوافر لهم فرصة المناقشات الجماعية)، وفى المواد العلمية التى من الأفضل تدريسها فى معامل كاملة التجهيز.

فالنموذج السائد للآباء الأصوليين الذين يقومون بالتدريس لأولادهم بالمنازل، هو أنهم يحاولون قدر الإمكان إبعاد أبنائهم عن المدرسة لحمايتهم من اكتساب معارف وخبرات سيئة تتعارض مع غرسهم للقيم الدينية فى نفوس وأفئدة أبنائهم، لكن ذلك يقيد بصورة كبيرة من حجم المعرفة التى يتمكن الطفل من تعلمها. فعلى سبيل المثال، من المؤكد أن الجدل فى علم الأحياء معروف(*)، وأنه بدون مناقشة موضوع التطور لن يكون ثمة أهمية لأى فهم حقيقى لموضوع الشفرة الوراثية DNA، لكن خشية الأصوليين هى أن تدريس هذا الموضوع بعمق قد يفضى بالطفل إلى إدراك أن أنصار نظرية التطور كانوا على صواب.

يتضمن النموذج الناجح لمنهج القراءات الأدبية فى مدرسة عامة، تحليل بعض الأعمال التى تشجع الطلاب على التفكير بصورة مختلفة عن الأنماط المتكررة، وتدفعهم لمراجعة القيم التقليدية. وليس المقصود من ذلك دفع الطلاب إلى تغيير قيمهم بقدر ما هو دفعهم إلى معرفة لماذا يتمسكون بهذه القيم. وبالنسبة للأصولى، فإن كل القيم قد فُرضت من قبل الكتاب المقدس، وإعادة التفكير بشأنها يُعد انتهاكًا للمقدسات، وأعمال ويليام شكسبير وتونى موريسون لا تناسب هذا التصور الأصولى، فدراسة الأدب لا يجب أن تتجاوز بعض الشروح السطحية لأعمال أدباء مثل ميلتون وبلاك[١٨٩].

(*) يقصد المؤلف الجدل مع الأصوليين بخصوص نظرية داروين - المترجم.

أيضًا لديهم أن التاريخ القديم لا بد وأن يكتب بطريقة تتفق مع الروايات الواردة بالكتاب المقدس، ونجد أن التاريخ الأمريكى يتم تزويره بحيث يبدو وكأنه تاريخ للصراع من أجل إقامة الدين المسيحى والحفاظ عليه. فى حين أن أى دراسة جادة لتراث الهنود الحمر ولفكر الآباء المؤسسين لأمريكا تعرض تلك الرؤية للنقد. والغريب أن كثيرًا من الأصوليين يزعمون أن الآباء المؤسسين لأمريكا كانوا مسيحيين، بالرغم من وجود أدلة واضحة على أن غالبية الآباء المؤسسين الكبار لم يكونوا كذلك.

ويرى الأصوليون أيضًا أن العلوم الاجتماعية الأخرى، التى يجب لها أن تناقش مفاهيم «المثلية الجنسية» هى علوم خطيئة، وأن السلوك غير الاجتماعى من وساوس الشياطين، وأن الناس الذين لم يسمعوا كلام المسيح لديهم نقص ثقافى. ويعنى ذلك أنهم يستبعدون كثيرًا من الموضوعات التى جرى العرف على تدريسها لأنها تشجع على تناول النظام العقائدى بشكل نقدى. وبالتالى فإن أطفال الأصوليين لا يتلقون إلا مفاهيم بدائية جدًا فى علوم الأحياء والفيزياء، مع بعض الكيمياء - إذا تسنى لهؤلاء الآباء تدريسها - وإن كان الأصوليون يتوجسون من الكيمياء العضوية.

أيضًا تشكل الرياضيات مشكلة حقيقية. فعلى الرغم من أنهم يعتبرون تطبيقاتها آثمة، فإن الرياضيات فى حد ذاتها لم يجر استبعادها على المستوى الفلسفى من المقررات الأصولية. والرياضيات الحديثة - التى يتعلم من خلالها الأطفال مهارات التفكير النقدى بدلاً من الاكتفاء فقط بدراسة الميكانيكا - يتم تجاهلها تمامًا. ناهيك عن أن تدريس المستويات المتقدمة من الرياضيات أعلى من قدرات غالبية هؤلاء الآباء.

وفى مادة الصحة يتم - بالطبع - استبعاد أى دراسة متعمقة للجهاز التناسلى البشرى، ولتنظيم النسل بالتأكيد، بل يتم أيضًا حذف الموضوعات النفسية العامة، مثل الاكتئاب.

وأخيراً، تحظى دراسة الكتاب المقدس بالأولوية فى المقررات الدراسية التى يضعها الأصوليون، لكن استخدام كلمة «دراسة» هنا قد يكون فى غير محله. فتأكيد الأصوليين على أنهم يفهمون الكتاب المقدس حرفيًا، دون الحاجة إلى تفسيره وشرحه، يتجاهل أن الكتاب عبر التحليل النقدى قد نجد فيه تناقضات داخلية وتعارض فى الروايات. وبالتالى، فإن استخدام كلمة دراسة مع الكتاب المقدس ـ فى عدم وجود التحليل النقدى ـ ليست مناسبة. فعلى سبيل المثال يدرس الأصوليون قصة قيامة المسيح من الموت على أنها تاريخ، لكنهم لا يستطيعون تعليم الأحداث المتناقضة، وتعدد أزمنة كتابة النسخ المتغيرة من الكتاب المقدس، دون إضافة تفسيرات تتجاوز حدود المنطق وتتحدى الدراسات الحديثة للكتاب المقدس.

وليس من المستغرب أن نجد الأصوليين هم أقل الفئات انجذابًا بين عموم الناس لفكرة الحصول على تعليم جامعى. وحسبما يكشف عالما الاجتماع ألفريد دارنيل ودارين شيركات، عن أن الأصوليين «قد عانوا من انخفاض التحصيل الدراسى فى عامى ١٩٧٣ و١٩٨٢م» أكثر من غيرهم، كما أنهم لا يحبذون الالتحاق بفصول الإعداد للجامعة، وتطلعاتهم العلمية محدودة[١٩٠].

على جانب آخر، نجد أن الأصوليين غالبًا ما يقفون موقف المعارضة من التعليم الجامعى لأنهم يرون أن المسيحيين يفقدون دينهم بالتحاقهم بالتعليم العالى. ولذا فنتيجة عدم حصولهم على تعليم عال، لا يتعلم الأصوليون أبداً التفكير النقدى فيما يخص الدين، والسياسة، والمسائل الاجتماعية. ويفضى ذلك إلى الجمود الفكرى فى كثير من المجالات، وبالتالى لا يكون بوسعهم حل المشكلات فى مثل تلك المجالات[١٩١].

إن الأمريكيين صُدموا، بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، بعد علمهم أن المدارس الإسلامية كانت تربى الأطفال بشكل أيديولوچى ضد الولايات المتحدة. وقد ظهر ذلك على السطح فى الوقت الذى كانت المدارس الخاصة تطالب، وتتلقى، مزيداً من الأموال العامة. أكثر من ذلك، كان بعض

السياسيين، بما فيهم الرئيس چورچ بوش، يطالبون بمزيد من السعى لإزالة الحد الفاصل بين الحكومة والدين. وفى ضوء كل ذلك، يمكن القول أن الأمريكيين قد باتوا على استعداد الآن لمناقشة فرض نوع من الإشراف على المدارس الخاصة والتعليم المنزلى.

إن استمرار التوجه الحالى قد يفضى إلى نتائج كارثية. ففى معرض مهاجمته للتعليم العلمانى (للمسلمين بصفة خاصة) يذكر أزام كامچويان المشكلات التى أدى إليها التعليم ضيق الأفق حول العالم:

أحداث الشغب الرهيبة التى نشبت خلال فصل الصيف العام الماضى فى أولدهام وبرادفورد بانجلترا، والمشاهد الصادمة لآباء پروتستانت يبصقون على فتيات كاثوليك فى أردويون بأيرلندا الشمالية، والمدارس الإسلامية فى پاكستان، كل ذلك يكشف عن الوجه القبيح للمدارس الدينية... [١٩٢].

ويشير كامچويان إلى أن المدارس الإسلامية كانت تحظى بشعبية خلال عقد التسعينيات فى السويد، لكن الأطفال كانوا يُضربون ويتم توعدهم فى هذه المدارس. ويتهم مثل تلك المؤسسات التعليمية بأنها تزرع التعصب والعنصرية الجنسية، والكراهية[١٩٣].

ما دام هناك اختبارات فى مادة الرياضيات..

احذرى أيتها الأيدى الصغيرة ما تفعلين،
احذرى أيتها الأيدى الصغيرة ما تفعلين،
فهناك رب يراقب من أعلى
وهو ينظر إلى أسفل فى حب
لذلك، احذرى أيتها الأيدى الصغيرة ما تفعلين

عندما كنت طفلاً صغيراً، كانت تلك أغنيتى المفضلة فى درس يوم الأحد، وكانت أمى هى من تقود الغناء فى الغالب، وقد انغمست فى تشكيل إحساسى

بأن جعلتنى أنشدها تقريبًا كل أسبوع. كنت أنشد بصوت عال محذرًا نفسى مع كل آية، «احذرى أيتها القدم الصغيرة، إلى أين تتجهين»، و«احذر أيها الفم الصغير، ماذا تقول» حتى أبلغ السطر الأخير.. أردت أن أفهمه، أن أحبه، وأن أطيعه، لكن كان يضايقنى أن أنشده، وأن أتدبر الفكرة التى وراءه: «واحذر أيها العقل الصغير ماذا تفكر».

يتحدث الإيڤانجليكى پات روبرتسون، عن تدريس المسيحية بالمدارس العامة قائلاً:

إن حركة التعليم العام كانت أيضًا حركة ضد-المسيحية.. نستطيع تغيير التعليم فى أمريكا إذا أدخلنا المبادئ المسيحية والمقررات المسيحية فى التعليم العام. فخلال ثلاث سنوات، سوف نحدث ثورة شاملة فى التعليم فى أمريكا[١٩٤].

لكن القضية هنا تدور حول تضمين وجهة نظر اليمين المسيحى فى القياس التربوى العام، فأى شخص عادى يقرأ الصحف، يعرف أن الحركة نشأت فى جانبها الأكبر لاستبعاد أفكار ومواد تعليمية معينة، وللتحكم فى عقول الصغار، وتقليص فرص كل أطفال أمريكا، لذلك لا يقتصر الضرر ببساطة على طلبة التعليم المنزلى، بل إذا نجح الأصوليون، فإن كل الأطفال سوف يعانون من نفس التعليم ضيق الأفق الذى يتلقاه أبناء الأصوليين فى المنازل.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، يرأس روبرت سيموندز -الذى ألف عام ١٩٨٥م كتاب «كيف تنتخب المسيحيين للمنصب العام»- جماعة ذات ميول محافظة قد يثير اسمها السخرية: «مواطنون من أجل الامتياز فى التعليم (سى. إى. إى) - Citizens for Exellence in Education (CEE)». ويقدم سيموندز فى كتابه هذا استراتيچية ملتوية للسيطرة على مجالس إدارة المدارس، وقد حققت تلك الاستراتيچية نجاحًا فائقًا. ففى عام ١٩٩٣م زعمت الجمعية أنها نجحت فى الحصول على ٧١٣٥ مقعدًا فى مجالس إدارات المدارس. وفى عام ١٩٩٥م، تم تشكيل ١٧٠٠ لجنة لانتخاب أعضاء مجالس الإدارة بالمدارس المسيحية[١٩٥]، ووضعت الجمعية قائمة بالكلمات التى تكشف عند استخدامها

عن ميول الشخص العلماني ذى «النزعة الإنسانية ـ Humanist»(*) الذى تناصبه العداء وتدعو لعدم انتخابه، حيث كان من بين أكثر من ثلاثمائة كلمة يستخدمها أصحاب النزعة الإنسانية، كلمات مثل الحرية الأكاديمية، التحليل، تعليم المهنة، الكتابة الإبداعية، النمو الإنسانى، الهوية، تربية الأطفال، العنصرية، الرؤية العالمية، فهم الذات[١٩٦].

وفى كتاب «فخ الأطفال ـ The Childern Trap» نجد روبرت ثوبرن، الذى يعمل معلمًا بمدرسة فيرفكس المسيحية بولاية ڤيرجينيا، والمؤيد لليمين المسيحى، يصرح قائلاً:

إننى أتصور أن كل مسيحى سوف يوافقنى الرأى فى أننا نحتاج لأن نمحو النزعة الإنسانية من المدارس العامة. وهناك طريق واحد فقط لإنجاز ذلك: أن نلغى المدارس العامة. فنحن نحتاج إلى إخراج الحكومة من مجال التعليم. ووفقًا للكتاب المقدس، فإن التعليم مسئولية الأبوين. فليس من مهام الحكومة أن تدير نظام مدرسة[١٩٧].

ويتفق ثوبرن مع سيموندز، حيث يقول إن طريقة تحقيق ذلك، هى أن تقوم العناصر المسيحية ـ ذات الميول اليمينية بالطبع ـ بإخفاء معتقداتها ودوافعها[١٩٨].

قد يكون القانون واضحا فيما يخص أجندة الـ (سى إى إى CEE) لمناهج المدارس، لكن الأمر ليس بهذا الوضوح فى وعى الجمهور الأمريكى العام، فأولئك الذين سيعيدون مدارسنا إلى وسائل التلقين البروتستانتية قد يبدو للوهلة الأولى أنه ليس لديهم فرصة لذلك، ربما لأن معظم الأمريكيين يقدرون قيم التعددية والتنوع، حتى لو لم يمارسوها باستمرار. وتلك حقيقة، خاصة إذا ما تعلق الأمر باحترام الحريات الفردية. وفكرة التفاوض والوصول لحلول وسط تحظى بقبول واسع، حتى أنه يتم تدريسها للطلبة فى المدارس، باعتبارها أفضل الطرق لحل النزاعات.

(*) نشأ هذا المذهب فى إيطاليا وأوروبا الوسطى فى نهاية القرن الرابع عشر، تحت وطأة استبداد المؤسسات المسيطرة: الإمبراطورية والكنيسة والإقطاع، ليدافع عن حقوق الإنسان الفكرية والمادية، وأصبحت فلسفة المذهب إحدى دعائم حضارة عصر النهضة الأوروبية ـ المترجم.

ومن المثير للسخرية أن الأصوليين الذين يبغضون التعددية ويعتقدون بأن الحلول الوسط خطيئة، قد استغلوا تلك القيم في مجتمعنا وجعلوا منها أسلحة تحقق أغراضهم. فقوة تأثير دعوتهم إلى «الحل الوسط» واضحة وضوح الشمس في مهاجمتهم لنظرية التطور. فكثير منهم يقدمون مفهومهم للحل الوسط: «إذا كنا ندرس نظرية التطور، فلماذا لا ندرس «نظرية الخلق العلمية» (التى قدمتها كنائس مسيحية) إلى جانبها، ونترك للأطفال الحكم»؟ ووسط صخب مطالباتهم بمستويات أعلى للتعليم، يظن الآباء أن ذلك قد يكون معقولاً. لكنهم نادراً ما يسألون أسئلة من قبيل: «لماذا لا نقوم بتدريس كل الأساطير فى المدارس»؟ أو: «لو أننا قمنا بتدريس الشعوذة ضمن مادة العلوم، فكيف للأطفال أن يفهموا ما هو العلم»؟!

في أحد استطلاعات الرأى التى أجرتها مؤسسة «جالوب - Gallup» عام ١٩٩٧م، ذكر ٦٨٪ من الأمريكيين أنهم يعتقدون بوجوب تدريس قصة الخلق [التوراتية] إلى جانب نظرية التطور بالمدارس العامة. لكن الصدمة الحقيقية أن أقلية معتبرة - حوالى ٤٥٪ - من مدرسى مادة الأحياء فى المدارس الثانوية قد وافقت هذا الرأى عام ١٩٨٦م. وفى عام ١٩٨٨م صار هذا الاعتقاد لدى أغلبية - حوالى ٥٣٪ - من أعضاء مجالس إدارات المدارس على مستوى أمريكا[١٩٩]. ما زالت الغالبية العظمى من الأمريكيين - حوالى ٨٧٪ فى استطلاع للجالوب عام ٢٠٠١م - تفضل تدريس نظرية التطور - ولكن ليس بصورة حصرية.

لكن أزعم أنه إذا لم يتم تدريس نظرية التطور بشكل حصرى، فإن تدريسها لا يمكن أن يتم بشكل جيد، وتدريس قصة الخلق أو «التصميم الذكى» بجانب علم التطور يُعد بمثابة تعليم الطلاب فى منهاج الرياضيات أن ٢ + ٢ = ٤، مع احتمال أنها قد تساوى ٣ أيضًا! فقد يستطيع الطالب فى النهاية معرفة حاصل جمع ٢ + ٢، لكن منهج التفكير الذى يجب للطالب تعلمه سيكون قد ضاع وسط الزحام.

إن التطبيق الصارم للمنهج العلمى مكون حيوى فى أى تدريس لمادة العلوم، فالعلم يتقدم، ورغم أن طبيعة العلم تقدم كل الاستنتاجات على أنها تجريبية وغير

نهـائية، فـإنه من المرجح أن تترسخ بعض المعلومات من منهاج العلوم بالتعليم الثانوى فى عقل الطالب وتصاحبه طيلة حياته باعتبارها حقيقة. ورغم ذلك، فإن البحوث العلمية قد تتطور كثيراً فى عقد من الزمان بحيث تجعل من المعلومات التى تم تعلمها فى المرحلة الثانوية لا قيمة لها.

لذا فـإن المنهج العلمى ـ وليس المضمون فحسب ـ هو ما لا بد للطالب أن يتعلمه، لأنه سوف يفيده فى الكبر، فنحن نعيش فى عالم تكنولوچى سريع التطور. وبالتالى، فإن عملية وضع استنتاجات من خلال الملاحظات، واختبار تلك الاستنتاجات، والعدول عنها إذا ثبت عدم صلاحيتها، هى عملية مهمة ليس فقط للعاملين فى المجال العلمى وإنما أيضًا للرجل العادى. وذلك تحديداً هو ما يقلق الأصوليين، أكثر من حقيقة نظرية التطور. ومفهوم توفير «وقت متساو» للموضوعات غير العلمية فى فصل العلوم هو بالضبط المعادلة التى تؤدى إلى أن نسبة ضئيلة من ألمع الطلاب سيتم إعدادها لمواجهة الأسئلة التى سيطرحها علينا المستقبل.

ولا شك أن إجماع الجماعة العلمية على أن «قصة الخلق» [التوارتية] بغض النظر عن تسميتها بمصطلحات متنوعة ـ لا تدخل فى نطاق العلم، قد أفسد على اليمين خططه فى ساحات المحاكم بانتزاع أحكام قضائية لصالحه. وعليه، فقد ركز الأصوليون على التأثير فى المستويات القياسية لتدريس العلوم بالولايات، حيث نلاحظ أنهم كانوا ناجحين تمامًا. وقد صدر مؤخراً كتاب بعنوان «العلم الجيد والعلم السيئ» لمؤلفه لورانس إس ليرنر، پروفيسور العلوم وتدريس مادة العلوم بجامعة ولاية كاليفورنيا، لونج بيتش، وقدمت «مجلة ساينتيفيك أمريكان ـ Scientific American» عرضًا للكتاب، جاء فيه أن عشر ولايات فقط هى التى يتراوح فيها مستويات تدريس العلوم بين جيد جداً وممتاز.

وأضاف التقرير أن إحدى وعشرين ولاية ـ بالإضافة إلى مقاطعة كولومبيا ـ تم تقييم مستواها على أنها متوسطة، تقوم بتدريس نظرية التطور. لكن من بينها ولايات مثل تكساس ومونتانا، لا تدرس نظرية الارتقاء (التطور) البشرى فيها،

وهناك ولايات مثل نبراسكا وماساشوستس ونيويورك، التى تتخلل أفكار «قصة الخلق» [التوراتية] المقررات الدراسية بها. الولايات الثمانية عشرة التى حصلت على تقدير ضعيف، فليس من الضرورى أن تكون من أعماق الجنوب. فقد حصلت كل من ولاية كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية على تقدير ممتاز، وحصلت ولاية لويزيانا على تقدير جيد. أما ولايات ألاسكا، ونورث داكوتا، ووسكنسن، إيلينوى، وأوهايو، ومين الشمالية، وكارولينا الجنوبية، فقد انضموا إلى الولايات الجنوبية والحدودية التى حازت مستويات تدريس العلوم بها على تقدير غير مرض أو عديم النفع. واتضح أن ولاية أيوا هى الوحيدة التى لا تتضمن مقررات العلوم بها أى إشارة لنظرية التطور[٢٠٠].

ومن المعروف جيداً أن القضية الأخرى التى تثير قلق الأصوليين هى التثقيف الجنسى. وهذا الموضوع يشغل بال قطاع عريض من المجتمع. فكلاً من التطور والثقافة يحميان الجنس البشرى من مخاطر تنامى التوالد وزيادة النسل من خلال جعل البشر لا ينظرون لأبنائهم باعتبارهم محض منتجات للعملية الجنسية أو مجرد حيوانات جنسية بالتبعية. وللأسف، يبدو أن تلك الرؤية بشأن الطبيعة والمجتمع قد جعلت من الصعب على كثير من الأمريكيين مواجهة واقع الثورة الجنسية فى المجتمع.

ففى دراسة «حمل المراهقات فى الولايات المتحدة» نجد أن معدل الحمل فى سن المراهقة بالولايات المتحدة أعلى من نظيره فى ست دول متقدمة أخرى، بالرغم من تساوى معدل ممارسة الجنس للمراهقين فى الولايات المتحدة وهذه الدول. ويكشف ذلك ببساطة أن المراهقين الأمريكيين لا يستخدمون موانع الحمل بانتظام[٢٠١]، بل وتتوصل الدراسة التى أجراها معهد آلان جوتماتشر خلال مقارنة معدل النشاط الجنسى للمراهقين فى خمس دول متقدمة (الولايات المتحدة، وكندا، وفرنسا، وبريطانيا، والسويد) إلى أن الولايات المتحدة مقارنة بالدول الأربعة الأخرى لا تحظى فقط بأعلى معدل للإنجاب بين الفتيات التى تتراوح أعمارهن بين ١٥ و١٩ عامًا، بل وبأعلى معدل للإجهاض أيضًا بين الفتيات فى هذه المرحلة العمرية. **كما تكشف الدراسة أن معدل الإنجاب بين**

الفتيات اللاتى تترواح أعمارهن بين ١٥ و١٧ عامًا يزيد على ٢٪ من عددهن فى دولتين فقط ـ من أصل ٤٦ دولة متقدمة شملتها الدراسة ـ هما الولايات المتحدة التى يصل معدلها إلى ٤ , ٣٪ وچورچيا بنسبة ٥ , ٣٪ .

وتضيف الدراسة بتساوى حجم النشاط الجنسى للمراهقين فى كل الدول المتقدمة، مع زيادة طفيفة للولايات المتحدة فيما يخص معدل النشاط الجنسى بين المراهقين أقل من ١٥ عامًا، وانخفاض ضئيل لها فيما يخص معدل النشاط الجنسى بين المراهقين أكبر من ١٨ عامًا[٢٠٢] .

ومن الممكن ربط المعدل المرتفع للحمل بين المراهقات فى الولايات المتحدة بالافتقار إلى برامج تنظيم الممارسة الجنسية والنسل فى المدارس العامة . كما يعود هذا المعدل المرتفع إلى التقاعس عن توفير وسائل منع الحمل للمراهقات .

فثمة توافق كبير فى عموم المجتمع ـ حتى بين الفئات الأكثر ثقافة ـ حول الفكرة القائلة بأن الآباء هم المسئولون عن التثقيف الجنسى لأبنائهم . فهذه الفكرة تعكس قيمة أسرية تحظى بتقدير جميع الأمريكيين تقريبًا . وتنشأ المشكلة فيما يخص ذلك التوجه حينما لا يقوم الآباء بالوفاء بالدور الواقع على عاتقهم، أو حينما لا يؤدون واجبهم على نحو سليم، فعندئذ لا يقتصر الضرر على هؤلاء الآباء فقط، بل يطول المجتمع أيضًا . **ففى عام ١٩٨٩م، تجاوزت تكلفة وجود أمهات مراهقات ٢١ مليار دولار من الموازنة العامة، أى ما يقرب من ٧٧ دولارًا فى العام لكل فرد فى البلاد، ولايتضمن هذا الرقم التكلفة غير المباشرة، والتى يتراكم العديد من بنودها بعد سنوات من بلوغ الطفل سن النضوج .**

فمثلاً دخل النساء اللائى أصبحن أمهات فى سن المراهقة يبلغ نصف دخل النساء اللائى ينجبن طفلهن الأول فى العشرينيات من عمرهن، وبالتالى يلاحظ استمرار تردى وضعهن الاقتصادى .

أيضًا، ٦٠٪ من الأمهات المراهقات اللائى يتزوجن قبل سن العشرين يطلقهن أزواجهن فى غضون خمسة أعوام، و٧٥٪ منهن يتسربن من المدارس الثانوية[٢٠٣]، ولا شك أن كثيرًا من هذه الكلفة المهدرة وما يرتبط بها من مآس،

يمكن منعه. وهذا ما كشفت عنه دراسة أجرتها كلية الطب بجامعة جون هوپكنز، حيث وفرت خدمات طبية ووسائل لمنع الحمل بصورة مجانية فى عيادة إحدى المدارس. وكانت النتيجة انخفاض حالات الحمل فى سن المراهقة بنسبة ٣٠٪ فى ثلاث سنوات[٢٠٤].

الأصوليون على الجانب الآخر، لا يعتبرون الحمل فى سن المراهقة هو المشكلة، بل إن المشكلة من وجهة نظرهم فى الممارسة الجنسية ذاتها. ومن المؤكد أننا لا نحتاج إلى الانتماء لأى دين حتى نقلق بشأن ممارسة أطفالنا للجنس. لكن الأصوليين ـ على النقيض من كل البحوث والدراسات ـ يزعمون أنها وحدها بيئة الفصول الدراسية يمكنها إما تشجيع الممارسة الجنسية أو ردعها. والكثير منهم يعتقدون فى فكرة أن تحمل مسئولية طفل غير مرغوب فيه أو المعاناة من مرض منقول عبر الممارسة الجنسية ما هو إلا عقاب على سوء السلوك الجنسى. ومثل هؤلاء الناس لا يقتنعون بالمؤشرات الإحصائية حول عدم وجود علاقة بين درجة توافر المعلومات حول وسائل منع الحمل والعلاقات الجنسية غير الشرعية. فالثانية تستمر حتى مع حجب المعلومات. والواقع يثبت أن احتمالات النشاط الجنسى للمراهقات اللائى يستخدمن وسائل منع الإنجاب ليس أكثر من أولئك اللائى لايستخدمنها. وأكثر من ذلك، فإن بعض الدراسات ترجح أنه حال اقتران المعلومات حول وسائل منع الحمل بنصيحة حول تأخير ممارسة الجنس، فإن ذلك يساهم بفاعلية فى تأخير سن ممارسة الجنس، كما يقلل من عدد الشركاء فى العلاقة الجنسية[٢٠٥]. فكما تذكر سوزان موتيميد، فى تقريرها حول «توافر الواقى الذكرى والتثقيف الجنسى المسئول» فإن توفير الواقى الذكرى بالمدارس يرفع من نسبة استخدامه بين الطلاب النشطين جنسيًا، لكنه لا يحدث أثرا بالنسبة للبالغين غير الناشطين جنسيًا، سواء على مستوى حجم النشاط الجنسى أو على مستوى عدد شريكات الجنس[٢٠٦].

رغم ذلك، يظل مقرر التثقيف الجنسى من الموضوعات الساخنة والجذابة لمجالس إدارات المدارس ذات الميول السياسية اليمينية. فرغم تفضيل الناس لهذه المقررات، إلا أن الموضوع على قدر كبير من الحساسية بحيث يستطيع المعارضون

له توظيفه لإلقاء الرعب فى قلب أى شخص يتطلع إلى منصب سياسى، والنتيجة فى الغالب هى قيام العديد من الأحياء بحرمان أطفالنا - سواء كانوا ضحايا لرغباتهم، أو لانتهاكات جنسية داخل الأسرة، أو لمغتصب غريب - من المعلومات والوسائل التى تساعدهم على حماية أنفسهم.

إن التثقيف الجنسى ونظرية التطور هما أهم المقررات التى يتمنى الأصوليون تغييرها، لكن تدخلهم يمتد لكل المناهج، والأهم أنه يمتد إلى الفصل الدراسى. ومنهج التاريخ يمثل مشكلة بالنسبة لغالبية الأصوليين، حيث إنه لا يتفق مع كتابهم المقدس أو مع أحكامهم المسبقة المتحيزة. والمقرر المقترح لتدريس «الكتاب المقدس كتاريخ» الذى تقدم به «المجلس الوطنى لمنهج الكتاب المقدس بالمدارس العامة - National Council on Bible Curriculum in the Public Schools»، يكشف مدى تشوش بعض المحاكم الأولية فى هذا الموضوع. فهذا المقرر، الذى تبنته مقاطعة ليى بولاية فلوريدا، يدرس الأحداث الواردة بالكتاب المقدس، مثل قيامة المسيح من الموت، وشق البحر الأحمر، باعتبارها حقائق. **وقد سمحت المحكمة بالإبقاء على تدريس العهد القديم، بما يتضمنه من قصة شق البحر الأحمر وما إلى ذلك. لكنها لم تسمح بمقرر العهد الجديد، حيث حكمت بأن قيامة المسيح من الموت هو من قبيل المزاعم العقيدية، وليس حقيقة تاريخية**[٢٠٧].

أما تدخلهم فيما هو أبعد من المناهج، فيرجع إلى كون الأصوليين هم أوسع الفئات التى تراقب إصدار الكتب، ليس فقط فى المدارس الأمريكية، ولكن فى المكتبات العامة، ومحلات بيع الكتب بالتجزئة، وحتى فى المنظمات الشبابية. وليس المرء فى احتياج لتعقب ذلك الأمر فى مناطق حزام الكتاب المقدس[*]، وقد سمع غالبية الأمريكيين بالاعتراضات على سلسلة هارى پوتر الشهيرة لروايات الأطفال، التى يصفها الأصوليون بأنها تمجد السحر والشعوذة، لكن أحدًا لم يبال بها. بيد أن الأمر بدا مختلفًا عند إدارة شرطة منطقة پينرين بولاية پنسلفانيا حيث يقام مهرجان سنوى للمسابقات الرياضية تحت رعاية «جمعية الشبان المسيحيين - Young Men's Christian Association (YMCA)»، ويتطلب ذلك إعادة تنظيم وتوجيه حركة المرور فى أنحاء المنطقة[٢٠٨]، **لكن الأفراد الثمانية**

(*) تقريبا معظم الباقى من أراضى الولايات المتحدة بعد استبعاد الساحل الشرقى والساحل الغربى - المترجم.

الذين يشكلون قوة الشرطة فى المنطقة، قاطعت بالإجماع العمل فى مهرجان عام ٢٠٠٢م، فقط لأن TMCA قرأت على الأطفال قصص هارى پوتر ضمن فعاليات برنامج الرعاية الذى تقدمه بعد انتهاء اليوم الدراسى.

وقال النقيب روبرت فيشثورون من إدارة المطافئ لوكالة الأسوشيتدپرس: «لا أشعر بأن اجتذاب عقول أطفالنا وتعليمهم [الشعوذة] أمرًا صائبًا»[٢٠٩].

ومن الأمور التى يعدها الأصوليون أفعالاً شيطانية، قراءة سلسلة «إمپريشنز- Imprssions»، وهى مجموعة من الأعمال فى أدب الأطفال. وتذكر مؤلفة كتاب «حروب الكتاب- Book Battles» دونا هارينجتون- ليوكر من مجلة أميركان سكوول بورد چورنال، أن جدلاً وقع فى العديد من المدارس العامة فى عموم الولايات المتحدة بعد أن هدد الأصوليون بالاعتراض على القضايا المتعلقة بالضرائب المدرسية إذا لم يتم إزالة أدب «الشعوذة» هذا من المدارس، وقد نجحوا تمامًا فى ذلك[٢١٠].

وربما لم يكن ثمة جدل أكثر غموضًا من ذلك الجدل الذى نشأ بعد اعتراض القس چيمس دوبسون على قراءة سلسلة كويست، التى جرى اتهامها بالترويج لـ «دين العصر الجديد- New Age Religion» وللنزعة الإنسانية العلمانية. فعندما انضم دوبسون إلى المعارضة الدينية على السلسلة فى أوائل التسعينيات، كان ذلك بمثابة مفاجأة؛ لأنه ساهم فى أصول هذه السلسلة تحديداً. وفى رده على الأسئلة، أثنى دوبسون على البرنامج الذى يتم فى إطاره إصدار هذه السلسلة لقيامه باستشارة عالم نفس مسيحى، وباستكتاب مؤلفين مسيحيين، ولتدريسه لقيم «متوافقة مع وجهة النظر المسيحية» لكنه لم يستطع تأييد كافة الكتب لأنها تتضمن أعمالاً لبعض العلمانيين ذوى النزعة الإنسانية. وانتهى إلى القول بإن سلسلة الكتب يمكن قبولها فقط فى حال تدريسها بواسطة معلم مسيحى[٢١١].

إن حجم التقدير الذى يحظى به التنوع والحريات الفردية فى مجتمعنا كبير جدًا، ويتساءل الأصوليون «أوليس لأطفالنا حق فى الصلاة بالمدارس؟» وغالبًا ما يتبعون ذلك بحكايات- معظمها مختلق- حول مدرسين يمنعون الأطفال من الاشتراك فى صلوات خاصة فى حرم المدرسة. ولأن غالبية الناس ينظرون إلى الدين باعتباره مرشدًا أخلاقيًا، وفى أسوأ الأحوال، باعتباره شيئاً غير ضار، فإن

هذه الحكايات تحدث أثرًا قويًا، حتى ولو لم يتم تصديقها بشكل كامل. وليس ثمة حكم قضائي يمنع الشخص من ممارسة دينه في فناء مدرسة، لكن عندما يحاول أحد الطلبة - بواعز من أبويه، أو قس في العادة - دعوة زملائه إلى الصلاة، فإن الأمر هنا يختلف.

إن الحجة الرئيسية التي تُساق لتبرير فرض الصلاة إجباريًا في المدارس على علاقة أكيدة بأسطورة عدن. لكن ليست عدن الموجودة في الكتاب المقدس، وإنما عدن التي يتم تدريسها في المستوى الأول من مادة علم الاجتماع. وأسطورة عدن هي فكرة تحظى بشعبية بين الناس بأن الظروف كانت أفضل كثيرًا في وقت ما مضى. والأصوليون على قناعة كاملة بأن «الأيام القديمة الطيبة» انتهت عام ١٩٦٣م، عندما أطاحت الملحدة مادلين موراي أوهير بالصلاة والرب خارج المدارس، وهم يستغلون تلك الفكرة ويجدون تعاطفًا في ثقافة دائمًا ما نظرت لأطفالنا بازدواجية خائفة.

هل تدهور مجتمعنا بعد القرار؟ في الواقع لا، فقد انخفض معدل حوادث القتل قليلاً وتدريجيًا في السنوات التي أعقبت القرار[٢١٢]، قد يزعم البعض أن الاضطرابات التي صاحبت الاحتجاجات المناهضة للحرب في ڤيتنام ما هي إلا تعبير عن انحلال المجتمع، وقد يرى البعض الآخر أن وعيًا أخلاقيًا جديدًا قد تولد بين الشباب الأمريكي، لكن في كلتا الحالتين، فإن الذين قاموا بهذه الاحتجاجات كانوا من بين الأطفال الذين تلقوا تعليمهم قبل صدور القرار. في الوقت نفسه، شهد عقدا الخمسينيات والستينيات انتشار مصطلح «إهمال الأحداث» حيث كان الأصوليون يحرقون تسجيلات إلڤيس بريسلي ويدينونه لإفساده الشباب الأمريكي. ويبدو أن القوى الدينية المحافظة لم تدرك قوة الصلاح للصلاة الإلزامية إلا بعد أن فقدتها.

فماذا عن الصلاة في المدارس اليوم؟ توصلت دراسة، أجريت تحت إشراف «الجمعية الوطنية للتعليم الكاثوليكي - National Catholic Education Association»، ومولت جزئيًا من قبل «المعهد الوطني للرقابة على الأدوية - National Institute on Drug Abuse»، توصلت إلى أن معدل ارتكاب تصرفات غير قانونية يرتفع بين

طلبة السنوات النهائية فى المدارس الكاثوليكية، حيث تقام الصلاة وتوجه التعليمات الدينية بصورة يومية أكثر منها فى المدارس العامة[٢١٣]، والواقع أن مسألة افتقار المدارس الكاثوليكية إلى إعلاء القيم الأخلاقية هو أمر يعرفه غالبية المراهقين. ففى لوس أنچليس، وعلى مرتفعات لوس فليز، توجد مدرسة القلب الطاهر الثانوية، والمعروفة بسجلها الأكاديمى المحترم. لكن مراهقى لوس أنچليس يطلقون على المدرسة تعبير «The Hill on the Pill» نتيجة لارتفاع معدل الممارسات الجنسية بين طلاب المدرسة[٢١٤].

إن الحوادث المأساوية الوطنية، مثل كارثة الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، بالطبع تمنح المؤيدين لفرض الأدلجة الدينية بالمدارس العامة حججًا جديدة لمواصلة جهودهم. وبينما يتسق ذلك مع هدف الأصوليين، فإنه ليس من الضرورى أن يأتى من اليمين السياسى فقط الآن، فالسياسات الليبرالية للقس والسياسى چيسى چاكسون على سبيل المثال تتناقض مع ميوله الدينية المحافظة. ففى مدرسة توماس چيفرسون الثانوية للعلوم والتكنولوچيا، الواقعة بمدينة الإسكندرية فى ولاية ڤيرچينيا، قاد چاكسون الطلاب فيما يشبه الصلاة وفقًا للتقاليد الإحيائية القديمة[٢١٥]، وقد ذكرت مجلة التايم أن:

تحولت صالة الچيمانيزيوم إلى حلقة ترتج بالهتاف والترديد. وكان من الممكن أن تتحول إلى مسيرة مدرسية نشطة، لولا أن كثيرًا من الطلبة والمدرسين أحنوا رؤوسهم، وكانوا يدعون إلى الصلاة من أجل بعضهم البعض ومن أجل السلام على الأرض[٢١٦].

وقد تساءل طالب هندوسى «هل يمكن أن يحدث ذلك»؟ وخلصت التايم إلى أنه فى الشهور التالية للهجمات على مركز التجارة أنه يمكن. وقد وصفت المجلة بعض الحوادث الأخرى لمدرسين يؤدون الصلاة مع طلاب مضطرين، أو ينشرون رسائل دينية عبر خدمة البريد العمومية، وواقعة تحويل قاعة الاستماع فى مدرسة ما إلى مكان للصلاة[٢١٧].

ما الذى يجب على المجتمع والحكومة الأمريكية قوله للطالب الهندوسى؟ وما الذى يتوجب عليهم قوله للمسيحيين الذين يفهمون حرفيًا الموعظة القائلة:

«فعندما تصلى، فادخل غرفتك، وأغلق الباب عليك، وصلّ إلى أبيك الذى فى الخفاء[218] (*) و؟ماذا عن غير المؤمنين الذين كان يتم تعليمهم البحث عن حلول عقلانية للمشكلات؟. وأخيراً، ماذا عن المسلم البالغ الذى يحاول يائساً التكيف مع الأوضاع؟ هل تبالى أمريكا بهؤلاء؟

يبدو أن مجلس شيوخ ولاية ألاباما لا يبالى بهم. ففى فبراير ٢٠٠٢م مرر المجلس مشروع قانون يأمر بأن تعلق الوصايا العشر بجميع المدارس. تخيل إذن الطفل الذى يعانى من سوء المعاملة فى المنزل يقرأ كل يوم: «أكرم أباك وأمك كما أمرك الرب إلهك، فتطول أيامك ويكون لك خير على الأرض التى يورثها لك الرب إلهك». وماذا عن الكاثوليك، الأقلية الصغيرة فى ألاباما، وهى ترى الوصية القائلة «لا تنحت لك تمثالاً، صورة ما مما فى السماء، وما فى الأرض، وما فى الماء تحت الأرض»؟. فهذا ما يستخدمه البروتستانت حتى «يثبتوا» أن الكاثوليك ليسوا مسيحيين.

وماذا عن طالب السنة النهائية بالمدرسة الثانوية، الذى يعمل جاهداً ليجد لنفسه مكاناً فى الجامعة، حينما يقرأ «ستة أيام تشتغل وتقوم بجميع أعمالك، وأما اليوم السابع فيكون يوم راحة للرب إلهك، لا تقوم فيه بأى عمل أنت وابنك وابنتك؟. «وأخيراً ماذا نحن قائلين لطلبة الصف الثالث، الذين يحاولون معرفة ما الذى يعنيه قول «لا تشته امرأة غيرك» ولا حماره[219]، لكن ـ ولحسن الحظ ـ فقد تجمد مشروع القانون فى المجلس.

ما المقصود من كل ذلك؟

فى المرحلة الثانوية، كان لى زميل توفى أبواه فى حادث سيارة، كان صديقى وأخته الصغيرة فى حالة سيئة، لكن سمح لهما بمغادرة المستشفى لحضور جنازة والديهما. ورغم أننا كنا نقطن فى إحدى مناطق تركز الأصوليين بأمريكا، ورغم أننا جميعاً كنا من المتدينين، لكن الخطاب الأصولى للواعظ عن عذاب النار وجحيمها كان يصدم مشاعر أى إنسان لديه قدر ولو ضئيل من الإحساس.

(*) قول المسيح فى الإنجيل ـ المترجم.

فوالدا صديقى ـ كما ترى ـ كانا فى طريقهما إلى النار عقابًا لهما على مسالكهما الشريرة فى الحياة. ولكن أى مسالك شريرة تبعاها فى مدينة صغيرة كتلك التى نعيش فيها والتى ترجح أنهما لم يكونا شريرين بأى حال من الأحوال؟! لم أفهم أبدًا. شاهدت تعابير وجهىْ چون وليزا بينما يقوم القس بإنزال اللعنات على والديهما اللذين كانا قد فقداهما للتو. لم يبد «الرجل المقدس» أى بوادر للتخفيف عنهما، بل أخذ فى تحذيرنا نحن المجتمعين إذا لم نغير من أنفسنا ونقلع عن ارتكاب المعاصى، فإننا إذن سوف نواصل طريقنا مباشرة إلى الجحيم. وجلس الإبنان فى صبر، وقد حرما حتى من الحق فى سماع ولو تأبين بسيط لوالديهما اللذين رحلا عنهما.

كنت بالطبع أعلم بشأن الأصوليين، ورأيت أن طرقهم فظة، لكن لم تكن وجهة نظرى الدينية تختلف كثيراً عن وجهة نظرهم. فقد بدا لى من الممكن ـ بل من المحتمل ـ أن والدَىْ صديقى فى طريقهما إلى النار، لكننى لم أكن آنذاك ـ ولا أستطيع الآن ـ أن أستسيغ أى مبرر دنيوى كان أو أخروى لإبلاغ الابنين بذلك والتأكيد عليه. كنت غير قادر على الكلام، مثلى فى ذلك مثل باقى الحضور (باستثناء القس وبضع زملائه) وكانت تلك المرة الأولى التى أرى فيها قسوة القلب والامتهان المتعمد لمشاعر الصغار، وهما ملمحان ضمنيان ـ وأحيانًا واضحان ـ فى الفكر الأصولى.

لقد ناقشنا فى الأجزاء السابقة بعض القضايا التى تثير قلقًا عامًا فى الكفاح من أجل مستقبل أفضل لأمريكا. بيد أن هناك من القضايا ما قد لا يتوافر لها مكان على جدول السياسات العامة، لكنها تحظى بأهمية لدى أى شخص مهتم بالأطفال، وإذا لم يكن بمقدور الأمريكيين عمل شيء أكبر من مجرد الاحتجاج على التصرفات المتوحشة والأحكام الخاطئة التى تشوه جوهر الاحتجاجات الصاخبة بشأن «القيم الأسرية»، فإنه لا بد من أن يتكلموا ويرفعوا أصواتهم. فعندما تُترك الأيديولوچية لتتحكم فى الواقع، فإن الناس يعانون، والضعفاء منهم يعانون أكثر.

إن أمريكا كأمة، ليست على استعداد لأن تمرر قانونًا أو حتى تفكر فى وضع قيود على حجم الأسرة، فى حين قد يكون النزوع نحو تأسيس أسر كبيرة هو أكثر مشكلات الأصولية انتشاراً. ويذكر «المركز الوطنى لدراسة الحوادث العرضية ـ The National Incidince Study»، أن معدل وقوع الإهمال البدنى والتعليمى فى الأسر الكبيرة يبلغ ثلاثة أضعاف المعدل فى الأسر ذات الطفل الواحد. ووجد تقرير المركز أن «يلعب المتخصصون دورًا رئيسيًا وحيويًا فى المدارس فى تحديد الأطفال الذين يتعرضون لسوء المعاملة والإهمال»[٢٢٠].

لم تكن هذه الإمكانية ـ للأسف ـ متاحة لأطفال أندريا ياتس الخمسة الذين كانوا يتلقون تعليمًا منزليًا، وقامت بإغراقهم فى حوض الاستحمام. والتفاعل بين المعتقدات الدينية لأندريا ومرضها العقلى غاية فى التعقيد حتى لا يمكننا توضيحه هنا، لكن ثمة حقيقة واحدة واضحة وضوح الشمس. فقبل سنوات من قيامها بإغراق أطفالها، كان الزوجان قد قررا عدم استخدام وسائل ضبط النسل وأن يتقبلا كل ما يرزقهم الرب به من أطفال. ولم يكن الزوج راستى ياتس ـ الذى لم يكن يعانى من مرض عقلى، ولا أندريا ـ على استعداد لإعادة النظر فى قرارهما، بالرغم من تحذير الطبيب النفسى لهما بأنه كان يجب أن يعلما من واقع خبرتهما أن أندريا ليست مؤهلة لتربية ورعاية أطفال.

ومن المحزن أن أطفال أندريا ماتوا قبل أن يصلوا سن البلوغ، لكن معظم أبناء الأصوليين يبلغون ذلك السن، وغالبًا ما يجدون أنفسهم غير مؤهلين للحياة بشكل يدعو للشفقة، لأن الطفل لا يصقل فى نفسه مهارات اتخاذ القرار إلا باتخاذ قرارات، ولا ينمى من تقديره لذاته إلا بأن يحقق النجاح بالاعتماد على نفسه، ويزيد من مهارات التجاوب العاطفى عن طريق التعامل مع أناس مختلفين عنه. ففى كتاب «تربية طفل قادر على الفعل» يشير الإخصائيان النفسيان بيتى لو بيتنر وإيمى ليو، إلى أنه ليست حالة الأفراد فقط على المحك وإنما أيضًا حالة الدولة. حسبما يقول الإخصائيان «لابد للأطفال فى النظم الديمقراطية من أن يتعلموا أن يفكروا لأنفسهم» وذلك بتبنى ديمقراطية صنع القرار فى اجتماعات الأسرة[٢٢١].

لا توفر الأسرة الأصولية التقليدية والتسلطية مثل تلك الخبرات. فهؤلاء الشباب يدخلون عالم الكبار كالعبيد الذين حصلوا على حريتهم حديثًا، وليس لديهم من المعرفة فى التعامل مع مشكلات الحياة إلا طرائق العبيد أو مناهج الأسياد. والطفل الذى يُربى لكى يرى نفسه فى صورة الإنسان المخطئ الذى يحتاج دائمًا لأن يكون تحت السيطرة، قد ينمو ويترعرع داخل هذه الصورة. ويشير المعلمان ستيفين جلين وچين نيلسون إلى أن «العائق الرئيسى لتطوير قرار ناضج» هو أن يكون لدى الطفل أبوان من سماتهما أنهما:

يحاضران، ويعطيان التعليمات، ويفسران، ويحددان الأخلاقيات، وأخيراً يصدران كافة الأحكام بنفسيهما.. فمثل هؤلاء الآباء يعيقون التطور فى نضج الأحكام والتفكير النقدى، ويكبحون اكتساب المعرفة، ويتبنون التهديد والتخويف[٢٢٢].

وحتى الباحثين الذين يجدون بعض القيم الإيجابية فى نشاط الكنيسة، فلديهم مشكلات مع الأصولية. فى عام ١٩٨٤م، خلص ك. إم. بريجمان إلى أن مشاركة الأسر فى أنشطة الكنيسة أوجدت مزيداً من الاستقرار والسعادة على هذه الأسر. لكن «يُعتقد أن العقائد الصارمة، المروجة لفكرة الأدوار الاجتماعية التقليدية بناءً على النوع، وللمقتربات السلبية لتنظيم الأسرة، ضارة لحياة الأسرة»[٢٢٣].

ويبدو أن الكثير من النماذج الشهيرة لإساءة معاملة الأطفال فى هذا البلد قد نمت من المحاولات المتواضعة لتطبيق المعايير الأخلاقية المطلقة للأصولية المسيحية على عالم أكثر تعقيداً بكثير. ومن المؤكد أن النفاق ليس بالأمر الذى يتفرد به الأصوليون، لكن يبدو أن الوقوع فيه أمر حتمى فى نظام قيمى يؤطر كل شىء بمطلقات أخلاقية، وإنه لمن الصعب على أى طفل أن يتعلم بحق السلوكيات الأخلاقية فى مثل تلك البيئة.

ومن الأمثلة الدالة فى هذا السياق حالة مارى كاى لاتورنيو، فقد كان چون چورج شميتز أحد المحافظين الأوائل فى الدفاع عن شعار «القيم الأسرية» وأحد

الشخصيات البارزة فى الجماعة التى قادت «الثورة الريجانية ـ Reagan revolution»، والعضو بمجلس النواب الأمريكى عن مقاطعة أورانج بولاية كاليفورنيا، وكان ربًا لأسرة كاثوليكية أصولية. وكانت زوجته ـ مارى ـ التى أعلنت نفسها ضد الحركات النسوية، ناشطة فى رابطة الحق فى الحياة. كان لدى شميتز منزل يمتلئ بالأطفال، وكانوا جميعهم يحبونه لدرجة العبادة، لكن مارى كاى كانت الأقرب لقلبه، وربما كانت هى أيضًا الأكثر إعجابًا به، وكان يدللها ويسميها مارى كاى «الكعكة ـ Cake».

لكن الأمور كلها ساءت عندما اتُهمت عشيقته ـ التى كانت إحدى طالباته فى يوم من الأيام ـ بالتعدى على واحد من طفليها، الذى كان شميتز تبناهما. فقد كشفت التحقيقات عن العلاقة التى كانت تجمعهما، فأقر بها وبأبوته للطفلين، وتمت تبرئة السيدة من التهمة الموجهة إليها، لكن بعد أن انتهى مستقبل شميتز السياسى وتدمرت أسرته. وبعد فترة قصيرة، قابلت مارى كاى، التى كانت قد شبت للتو عن مرحلة الطفولة، ستيف لاتورنيو، وحملت منه، فتزوجا وانتقلا للعيش فى سياتل، حيث كبرت أسرتهما. كان كل شىء طبيعيًا، حتى وقعت مارى كاى، التى عملت مدرسة فى إحدى المدارس الابتدائية، «وقعت فى حب» أحد تلاميذها بالصف السادس الابتدائى وحملت منه[٢٢٤].

وخلال كثير من البرامج الحوارية والمقابلات التلفزيونية، توسلت مارى كاى إلى الناس كى يفهموا أنها لم تقصد إيذاء أحد بما فعلته، وأن حبهما حب حقيقى، وأنه لم يكن أمامها بد إلا أن تتبع قلبها.

وليس من الصعب على الإطلاق فهم كيف صارت مشوشة ولا تميز بين الخطأ والصواب فى الأمور المتعلقة بالقلب. فقد ترعرعت فى عالم يسير وفقًا لمعادلة «الخير» مقابل «الشر» السطحية، لكى تتعلم فقط أنه وفقًا لهذه التعريفات أن معلمها وبطلها كان «شريرًا»، ومن المؤكد أن ذوى الإحساس المرهف من الناس فى ذهول من أن التشوش يمكن أن يكون مرعبًا لهذا الحد.

سيكون من الإسفاف أن نقول إن البالغين ذوى السمعة السيئة ـ الذين جاءوا من أسر أصولية ـ يرتكبون أفعالهم المؤذية بسبب التقاليد الدينية لآبائهم وحدها.

لكن القول بأن تربية آبائهم الدينية القاسية والمطلقة لم يكن لديها أى علاقة بسلوكهم المنحرف، ينطوى هو الآخر على تجاهل خطير للواقع. والسؤال بالطبع هو كم عدد الأطفال الذين يتم تربيتهم اليوم على تجاهل المعايير الإنسانية للياقة لصالح بعض «القوانين العلوية» غير المرنة والتى لا يمكن تحقيقها؟.

إذا كان بمقدور الأصوليين المطالبة بحل وسط فى أشياء أولية مثل تعريف العلم، أو ليس من الأنسب أيضًا المطالبة بحل وسط وباستيفاء بعض المعايير فى تعليم أولادهم؟ وماذا عن مطلب مشروع ببعض الإشراف على التأديب البدنى للرضع الذين لا حول لهم ولا قوة؟

إن أمريكا تتساهل مع مفاهيم الأصوليين حول التأديب والتعليم، وتتسامح مع حقهم المطلق فى استخدام العنف، لعزل لأطفالهم عن سوق الأفكار، ولحمايتهم من التعليم السوى. ألا تُعد تلك الأمور جرائم تحريض ضد أطفال اليوم، تمامًا مثل الجرائم التى قد يرتكبها أطفالهم فى المستقبل؟ لا شك أن الحرية الدينية قيمة أمريكية لا بد وأن تُصان، لكن ليس معنى ذلك أن يكون الدين ستاراً للتعسف البدنى والجنسى والفكرى، أو لإهمال الأطفال.

***

الفصل الرابع

الخضوع الأبدى

بقلم: كيمبرلى بلاكر

ترجمة: هبة رءوف

ينبغى على الزوجة أن تخضع بكل لطف وأدب إلى خدمة زوجها، بالتساوى كما تخضع الكنيسة برغبتها لرئاسة المسيح. فالزوجة أعطيت من الرب مسئولية احترام زوجها، وأن تعمل على مساعدته فى إدارة شئون الأسرة وتربية الجيل القادم[(٢٢٥)]

رسالة وعقيدة المعمدانية

المادة ١٨ من مؤتمر المعمدانية الجنوبية

يبدو دور المرأة فى هذا الوصف ـ عند العديد من المواطنين الأمريكيين ـ وكأنه وصف من كتاب تاريخى عن دورها منذ عقود، إن لم يكن منذ قرن أو قرنين. البعض منا قد تمت حمايته من هيمنة الرجل التى تسود المنازل هذه الأيام. وفى عيون الكثيرين، فإن البقية الباقية الوحيدة التى تمثل الدليل المباشر لهذه الأدوار يمكن مشاهدتها فى سلوك أجدادنا الكبار، وهى الأجيال التى سوف تولى قريبا. ولكن هذا الأمر بخضوع الزوجة لزوجها ليس فقط أمرًا بائدًا من عقود أو قرون قديمة ـ البتة. وقد اجتمع ثمانية آلاف وثلاثمائة وافدا إلى مؤتمر المعمدانية الجنوبية (SBC) ـ أكبر الطوائف البروتستانتية فى العالم ـ فى سولت ليك سيتى من أجل الاجتماع السنوى فى التاسع من يونيه عام ١٩٩٨. وفى خلال هذا الاجتماع، تم إقرار المادة الثامنة عشرة من مؤتمر المعمدانية الجنوبية التى تتعلق برسالة وعقيدة المعمدانية، وهو الشيء الذى كان يقلق الكثيرين من المعتدلين بينهم. ولم يطرأ أى تغيير على رسالة وعقيدة المعمدانية لمدة خمسة وثلاثين عامًا. وبالرغم من أن المعمدانية الجنوبية تعد محافظة فى معتقداتها، إلا أنها لم توضح فى السابق تصورها عن دور النساء بشكل مباشر.

وتحتم المادة الثامنة عشرة الجديدة على ملايين النساء الراغبات فى الالتحاق بقوة العمل أو المجالات العادية الأخرى على حد سواء ـ على الأقل فى الأسر

التى تلتزم بعقيدة المعمدانية - الحصول على إذن من أزواجهن، وهو الشىء الذى أعلنه كاتبو هذه المادة[٢٢٦].

ويلاحظ تنامى وجهات النظر المسيحية المحافظة لدور النساء، سواء كان ذلك من قبل الأصوليين، أو الذين يميلون إلى مثل هذه الآراء. فالأصولية المسيحية لا تؤثر فقط على النساء فى المنازل الأصولية، وإنما على النساء فى المجتمع بأسره.

وفى الواقع فإن معتقدات الأصوليين تؤثر بشدة على النساء أكثر من أى جماعة أخرى. فالنساء فى الأسر الأصولية ربما لا تملك إلا القليل من السلطة فى قرارات الإنجاب، وفى الغالب ما يَكُنَّ على جهل بالطرق الفعالة لتحديد النسل والتى ينبغى عليهن اختيارها لتكون ملائمة صحيًا، بينما تأثرت النساء كافة بعجز الحكومة أن تكفل للمراهقات التوعية الملائمة الخاصة بالإنجاب ومنع الحمل. وتعتبر النساء الفقيرات بشكل خاص فى خطر، وذلك بسبب ارتفاع أسعار وسائل منع الحمل، بالإضافة إلى أن اليمين المسيحى يعمل بقوة على منع سياسات التأمين من تغطية وسائل تحديد النسل والبرامج الاجتماعية التى تقدمها.

وتعانى النساء أيضا من الطريقة التى يعاملن بها من آبائهن وأزواجهن، فالكثير من النساء فى منازل الأصوليين يقبلن وضع الخنوع والعبودية، وكأنه الوضع الطبيعى للنساء، سواء أدركن هذا الوضع وارتضينه أم لا، فهن يعاملن وكأنهن مواطنات من الدرجة الثانية. فالزوج ربما يملك قرار عمل زوجته وتعليمها وكذا المشاركة فى النشاط الاجتماعى. ويؤدى مثل هذا التحكم غالبا إلى سوء المعاملة الزوجية، وهو الأمر الذى يعتبر مألوف الحدوث فى منازل الأصوليين المسيحيين. وتؤثر سوء المعاملة الزوجية أيضا على النساء بصورة عامة فى حالة زواجهن من رجال يتبعون السلوك الأصولى أو الذين نشأوا فى بيئة دينية محافظة، حتى عندما لا يتمسك الرجل بشدة بوجهات النظر الدينية التى تربى عليها، يظل هذا السلوك الأصولى عالقًا فى ذهنه.

وغالبًا ما يتعلم هؤلاء الرجال طريقة واحدة لحل الخلافات الزوجية، وهى تنفيذ العقاب البدنى لكى تمتثل الزوجة لوجهات نظر الزوج.

وتؤدى معاملة النساء بهذه الطريقة إلى نتائج خطيرة تتعلق بصحتهن البدنية والعقلية والجنسية.

وتعانى النساء الأصوليات غالبا من المعتقدات التى تمنعهن من الحصول على العلاج الطبى المناسب. وبالمثل، فإن صحة النساء بصورة عامة تتأثر بوجهات النظر الدينية المحافظة التى تؤثر فى الرعاية التى يتلقونها فى المستشفيات الكاثوليكية. ويتأثرن أيضا بغياب القواعد التى تتعلق بحق اختيار قرار الإنجاب وبصحة النساء. إضافة إلى ذلك، تتعرض الصحة العقلية للنساء الأصوليات للخطر، حيث يرين أنفسهن خادمات مخلصات لأزواجهن وللأسرة والكنيسة. وفى النهاية تتقبل النساء عدم أحقيتهن فى حياة أكثر إشباعًا لرغباتهن. وربما ترى النساء الأصوليات الجنس الممتع وكأنه شيء بغيض مما يؤدى إلى تزايد الاختلال والاضطرابات الجنسية. وربما تؤثر هذه الآراء السفيهة أيضا على النسبة السكانية الضخمة للنساء من غير الأصوليات. وقد تم اقتراح وسن مجموعة من القوانين تحظر بيع الأجهزة العلاجية الجنسية والأدوات الأخرى الحيوية فى علاج الاضطرابات الجنسية، بالإضافة إلى التدخل فى أمور متعلقة بالحرية الشخصية والحق فى الخصوصية.

البدايات البطريركية (الأبوية أوالنظام الأبوى)

يعد منشأ النظام البطريركى غير واضح، ويعتقد بعض العلماء أن النظام بدأ فى التطور أثناء العصر الحجرى عندما كانت تختطف النساء من قبائل أو جماعات أخرى. بينما يعتقد آخرون أن الشعوب الهندوأوروبية قامت بتحويل ما كان يعرف بالمجتمع الذى يتبنى سلطة ومركزية الأم إلى النظام الأبوى البطريركى[٢٢٧]، بينما أشار البيولوچى ريتشارد داوكينز إلى أنه من المحتمل أن قيام هذا النظام يرجع إلى زمن بعيد، حتى قبل وجود الشعوب الهندوأوروبية،

وأنه «وبغض النظر عن بداية تطبيق هذا النظام البطريركى، فإنه انتشر فى المجتمعات المختلفة على مدى التاريخ. وفى أمريكا، كانت النساء تحت حكم آبائهن، وأزواجهن، وكان زواج النساء مقترنا بحياة العبودية. وتدور هذه الحياة فقط حول عناية النساء بأطفالهن وتعليمهم والبقاء فى المنزل والعمل فى الحقول وتوفير كل ما يحتاجه أزواجهن»[٢٢٩].

وكانت تبعية المرأة المتزوجة هى المفهوم الذى بنى عليه القانون العام للثقافة الأنجلو-أمريكية، والذى تم التخلى عنه تدريجيا من الدول المختلفة خلال القرن التاسع عشر، «وهو المفهوم الذى كان يحدد دور المرأة المتزوجة[٢٣٠]، حيث كانت مثل العبيد، تعد ميتة من الناحية المدنية. فالعبد لا يملك أى وجود قانونى مستقل بعيدًا عن سيده، وبالزواج أصبح الزوج والزوجة «شخصًا واحدًا»، وهو شخص الزوج». تشرح كارول باتمان[٢٣١] وهى من كبار واضعى النظريات السياسية.

الرجال فقط هم الذين كان لهم الحق فى الطلاق، بينما لاتستطيع النساء كتابة وصية أو التوقيع على العقود أو الحصول على قروض. وكانت لهن حقوق ملكية محدودة، وللرجال الهيمنة سواء كان داخل المنزل أو خارجه. وفى العديد من المناطق، كان يمكن اغتصاب النساء أو ضربهن من قبل أزواجهن؛ وذلك فى ظل عدم وجود قانون يحمى هؤلاء النساء. ولم يكن متاحًا للنساء- أيضا- الحصول على فرص للتعليم بالرغم من أنهن كن يعملن على توفير الدخل للأسرة، إلا أنه لم يكن متاحًا لهن العمل إلا فى وظائف وأدوار محددة فقط[٢٣٢].

ومع القرن التاسع عشر، بدأت بعض النساء فى طلب المساواة داخل المنزل، ولكن على عكس ما كان متوقعًا، فقد أدى ظهور الحياة الصناعية فى منتصف القرن إلى وجود قيود أكثر على النساء، إذ كان ينظر إليهن على أنهن حراس «للفضائل المنزلية» وأصبح الرجال المصدر الوحيد للدخل، وأصبحت القيود الموضوعة على أدوار النساء التقليدية أكثر شدة[٢٣٣]. ومع ذلك وفى نفس الأثناء، بدأ ظهور ثقافة نسائية مميزة، وبدأ عمل المرأة فى الطبقات الدنيا، وبدأت الحركات النسائية فى الازدياد، وكان لا بد أن تؤدى هذه الشبكات الاجتماعية إلى إصلاح أوضاع النساء[٢٣٤].

وفى عام ١٨٤٨ تم تدشين حركة النساء عندما طالبت كل من لوكرتيا موت وإليزابيث كادى ستانتون بعقد اجتماع يناقش حقوق النساء، والذى عقد بمنطقة شلالات سينيكا، نيويورك. وقد كان الهدف من الاجتماع «مناقشة الحقوق الاجتماعية والمدنية والدينية للنساء» وعلى هامش الاجتماع ظهر «إعلان الآراء والقرارات» والذى يوضح أن «جميع الرجال والنساء قد خلقوا سواسية»، وأصبحت أهداف حركة النساء واضحة.

وفى عام ١٨٥٩ ، صار استخدام الواقى الذكرى فعالاً، وأصبح متاحًا للنساء الفرصة لتحديد النسل فى العائلة، وقد لعب ذلك دوراً حاسمًا فى الوصول إلى المساواة، حيث لم يعد دور النساء مقتصراً على تنشئة الأطفال مدى الحياة. **وفى عام ١٨٧٨ تم تقديم التعديل الخاص بحق النساء فى التصويت إلى الكونجرس الأمريكى، لكن بقى التقدم الذى تم إحرازه فيما يتعلق بحقوق النساء بطيئًا، وظل يلقى معارضة شرسة ليس من الرجال فقط بل من بعض النساء أيضًا.**

وفى عام ١٨٩٧ ، تنبأت سوزان ب. أنطونى بأنه «لن يكون هناك مساواة كاملة حتى تقوم النساء أنفسهن بوضع القوانين وانتخاب واضعى القوانين». وقد كانت على حق. **وبعد اثنين وأربعين عامًا من عرض التعديل التاسع عشر، تم التصديق عليه فى عام ١٩٢٠ ، وهو التعديل الذى يعطى النساء الحق فى التصويت. وبعد هذا الحدث الهام، حظى السعى باتجاه مساواة النساء بقوة دفع كبيرة[٢٣٥].**

وقد كان هناك أيضًا مؤثر هام فى مساواة النساء [بالرجال]، وهو الانتشار الواسع فى تحديد النسل، والتنوع الكبير لوسائل منع الحمل. ففى عام ١٩١٦ واجهت مارجريت سانجر خطر السجن عندما قامت بافتتاح العيادة الأولى فى الولايات المتحدة الأمريكية الخاصة بتحديد النسل، فى بروكلين. فى عام ١٩١٧ ، قامت بتشكيل تحالف وطنى لتحديد النسل والذى أصبح فيما بعد يعرف باتحاد تنظيم النسل الأمريكى. ويعود السبب إلى التزامها بتحديد النسل، والحرية فى مجال الصحة التناسلية للجميع، إلى خبرتها فى العمل كممرضة، فقد رأت الصور المرعبة للتشوهات والموت الذى ينتج عن الإجهاض الذاتى[٢٣٦].

وأخيراً فى عام ١٩٣٦ ، أجاز القانون استخدام وسائل تحديد النسل ، مثل الواقى الذكرى والعازل الأنثوى ، وفى عام ١٩٦٠ ، أجازت FDA حبوب منع الحمل . وهكذا نالت النساء أخيراً السيطرة الكاملة على الإنجاب عندما حكمت المحكمة فى قضية «روى ضد واد» ، فى عام ١٩٧٣م ، بحق النساء فى الإجهاض .

فى عام ١٩٢٣ أجاز الكونجرس الأمريكى التعديل الدستورى الذى يقضى بالمساواة فى الحقوق والذى تم اقتراحه فى نفس العام ، ويتعلق بالقضاء على التمييز من حيث النوع (ERA) . ويعلن هذا التعديل البسيط والمباشر أنه «لا ينبغى إنكار المساواة فى الحقوق ، من قبل حكومة الولايات المتحدة ، أو حكومة أى ولاية» . وتشير سوزان فالودى مؤلفة الكتاب الأكثر مبيعًا «الحرب غير المعلنة ضد النساء» إلى أنه من خلال عامين من تحقيق هذه الإنجازات الهامة للنساء ، ثارت كافة جماعات اليمين الجديد ، وبدأت هذه الجماعات فى القيام بجهود منظمة لمناهضة التعديل الدستورى الذى يقضى بالمساواة فى الحقوق (ERA) . **وقد أطلقت اللجنة الحزبية التنظيمية المحافظة على التعديل وصف أنه (ERA) «أحد التشريعات الأكثر دماراً على الإطلاق ، والتى أجازها الكونجرس . وتم بشكل منظم تشويه سمعة الذين يعملون على منح النساء المزيد من الحقوق وفرص العمل ، وتحميلهن مسئولية كل الأمراض الاجتماعية والأسرية[٢٣٧] .**

أيضًا- وكما كان الحال سابقًا ـ لم يكن الرجال المتحيزون ضد النساء وحدهم الذين يقفون عائقًا فى طريق المساواة ، فقد اعترضت نساء اليمين الدينى على التصديق على تعديل الدستور لتحقيق المساواة ، قدر اعتراض الرجال[٢٣٨] ، وقد كان للنساء بعض المخاوف المنطقية ، مثل ما إذا كان هذا التعديل سيؤدى إلى فقدان بعض الحقوق المكفولة للمرأة ، مثل نفقة الزوجة المطلقة ، أو توحيد استخدام المراحيض العامة . ومع ذلك ، فقد كشف هذا التعديل النقاب عن شدة وصرامة السيطرة الأصولية التى تخضع لها عقول النساء فى أسر وكنائس المسيحيين المحافظين .

وقد تم تأسيس منتدى النسر على يد فيليز شلافلى، بصورة أساسية لمنع تصديق الولايات على التعديل، وكان مؤشراً على الفاعلية التى ستكون عليها جماعات اليمين الجديد. وقد كشفت عملية التصويت عن أن ثلثى الأمريكيين مع التعديل، وتم التصديق على التعديل من قبل اثنتين وعشرين ولاية فى خلال العام الأول بعد إقرار التعديل من الكونجرس الأمريكى.

ورغم ذلك فقد واجه هذا التصديق نوعا من التعثر ما بين عامى ١٩٧٥ و١٩٧٧، ومن ثم بدأ فى التراجع حينما «قامت خمس ولايات بإلغاء موافقتها السابقة على التعديل»[٢٣٩].

استمر اليمين المسيحى يكافح لوضع العراقيل أمام التعديل الدستورى لإلغاء التصديق عليه، ففى عام ١٩٨٠، كانت حجة الأب چيرى فالويل فى كتابه «استمعى يا أمريكا!» أن التعديل «يقوض أساس هيكلنا الاجتماعى بالكامل»، ووفقا لفالودى، فقد أدان فالويل حركات المرأة، وتوصل فى النهاية إلى أن هذه الحركات النسائية جلبت الخراب على أمريكا ووضع الأسرة. ولإعطاء مثال على كلامه غير المنطقى، فقد اتهم الداعين إلى إعطاء النساء مزيداً من الحقوق بشنهم «هجومًا شيطانيا على الأسرة»، ثم توعد بعد ذلك بتدمير التعديل و«دفنه إلى الأبد فى قبر عميق ومظلم»[٢٤٠].

وفى السنة التالية لذلك، أى فى عام ١٩٨١، قدمت جماعات اليمين الجديد قانون حماية الأسرة، والذى أعده پول ويريش وهو الأب الروحى لجماعات اليمين الجديد ومرشدهم فى «مؤسسة الميراث ـ Heritage Foundation» اليمينية القوية. وقد كان القانون يمثل «المخطط التفصيلى لبرنامج هذه الجماعات»[٢٤١]. وكان المضمون بعيداً عما يعنيه العنوان، فهذا القانون ما هو إلا أداة لتدمير حقوق النساء[٢٤٢]، وكما شرحت فالودى، من بين العديد من الأمور، فإن «مقترحات هذا القانون تؤدى إلى استبعاد القوانين الفيدرالية التى تؤيد المساواة فى التعليم» و«تلزم الفتيات أن يتعلمن أن الزواج والأمومة هما الوظيفتان الحقيقيتان لهن»[٢٤٣]، ويقترح القانون أيضًا أن «تكون الحوافز الضريبية سببًا فى تشجيع النساء المتزوجات على الإنجاب والبقاء فى المنازل»[٢٤٤].

وعلى الرغم من عدم إجازة هذا القانون الجائر، إلا أنه فى عام ١٩٨٢م كسبت جماعات اليمين الجديد واحدة من أهم معاركها، فقد انتهت المدة المحددة للتصديق على التعديل الدستورى لضمان المساواة، وتم إلغاؤه بسبب عدم اكتمال نصاب عدد الولايات المطلوب تصديقها ليصبح قانونًا فيدراليًا عامًا وذلك بفارق ثلاث ولايات. وليس هذا فى نظر الأصوليين بالشيء الكافى، فجماعات اليمين الجديد لا تقبل أقل من الرجوع الكامل للمجتمع البطريركى (الأبوى).

وقد استمرت هذه الجماعات طوال السنوات الخمس التالية فى تقديم مشروعات القوانين بزعم «حماية الأسرة»، ويتضمن ذلك مشروع قانون يراقب كافة المعلومات عن تحديد النسل، ليس فقط عن المراهقين، ولكن أيضًا البالغين حتى الزواج، ومشروع قانون آخر يعكس نفس المخاوف ويتعلق «بالعفة والطهارة»[٢٤٥].

ورغم الدفعة التى ينالها النظام البطريركى مع نمو الرؤى المسيحية المحافظة، فقد أكد تقرير نشر مع نهاية عام ١٩٨٩ خاص بالنساء المسيحيات، أن ثلاثة بالمائة فقط من النساء توجهن إلى قساوستهن من أجل «الإرشاد الأخلاقى»، وقد شعر القساوسة البروتستانت بالتهديد، وبدءوا فى التركيز على آيات مثل «الرجل رأس المرأة مثلما المسيح رأس الكنيسة» وما شابه.

وبعد ذلك فى عام ١٩٩٢م كتب پات روبرتسون فى خطاب لجمع التبرعات:

«إن خطة الداعين إلى إعطاء النساء مزيدًا من الحقوق لا تمنحهن الحقوق العادلة، فهى تعد بمثابة حركة اشتراكية وسياسية مناهضة للأسرة، وتشجع النساء على ترك أزواجهن وقتل أطفالهن، وممارسة أعمال السحر وتدمير الرأسمالية، وأن يصبحن سحاقيات»[٢٤٧].

وفى أقل من عقد تال، كان النمو المستمر لحركة المحافظين كافيا لكى يؤدى إلى قيام ١٥ مليون عضو فى المعمدانية الجنوبية بالإجماع على إضافة المادة الثامنة عشرة إلى رسالة وعقيدة المعمدانية. وقد أدى هذا التزايد الكبير لوجهات النظر التى تؤيد النظام البطريركى وسط معمدى الجنوب، إلى انقسام فى مؤتمر

المعمدانية الجنوبية الذى عقد فى عام ٢٠٠٠، بينما عارضت الأقلية المعتدلة فى المؤتمر بكل قوة نمو المذهب المحافظ لقيادة الكنيسة، والتى أصرت على اتباع ما ورد حرفيًا فى الكتاب المقدس حول خضوع النساء لأزواجهن، واستثناء النساء من الخدمة الكهنوتية[٢٤٨].

دروس فى الجنس

يعد دور النساء فى الأسر الأصولية محدداً ولا يقبل النقاش، ولا يوجد لبس بشأن من الذى عليه أن يعد العشاء ويغسل الأطباق وينظف المنزل ويرعى الأطفال. وتعد هذه المهام التقليدية بمثابة أعمال المرأة المكلفة للقيام بها سواء من قبل الرجال أو الكنيسة. ويتوقع من النساء أن يخدمن أزواجهن بكل طاعة ولايعترضن على سلطة أزواجهن. ولا بد عليهن الحصول على موافقة الزوج للقيام بأى أنشطة خارج نطاق المهام التقليدية الأنثوية، مثل تولى إحدى الوظائف أو الالتحاق بالأنشطة الاجتماعية. ويعتبر ذلك هو العرف السائد. وفى هذه المنازل القائمة على النظام البطريركى، حين تقضى الحاجة باتخاذ قرارات هامة، ربما يتاح للنساء الفرصة للتعبير عن آرائهن، ولكن تبقى القرارات النهائية والمطلقة فى أيدى الرجال. ويشير «ديفيد م. سكولر» أستاذ العهد الجديد بمعهد فوللر اللاهوتى، إلى المناصرين الرئيسيين فى هذه الأيام لقيادة الرجل وخضوع النساء، ويوضحون وجهات نظرهم بجلاء، فيقول «روبرت دى. كلفر» فى مقاله **«الرأى التقليدى: دع نساءك يلتزمن الصمت. والآية ١٦ من الإصحاح الثالث ـ سفر التكوين .... وهو يتسلط عليك»** وقال كلفر:

مع الأخذ فى الاعتبار الاستثناءات التى قد تحدث من حين لآخر، فهذه هى الطريقة التى كانت من قبل، ومن المحتمل أن تظل كما هى.

إنها الحقيقة التى لا يمكن للثورة الصناعية أو الحركة الداعية إلى إعطاء النساء مزيدا من الحقوق أن تقوم بإسقاطها، وينبغى على الراديكاليين المطالبين بالمساواة الاستسلام والتوقف عن ذلك. فالنساء ذوات الفطرة السوية ضد هذه الأفكار.

فمعظم النساء تفضلن الأشياء التى نشأن عليها، أو على الأقل أقوال الكتاب المقدس. . . . فهيمنة الرجال فى العديد من الأمور لا تعد قواعد يجب طاعتها، لكنها حقيقة ينبغى الاعتراف بها. . . . . وينبغى أن تكون ولاية البالغين على غيرهم للرجال، وسوف تبقى كذلك دون شك. والقاعدة الخاصة بهيمنة الرجال فى الكتاب المقدس ستبقى أقوى مما سبق.[٢٤٩]

والسؤال الذى يُثار هو: لماذا تقبل العديد من النساء هذه الطريقة للحياة؟ والإجابة ليست بالسهلة، ولكن تبدأ من العقائد التى يتم غرسها منذ الطفولة، والعزلة الاجتماعية من خلال التعليم فى المنازل وغرس الإحساس بالذنب وتقديم الوعود المريحة بالثواب. والإحساس بالذنب الذى يفرض على النساء المسيحيات المحافظات تكشف عنه كراسة دينية كتبتها كنيسة الرب فى المسيح:

أن مهمة المرأة الأولى هى إقامة منزلها والحفاظ عليه، والعديد من أمهات العصر الحديث يخترن إحدى المهن، وتحضر الأم جليسة أطفال وتتعجل أطفالها ليجتازوا مرحلة الطفولة، وذلك كى تكون حرة لتواصل اهتماماتها الأنانية. والكتاب المقدس يعلمنا أن النساء لا بد أن يكن «حراسا لمنازلهن» (تيطس ٢ : ٥)[*]. وهكذا فإن ذلك يعنى أن المرأة يجب أن تكون فى منزلها، تحب الزوج، تعلم أطفالها وتمتعهم وتنكب على فنون إدارة المنزل والفرحة تملأ قلبها[٢٥٠].

واستخدام كلمة «أنانية» كإشارة لإقناع النساء بالذنب إذا اهتممن باحتياجاتهن ورغباتهن الخاصة، من الوسائل التى يحقق بها المتمسكين بتعاليم الكتاب المقدس السيطرة على النساء. وفى الوقت نفسه ــ وعلى النقيض من ذلك ــ فإن المهام الموكلة إلى النساء يتم تفسيرها بلغة إيجابية ومثيرة للعاطفة، تترك لدى النساء المشاعر التى ينبغى أن يحملنها. وتستخدم عادة المصطلحات الوصفية مثل: «حب» و«الاستمتاع» و«الفرحة فى قلوبهم» ليس فقط لإحداث هذه المشاعر الإيجابية حيال أدوارهن فى الحياة ولكن أيضا لإيقاظ الإحساس بالذنب عندما تطفو المشاعر السلبية إلى السطح فيما يتعلق بوضعهن المحدد سلفًا فى الحياة.

(*) طبعة الحياة للكتاب المقدس نصها كالآتى:

«متعقلات عفيفات؛ مهتمات بشئون بيوتهن، صالحات، خاضعات لأزواجهن» ــ المترجم.

وغرس الذنب فى قلوب النساء من أفضل الطرق التى تحقق بها الطوائف المسيحية الخضوع، بل والدعم الكامل من قبل المرأة من أجل إنجاح الزواج الذى يقوم على الأبوية والهيمنة الذكورية.

وينبغى على المرأة أن تتساءل ما هو النفع الذى سيعود عليها من القيام بهذا الدور؟ أولم ينبغى عليها الخضوع لذلك؟ ومن المحتمل أن يتم إبلاغها بالإجابة على هذه التساؤلات:

«خضوع المرأة لزوجها يحررها من كثرة المشاكل والإحباط، وخضوعها لأوامر الرب يحررها من الإحساس بالذنب. فالخضوع يعد نعمة وليس نقمة!»[٢٥١] وفى هذا السياق تؤكد الكاتبة أن الشعور بالذنب يظل العنصر الفاصل فى التحكم العقلى فى هؤلاء النساء. حينذاك، وبعد أن تجتاز النساء مرحلة الإقناع بالذنب، يصبح الزوج فى نظرهن قديسًا، ومن ثم تمحى معصية النساء عن طريق خدمتها لزوجها، وبالتالى ترى سيطرته على أنها تعبير عن الحب. ومن الضرورى فهم القبول الواسع للأدوار المحددة لكل من الرجل والمرأة بين الأصوليين لنرى مدى تطور الأدوار وكيفية الحفاظ على بقائها.

وفى دراسة عام ١٩٩١م أشرف عليها مجموعة من المتخصصين فى أحوال المجتمع، وهم تشارلز پيك وچورچ دى. لو وإل. سوزان ويليامز، وجدوا أن مستوى الجنسية فى أسر المسيحيين المحافظين يكاد يكون متساويًا بين الرجال والنساء، ومع ذلك فإن سبب هذه الانطباعات الشائعة يختلف طبقا للنوع وخاصة بالنسبة للأصوليين[٢٥٢]، ففيما يتعلق بالرجال، نجد الانضمام إلى جماعات الأصوليين يساعد على وجود تمييز أكبر بين الجنسين. ولكن بالنسبة للنساء؛ فإن الأثر الأكبر ليس للجماعات التى ينتمين إليها ولكن لإيمانهن بما ورد فى الكتاب المقدس، فهذا هو الفيصل فى اتخاذ مواقفهن من أدوار الجنسين. وبالتالى وكما أشار هؤلاء المتخصصون» فإن المرأة التى تأخذ كلمة الرب بشك، هى أقل تمييزا بين الجنسين»[٢٥٣].

وربما يفسر لنا ذلك أهمية الجماعات فى التى تميز بين الجنسين، مثل جماعة «الحافظون العهد» والتى أنشأها فى عام ١٩٩٠م بيل مكارتنى، وهو مدرب كرة

سابق بجامعة كلورادو. فالرجال تتشكل آراؤهم بناء على المعتقدات الجماعية، وهؤلاء الذين يشاركون فى هذه الجماعة حتى وإن كانوا ذوى نية صادقة فى أن يصبحوا أزواجًا وآباء صالحين، فإنهم ـ على الأرجح ـ يصبحون أكثر إيمانا بالنظام الأبوى، ويعزى ذلك لأن قيادة جماعة «الحافظون العهد» تشجع هيمنة الرجال. وتصر الجماعة على أهدافها المتضمنة إصلاح الزواج، وهو أمر يدرك المراقبون أنه أبعد ما يكون عن الصحة.

فهؤلاء الذين ينخرطون فى هذه الجماعة يتلقون رسالة قوية لا تساعد على التوافق الزوجى. وكما تشير الصحفية تريس آن مارتين، مسئولة فرع ولاية ميتشيجان للمنظمة الوطنية للنساء (أكبر المنظمات النسوية فى الولايات المتحدة):

الحقيقة أنه هناك سبعة «عهود» لجماعة الحافظين للعهد. وهى بشكل عام على مستوى عال: الاستقامة والأمانة... وغيرها، ولكنهم قاموا بتلخيصها فى وعد التحكم فيك!. وجماعة «الحافظون العهد» يعدون بما يوعظون. يعمل الزوج كراع، والنساء والأطفال... يخضعون بالكلية لرعايته الطيبة والمباركة، والتى أمر بها الله. الرجال الذين ينضمون إلى جنة الحافظين للعهد لا بد عليهم أن يكونوا راغبين فى قبول هذه الحقيقة بالكلية أيضًا، ويوافقون ـ من خلال خلايا الجماعة التى يترأس كلاً منها رجل ـ بتطبيق ذلك وتنفيذ هذا الالتزام. حينئذ فمن المتوقع أن ينظموا أنفسهم تحت سلسلة من القيادات تطيع الأوامر رجوعا إلى مركز القيادة فى مدينة بولدر، كلورادو[(٢٥٤)].

ومن قادة «الحافظون العهد» يقرر تونى إيفانز هذه الموعظة الواضحة« أنا لا أقترح أن تسأل عن دورك (فى الزواج) ولكنى أطالبك بأن تسترد هذا الدور. ولا يمكن أن يكون هناك حل وسط فى هذا الموقف»[(٢٥٥)]. فماذا نتوقع من هؤلاء الرجال الذين يتلقون تلك التوجيهات بصورة رئيسية؟ إنهم يطالبون بأن «يأخذوا» لا أن «يسألوا» وهو يدل ضمنًا على علاقة قوة وتسلط.

وكما هو معروف، فإن الزواج الجيد يبنى على مبدأ الحل الوسط والتفاوض، ومع ذلك قام إيفانز بإلقاء فكرة الحل الوسط من النافذة كما يقولون. ولنا أن نتخيل كَمّ السلطة التى سيمارسها الرجل على المرأة كى يوفى بوعده

لجماعته: «الحافظون العهد»؟. وليس هناك من شك أن العديد من الرجال يلتحقون بالجماعة لمجرد إصلاح حياتهم الزوجية، وليسوا كلهم من الذين لديهم أفق محدود، على الأقل ليس كل من ينضمون إلى الجماعة. والمشكلة ليس فى عدد الأفراد الذين سوف يقبلون وجهة النظر الضيقة لجماعة «الحافظون العهد»، فالعديد من الرجال الذين انضموا إلى الجماعة متزوجون من نساء لم ينشأن فى ظل مثل هذه العلاقات الجائرة، ومن غير المحتمل أن تقبل كل النساء سيطرة أزواجهن، بل على الأرجح سوف يقاومن هذه المحاولات للسيطرة، وهنا مكمن الخطر. فربما يميل هؤلاء الرجال إلى إدارة الأسرة بطريقة ديكتاتورية، وهذا يمكن أن يؤدى إلى سوء المعاملة الزوجية.

ويستقى هؤلاء الرجال مواقفهم الذكورية من انتماءاتهم وعلاقاتهم بالجماعة بشكل تنظيمى، بينما تتعلمها النساء عن طريق المرشدين الدينيين والكتابات الأصولية، والتى من خلالها يستخدم الكتاب المقدس والقيم الدينية كأداة لقمع النساء، لتجنب الارتباك والاضطراب، ولإرساء النظام يجب أن يكون هناك رئيس، وأمر الله بأن يكون الرجل هذا الرئيس:

«المسيح هو الرأس لكل رجل، أما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله» ـ الرسالة الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١١ : ٣.

«فكما أن الكنيسة أُخضعت للمسيح، فكذلك الزوجات أيضًا لأزواجهن فى كل شىء» ـ الرسالة إلى مؤمنى أفسس ٥ : ٢٤.

«فليس الله إله فوضى بل إله سلام، كما هى الحال فى كنائس القديسين كلها، لتصمت النساء فى الكنائس، فليس مسموحًا لهن أن يتكلمن، بل عليهن أن يكن خاضعات، على حد ما توصى به الشريعة أيضا، ولكن إذا رغبن فى شىء ما، فليسألن أزواجهن فى البيت لأنه عار على المرأة أن تتكلم فى الجماعة» ـ الرسالة الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٤ : ٣٣ ـ ٣٥.

«على المرأة أن تتلقى التعليم بسكوت وبكل خضوع، ولست أسمح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل عليها أن تلتزم السكوت. ذلك لأن آدم كون أولا ثم حواء، ولم يكن آدم هو الذى انخدع (بمكر الشيطان) بل المرأة انخدعت

فوقعت فى المعصية. إلا أنها ستحفظ سالمة فى ولادة الأولاد» ـ الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ١١ ـ ١٥[٢٥٦].

يتلاعب الرجال المحافظون بالنساء ليفرضوا النظام الأبوى الذى يريدونه مقابل تمجيد خضوع النساء، فيقولون «إن دور النساء هو أعظم امتياز فى العالم» . . . يهونون من الضربة ببيع أوهام خصوصية التميز.

«ليكون قلبها متزينا بروح الوداعة والهدوء، هذه هى الزينة التى لا تفنى، وهى غالية الثمن فى نظر الله» ـ رسالة بطرس الأولى ٣ : ٤

«فإن الرجل لم يؤخذ من المرأة بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يوجد لأجل المرأة بل المرأة وجدت لأجل الرجل» ـ الرسالة الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١١ : ٨-٩.

«ثم قال الرب الإله: ليس مستحسنًا أن يبقى آدم وحيدًا. سأصنع له معينا مشابها له»[*] ـ (سفر التكوين ٢ : ١٨)[٢٥٧].

يستخدم الكتاب المقدس لتكريس تلك الآراء ضد المرأة، ويلخصها «لإشباع حاجاته» كما فى نص الكتاب المقدس [الطبعة الإنجليزية].

هذا هو الذى يريده النظام الأبوى بصورة أساسية، فالرجال الأصوليون يبحثون عن النساء اللاتى لا يناقشن مسألة الخضوع للرجل، فقط يعملن كمربيات أطفال وحارسات للأسرة ويقمن بأعمال الطهى. وفى مقابل ذلك، يقوم الرجال بتحقيق ذواتهم فى العمل أو عالم الأعمال، فما هو التعويض الذى يمكن أن تنتظره المرأة؟ الطعام والملبس وسقف فوق رأسها، طالما لم تفكر فى تغيير هذه الحياة.

(*) النص فى الكتاب المقدس طبعة «كتاب الحياة» كالتالى «ثم قال الرب الإله: ليس مستحسنًا أن يبقى آدم وحيدًا. سأصنع له معينًا مشابهًا له»

والنص الإنجليزى فى الكتاب ترجمته كالتالى: خلق مساعدًا، صاحبًا (أى حواء)، واحدا ما لإشباع حاجاته.

He made a help mate for him - a companion, someone to satisfy needs (Gensis) [2:18]

وبمجرد أن تقبل المرأة هذا النمط من الحياة، فإنها تكون قد أوقعت نفسها فى الفخ، حيث تمنع من القيام بأى شيء يمكن أن يؤدى فى آخر الأمر إلى استقلاليتها.

وهناك أفكار أخرى يتم إغراء النساء بها ليقبلن الخضوع للرجال، ووفقا لرأى أليس بى. ماثيو من المعهد المعمدانى المحافظ للشرق - فإن الكثير من النساء المسيحيات يسمعن وعودا بأن حياتهن ستمتلئ بالرضا [٢٥٨].

وتتضح وجهة نظر ماثيو عن طريق أحد الكتاب المحافظين وهو چى. إم. مايلز مؤلف كتاب «المبدأ الأنثوى: اكتشاف النساء لمفتاح الوفاء الكامل»، حيث يقول:

ما الذى يمكن أن تناله المرأة من خضوعها لزوجها؟ فقط الأمن المطلق بالإذعان إلى تسلسل نظام السلطة فى الكون، فقط السعادة العميقة للعيش مع رجل حقيقى يزداد قوة يوما بعد يوم، فقط الوفاء بالمشاركة الكاملة فى علاقة حب حقيقية، فقط استكمال ما هو ناقص فى طبيعتها البشرية، فقط استجابة عقلها الطائع إلى تأثير روح الرب الذى يكون مع النفوس المتواضعة والطائعة التى تنشد اللجوء إليه [٢٥٩].

ويبدو أن قادة الكنائس المحافظة من المتعمقين بصورة جيدة فى دراسة النفس الأنثوية، حيث يصورون الدور الذى تخضع له النساء الأصوليات على أنه قضية نبيلة، وأنه شيء مألوف وطبيعى، ، بالمثل يطالب إل. كريستنسون، مؤلف «العائلة المسيحية»:

أن تكونى خاضعة، فإن ذلك يعنى أن تبدى تواضعك وطاعتك إلى قوى أو سلطة معينة (الزوج). . . إن الرب لا يأمر بهذا القانون الخاص بخضوع الزوجات لأزواجهن لأنه يضطهد النساء، ولكن وعلى النقيض من ذلك من أجل حماية النساء والتوافق فى المنزل. فهو مهتم بحماية النساء من الكثير من المواجهات الوعرة فى الحياة.

والكتاب المقدس لا يعرف شيئا عن زواج ديمقراطى بنسبة ٥٠- ٥٠ ، فالزوجة هى بنسبة ١٠٠٪ زوجة وكذلك الزوج . ومسئولية الزوجة الأساسية هى أن تقدم نفسها ووقتها وطاقتها إلى زوجها وأطفالها ومنزلها (كريستنسون ١٩٧٠ ، صفحات ٢٢ - ٣٣ ، ٤٠)[٢٦٠] .

ويدرك القادة المسيحيون المحافظون بكل وضوح المثيرات العاطفية التى تأسر النساء . وبالنسبة للكثيرين ، فإنه لا يتخيل أن تكون أى امرأة قادرة على رفض هذه الرسائل اللطيفة ، خاصة عندما تطالب النساء بأن تمارس العطاء ، والعطاء .

والعديد من النساء اللاتى يقعن فى هذا الفخ يأتين من أسر وكنائس تعلمهن هذه المعتقدات من نعومة أظفارهن ، والنساء اللاتى نشأن فى أسر تسلطية ، قد تم تزييف وعيهن حتى يتصورن أن هذا التحكم تعبير عن الحب . وإضافة إلى ذلك ، فإن النساء اللاتى نشأن فى هذه البيئات المسيطرة والتعسفية ، ينمو معهن احتياج قوى لحب الرجل واستحسانه على ما يفعلن ، ويبغين دون وعى الوفاء بهذه الحاجة من خلال أزواجهن . ويصبح الزوج الأب «المحبوب» ، وهو الأمر الذى لم تتمتع به هؤلاء النساء من قبل مطلقًا ، هذا على الرغم أنهن فى الغالب يخترن أزواجا لا يقل استبدادهم عن الآباء فى أسرهن الأصلية .

التوافق الزوجى والهيراركية «الهرمية»

يرى المسيحيون المحافظون أن حجتهم فى الرجوع إلى النظام البطريركى «الأبوى» هو أن خضوع الزوجة يعد بمثابة درع واق لها ضد عدم الرضا والطلاق ، وذلك بالمقارنة بالزواج الذى تسوده المساواة والندية . وإقناع النساء بأن خضوعهن هو الطريق إلى السعادة الأبدية ، يعد من الطرق التى تتقبل بها النساء هيمنة الرجل . وفى الحقيقة ، فإن خضوع النساء يقى فقط من سخط الرجال .

وبكل وضوح ، فإن الرجل الذى يملك امرأة رهن إشارته لن يكون ساخطًا على الإطلاق ، أو يظهر أنه لن يكون كذلك . ومع ذلك ، وبمجرد أن تشاهد هذه العلاقة ، فإنه من المحتمل أن يسبب عدم رضا المرأة تعاسة كبيرة لها لشعورها آنذاك بأنها مقيدة بحياة لا يمكنها الهروب منها .

وبوجه عام فإن النساء فى الأسر ذات النظام البطريركى «الأبوى» لا تعمل خارج المنزل، وحتى لو فعلن، فإنهن لا يملكن الوسائل المالية التى تمكنهن من ترك المنازل؛ لأن الأزواج يتحكمون فى نوعية العمل وعدد ساعاته. ولا يتاح للنساء فرص وظيفية أو التطلع لما هو أبعد من ذلك باستئناف تعليمهن أو تحصيل مهارات وظيفية أعلى؛ خشية أن يؤدى ذلك فى نهاية الأمر إلى استقلال النساء المادى.

وبغض النظر عما سبق، فإن الزعم بأن الأسر التى تسودها الهيراركية تنجح أكثر من غيرها وأقل عرضة للفشل هو زعم غير صحيح. فطبقًا لتقرير غير موثق اكتشفه ماثيو بمعهد المعمدانيين المحافظين، أعلنت طائفة دينية صغيرة معروفة مؤخرًا أنها فى خلال عام قد فقدت زوجين مسيحيين أسبوعيًا بسبب الطلاق(٢٦١).

ويفسر ماثيو ما يحدث بأن استسلام الزوجة يؤدى إلى العزلة أكثر من الوفاء، ويؤدى الزواج التقليدى إلى ضغط وسخط زوجى، وأيضًا للطلاق(٢٦٢). وليس من الصعب تخيل كم التقارير والدراسات الأخرى ذات النتائج المشابهة والتى لم تنشر.

وقد كشفت دراسة حديثة لماثيو، النقاب عن المستوى الحقيقى للتعاسة والاستياء الذى تشعر به النساء داخل الطائفة الإيفانجليكية، وأُجريت الدراسة على المتزوجات ومن سبق لهن الزواج من المنضمات لمنظمات إيفانجليكية، وقد طلبت الدراسة من النساء ـ من بين العديد من الأسئلة ـ أن يذكرن الأسباب الخمسة البارزة التى تدفعهن للزواج. وقد ذكر ٧٥٪ من النساء أن البحث عن الصحبة الزوجية الطيبة هو السبب الرئيسى الذى دفعهن للزواج(٢٦٣).

ومع ذلك، عندما طلب من هذه النساء التحدث عن تجربتهن الشخصية، فقد وجد أنهن يفتقرن إلى هذه الصحبة، فقد وجد أقل من ٢٠٪ بالفعل ما كن يتطلعن له(٢٦٤)، وقد أوضحت إحدى النساء قائلة:

لقد أصبت بأكبر خيبة أمل حيث اخترت الزواج من شخص له اهتمامات مختلفة عنى.. ومن ثم كانت علاقة الصحبة فى زواجى مخيبة للآمال

ومحبطة، وفى أوقات أخرى تعرضت لسوء معاملة عاطفية وعقلية، ولكن ليس بدنية[٢٦٥].

وكما كان متوقعا، فإن السلبيات التى ذكرتها النساء نتيجة هيمنة الرجال كانت:

- فقد إمكانية نمو وتطوير القدرات.
- المسئولية الكاملة والمرهقة عن الآخرين «الزوج والأطفال»
- فقدان الرؤية الشخصية عن الكهنوت.
- عدم وجود استقلالية، وحرية فى «أن تفعل ما يروق لك».
- عدم وجود وقت فراغ أو حرية فى الاستفادة من الوقت.
- عدم وجود حرية فى اتخاذ القرارات الخاصة[٢٦٦].

وقد تم توجيه سؤال آخر إلى النساء حول تقويم تجربتهن الزوجية، وقد كانت الإجابات فى ذلك السياق كالتالى:

- كل ما أفعله هو العمل والعناية بالأطفال، ومكافحة الكآبة، ومقاومة أن أكون مبتكرة أو قادرة على فعل أى شىء خلاق.

- أجاهد فى أن أجد الوقت اللازم لإنهاء الأعمال التى أقوم بها، وأشعر بالذنب والأنانية إذا خصصت وقتًا لنفسى.

- فى بعض الأوقات أشعر بعدم قدرتى على التحكم فى مسار الأمور، وأن حريتى واستقلاليتى مقيدة، وهو الأمر الذى يجعلنى محبطة فى أغلب الأوقات، وأشعر أن هويتى مشتتة - كفرد قبل الزواج كنت أشعر بأننى مكتملة، ولكن كامرأة متزوجة أشعر وكأنى نصف إنسان، وصار صعبًا على الشعور بذاتى[٢٦٧].

إضافة إلى ذلك، طبقًا لأكثر من نصف عدد النساء فى التقرير، واللاتى لديهن التزام قوى تجاه كنيستهن وعقائدهن الدينية، فإن الكنيسة قد عوقت نموهن الروحى والاجتماعى بدلا من مساعدتهن على التوافق[٢٦٨].

ويعكس واقع السخط أيضًا دراسة أصدرتها مجموعة بارنا للأبحاث، وهى تابعة لشركة أبحاث تسويقية مسيحية بكاليفورنيا. وقد كان عنوان الدراسة «المسيحيون يعانون من الطلاق أكثر من غير المسيحيين»، وقررت الدراسة أن المعمدانيين والمسيحيين الذين ولدوا ثانيا (أو من جديد) والمسيحيين غير المنتمين لطوائف، نسبة تعرضهم للطلاق أكثر من المسيحيين الآخرين والملحدين، واللاأدريين، والعديد من أتباع الديانات الأخرى. والدراسة التى نوردها هنا والتى تم إصدارها فى ديسمبر ١٩٩٩، تتضمن مقابلات مع ٣٨٥٤ من البالغين فى ٤٨ ولاية، وتم توجيه سؤال حول ما إذا كان المشارك مطلّق فى الوقت الحالى أو تعرض للطلاق سابقًا. ووفقًا لمجموعة البحث، يضمن حجم العينة الضخم درجة عالية من الوضوح والدقة، ويجعل الاختلاف فى معدلات الطلاق «ذا مغزى إحصائى»[٢٦٩].

معدلات الطلاق «المطلقون حاليًا أو الذين تعرضوا للطلاق سابقًا» وفق المعتقدات الدينية أو الانتماءات

البروتستانت اللاطائفيون	٪٣٤
اليهود	٪٣٠
المعمدانيون	٪٢٩
المسيحيون الذين ولدوا ثانيًا (أو من جديد)	٪٢٧
بروتستانت التيارالرئيسى	٪٣٤
المورمون	٪٢٥
الذين لم يولدوا مرة ثانية	٪٢٤
الكاثوليك	٪٢١
اللوثريون	٪٢١
الملحدون / اللاأدريون	٪٢١[٢٧٠]

ولا يعد عدم الرضا الزوجى أو الطلاق المشكلة الوحيدة المرتبطة بالزواج الذى يتبنى النهج التسلطى. ففى دراسة عام ١٩٨٩ لكارولين هولدرين هيجين، واحدة من مؤلفى كتاب «النساء وسوء المعاملة والكتاب المقدس: كيف يمكن استخدام الكتاب المقدس فى العلاج أو فى الإضرار؟» وجدت الكاتبة أن النساء اللاتى يؤمن بالخضوع للرجل كانت درجة احترامهمن لأنفسهن أقل من النساء اللاتى يؤمن بالمساواة بين الجنسين(٢٧١). وأظهرت استجابة النساء الإيڤانجليكيات الآثار السلبية لهيمنة الرجل على صحة النساء العاطفية بدرجة بالغة ولا يمكن إنكارها. وقد كتب چون سوروملى الأستاذ الفخرى للآداب الاجتماعية بمدرسة القديس پولس للدراسات اللاهوتية بشكل موسع عن قضايا النساء واليمين المسيحى والمذهب الكاثوليكى. ويشير چون إلى أن تحديد وتنظيم دور المرأة كأم ومانحة للرعاية من خلال «النظم الدينية والاقتصادية والسياسية المفروضة عن طريق العادات والقوانين» هو بمثابة شكل مستتر للعنف ضد النساء(٢٧٢).

وتؤدى آثار سوء المعاملة العاطفية المرتبطة بالزواج الهيراركى والتى لا يمكن إدراكها بالعين المجردة إلى اكتئاب النساء، وعلى أسوأ تقدير إلى الصدمات والانتحار، أو ما هو أسوأ من ذلك، والدليل على ذلك ما فعلته أندريا ياتس بإغراقها أطفالها الخمسة، كما سلف الذكر.

ضرب النساء لإجبارهن على الخضوع

فى الولايات المتحدة يتم ضرب امرأة كل ١٥٠ ثانية، وثلث النساء المقتولات كن ضحايا لأصدقاء وأزواج ورفقاء سابقين، والأمر الأكثر إزعاجاً أن العنف المنزلى هو السبب الرئيسى فى موت النساء فى كل أنحاء العالم فى الأعمار ما بين الرابعة عشرة والرابعة والأربعين(٢٧٣).

وعلى الرغم من ذلك، فإن العنف ضد النساء لا يعتبر ظاهرة جديدة، فضرب النساء يعود على الأرجح إلى مراحل تاريخية سابقة فى مسيرة النظام البطريركى «الأبوى».

ولمزيد من الدقة، تم عمل دراسة تاريخية فى عام ١٩٧٩ حول العنف المنزلى، وأعد الدراسة كل من إيمرسون دوباش وراسل دوباش عالما الاجتماع، وقد توصلا وفقًا لدراسة عالمى الاجتماع ريتشارد جيلس وآن ليڤين إلى أن «العنف ضد الزوجات هو امتداد للنظام البطريركى والعادات القديمة والقوانين الموضوعة التى تعطى الرجل الهيمنة والسيطرة على النساء»[٢٧٤].

والنظام البطريركى هو هيكل أسرى مألوف بين الأصوليين هذه الأيام، وتعد هيمنة الرجل الكاملة أحد الأهداف الرئيسية لليمين المسيحى. ويمكن رؤية نماذج تاريخية للعلاقة بين النظام البطريركى والعنف المنزلى عن طريق إلقاء نظرة على بدايات المجتمع الرومانى، فقد كانوا يعتبرون الزوجة فى ذلك المجتمع من أملاك الزوج «لا تملك حقوقًا أكثر من الطفل أو العبد». والمرأة التى تتهم بالزنا تعاقب بالموت[٢٧٥].

وفى بدايات المجتمع المسيحى، لم يتم إنصاف النساء بشكل كبير، ويوضح الباحثان ريتشارد جيلس وآن ليڤين أن:

يبين تفسير الكتاب المقدس أن حواء خلقت من ضلع آدم، ومتأخرة عن خلقه لكى تشبع رغباته، وأنها كانت ضعيفة بطبيعتها ويمكن إغواؤها بسهولة، وأن ذلك هو العقاب لآثام حواء، أن تعيش حياة الخضوع[٢٧٦].

والزوج فى تلك المرحلة التاريخية كان يملك السيادة فى فرض العبودية على زوجته من خلال الضرب والقهر. حتى فى الولايات المتحدة معقل الديمقراطية فى العصور الحديثة، لم تكن القوانين حتى آخر سنوات القرن التاسع عشر تضمن حماية النساء المتزوجات من استخدام الزوج للقوة «المفرطة» فى الإيذاء البدنى[٢٧٧]، وقد أظهرت الإحصائيات أن مشكلة سوء المعاملة الزوجية مستمرة.

ولا تزال الإحصاءات تدعو إلى القلق لتنامى عدد الرجال الذين يؤمنون بأن العنف هو وسيلة مقبولة لضمان خضوع المرأة[٢٧٨].

ومن إحدى الخصائص العامة للرجال الذين يضربون زوجاتهم هو «الاعتقاد التقليدى فى هيمنة الرجل ودور الرجل المسيطر فى الأسرة»[٢٧٩].

ولكن من أين تأتى هذه المعتقدات؟ طبقًا لچيمس وفيليز ألسدرف فى كتاب«ضرب النساء لإخضاعهن : مأساة سوء معاملة الزوجة فى الأسر المسيحية» :

«من المحتمل أن يزداد الإيذاء الجسدى للزوجة تمشيًا مع تعاليم الكنيسة، وخاصة التعاليم التى تتعلق بأدوار الجنسين والتسلسل الهرمى»[٢٨٠].

وقد وجد هيجين ـ من كبار المنتمين لكنيسة مينو نايت البوكيرك ـ نماذج محددة من المعتقدات الدينية المرتبطة بسوء المعاملة الزوجية، وتنتشر بين المسيحيين أربعة من هذه المعتقدات وهى :

١- ينبغى أن تخضع النساء للرجال.

٢- النساء أقل شأنا من الرجال.

٣- معاناة النساء فضيلة مسيحية.

٤- وكمسيحيات لا بد أن تصفح النساء عمن أساء معاملتهن[٢٨١].

والأسوأ من ذلك، أن القساوسة الأصوليين غالباً ما يتغاضون عن العنف المنزلى، أو على أقل تقدير لا يناصرون النساء اللاتى يتم ضربهن، ولا يعملون على حمايتهن من المزيد من الإيذاء. وتشهد إحدى النساء على ذلك حينما أخبرها راعى أبرشيتها :

«لا يهم ما يفعله معك، فهو لا يزال قائدك الروحى. عليك احترام تلك التصرفات قدر إمكانك، والصلاة فى مواجهة التصرفات التى لا يمكن احترامها. ولكن تذكرى أنك تدينى له وللرب بالعيش فى طاعة زوجك. ولن تشعرى بالسعادة حتى تخضعى له»[٢٨٢].

والنساء اللاتى يتم ضربهن لهن العديد من الخصائص العامة مثل : الإيمان بالدعم القوى لوحدة الأسرة، والوفاء للقيم التقليدية التى تتعلق بالأسرة، وقبول الأدوار النسائية الشائعة التى تحددها الكنيسة [٢٨٣] .

وللأسف فإن المعتقدات والقيم الدينية تعد من أحد الأسباب الرئيسية لبقاء النساء تحت المعاناة من علاقات تعسفية[٢٨٤] .

وفى غالب الأحيان تكون النساء ذات الخلفيات الدينية واللاتى يقبلن هيمنة الرجل « أقل إيماناً بأن العنف ضدهن خطأ»[٢٨٥] ، وذلك كما كشفت دراسة للباحثة ليونور والكر فى عام ١٩٧٩ .

ولا تعتبر الزوجات والرفيقات فقط ضحايا الضرب نتيجة الإيمان بسيادة الرجل . بين النساء الشديدات التدين، فإنه سواء كان الاعتداء عن طريق رفيق، أو مجرد أحد المعارف، فإن النتيجة غالبًا ما تكون واحدة .

وقد تعرضت شيرلى چيليت مؤسسة «النساء لن ينسين» للاعتداء الجنسى عن طريق رجل فى كنيستها، وقد شعرت بعد الاعتداء بأنها لا قيمة لها لأنها لم تؤد واجبها فى السيطرة على رغبات مرتكب الاعتداء الجنسى . وقد تعلمت فى مدرسة الأحد أن المسئولية تقع على المرأة فى السيطرة على هذه الأمور . وقد زاد من ضرر الاعتداء شعورها بالعجز، لأنها تعرف أن «شهادة النساء لا قيمة لها» ولذلك لم تبلغ عن واقعة الاعتداء . وكنتيجة لذلك، كبرت چيليت وهى تعانى من الاكتئاب، وامتنعت فى آخر الأمر عن الذهاب إلى الكنيسة[٢٨٦] .

ولا شك أن مخاوف چيليت بخصوص رد الفعل المتوقع والقهر الذى استسلمت له يعكس قبولاً وممارسة مستقرة . وفى حوار لأحد القساوسة مع إحدى النساء التى تعرضت للاعتداء الجسدى والجنسى من والدها، حين أعلنت الواقعة بعد عشرين سنة من الصمت، قال مؤنبًا : «إن امرأة لديها مرارة وغارقة فى الشفقة على ذاتها، وحدها هى التى يمكنها أن تتذكر مثل هذه الأشياء بعد كل هذه السنوات»[٢٨٧] .

وبالمثل ذكرت كريستين جودورف فى كتابها «القرن المسيحى» : «إن ضحايا العنف المنزلى قد يسمعن من المتدينات من أقرانهن أن هذا المصير لا ينبغى التهرب منه، وأن واجبهن البقاء مع الزوج المؤذى»[٢٨٨] ، ولذلك فإنه من الصعوبة أحيانًا التمكن من مساعدة النساء الأصوليات اللاتى يتعرضن للضرب. وطبقًا لتقرير نشر فى عام ١٩٨٧ فى مجلة «العلاج الزوجى والأسرى» من إعداد ڤيكى ويپل، يتم تشجيع النساء على طلب المساعدة من الكنيسة والاعتماد فى أغلب الأحيان على الإيمان وتشجيع النساء على الغفران وعلى قبول سيادة الرجل وعدم طلب الطلاق[٢٨٩] ، وبالتالى فإنه من غير المحتمل أن تدرك النساء مدى ظلم وسوء المعاملة الزوجية.

وكما تشير هيجين، فالطريقة الوحيدة لمنع العنف المنزلى هى تغيير الاعتقاد السائد بأن الرب أراد أن تخضع الأسرة للنظام الأبوى الذكورى[٢٩٠] ، وربما يكون هذا سهلاً فى صياغته اللفظية لكنه بالتأكيد صعب فى التطبيق.

وعلى الرغم من كل الشواهد، فقد فشل الكثير من القادة الدينيين فى الاعتراف، أو على الأقل الإدراك بالارتباط بين النظام البطريركى والعنف المنزلى. واستمر الكثيرون فى إعطاء قوة دافعة أكبر من أجل خضوع النساء. وبدلاً من الاعتراف بالدور السلبى الذى تلعبه هيمنة الرجل، **فقد أصر قس إيڤانجليكى فى حديث مع أحد المتخصصين فى علم الاجتماع على «أن ضرب المرأة فى ازدياد لأن الرجال لم يعودوا رؤساء فى منازلهم. وأنا أنصح النساء بضرورة العودة إلى المنزل وأن يصبحن أكثر خضوعاً»**[٢٩١] .

لا مفر: مصيدة المرأة

قد لا يعلم الكثير من الناس أن اليمين المسيحى يسلك طريقين من أجل إعادة تأسيس والحفاظ على العائلة الأبوية، وذلك من خلال مشروعات القوانين المحلية وتشريعات الولايات، والتشريعات الفيدرالية، سواء للقضاء على أو تغيير نظام الإعانات المالية وبرامج المساعدات الحكومية الأخرى، ومن خلال جعل

الطلاق أمراً أكثر صعوبة، إن لم يكن مستحيلا. وفى الظاهر فإن هذه الاقتراحات ينظر إليها باعتبارها طرقًا للحيلولة دون إساءة استخدام نظام الإعانات المالية، ولكى يعمل المتزوجون بجدية على حل الصراعات، وهذا هو الانطباع الذى يتمنى اليمين المسيحى أن يسود. ومع ذلك فبالنسبة لكثير من النساء فى ظل هذه العلاقات الأسرية التعسفية، يظل الأمل الوحيد هو الخروج من الوضع المميت وذلك بمساعدة الإعانات المالية، فالعديد من النساء اللاتى يُعتدى عليهن بالضرب يأتين من منازل أصولية حيث لم يكن مسموحًا لهن بالعمل، أو على الأقل لا تكون دخولهن كافية ليدعمن أنفسهن مالياً، ومن ثم عدد قليل منهن قادرات على الاستقلال بحياتهن دون مساعدة.

إن استمرار النساء المعتدى عليهن بالضرب فى الارتباط بمن يسىء معاملتهن لصعوبة الحصول على الطلاق وفترات الانتظار الطويلة يعد أمراً غير مقبول، فهذا الوضع يزيد من احتمالات بقائهن أو عودتهن إلى هذا الشريك المؤذى. وفى معظم الحالات، يرتبط الطلاق بشروط محددة مثل الإيذاء الجسدى أو إدمان المسكرات، ولكن فى أغلب الأحيان يكون من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - إثبات الاعتداء الجسدى؛ لأن النساء المعتدى عليهن بالضرب يتكتمن الأمر عن العائلة والأصدقاء ولا يقدمن بلاغات بتلك الاعتداءات، لذلك لا توجد سجلات أو أدلة تؤيد الوقائع المتكررة لامتهان المرأة، وحينئذ يصبح إنكار الرجل فى المحكمة متكافئًا مع ادعائها بالانتهاك، ويكون الأمر رهينًا بتقدير للقاضى الذى يحدد وحده مصير المرأة المعتدى عليها.

ومع ذلك، ما هو مقدار الدعم السياسى الذى تناله حقًا مشروعات القوانين الخاصة بالطلاق ومطالب إصلاح نظام الإعانات المالية، ومن الذى يقترحها ويدعمها؟ لقد تم تسليط الضوء على هذا الأمر فى مقال ظهر فى «مراجعة السياسات» - أحد إصدارات مؤسسة الميراث اليمينية - فى سبتمبر عام ١٩٩٦ .

هذه المؤسسة التى أنشأها پول ويريش من جماعة اليمين الجديد وچوزيف كورتز والتى «اشتهرت بإصدارها للمجلدات الضخمة التى تجمع اقتراحات

وتوصيات من أجل القضاء على السياسات والتنظيمات والوكالات الفيدرالية الأمريكية وتقليل فاعليتها» على حد وصف أحد مراكز البحوث السياسية[٢٩٢]، وقد تم إرسال هذه المجلدات إلى ٧٠٠٠ من موظفى الكونجرس والموظفين الإداريين ومجموعة من الصحفيين وكبار المتبرعين[٢٩٣].

وقد قامت «مراجعة السياسات» بسؤال العديد من «خبراء الأسرة» من جناح اليمين واليمين المسيحى عن كيفية «تأكد الحكومة من أن الأغلبية الساحقة من الأطفال الأمريكيين قد نموا فى ظل وجود الأب والأم» وقد تحدث المدعى العام والسيناتور فى وقت سابق «چون أشكروفت» بأسلوب غامض قائلا: «يجب على الحكومة أن تشجع الأسر على الترابط والإقامة سويا من خلال ضغوط ثقافية وليست حكومية». فالتشجيع الحكومى والذى يتخفى تحت ستار الضغط الثقافى يعد بالرغم من ذلك ضغطًا حكوميًا. وأصر أشكروفت على ما هو أبعد من ذلك (حيث يرى أن الدولة حين تقدم الإعانات للنساء الوحيدات تهدم الأسرة) قائلاً: «إن أهم أدوار الحكومة هو إزالة المحفزات السلبية لدولة الرفاهة»[٢٩٤].

ويؤمن خبير آخر وهو چيمس دوبسون بأن «المسئولية الأساسية والسلطة المرجعية فى الأسرة لا بد أن يتولاها الرجال»[٢٩٥]. ودفع تركيز اليمين على الأسرة إلى اهتمامه السياسى القوى بإعادة تنظيم الإعانات المالية للأسر المتنوعة. ويقدم دوبسون «أربع مهام للحكومة». ويبدأها دوبسون بأن الزواج ينبغى أن يتم تعريفه بأنه «التزام مدى الحياة بين رجل وامرأة»، ولا ينبغى إصلاح قوانين الطلاق وتسهيل إجراءاته بناء على رغبة أحد الزوجين الحرة، كما ينبغى توجيه السياسة الضريبية فى صالح الأسر، وضرورة إصلاح نظام «الإعانات المالية لوضع حد للدعم الحالى فى حالة حمل المرأة للأطفال دون زواج»[٢٩٦].

وهو يرى أن دعم النساء غير المتزوجات فى عيش حياة مستقلة ومأمونة ماليًا بالإعانات الحكومية وفى الإنجاب بدون مشاكل هو شىء مشين. ويصور دوبسون الأمر وكأن المتلقيات للإعانات المالية يحصلن على دعم مالى يكفى للإنفاق ببذخ، فى حين أنهن لا يحصلن على ما يكفى دعم عائلاتهن ويمكنهن الحياة بالكاد!.

وفى الحقيقة فالأمر الوحيد الذى تنفق عليه المرأة فى تلك الظروف ببذخ من الإعانات المالية الهزيلة هو شراء الضروريات والملابس والأدوية. والشيء الوحيد الذى تحصل عليه المرأة من نظام الإعانات المالية عند الحمل بطفل آخر هو زيادة طفيفة فى معونة لا تكفى لمساعدتها فى الأساس. وغالبًا ما يكون ذلك بشكل رئيسى فى صور غير نقدية تأخذ شكل السندات (الكوبونات) الغذائية وبطاقة التأمين الصحى وعلاوة السكن، التى غالبًا ما يتم دفعها مباشرة إلى صاحب السكن، والحد الأدنى من المال الذى يغطى بشق الأنفس المنافع الأساسية وبعض الاحتياجات.

لا توجد «حوافز» فى واقع الأمر فى نظام الإعانات المالية تدفع النساء للحمل خارج إطار الزواج، وهو ما يسعى معارضو الإعانات المالية لإقناعنا به. والحافز الوحيد الذى يقدمه نظام الإعانات المالية لمن تنطبق عليه شروطه هو البقاء على قيد الحياة فقط. ورغم ذلك، يسعى المعارضون للإعانات من اليمين المسيحى لإقناع من يملكون سلطة إجازة القوانين أن يوقفوا تلك الإعانات الشحيحة التى تعتمد عليها تلك النساء البائسات، وهكذا يسعى اليمين المسيحى إلى إقامة شبكة كبيرة من التأييد للتعديلات التى ينشدها ويسميها إصلاح نظام الإعانات المالية.

ونجد مؤيدا آخر لـ «إصلاح» قانون الطلاق، هو الحاكم السابق لولاية ميتشيجان چون إنجلر. ويكشف إنجلر فى «مراجعة السياسات» النقاب عن أن نائب ولاية ميتشيجان چيسى دالمان يقود طريق إصلاح قانون الطلاق على المستوى الوطنى، فقد تقدم دالمان بـ ١٢ مشروع قانون تشترط إما الموافقة المتبادلة بين الزوجين على الطلاق أو إثبات الهجر أو الخيانة الزوجية أو سوء المعاملة الجسدية والعاطفية أو أى مشاكل أخرى خطيرة. وبمعنى آخر، فقد تطلع دالمان إلى إلغاء القانون الخاص بولاية ميتشيجان الذى ظل ساريًا ثلاثين عاما ويقوم على احترام الرغبة المنفردة بفسخ عقد الزواج. ويثنى إنجلر على التأثير المتزايد للجماعات المختلفة مثل جماعة «التركيز على الأسرة» و«الحافظون العهد» ويقول: «لقد أعطتنى كل هذه الجهود الدعم والشجاعة». ولا يوجد هناك شك فى تدخل إنجلر فى سياسات اليمين المسيحى، فقد ارتبط اسمه بصفة مستمرة

بمعظم الأسماء البارزة من اليمين الديني في الأدب والإعلام، ويعتبر إنجلر من أحد الثلاثة المؤسسين لمركز ماكيناك للسياسة العامة، وهو مركز فكري للجناح اليميني ومقره ولاية ميتشيجان، ويؤيد سندات المصاريف المدرسية، وخصخصة المدارس، والسياسات القائمة على السوق الحرة.

وربما نجد بين الأصوليين من هو أكثر تشدداً من هؤلاء أيضًا، على سبيل المثال بول ويريش رئيس «مؤسسة الكونجرس الحر» والذي يوصي بتنفيذ مقترحات ويليام ليند وويليام مارشنر مؤلفي كتاب«المحافظ الثقافي: نحو برنامج وطني جديد». ويقول ويريش: ينبغي علينا «أن نسمح بتقديم «الأجر العائلي» للموظفين، أي ضمان أجر أعلى لأرباب الأسر»[٢٩٧].

ولكن من هو رب الأسرة؟ إذا قررنا أنه الرجل، فإننا قد نكون قد بدأنا بالفعل في إدراك معنى «الأجر الأسرى» كما وصفه د. كارل كنيو بجامعة ماكماستر، أونتاريو بكندا حينما قال: إن الأجر الأسرى هو الممارسة التي يتحكم فيها الرجال في مصادر الدخل المنزلي بحيث تعتمد النساء والأطفال عليهم بالكلية[٢٩٨].

ووفقا لمفهوم «الأجر الأسرى» يتم دفع أجور عالية إلى الرجال بافتراض أن الرجال عليهم دعم أسرهم، وأن النساء يتم دعمهن بالتبعية سواء عن طريق الزوج أو القرين في جميع الأحوال.

وقد تم حظر «الأجر الأسرى» في عام ١٩٦٦ طبقًا لتفسير إدارة العمالة لقانون «الأجر المتساوى» في عام ١٩٦٤. وقد أقرت لجنة تكافؤ الفرص هذا التفسير وأيضًا تفسير البند السابع من قانون الحقوق المدنية. في حين يطالب ويريش ورفاقه بقوانين جديدة تدعم التمييز وتعارض روح المساواة في القوانين الحالية.

ما الذي يقترحه أيضًا كل من ليند ومارشنر ويريش لتبقى النساء في المنازل؟

«أن يكون الرصيد المتعلق برعاية الأطفال رصيداً عامًا، ومن ثم يمكن للوالدين اللذين يعملان على رعاية أولادهما بالمنزل تحصيل نفس الفوائد، مثل الذين يقومون بإرسال أطفالهم إلى حضانات الرعاية النهارية»[٢٩٩].

وعلى الرغم من صعوبة معارضة فكرة مثل تشجيع الوالدين ـ وعادة ما تكون النساء هى محل القضية ـ على البقاء فى المنزل لرعاية الطفل، فإن ذلك بحد ذاته لا يكفى المحافظين فى حملتهم لتعديل نظام الإعانات المالية. فالأمهات اللاتى يبقين فى منازلهن اعتماداً على نظام الإعانات المالية متهمات من قبل المحافظين باستغلال نظام الإعانات. فالهدف الرئيسى ليس بقاء المرأة فقط فى المنزل، بل تشجيع الأسرة على إنجاب نصف دستة من الأطفال، وهذا يخدم فى المقام الأول الأصوليين الذين يؤمنون بموضوع إطلاق الإنجاب.

علاوة على ذلك، فإنه يدعم الرؤية التى تقصر دور النساء فقط على منح الرعاية للأسرة، وفى الوقت نفسه يخلق مجتمعًا يمكن من خلاله أن تبنى الأسرة حضانات الرعاية النهارية داخل البيوت، وبخلاف اضطرار الحضانات للحصول على ترخيص فى معظم الولايات، وتكون مقيدة بعدد من الأطفال وتخضع للإشراف الكامل، يمكن لهذه الأسر أن يكون لديها الكثير من الأطفال وبدون قيود وتقوم بالتنشئة على القيم التى تبغيها.

ويمكننا أيضًا الحديث عن مؤيد آخر للنظام البطريركى وهو ديفيد بلانكنهورن، رئيس معهد القيم الأمريكية، والذى أخبر « مراجعة السياسات » أنه يفضل القضاء على «التحيز ضد الزواج» فى بيانات ضريبة الدخل [٣٠٠]، وبالطبع لا يوجد هناك محاباة فى البيانات التى تكون مبنية على حجم العائلة ودخلها، ويطالب بلانكنهورن بإحداث تغييرات ضريبية أخرى عديدة فى صالح الأسرة.

ويؤيد بلانكنهورن ممارسة التمييز فى إعطاء الأولوية للزوجين فى الإسكان الشعبى على من يعيشون دون زواج، ويحرض الحكومة أيضًا على تعيين أو استئجار أفراد ليخبروا الشعب الأمريكى كيف يعيش، بالإصرار التام على إثم «الإنجاب بدون زواج».

وفى هذا السياق كان يمكن لبلانكنهورن التعرض لموضوع حمل المراهقات، فالفتيات والأمهات اللاتى فى سن المراهقة يجب أن يمنعن من حضور المدارس الحكومية، وبتلك الطريقة لا يمكنهن الحصول على شهادة المدرسة الثانوية، ومن

ثم استيفاء المتطلبات العامة للعديد من الوظائف . إضافة إلى ذلك، وتمشيًا مع الإصلاحات الخاصة ببرنامج الإعانات المالية والتى يوصى بها المسيحيون المحافظون، فإن هؤلاء الفتيات سوف يفقدن المساعدات المالية أيضًا . بينما يكتفى بلانكنهورن أن يحرم الآباء المراهقين فقط من ممارسة الألعاب الرياضية والأنشطة غير المنهجية (٣٠١)، فالشباب - فى مقابل الفتيات - يملكون فرصة الحصول على شهادة الثانوية وأيضًا الحصول على درجة جامعية وعيش حياة محترمة .

ويعد د . چيمس كنيدى رئيس مؤسسة «كورال ريدچ للإعلام الكهنوتى» بالنسبة للعلمانيين أحد الأشخاص الأكثر خطورة داخل اليمين المسيحى . ويعزى ذلك لأن معظم مشاهديه يقبلون تشويهه للحقائق بسبب قدرته على أن يقدم نفسه فى صورة المحاور المنطقى العاقل وذلك بالرغم من آرائه المتشددة . ويزعم د . چيمس هذه الأيام أننا «ندعم الأطفال غير الشرعيين» بنفس الطريقة التى كانت تقوم بها الحكومة بإعانة «تربية الخنازير» (٣٠٢)، وتعتبر آراؤه حول نظام الإعانات المالية والطلاق مطابقة تقريبًا لآراء بلانكنهورن وليند ومارشنر (٣٠٣) .

وتقدم التغييرات المقترحة على القوانين صورة مقلقة لما يدخره الأصوليون فى جعبتهم للمجتمع الأمريكى . وبينما يوجد خطر عاجل على النساء فى الأسر الأصولية، فهناك قلق متزايد حول ما يؤدى إليه التشريع الخاص بالطلاق وإصلاح نظام الإعانات المالية من تنامٍ فى نفوذ النظام البطريركى وتأثير ذلك على كافة النساء فى الولايات المتحدة .

ففى وست ڤيرچينيا، يتم فعليًا تقديم ١٠٠ دولار إعانة شهرية للزوجين وفقًا لنظام الإعانات المالية . وترى الطبقتان المتوسطة والعليا فى المجتمع الأمريكى أن هذه الإعانة لا تستدعى القلق . لكن سو جيليان من «ائتلاف وست ڤيرچينيا ضد العنف المنزلى» تبدى قلقها : «فى هذه الحالة يمكن استخدام ١٠٠ دولار كل شهر كمصدر قوة إضافى للرجال المعتمدين على العنف المنزلى فى الهيمنة على زوجاتهم لكى تبقى النساء فى وضع سيئ داخل الأسرة» (٣٠٤) .

وهناك صعوبة تواجهها معظم النساء فى الإفلات من هذه العلاقات الفاسدة والمؤذية، ومع ذلك، ففى منازل الأسر الفقيرة التى تعتمد على نظام الإعانات

المالية فإن الـ ١٠٠ دولار تعنى القدرة على توفير تدفئة للمنزل، أو دفع رسوم رخصة السيارة، أو دفع اشتراك الطفل فى الرياضات المدرسية والعديد من الأشياء التى يراها معظمنا أمورا مسلما بها. لكن بالطبع سيكون فقد هذه الإعانات المالية الصغيرة أمرًا يدفع المرأة الفقيرة التى ترغب فى حياة أفضل لترك المنزل.

ولذلك، فإن التفكير بشأن تقويم هذه الإعانات التى تقدر بمائة دولار يتراوح بين ضرورتها للأسرة، والخطر من تحويلها لدعم لرجل ما كى تظل امرأة مقهورة معتمدة عليه، وتتعرض للعنف الجسدى، وغير قادرة على ترك الوضع المؤلم والخطر.

وطبقا لتقرير صدر من معهد تايلور عام ١٩٩٦، فقد أسفرت نتائج خمسة أبحاث هامة عن مؤشرات تدل على أن من ٢٠٪ إلى ٣٠٪ من الذين يتلقون الإعانات المالية يمارسون العنف المنزلى [٣٠٥].

وبالمقارنة بدراسات أجريت عام ١٩٩٦ كانت النسبة فيها تتراوح ما بين ٥٠٪ إلى ٧١٪ فإن الوضع فى تحسن نسبى [٣٠٦]، ومن ثم فإن لدينا سببا للتخوف من أن مكافأة الزوج من خلال المساعدات الحكومية التى تؤخذ من الاعتمادات المالية التى توزع على جميع متلقى الإعانات المالية تؤدى للأسف إلى بقاء النساء فى هذه الأوضاع الفاسدة والمهينة.

وبرغم ذلك، فإن مؤسسة «الميراث» وأعضاءها غير معنيين باستعادة النظام الأبوى فى أمريكا فقط، ولكنهم يريدون دعم المجتمعات الأبوية فى كافة أنحاء الكرة الأرضية، ويفصح باتريك فاجان عن ذلك فى «الموجز التنفيذى الأساسى لمؤسسة الميراث»: «هناك العديد من أجهزة الأمم المتحدة المختلفة التى تحاول أن تفرض على الدول تطبيقًا متطرفًا للمعاهدات الخاصة بحقوق النساء والأطفال. ويدلنا الفحص الدقيق للتقارير الصادرة من قبل لجان الأمم المتحدة التى تراقب تنفيذ الاتفاقية الخاصة بحقوق الطفل والاتفاقية الخاصة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، أن هذه اللجان تقوم بمتابعة برنامج يقاوم الأعراف

الاجتماعية والأخلاقية التقليدية فيما يتعلق بالأسرة والزواج والأمومة والدين»[٣٠٧] .

ويستطرد فاجان فى الشكوى من سوء تفسير المعاهدات والسياسات المشابهة التى ترشد الشعوب لإحداث تغييرات اجتماعية . . «تقلل من الاحترام لمؤسسة الزواج والأسرة والسلطة الأبوية والعقائد الدينية» . وفاجان يعبر عن قلقه أن الأمهات يتم تشجيعهن عبر تلك السياسات على أن يتطلعن لتحقيق ذواتهن خارج المنزل ، وأن هذه السياسات تزيل «القيود الاجتماعية والقانونية» للنشاط الجنسى للمراهقين ، فى حين فشل فاجان فى إدراك غرض هذه السياسات والتى تهدف إلى الحماية من السلوكيات الظالمة التى تنتهك حقوق الأفراد . ويستمر فاجان فى الادعاء بأن لجان الأمم المتحدة تتجاهل أن«أطفال الوالدين المتزوجين الملتزمين بالدين لديهم مستوى أعلى فيما يتعلق بالصحة والتنمية الفكرية ، ونسب أقل فى جنوح الأحداث وحمل المراهقات والاعتماد على الإعانات المالية ، وفرص أعلى فى الحصول على فرص التعليم ومستويات دخل أفضل»[٣٠٨] . وهذه كلها ادعاءات لم يفشل فاجان فقط فى التدليل عليها ، ولكن تناقضها نتائج دراسات عديدة عن أوضاع واتجاهات الأصوليين .

وطبقًا للمركز الوطنى لتحليل السياسات ، فبينما تستشهد المراهقات بالديانة والقيم والأخلاقيات باعتبارها عوامل هامة تؤثر فى قرارهن بشأن الامتناع عن الجنس ، فإن المراهقات المتدينات اللاتى يمارسن الجنس أقل استخدامًا على الأرجح لوسائل منع الحمل[٣٠٩] .

وعلاوة على ذلك ، فى دراسة للمكتب الفيدرالى للسجون ، ظهر أن الكاثوليك والذين يمثلون من ٢٠٪ إلى ٢٥٪ من سكان أمريكا يشكلون نسبة ٣٩٪ من السجناء ، فى حين أن أقل من ١٪ من السجناء من الملحدين ، رغم أن نسبتهم بين السكان تتراوح حسب استطلاعات الرأى ما بين ١٣٪ إلى ١٦٪ من سكان الولايات المتحدة[٣١٠] .

ومن السهل تصور أن دول العالم الثالث التى تسيطر فيها الكنيسة - وحيث لا

حقوق للنساء والأطفال - تعارض الإجراءات الوقائية التى تنادى بتطبيقها والتوعية بها تلك المعاهدات الدولية. وبالرغم من أن إدارة الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون» أيدت الاتفاقيات الدولية للأمم المتحدة فى هذا المجال، **إلا أن الولايات المتحدة تحت رئاسة جورج بوش رفضت التصديق على الاتفاقية الخاصة بحقوق الطفل (CRC) والاتفاقية الخاصة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW)، والاتفاقية الخاصة بحقوق النساء (CRW). واليوم قامت ١٩١ دولة بالتصديق على الاتفاقية الخاصة بحقوق الطفل ولم يصدق عليه كل من الصومال والولايات المتحدة فقط** [٣١١].

كبت الرغبة الجنسية

سيكون غير قانونى لأى شخص أن يقوم بتوزيع، أو إحراز - مع احتمال التوزيع - أو عرض، أو الموافقة على توزيع أية مادة داعرة أو أى جهاز لإثارة الأعضاء التناسلية لقاء المال.

المواد غير الداعرة، ربما تكون داعرة وفقًا لهذه الفقرة، إذا كان توزيع هذه المادة أو عرض توزيعها أو الامتلاك - مع نية ذلك - بمثابة استغلال تجارى للإغراء الجنسى. (قانون ألاباما الفقرة ١٣أ-١٢-٢٠٠، ٢ (١٩٩٨)

بالنسبة لمعظم الأمريكيين، فإن فكرة حظر القانون لبيع الأجهزة والمعدات الجنسية الخاصة فى محال للبالغين فقط هو مخالف للعقل. وهذا بالتحديد رأى شيرى ويليامز مالكة ومديرة محلات «پليچر - Pleasures» ومقرها ألاباما وبى. چى بايلى التى تقوم ببيع الأجهزة الجنسية من خلال التسويق المنزلى. وقد حددت ويليامز من خلال إقرار كتابى أن العشرين ألف دولار قيمة الأدوات الجنسية الخاصة بالبالغين والمعدات الأخرى التى تبيعها فى فترة ستة شهور ستكون عرضة للخسارة فى حالة فرض قانون خاص يمنع الاتجار فيها.

تقوم بايلى ببيع منتجات السيدة الأنيقة، وقد قدرت أن عشرات الآلاف من نساء ألاباما قد حضرن عروضها التسويقية، وسيتأثرن فى حياتهن الخاصة سلبًا إذا تم فرض هذا القانون. وكما هو متوقع فقد تم تبنى القضية على الفور من قبل

اتحاد الحريات المدنيـة بأمريكا (ACLU)، وذلك بالنيابة عن ست نساء من بينهن ويليامز وبايلى. وقد كان موقف اتحاد الحريات المدنية من هذا القانون أنه يعد انتهاكًا للخصوصية ومن ثم يعد غير دستورى.

وقد أصبح ذلك قانونًا فى عام ١٩٩٨، وهو القانون الذى يحظر على مواطنى ألاباما من بيع وتوزيع وتصنيع والامتلاك مع نية ـ أو حتى الموافقة على ـ توزيع الأجهزة التى تستخدم فى الإثارة الجنسية لمن يعانون من نقص الرغبة أو القدرة الجنسية، وسوف تكون العقوبة وفقًا لهذا القانون هى غرامة عشرة آلاف دولار والسجن لمدة عام، على أن يصبح تكرار الجريمة بدوره جريمة من الفئة C والتى يتكبد فيها الشخص عقوبة تصل إلى ٥٠ ألف دولار غرامة [٣١٢]، أما إنتاج هذه الأشياء وتصنيعها فيعتبر على الفور جريمة من الفئة C فى حال ارتكابها للمرة الأولى.

أكثر ما يثير الانزعاج فى هذا القانون ـ والذى كتبه سيناتور الولاية توم بتلر ـ أنه استطاع أن يحشد تأييدًا كافيًا لإمراره بالإجماع فى مجلس كونجرس ألاباما، وذلك على الرغم من انتهاكه لخمسة تعديلات بالدستور وهى: التعديل الأول والرابع والخامس والتاسع والرابع عشر [٣١٣]، ولكن أى شىء من الممكن أن يحدث فى هذه الولاية المعروفة بتمسكها بالمذهب المحافظ الرجعى، حيث أصبحت قوانين الأصوليين من الكتاب المقدس هى حجر الزاوية لحكومة الولاية. ومع بداية القرن الواحد والعشرين، حصل السياسيون من المسيحيين المحافظين على مقاعد كافية بمجلس الشيوخ بولاية ألاباما، ومن ثم يمكنهم انتهاك الدستور وخاصة التعديل الأول.

وفى عام ١٩٩٩، أصدر قاضى المقاطعة الأمريكى لينوود سميث حكمًا فى صالح اتحاد الحريات المدنية بأمريكا واصفًا القانون بأنه «نص غير دقيق» ويضيف «سيعانى المواطنون من عدم توافر أدوات للعلاج الصحى خاصة الاختلال فى الوظائف الجنسية من بين أمراض أخرى عديدة» [٣١٤].

ولكن لن يكون هذا الحكم القضائى هو نهاية المطاف بالنسبة لمواطنى ألاباما،

فقد تم استئناف القضية، وفى الحادى عشر من أكتوبر عام ٢٠٠٠ أصدرت محكمة الاستئناف قرارا بالإجماع يؤيد القانون. **وقد أكد المحامى العام للولاية أن «ارتبط الحظر القانونى منطقيًا بالمبدأ الدينى الذى يدعو لتثبيط الاهتمامات الشهوانية»**[٣١٥].

ومن بين المؤيدين لهذا القانون القس دان أيرلند، المدير التنفيذى لـ: «برنامج عمل مواطنى ألاباما» (ACAP). ويرى أن الأجهزة التى تحدث المتعة الجنسية «شيء مزعج وتؤدى إلى الاتصال الجنسى غير الشرعى والتحرر من التعاليم الأخلاقية» [٣١٦]، كما أن السيناتور بتلر وذلك البرنامج، لهما صلة وثيقة مع الكنائس والائتلاف المسيحى حول قضايا سياسية متنوعة [٣١٧]، الأمر الذى يؤدى إلى انتهاك الحريات العامة ما عدا حريات المسيحيين المحافظين. وقد أجبرت النساء فى ولاية ألاباما لمدة عامين على الاعتماد على البريد لشراء الأجهزة الجنسية من خارج ولاية ألاباما ودون الحق فى رؤية السلعة التى اشترينها. والهدف الواضح لهذا القانون هو وقف المتعة الجنسية عند النساء. وبالرغم من أن هذا الهدف لم يتم كتابته فى قانون الولاية، إلا أن حكومة ألاباما ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك قائلة: «إنه لا يوجد حق جوهرى لشراء ـ مع التشديد على ذلك ـ منتج يستخدم فى تحقيق لذة الجماع الجنسية».

وبالنسبة لهؤلاء النساء، نجح القانون فى حصر الطرق التى يمكن لهن من خلالها إمتاع أنفسهن أو تسهيل الوصول للمتعة عن طريق رفيق أو زوج، هذا إذا أفلحن فى الوصول إلى المتعة الجنسية على الإطلاق. وينطوى قانون ولاية ألاباما على مفهوم أن النساء ليس لهن الحق فى شراء الأجهزة الجنسية عن طريق البريد أو امتلاك الأجهزة التى تحدث المتعة الجنسية.

وعلى الجانب الآخر، يؤمن النائب العام چون أشكروفت بوجهات نظر مشابهة ويساوى بين «العادة السرية والشبق الجنسى» [٣١٩]. وهو ما تشير إليه ماكسين بارشال رئيسة المنظمة الوطنية للنساء بمنطقة ديترويت، وهذه تعد قضية خطيرة للأصوليين تتعلق «بإثم أونان وإهدار البذور» كما يطلق عليه فى الخطاب الدينى المتشدد [٣٢٠].

ومن حسن الحظ فقد أصدر القاضى لينوود سميث فى أكتوبر عام ٢٠٠٢ حكمًا مجددًا فى صالح اتحاد الحريات المدنية بأمريكا، وكتب لينوود فى مسوغات الحكم أن النص محل النزاع يمثل انتهاكًا «للحق الجوهرى بالخصوصية، وهو الأمر الذى أقرته المحكمة العليا منذ زمن بعيد باعتباره مبدأ أصيلا يحميه الدستور ويتضمن الحق فى الخصوصية الجنسية».

ونلاحظ أن النشاط الجنسى للأنثى لا يتأثر فقط بالقوانين المفروضة من قبل اليمين المسيحى فى أمريكا، بل هناك نسبة كبيرة من الاختلال فى الوظائف الجنسية بين النساء أيضًا، وطبقًا لدراسة نشرت عام ١٩٩٩ عن طريق جامعة شيكاجو، ظهر أن نصف عدد النساء تقريبًا يعانين من الاختلال فى الوظائف الجنسية، والكثير منهن غير قادرات على بلوغ الذروة الجنسية أو الوصول إليها فقط باستخدام الأجهزة الجنسية المساعدة[(٣٢١)]. ووفقا لماسترز وچونسون ـ أشهر طبيبين أمريكيين متخصصين فى الصحة الجنسية ـ فإن من أحد العوامل التاريخية العديدة التى ترتبط بالاختلال فى الوظائف الجنسية، هو الأرثوذكسية الدينية. وفى الكثير من منازل المحافظين الدينيين يتم احتقار النشاط الجنسى الذى يهدف للمتعة، حيث يعتبر الجنس سبيلا للإنجاب فقط، ويتم تأثيم الاستمتاع به. وقد وجد ماسترز وچونسون «أن الكثير من مرضاهم الذين يعانون من الاختلال فى الوظائف الجنسية لديهم آراء سلبية عن النشاط الجنسى»[(٣٢٢)].

ومن الأمثلة أن إحدى المريضات «تعلمت أثناء مراحل نموها ألا تنظر إلى المرآة وهى عارية، وأن المعاشرة الجنسية تؤجل إلى ما بعد الزواج، وحينئذ يتم القيام بها فقط من أجل إنجاب الأطفال»[(٣٢٣)].

وبالنسبة للنساء اللاتى نشأن فى المنازل الأصولية، فإنهن لا يجدن أى متعة فى ممارسة الجنس، بل يرون أنه شىء غير مريح ومؤلم أيضًا. ومع ذلك فإنه يعتبر التزامًا يجب الوفاء به لإنجاب الأطفال وإشباع الرغبات الجنسية للزوج.

ولتوضيح التحيزات ضد النشاط الجنسى للمرأة، نجد أن لاندز ـ إحدى الكاتبات المحافظات ـ ترد على أحد الرجال فى ركنها بإحدى الصحف فى عام ١٩٩٤ قائلة: «لا ينبغى على الرجل الزواج من امرأة فقدت غشاء بكارتها، وإلا

يكون قد وقع على بضاعة تالفة». وطالبت «لاندرز» بضرورة توقيع الفحص الطبى قبل الزواج للتأكد من عذرية المرأة[٣٢٤].

وتقول شيرلى چيليت والتى شاركت فى تأليف كتاب«النساء وسوء المعاملة والكتاب المقدس» إن العديد من الكتب الإيڤانجليكية تحذر الرجال من التفكير فى الزواج من امرأة إذا لم تكن بكراً. وبالتالى تعتبر النساء اللاتى تم اغتصابهن أو تعرضن لسوء المعاملة الجنسية أثناء الطفولة مجرد«بضاعة تالفة» [٣٢٥].

ويرى الأصوليون أن النساء اللاتى مارسن الجنس فى سن المراهقة أو فى فترة ما قبل الزواج شياطين، ويؤدى ذلك إلى ترسيخ الجنس فى عيون النساء على أنه عمل فاحش سقطن فيه، وهو الأمر الذى يؤثر على كل من صحة النساء العاطفية والجنسية؛ لأنهن سوف يعملن على تجنب ممارسة الجنس على الإطلاق فى آخر الأمر.

وهناك نوعان من الاضطرابات الجنسية لدى النساء يمكن أن تتطور نتيجة للتنشئة الاجتماعية الأصولية، **الأول** انخفاض الرغبة الجنسية لمعدل أقل من الطبيعى، حيث تغيب التخيلات والمثيرات الجنسية، و**ثانى** هذه الاضطرابات هو الكراهية الشديدة لممارسة الجنس، والتى تصل للتجنب الكامل للممارسة الجنسية. ولا يعرف إلا القليل علمياً عن الأشخاص الذين لديهم دوافع منخفضة للنشاط الجنسى، ووجد أن «الأرثوذكسية الدينية» أو «محاولة ممارسة الجنس مع شريك من الجنس غير المفضل» كانت من الأسباب المشتركة الرئيسية[٣٢٦].

وعادة ما تعرف المرأة القليل عن جسدها، بينما لم تتعلم مطلقًا استكشاف الأمور التى تسبب لها الإثارة، وهو ما يؤدى إلى وجود اضطرابات أثناء الجماع عند النساء اللاتى خضعن لتلك التنشئة، وتكون المرأة غير قادرة على الوصول إلى لذة الجماع، حتى لو كان فى عملية الجماع الطبيعية الزوجية وبعد التعرض للإثارة الجنسية. وربما تملك هؤلاء النساء أيضاً القليل من المعرفة الجنسية والمعرفة بالتحليل التشريحى لأعضائهن التناسلية[٣٢٧].

ويمكن النظر إلى هذه الاضطرابات على أنها نتيجة طبيعية لمعارضة الثقافة

الأصولية لتلك المعرفة، ورفضهم فى مشاركة أطفالهم فى برامج التوعية الجنسية.

جسدك ليس ملكًا لك

تعتبر معدلات الخصوبة بالنسبة للنساء الأصوليات والإيڤانجليكيات - طبقًا لدراسة كل من كريستوفر أليسون وپاتريشيا جودسون - والتى نشرت فى مجلة «الدراسة العلمية للدين» مرتفعة إلى حد واضح بالمقارنة بمعدل نساء التيار العام للپروتستانت. فهن لا يلجأن فى المرة الأولى للجماع على الأرجح إلى استخدام وسائل منع الحمل [٣٢٨]، وذلك بغض النظر عن كونهن متزوجات أو غير متزوجات. ويرجع ذلك إلى قلة معلوماتهن حول الجنس والإنجاب، وأيضًا بسبب معارضتهن لتحديد النسل [٣٢٩]، وإضافة إلى ذلك نجد الغالبية من الأصوليين لا يرفضون فقط الوسائل الصناعية لمنع الحمل، ولكن أيضًا لا يقبلون التنظيم الطبيعى لمنع الحمل بالاعتماد على فترات الأمان الشهرية [٣٣٠].

وتخلق مثل هذه الآراء مشاكل صحية عاطفية وبدنية وجنسية للنساء الأصوليات، وتؤدى أيضًا إلى زيادة النسل، وانتشار الفقر، ولكن الأخطر أن تلك القيم وهذه الآراء يمكن أن تؤثر على نساء التيار العام؛ لأن الأصوليين يحاولون فرض معتقداتهم على المجتمع بأسره. وتفترض چانيت سميث الأستاذ المساعد للفلسفة بجامعة دالاس، والمعارضة لاستخدام وسائل منع الحمل، أن استخدام هذه الوسائل يؤدى إلى «أخلاقيات الفناء الخلفى» وتشكو من أن ملايين الأشخاص يمارسون الجنس بعيدًا عن الزواج، وتصر على أن «ثقافتنا مهووسة بالجنس وتعادى الإنجاب». وطبقًا لسميث، فإنه لا ينبغى السماح ببيع أقراص تحديد النسل فى الأسواق، واتباع فترات الأمان الطبيعية لتنظيم النسل، وذلك لأن «وسائل منع الحمل تحد من الخصوبة وتحول العلاقة الجنسية إلى نزعة حيوانية من أجل الانغماس الذاتى فى اللذة» [٣٣١].

يعد وصف سميث للجنس بهدف المتعة بأنه أمر «حيوانى» يعد شيئًا مضحكًا إن لم يكن متناقضًا، فالحيوانات ليست مثل البشر، لا يتعاشرون وفق المثيرات الجنسية بهدف المتعة، وهكذا فإن المتعة هى التى تجعل الجنس إنسانيًا بكل معنى الكلمة، فإناث معظم الفصائل الحيوانية لا تكون شريكة مرغوبًا فيها عندما لا

تتمتع بالخصوبة، ولا يهتم ذكر الحيوان بالجنس عندما لا يكون فى موسم الإخصاب. فى حين أن سلوك الحيوانات الثديية (أو الحيوانات ذات «أخلاق الفناء الخلفى») لا تعتبر سيئة بالضرورة، فمن الذى فى الواقع يجنح للسلوك الحيوانى؟! إن مثل هذه المبالغات والمقارنات التى يطلقها الأصوليون المسيحيون يمكن النظر إليها على أنها شيء هزلى، لكنها بالتأكيد ليست هزلاً بالنسبة لقوة اليمين المسيحى حين يتعلق الأمر بمثل هذه الأهداف غير المنطقية.

وفى عام ١٩٨٨، اقترح ممثل الحزب الجمهورى عن ولاية نيوچيرسى كريس سميث ـ وهو من المتعصبين المناهضين للإجهاض ـ وضع تعريفات قانونية مختلفة لإجراءات تحديد النسل، بما فيها (IUD) (اللولب)، ووسائل منع الحمل والتى تؤخذ عن طريق الفم، باعتبارها وسائل تساعد على الإجهاض [٣٣٢]، قد يمنع ذلك تغطية التأمين الصحى لوسائل منع الحمل وخروجها من البرامج الصحيةالفيدرالية، وذلك بجانب السعى لمنع خدمات الإجهاض المباشرة. وتشير المنظمة الوطنية للمرأة إلى أنه «بالرغم من فشل التعديل، إلا أن مبادرة سميث تعد جزءاً من مجهودات كبيرة للحد من تقبل فكرة وسائل منع الحمل، ومن ثم تقييدها فى آخر الأمر وربما تحريم استخدامها نهائيًا»[٣٣٣].

والقضية الكبرى الآن، والتى تتعلق بالحقوق الإنجابية، هى الإجهاض، ورغبة اليمين المسيحى فى إسقاط قرار المحكمة العليا الذى يبيحه، فقد ظهرت مباشرة عقب قرار المحكمة العليا والذى صدر فى ٢٢ يناير ١٩٧٣ حركة «الحق فى الحياة»، وقاد حملة هذه الحركة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والتى قامت فى عام ١٩٧٥ بشن حملة سياسية وتعليمية واسعة النطاق بشأن الحق فى الحياة. وقد سميت هذه الحملة بـ «الخطة الرعوية من أجل أنشطة الحق فى الحياة»[٣٣٤]. وقد قام المؤتمر الوطنى للأساقفة الكاثوليك بسرد تفصيلى لاستراتيچية من ٤٠٠٠ كلمة تتضمن: التزامًا بمسئوليتنا الرعوية، شدد أعضاء المؤتمر الوطنى للأساقفة الكاثوليك على أن الحياة البشرية هدية ثمينة من الرب، وأن كل شخص يتلقى هذه الهدية عليه مسئوليات تجاه الرب وتجاه نفسه وتجاه الآخرين، وأن المجتمع من خلال القوانين والمؤسسات الاجتماعية عليه أن يقوم بحماية ودعم الحياة البشرية فى كل مرحلة من مراحل وجودها.

إن الاعتراف بكرامة الإنسان، والذى خلقه الله على صورته، تكمن فى الوفاء بواجباتنا الفردية والاجتماعية لاحترام الحياة البشرية[٣٣٥].

وقد كانت الخطة واضحة. ولم يكن الكاثوليك فقط هم الذين ينبغى أن يعيشوا وفقًا للآراء الكاثوليكية حول الإجهاض، لكن الجميع من غير الكاثوليك أيضًا. وبعد كشف النقاب عن هذه الخطة، تطلع المؤتمر الوطنى للأساقفة الكاثوليك إلى «تفعيل مصادر الرعوية للكنيسة من خلال ثلاثة جهود رئيسية».

وأول هذه الجهود هو «ضرورة توجيه الجهد نحو صياغة السياسة العامة فى المجالات التشريعية والقضائية والإدارية، لضمان تحقيق الحماية القانونية الفاعلة للحق فى الحياة».

وتصف الخطة غايات وطرقا عديدة لتحقيق هذه الأهداف عن طريق الكاثوليك، بداية من المنظمات الكاثوليكية الوطنية نزولاً إلى الفرد الكاثوليكى العادى. إضافة إلى ذلك فإن الخطة تنصح بأن الحوار يعد من أكثر الأمور أهمية، وأثبت بالفعل أنه مثمر بين الجماعات الدينية والكنائس المختلفة. وينبغى استمرار الجهود الرامية إلى وجود حوار ومشاورات عالمية مع اليهود والهيئات المسيحية الأخرى، وأيضًا مع الذين ليس لهم انتماء للكنيسة.

ويعد الحوار بين العلماء فى مجالات الأخلاق من الأمور الهامة فى هذا الجهد للحوار بين الأديان[٣٣٦].

وتصف الخطة الرعوية كيف يمكن للجان المختلفة، بداية من الأسقفية إلى أتباعها أن تعمل نحو تحقيق أهدافها، وأن هذه اللجان سوف تعمل على «مواصلة الجهد فى توفير المعلومات للعامة بصفة مستمرة لإقناع جميع المسئولين المنتخبين والمرشحين المحتملين، بأنه لا بد من منع الإجهاض بشكل قانونى».

وسوف يتم ذلك «بانتخاب أعضاء من جماعتهم أو مؤيدين نشطين لمناصب محددة فى كافة المنظمات المحلية». وسوف تعمل هذه اللجان على تشجيع «تطوير القواعد المتعلقة بمنظمات العمل السياسى على المستويات القاعدية»، وذلك كمقدمة[٣٣٧].

وبغض النظر عن جهود حركة المؤيدين للحياة، فقد استمرت معدلات الإجهاض فى التزايد، الأمر الذى دفع بعض الأصوليين لحشد قواهم، وواجهت النساء اللاتى كن فى حاجة للإجهاض معارضة الأصوليين الغاضبين، **وهو ما بلغ درجة تصاعد أعمال العنف، فقد تم حرق الكثير من العيادات بينما تلقت عيادات أخرى تهديدات وتعرضت للتفجير والتخريب.**

وطبقًا لكتاب فلوكونواى وچيم سيجلمان «الإرهاب المقدس: حرب الأصوليين على الحريات الأمريكية فى الدين والسياسة وحياتنا الخاصة» فقد: «قامت حركة المؤيدين للحياة بالتصعيد وتمهيد السبيل لحق الأصوليين فى استخدام التخويف الشخصى والإجراءات المفزعة والمخيفة»[٣٣٨].

وقد تم توزيع نشرات الترويج للحملات المناهضة للإجهاض عن طريق البريد، وبين الجماعات المتوافقة فى الحملة، وغالباً ما صاحب هذه النشرات صوراً للأجنة التى تم إجهاضها وتفاصيل مقززة حول إجراءات عملية الإجهاض[٣٣٩].

وقد كانت الكنيسة الكاثوليكية من خلال حملتها تعلم جيداً ماذا تفعل، وبمساعدة المسيحيين المحافظين من طوائف شتى، أصبحت حركة مناهضة الإجهاض حركة واسعة.

ومع نهاية سبعينيات القرن الماضى بدأت حملة لإسقاط حكم قضية «روى ضد واد» فى أوجها، وتم اقتراح تعديل خاص بحرمة الحياة البشرية إلى الدستور، وفى حالة الموافقة على هذا الاقتراح، فإن ذلك يعنى - وطبقًا للاقتراح - أن تبدأ الحياة مع لحظة الإخصاب، ومنح الجنين شخصية قانونية كاملة [٣٤٠].

وهكذا بدأ الأصوليون أول جهودهم بتخويف الكونجرس من خلال «مسيرات من أجل الحياة» حيث احتشد عشرات الآلاف من المتظاهرين المناهضين للإجهاض فى العاصمة، حاملين الرايات والمعلقات (البوسترات) والصلبان السوداء والتوابيت وألعاب الأطفال على عصى»[٣٤١].

ولم تنجح هذه المظاهرات فى إسقاط قرار المحكمة العليا الصادر فى بداية

السبعينيات، ولكنها كانت فقط البداية للمحاولات المستمرة من أجل إسقاطه منذ ذلك الحين.

وأثناء انتخابات عام ١٩٨٠، تبنى الوعاظ الأصوليون المسيحيون بالتحالف مع جماعات ذات أهداف مشابهة استراتيچية عمل جديدة، وبدأ أفراد حركة الحق فى الحياة ـ بالإضافة إلى الكتيبات ورسائل البريد ـ فى استخدام كل شكل من وسائل الإعلام لنشر رسالتهم، وتضمن ذلك المقالات والإعلانات التليفزيونية(٣٤٢).

وقد وضع القس چيرى فالويل هذه القضية على أولويات برنامجه فى حركة «الأغلبية الأخلاقية ـ MORAL MAJORITY» وهذا ما أدى إلى أن يقوم الحزب الجمهورى بتمهيد الطريق لصعود فالويل والأصوليين المؤيدين لمنح الأجنة الحماية القانونية الكاملة، حيث تبنى الحزب هذا المشروع لتعديل الدستور.

وأصبح رونالد ريجان المرشح الرئاسى الأول الذى يؤيد بصورة جادة موقف الأصوليين المتشدد من معارضة الإجهاض (٣٤٣)، وقد استخدم ريجان ـ بوصفه ممثلا سابقا ـ مهاراته البلاغية فى إقناع المناهضين للإجهاض بأنه مناصر لهم، وبدا كأنه يصنع تعويذة للحصول على أصواتهم.

وقد شهدت السنوات التالية محاولات مستمرة لإسقاط قرار المحكمة العليا ووضع قيود على الإجهاض.

وفى عام ١٩٨٩ فى قضية «ويبستر» ضد برنامج خدمات الصحة الإنجابية، استمعت المحكمة العليا إلى المناقشات الخاصة بقانون ميسورى الذى ينص على أن الحياة تبدأ مع الإخصاب.

وقد وضع هذا القانون قيوداً مشددة على الإجهاض مثل «حظر استخدام الأموال العامة بغرض تقديم مشورة لامرأة تريد القيام بعملية إجهاض ما لم تكن لها ضرورة لحفظ حياتها».

ويحرم القانون أيضًا «استخدام التسهيلات الحكومية لعمليات الإجهاض فى الحالات التى لا تعتبر ضرورية فى حفظ حياة المرأة»(٣٤٤)، وقد تم إقامة ثلاث وثلاثين دعوى قانونية من أنصار حركة المؤيدين لمنح النساء حق الاختيار وذلك

بالنيابة عن عدد كبير من الطوائف الرئيسية فى المجتمع الأمريكى والتى تعارض قانون ميسورى.

وفى مواجهة ذلك قام عدد من الجماعات الأصولية والكاثوليك والمنظمات المناهضة للإجهاض بإقامة خمس وأربعين دعوى تؤيد القانون[٣٤٥].

وقد أيدت المحكمة التى يسيطر عليها المحافظون قانون ميسورى، الأمر الذى مهد الطريق لوضع قيود مشابهة فى ولايات أخرى.

وبدأت الحركة ـ التى كانت غير قادرة على إسقاط حكم قضية روى ضد واد ـ فى تحقيق مكاسب بارزة.

وأوضح الإيفانجليكى راندال تيرى مؤسس «عملية الإنقاذ» وهو ائتلاف متشدد مناهض للإجهاض، أن القلق الذى ينتاب أعدادا كبيرة من الشعب، يمكن أن يجعل السياسيين يستسلمون من أجل تهدئة الشعب[٣٤٦].

وفى عام ١٩٩٣ قامت مؤسسة «عملية الإنقاذ» بتأسيس معهد التدريب المسيحى النبوى النشط (IMPACT) وقد شارك المناهضون للإجهاض من شتى أنحاء الولايات المتحدة فى هذه التدريبات، وتعلموا كيفية مضايقة والكشف عن أى شخص متورط فى أحد مستوصفات الإجهاض والعيادات الخاصة، بل وحتى المنخرطين فى حركة المؤيدين لحق النساء فى الاختيار[٣٤٧].

وفى إحدى دورات التدريب بالمعهد، صرح تيرى بأن **«عدم التسامح شىء جميل، وسوف نعمل على جعل المؤيدين للإجهاض يعيشون الجحيم الحى»**[٣٤٨]، وقد تأثر تيرى بحركة «إعادة البناء» وهى من أكثر الصيغ تشدداً فى الأصولية المسيحية.

وقد بدأت جماعة أخرى من المناهضين للإجهاض وهى «أنقذوا أمريكا» فى توزيع معلقات تحمل صور الأطباء الذين يقومون بعمليات الإجهاض وكأنهم مطلوب القبض عليهم. وقد مثّل ذلك بداية تصاعد أعمال العنف والصورة القاتلة لنشاط «الحق فى الحياة»[٣٤٩].

وفى ١٠ مارس عام ١٩٩٣، قام ميشيل جرينين وهو من المشاركين فى حركة

«أنقذوا أمريكا» بإطلاق النار على د. ديفيد چن وذلك خارج عيادة الإجهاض الخاصة بالطبيب. ونتيجة لهذا العنف، فقدت «أنقذوا أمريكا» و «عملية الإنقاذ» الكثير من الأنصار، وبرغم ذلك استمرت هذه المنظمات فى البحث عن أعضاء جدد. وطبقًا لويليام مارتن فى يوليو ١٩٩٣ ناشد تيرى مجموعة من المسيحيين بدنقر ليصبحوا متعصبين غير متساهلين مع قاتلى الأطفال واللوطيين والمؤيدين لاستخدام الواقى الذكرى وقبول التعددية الأحمق[٣٥٠].

وأعلن عضو آخر بحركة «عملية الإنقاذ» وهو القس تيد كيث توسى، بخصوص عقار الإجهاض RU486 (مايفپريكس)، «عندما يقومون باختراع طرق جديدة لقتل الأطفال فسوف نبتكر طرقًا جديدة لإنقاذهم»[٣٥١].

وفى يوليو عام ١٩٤٤، قام پول هيل، وهو كاهن للكنيسة المشيخية سابقًا، بقتل د. چون بايرد بريتون وسائقه چيم باريت خارج عيادة للإجهاض بمدينة پنساكولا. وفى نوڤمبر عام ١٩٩٤ استمرت هذه المساعى حينما حاولت حركة «عملية الإنقاذ» تبرير اسخدام العنف، وصرح ناشط منها أنه **«ليس دائمًا من الخطأ أن تقتل»** وادعى أن **«أعمال العنف لا تولد بالضرورة عنفًا أكثر، ففى بعض الأحيان تؤدى إلى إنهاء العنف»**. وبعد مرور شهر، أطلق چون سالڤى - وهو كاثوليكى مناهض للإجهاض - النار على لى آن نيكولس وشانون لونى اللتين تعملان بعيادة للإجهاض فى بروكلين ماساشوستس، الأمر الذى أدى إلى وفاتهن[٣٥٢].

والحق أن الآراء المتعارضة والمتناقضة للأفراد التابعين لحركة «الحق فى الحياة»، والذين يبدون استعدادهم للقتل ليست بمستغربة ما دام هؤلاء لا يؤمنون بمقارعة الحجة بالحجة بل بالرصاص. وقد وجد كونواى وسيجلمان من خلال المقابلات الشخصية مع الأصوليين، أن المواقف التى يتمسكون بها حيال قضايا متنوعة، غالبا ما تكون متناقضة ونفاقية، **فأولئك الذين يزعمون أنهم مع حق الحياة فى قضية الإجهاض، غالبًا ما يؤيدون عقوبة الإعدام، والدفاع عن التسلح الأمريكى النووى، كما كانوا غير متعاطفين بصفة عامة مع احتياجات الفقراء، وأخذوا**

مواقف ضد الرعاية الصحية الحكومية للأمهات الفقراء، أو تقديم وجبات الغذاء المدرسية التى يتم توفيرها للأطفال المحتاجين[٣٥٣].

والآن ومع بداية الألفية الجديدة، أصبحت الحملة المناهضة للإجهاض أقوى مما سبق، فقد توصل الأصوليون إلى وضع المزيد من القيود على عملية الإجهاض، وتضمن ذلك مد فترات الانتظار للحصول على الخدمة الصحية للإجهاض، وموافقة الوالدين للمراهقين، وإلغاء التمويل الحكومى لعمليات الإجهاض. ولا يوجد شيء سوف يرضى الحملة إلا الامتناع الكامل عن الإجهاض حتى لو تعرضت النساء للخطر.

وقد اتجهت حملة توفير المعلومات الكاثوليكية مع حلفائها من الأصوليين البروتستانت المناهضين للإجهاض لتشويه الوعى بالأسباب التى تدفع النساء للقيام بالإجهاض، وقد بدا ذلك واضحًا فى الخلاف المسيحى «الميلاد الجزئى» وهو المصطلح الذى أوجده المناهضون للإجهاض لتضليل العامة عن حالات الإجهاض فى مراحل الحمل المتأخرة، والتى تجرى فقط للحفاظ على حياة وصحة الأم.

ويعطى المناهضون للإجهاض فكرة خاطئة عن الإجهاض بأنه طريقة تحديد النسل لدى معظم الناس التى تلجأ إلى الإجهاض، وهذا غير صحيح. وفى الواقع، فإن فشل وسائل منع الحمل يعد السبب الرئيسى فى نصف حالات الإجهاض تقريبًا. ومن عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٢ فقط، كان هناك ١,٦١ مليون من الحوامل نتيجة لفشل وسائل منع الحمل[٣٥٤]. وقد وجدت جميع الدراسات أن وسائل منع الحمل هى الطريقة المفضلة لتحديد النسل، وليس الإجهاض، وأن النساء تختار الإجهاض «على أنه الحل الأخير». ويحدث الحمل غير المرغوب فيه بين النساء اللاتى ليس لديهن خدمات مناسبة لتنظيم الأسرة.[٣٥٥] ومع ذلك يرفض المناهضون للإجهاض الاعتراف بأن هذه هى الأسباب التى عادة ما تؤدى بالنساء إلى الإجهاض، وقاموا بدلاً من ذلك برسم صورة للرأى العام تزعم أن الإجهاض هو اختيار النساء لتحديد النسل. وقد أدت

هذه الحقائق المشوهة مع وسائل التمويل الضخمة لحركة الكاثوليك المناهضة للإجهاض إلى إرباك الرأى العام، وتزايد قبول أفكار حملة مناهضة الإجهاض. وطبقًا لاقتراع جريدة «لوس أنجلس تايمز» والذى أجرته فى يونيه عام ٢٠٠٠، فإن التأييد لقرار المحكمة العليا بإباحة الإجهاض قد هبط من ٥٦٪ فى ١٩٩١ إلى ٤٣٪ فقط فى عام ٢٠٠٠ . واللافت للنظر أنه بغض النظر عن موقف الكنيسة، فقد كانت معدلات الإجهاض بين الكاثوليك أعلى بنسبة ٣٠٪ عن البروتستانت[٣٥٧].

أما الأمر الأكثر إثارة للقلق، فقد كان اختيار چورچ بوش لچون أشكروفت كنائب عام للولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما كان بمثابة ضربة قوية لسلامة الحرية الإنجابية للنساء. فحين كان أشكروفت يعمل نائبًا عامًا لولاية ميسورى، سعى إلى إسقاط حكم قضية «روى ضد واد» للمحكمة العليا الأمريكية. وقد تبنى أيضًا بالمشاركة مع الآخرين بوصفه سيناتور قراراً يقضى بتعديل دستورى من أجل «منع الإجهاض حتى لو كان فى حالات الاغتصاب وزنا المحارم»[٣٥٨].

ومع تولى إدارة الرئيس بوش، من المتوقع أن تخلو ٦٣٪ من المقاعد الفيدرالية ومقاعد فى المحكمة العليا. والخطر الذى يمثله چون أشكروفت سيتعاظم؛ لأنه سيكون جزءاًمن عملية اختيار المرشحين لهذه المناصب[٣٥٩].

وبالطبع فالهدف النهائى للمناهضين للإجهاض يبدو جلياً، وهو إسقاط حكم قضية «روى ضد واد» ومعظم القضايا المناهضة للإجهاض تتأسس على قوانين الولايات، وهذه القضايا من السهل إجازتها. ويعرف المناوئون للإجهاض أنه فى حالة الاستئناف، فإن الفترة الزمنية التى تنقضى ما بين إجازة قانون وكسب المعارضين حكمًا ضد هذا القانون تكون كافية لمنع عدد كبير من الفتيات والنساء اللاتى يحتجن الإجهاض من الحصول عليه. وهذا يجعل إجازة القوانين التى تخرق حكم المحكمة العليا فى قضية «روى ضد واد»، خياراً يغرى اليمين المسيحى. ويبدو أنه لا يوجد نقص فى عدد السياسيين الراغبين فى خرق قانون الولاية، ويتم ذلك بوجه خاص على صعيد الولاية والصعيد المحلى. وقد تم

تقديم ٢٣ مشروع قانون فى الدورة التشريعية الأخيرة لولاية ميتشيجان عام ٢٠٠٠ من أجل الحد من الإجهاض والحقوق الإنجابية[٣٦٠].

وكما يشير چون سووملى، فالحملة المناوئة للإجهاض تنشأ من عقيدة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية «وأن أى فعل جنسى لا بد أن يكون فاتحة للإنجاب»[٣٦١].

وهذه أيضًا هى وجهة نظر الأصوليين البروتستانت والتى تبدو أكثر وضوحًا فى الحملة ضد الحق فى الاختيار، وهذا بالفعل ما جعلنى أشك فى نية الحملة الكاثوليكية. وبغض النظر عن موقف الكاثوليك والذى يوضحه سووملى، فقد قام الڤاتيكان بشن حملة مناهضة للإجهاض بما يتعارض مع ما ورد فى الكتاب المقدس ليس فقط لأنه لا يوجد أساس من الكتاب المقدس يؤيد الحركات المناهضة للإجهاض، ولكن أيضًا لوجود رسائل عديدة فى الكتاب المقدس التى تؤيد الإجهاض[٣٦٢].

وفى سفر العدد ٣١ : ١٧ نجد أوامر الرب: «واقتلوا كل ذكر من الأطفال واقتلوا أيضا كل امرأة ضاجعت رجلاً» وهذا التوجه لا يدعم موقف الأصوليين التابعين لحركة الحق فى الحياة.

ويرى سوومل أن حركة الحق فى الحياة لا تريد فقط أن تكون النساء خاضعة للرجال، ولكن لأجنتهن أيضاً. ففى عام ١٩٨٨ أعلن برنامج الحزب الجمهورى أن «الطفل الذى لم يولد بعد له حق أساسى فى الحياة، وهو الأمر الذى لا يمكن مخالفته». وقالت عضوة بلجنة برنامج الحزب وهى مارچورى بيل تشامبرز معترضة على الصياغة أنه «فى حال تعارض بقاء الجنين أو حياة النساء فإن جملة «لا يمكن مخالفته» المذكورة تعنى أن الرجال والأجنة لهم الحق فى الحياة فى جميع الأوقات بينما تفقد النساء ذلك الحق فى حالة حملهن»[٣٦٣].

واقترحت تشامبرز تعديل البرنامج بإلغاء الكلمات الأربع الأخيرة، ومع ذلك فقد استطاع أعضاء اللجنة إلغاء التعديل الذى اقترحته تشامبرز والذى يدعم حماية الأم، حيث صوت ٥٥ ضد التعديل مقابل ٣٣ فى حين امتنع ١١ عن التصويت.[٣٦٤]

وبالرغم من مجهودات اليمين المسيحى لإسقاط قرار المحكمة العليا بإباحة الإجهاض، فقد اتخذ عدد من الشخصيات المسيحية وجماعات دينية أخرى موقفا مؤيدا لحركة «الحق فى الاختيار» بتأكيد رؤيتهم للإجهاض بأنه اختيار شخصى، واتفقت هذه الشخصيات على أن قرار الإجهاض ينبغى أن يقرره الأفراد حسب معتقداتهم الدينية والشخصية[٣٦٥]، وهو نفس ما تؤمن به المنظمة الكاثوليكية للاختيار الحر، والتى تجاهد ضد الأصوليين الكاثوليك الذين يحاولون فرض آرائهم الدينية على الآخرين.

وفى ٢١ ديسمبر عام ٢٠٠٠، قام برنامج «٦٠ دقيقة» على قناة C.B.S ببث تقرير لمورلى سافر حول المستشفيات التى يسيطر عليها الكاثوليك فى أمريكا. وطبقًا للتقرير، **فإن أربعة من أكبر عشرة مراكز للرعاية الصحية بأمريكا يمكلها أو تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.** وتقريبًا فى نصف عدد المستشفيات التى اندمجت أو شكلت تحالفًا مع الكنيسة الكاثوليكية، تم إلغاء خدمات الإجهاض بهذه المستشفيات. وتعارض منظمة «الكاثوليك للاختيار الحر» تبنى العقيدة الكاثوليكية حال الممارسة الطبية. وطبقًا لرئيس المنظمة فرانشز كيسلينج، فإنه عندما تندمج المستشفيات مع المؤسسات الكاثوليكية يتم إلغاء الكثير من الخدمات، فتنظيم الأسرة ووسائل منع الحمل - ومن بينها الواقى الذكرى والتعقيم وعلاج الخصوبة والإجهاض - لا تتوافر فى هذه المستشفيات. إضافة إلى ذلك، فإنه لا يمكن حتى مناقشة هذه الأمور. **ويشير كيسلنج إلى أن «القرارات الطبية الخاصة برعاية الصحة الإنجابية فى المستشفيات الكاثوليكية أو المستشفيات التى اندمجت مع أخرى كاثوليكية، تحددها السلطات الدينية وليس الأطباء»**[٣٦٦].

وسيطرة الكاثوليك على المستشفيات ليست هى فقط التى تؤثر على صحة النساء الإنجابية، ولكن أيضًا الخلاف حول الإجراء الذى يعرف بـ «إجهاض الولادة الجزئية» والذى دفع العديد من المؤيدين للحق فى الاختيار بتبنى وجهة نظر اليمين المسيحى فيما يتعلق بهذا الإجراء. والمصطلح الطبى الذى يماثله لحد ما هو «توسيع عنق الرحم واستخراج الجنين - Intact Dialtion And Extraction»

وتستخدم هذه الطريقة أحيانًا لأن عنق الرحم فى الأسابيع الستة والثلاثين الأولى من الحمل يكون غير قابل للتوسيع . وهذه المقاومة تسبب ألما جسديا كبيرا أثناء اليومين إلى الأيام الأربعة المطلوبة للتوسيع فى هذه المرحلة . والتأثيرات التى تحدث قبل هذا الوقت تعرض الرحم لخطر الفتق والانفجار ، ولذلك فإن الإشراف الطبى المستمر يكون مطلوبًا إذا تم إعطاء عقار يسبب المخاض بدلا من توسيع عنق الرحم واستخراج الجنين[٣٦٧] .

وفى الحملة ضد حالات الإجهاض فى وقت متأخر من الحمل ، قام نشطاء من حركة المؤيدين للحياة بتصوير النساء وكأنهن يقررن فجأة بعد فوات الأوان وقبل مولد الطفل بلحظات أنهن لا يردن أن يكون لديهن طفل ، ورغم عدم وجود خطر صحى على هذا المولود يستدعى الإجهاض ، يقررن الإجهاض . وتختلق هذه الحقائق المزيفة وتصف الإجراء بشكل تصويرى لاستمالة مشاعر الرأى العام ، رغم أن الكثيرين من المؤيدين لحركة الحق فى الاختيار يطالبون بضرورة توقف بعض إجراءات الإجهاض . وأسباب إجراء الإجهاض فى وقت متأخر من الحمل لا تحدث دومًا مع نساء تغير رأيهن فى اللحظات الأخيرة ، فهذا الإجراء يستخدم من أجل صحة النساء ، وفى بعض الحالات عندما يكون هناك «أمور تشوهات شديدة فى الجنين» وهذا ما يصرح به د . آلان روزنفيلد طبيب النساء والولادة ، وعميد مدرسة نيويورك كولومبيا للصحة العامة . ويمكن ظهور مشاكل عديدة فى مرحلة متأخرة من الحمل بما يهدد حياة النساء ، وفى بعض الأحيان يتم اكتشاف أن الجنين لن يكون قادراً على البقاء على قيد الحياة ، وفى هذه المراحل فإن استمرار الحمل يعرض المرأة لمخاطر صحية شديدة أو يؤدى إلى عدم قدرتها على الحمل مرة أخرى[٣٦٨] .

علاوة على ذلك ، فإنه فى الواقع ٤ , ١٪ من جميع حالات الإجهاض تتم خلال ٢١ أسبوعًا من الحمل أو ما بعده[٣٦٩] ، فى حين أن الرقم التقديرى لحالات الإجهاض التى تتم بعد ٢٦ أسبوعًا يهبط عن ٥ , ٠٪[٣٧٠] . ومع الأخذ فى الاعتبار عدد الأطفال المولودين بعيوب خلْقية شديدة ، وعدد المضاعفات الصحية التى تواجهها النساء أثناء فترة الحمل أو الولادة ، فإن هذه النسبة تعد

صغيرة بشكل استثنائى. ولا يزال المناوئون للإجهاض يحاولون إقناعنا بأن الحمل والولادة لايشكلان خطراً على الإطلاق وذلك بغض النظر عن ما يرد فى تقارير منظمة الصحة العالمية بأن «٥٨٥,٠٠٠ امرأة تموت سنويًا أثناء الحمل والولادة». والتقرير يقدر أنه «فى مقابل كل حالة وفاة، هناك فى حدود ثلاثين سيدة تعانى من الشلل والمشاكل الصحية المرتبطة بالحمل طوال حياتها»[٣٧١].

ويتجاهل المعارضون للإجهاض حالات كثيرة لنساء مؤمنات لكن تفرض عليهن الأوضاع الصحية اختيار الإجهاض. فعلى سبيل المثال فى حالة ماورين مارى بريتل من ساندويتش بماساشوستش، والتى علمت من خلال الأشعة أن جنينها لم ينمُ له عقل، وأكد الأطباء أن الطفل لن يعيش، ومن ثم قرر الزوجان ـ برضا القس الذى يتبعان كنيسته ـ إنهاء الحمل عن طريق إحداث المخاض. ولسوء الحظ، زادت المضاعفات أثناء الولادة، الأمر الذى تطلب قطع الحبل السرى لإجهاض الجنين ولمنع أى مخاطر صحية عن بريتل[٣٧٢].

وفى حالة أخرى، كورين كوستيلو من أجورا بولاية كاليفورنيا، والتى كانت حريصة على ابنتها باستماتة، ولكنها اكتشفت أن الجنين لديه مرض عضلى عصبى مميت، ولن يكون بمقدوره العيش، وحتى بعد اكتشاف مستويات خطيرة من تزايد السائل الأمينى، فقد صارع الزوجان المسيحيان القرار بصعوبة، وبعد أكثر من أسبوعين أصبح فى حكم الضرورى إنهاء هذا الحمل وأن تقوم كوستيلو بعملية الإجهاض من أجل صحتها[٣٧٣].

وبغض النظر عن المخاطر الصحية التى من المتوقع أن تتعرض لها الأمهات، اقترح المناهضون للإجهاض تشريعًا يمنع استخدام هذه الإجراءات الطبية للإجهاض تحت أى شروط، وذلك على الرغم من توصيات الجمعيات الطبية الكبرى. وتقول الكلية الأمريكية للنساء والولادة إنه «لا بد على الطبيب بالتشاور مع المريض لاختيار أكثر الطرق ملاءمة وفقًا لظروف المريض»[٣٧٤].

وتتفق جمعية الممرضات الأمريكية على أنه «من غير المناسب أن يفرض القانون مسارا أكلينيكيا على امرأة تواجه بالفعل قراراً شخصيًا فى منتهى

الصعوبة»[٣٧٥] . وبرغم ذلك، يقدم المعارضون للإجهاض حياة طفل لم يولد بعد على حياة الأم.

وتعرض حركة مناهضة الإجهاض النساء لخطر صحى آخر . فطبقًا لفلورا داڤيس فى كتابها «تحريك الجبل: حركة النساء فى أمريكا منذ عام ١٩٦٠» إن الإجهاض كان أمرًا قانونيًا فى الدولة حتى حوالى سنة ١٩٠٠ [٣٧٦] وبمرور الوقت سعى الأطباء الذكور المتطلعين لزيادة أعمالهم عن طريق إجراء الولادة وراء دعم وتأييد الكنائس ورجال الدين فى إدانة هذه الممارسة[٣٧٧] .

وسابقًا كانت النساء تبحث عن القابلات وأخريات من أجل صحتهن الإنجابية، ثم بدأ المسار المهنى للأطباء الرجال يأخذ فى الرسوخ[٣٧٨] .

وبغض النظر عن التشريع الخاص بالإجهاض، فمع بداية عام ١٩٦٠، كان هناك ما يزيد عن مليون عملية إجهاض تتم سنويًا فى الولايات المتحدة الأمريكية «عن طريق أشخاص غير متخصصين يريدون زيادة دخولهم، مثل الموظفين والبائعين، والحلاقين، ونسبة ضئيلة من الأطباء الذين يتعرضون لخطر السجن»[٣٧٩] .

ويصف الطبيب برنارد ناثنسون ـ وهو أحد النشطاء المنضمين حديثًا إلى مناهضة الإجهاض ـ فى قصة حياته التى كتبها عام ١٩٦٦ تحت عنوان «يد الرب» المخاطر العديدة التى كانت تواجهها النساء قبل قرار المحكمة العليا بإباحة الإجهاض:

كان ثلثا النساء فى المستوصف على الأقل من النساء اللاتى تنقلهن عربات الإسعاف إلى غرفة الطوارئ بالمستوصف فى منتصف الليل ، وهن فى حالة نزيف غزير وألم شديد، وهن ضحايا حالات الإجهاض غير الشرعية وليس الإجهاض التلقائى. . ومع الوقت لم نعد نحن الذين نمارس مهنة الولادة نرى سوى نتائج حالات الإجهاض غير الشرعية: أمراض الحمى العنيفة والأمعاء المسدودة والممزقة والرحم الممزق والذى يستلزم استئصاله على الفور، والميكروبات المؤلمة والتى تجعل العديد من النساء عقيمات وتعانين من ألم

مزمن . . فقد كان الإجهاض غير الشرعى فى عام ١٩٦٧ هو العامل الأول فى وفاة النساء الحوامل[٣٨٠].

وطبقًا لداقيس «تعانى سنويًا أكثر من ٣٥٠٠٠٠ امرأة أجريت لهن عمليات إجهاض غير شرعية مضاعفات توجب عليهن دخول المستشفيات، فى حين يُتوفى منهن ما بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ سيدة»[٣٨١].

وهذه الأيام، تموت سنويًا ما يقرب من ٧٠,٠٠٠ امرأة نتيجة لعمليات الإجهاض غير الآمنة، وحوالى ٦٩,٠٠٠ من هؤلاء النساء من الدول النامية. ويعانى عدد كبير من النساء من المضاعفات من بين ما يقرب من ٢٠ مليون عملية إجهاض غير آمنة تحدث سنويًا فى كل أنحاء العالم[٣٨٢].

وفى حالة إلغاء حكم المحكمة العليا، فإن الوضع فى الولايات المتحدة لن يختلف كثيراً هذه الأيام عما كان عليه منذ عقود مضت، أو عن الأوضاع الحالية فى الدول النامية حول العالم. وبعد تشريع عمليات الإجهاض، قام مركز خدمات الصحة الإنجابية بسانت لويس باستبيان للمرضى عند الفحص الطبى لهن بعد ثلاثة أسابيع من إجراء عملية الإجهاض. ووجد الاستبيان أن كل امرأة كانت ستسعى إلى طريقة غير آمنة وغير شرعية لإنهاء حملها إذا لم يكن التشريع الخاص بالإجهاض متاحاً، وذكرن أن البديل كان سيكون التفكير فى الانتحار[٣٨٣].

وربما يكون الجزء الأكثر إزعاجًا من مجهودات حركة الحق فى الحياة هو أن الأصوليين واليمين الدينى يرفضون المشاركة فى التوعية بوسائل منع الحمل. ويمكن تجنب الإجهاض بسهولة من خلال الدعوة إلى تعليم الثقافة الجنسية بصورة ملائمة واستخدام وسائل منع الحمل، أو تحسين الأوضاع الاقتصادية للنساء ذوات الدخل المنخفض لكى يستطعن مساعدة أطفالهن[٣٨٤].

ومع ذلك فقد عمل الأصوليون واليمين المسيحى على منع تعليم الجنس والتخطيط للعائلة، بجعله صعب المنال، إن لم يكن مستحيلاً. ولم يقتصر ذلك على الشباب، بل تعداهم إلى الكبار، وخاصة الفقراء. وبينما يصر الأصوليون

على الامتناع والتبتل كحلول لمنع الحمل، فقد أثبتت هذه الطرق أنها غير واقعية من أجل تحديد النسل لغالبية السكان. ونتيجة لذلك، تعرضت الفتيات والنساء للحمل، وأصبح الإجهاض حينئذ الحل الوحيد الملائم لكثير من النساء اللاتى لم تكن قادرات فى ذلك الوقت على تولى مسئولية طفل، واللاتى لا يستطعن عاطفيًا التخلى عن الطفل بعد الميلاد بقبول عرضه للتبنى.

ورغم ذلك كله يصر الأصوليون الذين منعوا النساء فى البداية من الحصول على وسائل منع الحمل على اتهام هؤلاء النساء باللجوء للإجهاض لتحديد النسل. وعلى النقيض من ذلك، عندما لا تلجأ النساء غير المتزوجات إلى الإجهاض، يتم اتهامهن بإنجاب العديد من الأطفال للاستفادة الانتهازية من نظام الإعانات المالية. وفى الواقع، فإن إنجاب العديد من الأطفال كان آخر ما أردنه. فيبدو أنه ينبغى معاقبة النساء على أية حال.

وهناك معاناة ملحوظة تحدث للنساء فى كل أنحاء العالم وذلك بسبب نقص المعلومات المتعلقة بكيفية الحصول على وسائل منع الحمل أو طريقة استخدامها، وفى مناطق عديدة من العالم عندما يكون من الصعوبة بمكان إجراء عملية الإجهاض. وبغض النظر عن كل ذلك، فقد نشرت جريدة « نيويورك تايمز » فى ٢٨ مايو ١٩٩٢ تقريراً يفيد بأن الدبلوماسيين بدولة الفاتيكان قاموا بالإعداد لقمة الأرض التالية فى ريو دى جانيرو. ونظم هؤلاء الدبلوماسيون حملة لضمان أن أى قرارات خاصة بقضايا السكان لا تكون «مخالفة لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بشأن تحديد النسل»، وهذا ما أشار إليه سووملى[٣٨٥]. ويعد الفاتيكان عضوا فى الأمم المتحدة، وقد تم توجيه انتقادات له من منظمة «الكاثوليك للاختيار الحر» بسبب تمسكه بهذا الموقف[٣٨٦].

ولكن فى النهاية نجح الفاتيكان فى نيل الدعم الكافى من الجناح اليمينى، كما يوضح سووملى، لمنع الولايات المتحدة من دفع ديونها للأمم المتحدة، بإضافة تعديل يمنع استخدام الأموال الفيدرالية من قبل أى منظمة حكومية أو خاصة تدعم عمليات الإجهاض فى ما وراء البحار، أو تنصح النساء بالأماكن التى يؤدون فيها عمليات الإجهاض[٣٨٧].

والأمر الأكثر إزعاجًا، قيام چورچ بوش بعد توليه رئاسة البلاد مباشرة فى ٢٠٠١ بحظر إرسال المعونة الأمريكية للمنظمات فى ما وراء البحار والتى - وذلك طبقًا لتقرير لاتحاد الحريات المدنية الأمريكى - «تستخدم أموالها فى تقديم النصيحة للنساء والفتيات بشأن اختياراتهن الإنجابية»[٣٨٨].

ولا تؤثر هذه القرارات فقط على النساء، ففى العدد الصادر فى مايو عام ١٩٩١ من «الجريدة الأمريكية للطب النفسى» وجد د. پول داج أن النساء اللاتى مُنعن من عمليات الإجهاض لسن فقط اللاتى يعانين من مشاكل سيكولوچية واجتماعية خطيرة، فأطفالهن الذين كانوا من المفترض إجهاضهم يعانون بطريقة ملحوظة أيضًا[٣٨٩]. ويفتقر هؤلاء إلى الطفولة الآمنة ويتطلبون المزيد من العناية النفسية، وتكون لديهم قابلية أعلى لانحراف الأحداث - ضمن مشاكل أخرى.

هناك ١٤ مليون طفل أمريكى يذهبون إلى النوم كل ليلة وهم جوعى، ويحتل معدل وفيات الأطفال فى الولايات المتحدة المرتبة العشرين بين الدول الصناعية[٣٩٠]، وفى عام ١٩٨٤ طبقًا لجريدة «نيويورك تايمز» كان هناك بالولايات المتحدة ما يزيد عن ٥٠٠٠٠ طفل معروضين للتبنى[٣٩١]، والعديد منهم لديه مشاكل صحية متعددة، الأمر الذى يتطلب العناية الطبية مدى الحياة.

فكيف يمكن لبلدنا الاهتمام بالمزيد من الأطفال غير المرغوب فيهم فى حالة إسقاط قرار حرية الإجهاض؟

من الواضح بأن الاهتمام بالطفل الذى لم يولد بعد ليس هو القضية، فالحملة المناهضة للإجهاض هى فحسب إحدى الطرق التى يعتمد عليها الأصوليون للهيمنة على النساء وإبقائهن تحت سيطرتهم.

إن المخاطر التى تمثلها الأصولية على النساء عديدة، فالنساء اللاتى نشأن فى الأسر الأصولية المسيحية يعانين من الناحية العاطفية والجنسية والجسدية عند البلوغ، ويرجع ذلك للعقائد التى نشأن عليها، وأيضًا نتيجة لقبولهن لهيمنة الرجل فى الزواج، ومن ثم يعانين فى ظل هذه الزيجات أيضاً. نساء التيار العام، مثل النساء الأصوليات، يعانين من التشريع الذى يؤثر على حقوقهن الإنجابية

وإشباع رغباتهن الجنسية. وتفتقر هؤلاء النساء إلى التعليم والحصول على المعلومات المتعلقة بالإنجاب ومنع الحمل. وما يضعف وضعية هؤلاء النساء هو تأثرهن بعدم الحصول على التعليم وفرص الحصول على وظائف والمساواة فى الأجور. وتتعرض صحة النساء للخطر بسبب القرارات الطبية القائمة على المعتقد الدينى الأصولى، والتى لا تساعد على الحفاظ على حياة النساء، كما يتأثرن أيضًا بالآراء «المقولبة» التى تؤدى إلى الاغتصاب، وأيضًا تشريع الطلاق ومبادرات الإعانات المالية غير المتساوية. وأخيراً، هناك عدد كبير من القوانين التى تعيق النساء لكى تبقى المرأة بلا حول ولا قوة، مستعدة للحمل، وتأدية دورها «المناسب».

***

الفصل الخامس

المضامين الاجتماعية لمعركة هرمجدون

بقلم: كيمبرلى بلاكر
ترجمة: هبة رءوف

نحن منشغلون فى حرب اجتماعية سياسية ثقافية. كثر الحديث فى أمريكا عن التعددية، ولكن نهاية الأمر أن قيم شخص بعينه هى التى ستسود(٣٩٢).

جارى باور (الرئيس السابق لمجلس بحوث الأسرة)

الحرب التى يحذر منها جارى باور هى ليست أعداءنا القدامى من الشيوعيين أو «حرب أمريكا الجديدة» كما اعتادت محطة CNN الإخبارية على تلقيب تحركاتنا ضد أسامة بن لادن والإرهابيين الإسلاميين الآخرين. يتحدث باور عن حرب أهلية يتحارب خلالها الأمريكيون مع بعضهم ليفرض كل منهم معاييره الأخلاقية والاجتماعية على مواطنه الأمريكى. وسوف تتخذ الأغلبية موقفا محايدا. «أنا لم أتطوع. لم يقع السحب (القرعة) علىّ. هذه الحرب لا تخصنى. لست من يُهاجم». يرى الأمريكيون الأحداث وكيف تنعكس عليهم، ولكنهم لا يرونها بالضرورة أعمالاً للحرب.

ومع ذلك انظر للعالم، لقد أصبحت رؤية الحرب سهلة. بالغريزة نميل لقبول حقيقة مقولة باور. نعم هناك حرب، ونعم فى النهاية سيفوز أحدهم. مقولته فى حد ذاتها لا تعد مجابهة. زميله الكوتش بيل مكارتنى رئيس جماعة «الحافظون العهد» يلقى بمزيد من الضوء على دور الأصوليين فى هذا الخلاف:

أنت على وشك أن تسمع كلمات الله لرجال هذه الأمة. سنبدأ الحرب اعتباراً من هذه الليلة. نملك قوة مقدسة، وهى سلاحنا. لن نقبل أوساط الحلول. سنكافح من أجل الحقيقة متى كانت فى خطر، سواء فى المدارس أو فى الهيئة التشريعية، وسوف نفوز(٣٩٣).

يحذر باور من أن تمس الحرب كل ركن من أركان حياة الأمريكيين. ويبلغ ماكارتنى بأن جيشه يقود المعركة. وبأن الله هو سلاحه. وعلى هذا فإن رؤية تأثير الأصوليين على المجتمع هى مسألة تعريف ساحة المعركة وفهم الأسلحة وتقدير

أعداد الضحايا. فساحة المعارك أمر لا يألفه معظم الأمريكيين. لقد مر أكثر من نصف قرن منذ أن قامت حكومة دولة على مهاجمة أى جزء من الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد مر أكثر من هذا الوقت على أن تجرب أمريكا أى حرب على أراضيها. ولهذا أصيب الجميع بالدهشة حين علموا بأن الحرب دائرة فى الساحة الخلفية لمنازلهم، كما أظهرته أهداف الأصوليين.

شكلت معارك وأسلحة الأصوليين خطرا مؤكدا على المجتمع، فهم يعدون المؤازرين الرئيسيين لما يسمونه قضايا مؤيدى الحياة. فهم يعارضون الإجهاض وغالبا كل أشكال التحكم بالنسل - وليس هذا على الموالين لهم فقط، بل على كل المجتمع، وهو الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى الفقر وزيادة الإنفاق على الشعب، والمشاكل المتعاقبة التى تنشأ. يسبب الفقر اتساع فى المشاكل الاجتماعية بدءاً من المستوى المتدنى من التحصيل التعليمى مروراً بالبطالة لسوء استخدام الأدوية وإدمان الخمور وحتى الجريمة.

معركة أخرى للأصوليين، وهى تخليص المجتمع مما يرونه على أنهم أعداؤه، فإن لم يكن، فالإقلال من مكانة هؤلاء الأعداء. وفقًا لأحكام الأصوليين المتحيزة، تشمل قائمة أعدائهم النساء، والشواذ جنسيا من الرجال والسيدات، والأعراق الإنسانية الأخرى، ومعتنقى الأديان الأخرى، أو غير المعتنقين لأى ديانة.

تعد الجريمة والعنف مفتاح معارك الأصوليين. ورغم ذلك فإن عدم قدرتهم على التعامل مع الأشياء بمرونة تجعلهم يفرضون ويطبقون قوانين غير فعالة. وفى أغلب الأحيان تحفز مثل هذه الممارسات على الجريمة والعنف. ورغم أن المحافظين المتدينين يدعون بأن تعاليمهم الأخلاقية الصارمة تقلل من معدل القتل والاغتصاب والجرائم الأخرى، إلا أنه بصفة عامة لا يبدو الأمر هكذا، بل قد يقودهم إلى سلوك إجرامى.

أحد الأسلحة التى يستخدمها الأصوليون المسيحيون ذات الأثر الفتاك، هو الممارسات التجنيدية الدينية. فهذه الخاصية تضع أولئك القابلين للسيطرة عليهم

فى خطر الاصطياد، مما يورطهم فى حركات مدمرة عاطفيًا، وفى بعض الأحيان حتى الموت.

عند الحديث عن حرب الأصوليين، يفهم أنها حرب يستغل فيها الطرفان المبادئ الديمقراطية لفرض ومعارضة القوانين المحلية وقوانين كل ولاية والقوانين الفيدرالية. **يستعد بعض الأصوليين جسديا لحرب مهلكة يرونها وشيكة. بعض المليشيات عالية التسلح متناثرة فى البلاد، ويتدربون على معارك كالحروب قد تحدث فى الساحات الداخلية لأمريكا.**

كل هذا يوجب إعادة النظر فى التنمية الأخلاقية، أو انعدامها، عند من يدعون امتلاكهم لما يسوقونه فى هذا الخصوص. تفشل ادعاءات الأصوليين فى إرساء نظرية اجتماعية.

أصول الفقر

تقود معتقدات وممارسات الأصوليين المسيحيين الخاصة بالجنس إلى الفقر. ولا يؤثر هذا على مؤيدى الثقافة الدينية للأصوليين فقط، ولكن على المجتمع على وجه العموم. تصور ذلك مبادئ سياسة الأصوليين، ومنعهم الإجراءات التى ستحمى من الحمل غير المرغوب به أو ولادة طفل غير مرتبة. مثل هذه السياسات التى يدعو إليها الأصوليون، تشمل تقليل أو منع برامج الجنس التعليمية، ومنع وسائل تحديد النسل، ووضع المعايير للحد من الإجهاض.

رغم أنه لايتفق كل الكاثوليك مع متطلبات الأصوليين، إلا أنه هناك عدد كبير من الكاثوليك الأصوليين. يصور الڤاتيكان رغبة الأصوليين فى التكاثر، وإجبار الجنس البشرى كله على التكاثر. «لقد كان الڤاتيكان من أكثر المعارضين ضراوة لمنع الحمل والتخطيط العائلى كوسيلة لتنظيم النسل على مستوى العالم، لعقود من الزمان» يقول چون م. سوملى الأستاذ الفخرى للأخلاقيات الاجتماعية فى مدرسة سانت پول اللاهوتية.

لضرب مثل عن هذا، نشرت صحيفة پيتسبرج تريبيون فى عددها الصادر

بتـاريخ ٥ أبريل ١٩٩٨ بأنه فى عـام ١٩٨٠م قـام البـابا چون پول الثـانى بنصح الكينيين فى نيروبى، الذين كان لهم أعلى معدل فى زيادة النسل فى أفريقيا وربما فى العـالم كله ـ فى ذلك الوقت ـ ورغم ذلك قـال لهم بأن «يبـقـوا على تناسلهم وتكاثرهم» مثل هذه الممارسات والتيارات المحفزة على النمو السكانى تقود على المدى الطويل إلى الفقر والاعتماد على الإعانات، مع أن الرفاهية متاحة لكل من الأصوليين وشريحة كبيرة من المجتمع. وبالتالى، تسبب هذه الممارسات الجريمة والمشاكل الصحية والمرض العقلى، وإدمان المخدرات والخمور، والبطالة ومشاكل اجتماعية أخرى خطيرة. يمكن توضيح العلاقة بين التشجيع على النمو السكانى والفقر بكل سهولة. **ففى الولايات المتحدة الأمريكية يعلو معدل فقر الأطفال بشدة، غالبًا أعلى مرتين أو ثلاث مرات من معدل فقر الأطفال فى دول الغرب الصناعية**[٣٩٦] **، طبقاً للمركز القومى للأطفال الفقراء. تراوح معدل الفقر فى الولايات المتحدة الأمريكية بين ٢٢,٤٪ إلى ٢٥٪. فيما بين عامى ١٩٨٦ و١٩٩٧. فى هولندا وهى واحدة من أقل الدول تدينا فى المنطقة، وتتمتع بأكثر السياسات تحرراً فيما يتعلق بتعليم الجنس والمخدرات والنواحى الاجتماعية الأخرى، تراوح معدل الفقر بها بين ٥,٢٪ و ٨,١٪ فيما بين عامى ١٩٨٧ و١٩٩٤**[٣٩٧].

تتزامل معدلات الفقر العالية مع عدد من العوامل. منها انتماء السكان للريف الذى يحظى بفرص تعليمية أقل، ويعانى من سوء الإدارة الحكومية خلال تطبيق القوانين أو عند سنها، فلها تأثير غير مباشر فيما يتعلق بالفقر. الظروف التى تقود إلى الفقر ـ كما تم سردها أعلاه والتى سنعرضها تاليًا بشكل أكثر تفصيلا ـ ليست مفصولة ومعزولة. تبعًا لبيانات أكثر تفصيلا، فإن أكثر الولايات التى تعانى معدلات أعلى من الفقر تضم معدلات أكثر من الأصوليين[٣٩٨]. على أن هذا لا يعنى أن الأصولية فى حد ذاتها وبذاتها تسبب الفقر، ولكنها توضح أنها تفشل فى تخفيفه. والأكثر من هذا إذا تم عكس الصلة، فإن الفقراء أكثر ميلا لأن يصبحوا أصوليين طبقًا لعلماء الاجتماع.

تزيد العديد من صفات الأصوليين من أرجحية أو تحافظ على دائرة الفقر.

لفهم هذا كليا يجب على المرء أن ينظر إلى أسباب وطبيعة الفقر. هناك عوامل كثيرة يمكن أن تؤدى إلى الفقر، مع أنها فى نفس الوقت قد تنتج منه أيضا. المستوى التعليمى المتدنى والشرب والقمار وإدمان المخدرات ومعدلات البطالة العالية، والمشاكل الطبية والعاطفية، والتمييز العرقى والجنسى، تشكل أسبابا وأعراضا للفقر أيضًا.

عادة ينتقل الفقر من جيل لآخر[٣٩٩]. يبدأ بـ«عائلة فقيرة بها أطفال صغار» الذى «يؤدى إلى ظروف معيشية متدنية» وعموما يقود هذا إلى فقد الرغبة فى المدرسة[٤٠٠]. ومن هناك تختصر الدائرة عن طريق حمل إحدى المراهقات وتوليها مهام تربية الوليد بمفردها وهو ما يكمل دائرة الفقر[٤٠١]. وبشكل آخر قد تستمر الدائرة عندما يحاول الشباب الهروب من المستوى المعيشى المتدنى ويتركون التعليم المدرسى. وسوف يؤدى هذا إلى الظروف التى ستحصرهم دائمًا فى دائرة الفقر[٤٠٢].

والذين لديهم أطفال صغار يحاصرون بالفقر لبقية حياتهم. وعند اكتمال الدائرة، فإن أطفال هذه العائلات المبتلاة بالفقر يستمرون بالمضى فى نفس الطريق[٤٠٣].

كيف يتعلق هذا بالأصولية؟ يمكن ملاحظة ذلك من عدة أوجه:

أولاً: هناك علاقة متبادلة سلبية بين الأصولية والتحصيل التعليمى. فى عام ٢٠٠٠م، ١٨,٧٪ فقط ممن قالوا إنهم يؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلام الله الحرفى، نالوا أى تعليم بعد التعليم الثانوى. فى حين أن ٣٠,٨٪ من المستجيبين قد جاوزوا التعليم الثانوى. وأكثر من هذا ٢٢,٦٪ من المؤمنين بحرفية الكتاب المقدس لم يكملوا المدرسة الثانوية مقارنة بـ١٤,٨٪ من التعداد العام[٤٠٤]. ويجب العلم بأنه ـ رغم ذلك ـ ليست هذه بالضرورة الحال مع الأصوليين الناشطين سياسيًا، حيث إنهم غالبًا على قدر عال من التعليم.

التمييز عامل آخر للفقر، وهو مرتبط بالأصولية أيضا. يسبب التمييز فرص عمل محدودة، مع عدم تساوى أجر النساء [مع الرجال] وأجر الأعراق

المختلفة، وأجر المثليين من الرجال والنساء. وسوف نناقش العلاقة بين الأصولية والتمييز بشكل أعمق لاحقا فى هذا الفصل.

لا يمكن - بالتأكيد - ربط كل المشاكل العقلية والصحية بالأصولية. على أنها تقود بالفعل للعديد من المشاكل العقلية، كما تم كشفه وسوف يتم اكتشافه لاحقًا.

الشيء الأكثر وضوحا، هو سلوك الأصوليين فيما يخص حمل الأطفال بغض النظر عن الحالة الاقتصادية للمراهقة أو المرأة أو الوالدين. الأمر الذى يسبب إنجاب أطفال ليعيشوا فى عالم الفقر، وليستمروا فى الدائرة.

يدل حمل المراهقات على الحالة الاجتماعية. كدولة، تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية على العالم الاقتصادى لأكثر الدول النامية. رغم هذا فقد أعلنت وكالة ABC الإخبارية أن معدل حمل المراهقات فى أمريكا يكاد يتقارب من نظيره فى روسيا، وهو أعلى من المعدل فى أوروبا الشرقية. احتمال حدوث حمل المراهقات فى أمريكا أكثر أربع مرات عنه فى اليابان أو فرنسا[٤٠٥]. رغم أن معدل حمل المراهقات قد قل فى العقد الماضى، فإنه ما زال لا يطابق نظيره فى أوروبا الغربية. «لقد أحرزنا بعض التقدم» كما قالت سوشيلا سينغ والتى قامت بدراسة على حمل المراهقات تمت من خلال معهد جوتماخر. وأشارت قائلة: «ولكننا لم نلحق بالدول المتقدمة الأخرى»[٤٠٦].

تثبت البيانات المتاحة علاقة وثيقة بين المعدل العالى لحمل المراهقات والانتشار الكبير للأصولية[٤٠٧]. أكثر من نصف الولايات التى انخرطت فى الأنشطة الأصولية، تقع فى الثلث الأعلى من معدلات حمل المراهقات. ومع أن هذا وحده لا يشكل رابطة سببية، فإنه من الواضح أن أنشطة الأصوليين لا تبذل الجهد الكافى لمنع المراهقين من ممارسة الجنس أو لمنع حملهن. إذا كان لأنشطتهم أى تأثير، سيكون زيادة وليس تقليل حمل المراهقات.

بعيدًا عن المحاولات التى يمارسها الأصوليون لإبقاء المرأة صفر اليدين وحاملا - كما تم توضيحه فى الفصل السابق - تمارس العديد من الوسائل من جانب مشجعى الحياة لحرمان المرأة من الإجهاض. منذ عام ١٩٩٢م حوالى

١٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ «مركز أزمة الحمل» يعملون فى البلاد. وتستقبل هذه المراكز ما يتراوح بين ٧٠٠,٠٠٠ إلى مليون سيدة سنويًا[٤٠٨]. العديد من هذه المراكز وخاصة التابعة لمعهد بيرسون، قامت خصيصًا لإعطاء السيدة الإيحاء بأنهم يقومون بالاتصال أو يقومون بزيارة عيادة طبية تقدم خدمة الإجهاض. بمجرد أن تدخل المرأة، يقوم العديد من هذه المراكز بالقيام باستخدام طريقة الصدمة أو بإخافة المراهقة أو السيدة من إجراء عملية الإجهاض. من هذه الوسائل نشر معلومات زائفة ذات صلة بالإجهاض تسبب الموت، كما أنهم يعرضون عليهن صورة لجنين ممزق. فى مثل هذه العيادات تمتلئ المرأة بالإحساس بالذنب لإجرائها عملية الإجهاض، حتى فى حالة أن تكون الأم وحيدة ولها بالفعل عدد من الأطفال وليس لها دخل[٤٠٩].

بالطبع لا تستعمل كل المراكز مثل هذا الوسائل المخادعة. رغم هذا فإن بعض المراكز تعترف بالمشاكل التى تمر بها النساء بعياداتها. معظم - إن لم يكن كل - النساء التى تدخل هذه العيادات فقيرات، وغير متأكدات كيف سيتمكن من إطعام فم آخر[٤١٠]. المسئوليات الناتجة عن كون الأم المستقبلية مراهقة أو أنها جسديًا منهكة يشكل اعتبارا آخر لم يتم التعامل معه على نحو ملائم.

يعترف العاملون بالعيادات بأنهم غالبا ما يقنعون المراهقة أو السيدة الفقيرة بالاحتفاظ بالجنين عن طريق عرض تبرعات مثل ميكروويف أو المساعدة فى تخطيط وجبات الطعام لتقليل بعض من الوقت الذى تمضيه فى ممارسة أمومتها[٤١١]. رغم أن مثل هذه العروض تبدو بنية صادقة ومساعدة، فإنه بالنسبة لسير الأمور، مثل هذه التبرعات تعد جزءا لا يُذكر من إجمالى التكلفة والوقت والطاقة اللازمة لتربية طفل.

وعلى هذا، تأخذ السيدة الفقيرة والفتاة الصغيرة قرارا بعدم الإجهاض. وبعد وصول الطفل، فإنه فى أغلب الظن يتم اكتشاف حقيقة أن الأم لا ترقى للمهمة عند مواجهة الجهد المطلوب من الناحية المالية والجسدية والعاطفية. فى النهاية، يتسبب هذا الوضع فى العديد من المشاكل، أكثرها وضوحا انحباس الأسرة فى دائرة الفقر.

فروق أساسية: رعاية التحيز

لعل أوضح الصفات الخاصة بالأصولية المسيحية ـ وأكثر ما ينكره بحماسة أتباعها ـ هى علاقة الأصوليين بالتحيز والتمييز، وبالتبعية جرائم الكراهية، سواء المبنية على التحيز العرقى أو الدينى أو الجنسى أو الاتجاهات الجنسية. رغم أن الأصولية ليست العامل الوحيد المشارك فى عملية التحيز، فهناك علاقة قوية بين الاثنين. تحيزات المسيحيين المحافظين تم ملاحظتها فى أحداث كثيرة على مدار التاريخ الأمريكى. كما أشرنا فى الفصل السابع، خلال المائة سنة السابقة حصلت المرأة على حق الانتخاب وحقوق أخرى منحت للرجل منذ زمن بعيد. كما ثبت بالدليل أن كراهية اليمين المسيحى للنساء أبعد ما تكون عن الاختفاء.

التعصب الأعمى تجاه معتنقى الأديان الأخرى تكرر ظهوره. ففى الحقيقة البروتستانت والكاثوليك قد أرسوا عمليات التمييز ضد بعضهم البعض. وكان اليهود والمسلمون والملحدون ضحايا لعمليات التحيز من جانب الأصوليين.

رغم أن عملية العبودية فى حد ذاتها لم تنشأ من الأصولية المسيحية، فإنها لاقت التفضيل لدى الأصوليين المسيحيين فى نهاية الأمر، حيث إنهم فى النهاية قادوا القتال للحفاظ عليها. وحتى بعد أن خسروا الحرب، فقد جاهد الأصوليون للمحافظة على الفصل العنصرى.

يرجح علماء النفس والأطباء النفسيون أن تكون المثلية [الشذوذ الجنسى] مسحة فطرية لنسبة بسيطة للعدد الكلى السكانى أكثر من اعتباره اضطرابا.

بغض النظر عن هذا، يرى الأصوليون المسيحيون المماثلة [الشذوذ الجنسى] كخطيئة. وهم مسئولون عن منع السياسات التى تمنح المساواة لأولئك من الرجال والنساء، وعن جرائم الكراهية بالتعذيب ضدهم، حيث يرونهم أشرارا وعديمى الأخلاق.

رغم أن العبودية ربما تكون قد نشأت دون دوافع دينية ولكن عند تحدى ممارسات شمال أمريكا، فإن الكتاب المقدس وتعاليم المسيحيين المحافظين قد أيدوها، وأصبحت المسيحية المحافظة واحدة من أهم المحفزات للمحافظة على

نظام العبودية دون تغيير. **رغم أن الجنوب الإيڤانجليكى قد أدان العبودية مرة، فقد اتخذت الحركة الموقف المؤازر للعبودية[٤١٢]، «مع إيمانهم بأن الكتاب المقدس شرعها»[٤١٣]. لم يكن المحافظون المسيحيون وحدهم المصدقين على هذه الممارسة. كما أشار برينكلى، فقد كان رجال الدين الپروتستانت الجنوبيون أكثر فعالية فى عشرينيات وثلاثينات القرن التاسع عشر فى الدفاع عنها. الغالبية من القسس الجنوبيين المسيحيين حاولوا أن يبرهنوا على أنه بسبب تدنى مستوى السود، فإنه من واجب البيض أن يحافظوا على العبودية لصالح الأمريكيين من أصل أفريقى. «الاحتياجات الجسدية والروحية. . .»[٤١٤].**

ولكن بعيدا عن الاهتمام برفاهية السود، كما يشير چورچ براون تيندال أستاذ التاريخ بجامعة شمال كارولينا، ففيما يلى أفكار الكتاب المقدس فى القرن التاسع عشر:

ألم يحتفظ آباء العهد القديم بالعبيد؟ ألم يلعن نوح ـ فور أن فاق من غيبوبة السكر ـ كنعان ابن حام الذى انحدر منه الجنس الزنجى(*)؟ ألم ينصح القديس بولس الخدم أن يتبعوا أسيادهم، وقال لخادم هارب أن يعود لسيده؟ ألم يلتزم المسيح الصمت فيما يخص هذا الموضوع على الأقل كما أبلغ الإنجيل كلماته؟[٤١٥].

بغض النظر عن أسس الكتاب المقدس فيما يخص العبودية، فقد عارض أساقفة الشمال الپروتستانت الأكثر ليبرالية مؤسسة الرق، وفى عام ١٨٤٠ تسبب رجال الدين الشماليون المعارضون للعبودية فى انقسام كل من الكنيسة المنهجية والكنيسة المعمدانية بين الشمال الجنوب[٤١٦]. على مر السنين ازدادت حدة التوتر

(*) جاءت القصة بنص الكتاب المقدس ـ كما يلى ـ تحت عنوان: لعن كنعان ومباركة سام
«واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرمًا، وشرب من الخمر فسكر وتعرَّى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عُرى أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجًا. فأخذ سام ويافث رداءً ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقرى إلى داخل الخيمة، وسترا عُرى أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عُريه. وعندما أفاق نوح من سُكره وعلم ما فعله به ابنه الصغير قال: «ليكن كنعان ملعونًا، وليكن عبد العبيد لإخوته». ثم قال: «تبارك الله إله سام. وليكن كنعان عبدًا له. ليوسع الله ليافث فيسكن فى خيام سام. وليكن كنعان عبدًا له». سفر التكوين - الإصحاح ٩: ٢٠-٢٧

بين الشمال والجنوب بالنسبة لمواضيع متعددة. عارض الجنوبيون البيض التجاهل الشمالى لما أسموه «القيم التقليدية الأمريكية» ولكنهم أصبحوا يناضلون بشكل خطر مدافعين عن موقفهم المؤازر للعبودية، والذى شكل أحد العوامل التى ساهمت فى الحرب الأهلية ١٨٦١م.

عند استسلام الجنوبيين على مضض عام ١٨٦٥ تم تحرير كل العبيد. ولكن العديد فى الجنوب كانوا فى شدة الغضب بسبب نهاية العبودية، **وفى عام ١٨٦٧ مع الإيمان بأن البيض المتدينين هم شعب الله المختار، تم تأسيس كو كلوكس كلان. ولم يكن الغرض من تأسيسها سرا: وهو ترعيب السود ومن كانوا يدافعون عنهم، ووضع السود فى مكانهم. وفى الفترة من ١٨٨٩ إلى ١٩١٨ كشفت حركة كلان حجم كراهيتها، فقد أمسكت وشنقت ٣٢٢٤ رجل وامرأة وطفل، أغلبهم سود[٤١٧].**

«كان الأصوليون المسيحيون حجر الأساس للتفرقة العنصرية المنظمة» وضح فورست چى. وود أستاذ التاريخ بجامعة ولاية كاليفورنيا فى باكرزفيلد، ومؤلف «الرعب الأسود ـ Black Scare». قبل عام ١٩٠٠ اعتنق معظم المسيحيين رؤية أساسية للكتاب المقدس على أنه معصوم من الخطأ، وعلى الفهم الحرفى له، وتم استعمال قصة نوح لتبرير العبودية[٤١٨]. وشهد القرن العشرين حركة الفصل العنصرى، وحارب الأصوليون للمحافظة على الوضع القائم.

فى قضية «براون ضد مجلس التعليم (١٩٥٤)» حكمت المحكمة العليا حكمها المشهود بإنهاء الفصل العنصرى. وقد أدى هذا أن يلقى «المبجل» چى. ت. چيلسپى كلمته أمام الكنيسة المشيخية فى المسيسيپى، أكد من خلالها إيمانه بلعنة نوح[٤١٩]. رغم أن المشيخيين هم تقليديًا من التيار العام إلا أنهم شكلوا صدع فى الحركة، الأمر الذى تم ملاحظته فى كثير من الطوائف الأخرى. اختلاف وجهات النظر بين معتنقى عصمة الكتاب المقدس وتفسيره الحرفى، وبين الآخرين، أدت إلى انقسامات كما حدث مع المشيخيين عام ١٩٧٣[٤٢٠].

چيلسپى واحد من المشيخيين الشاردين عن وجهات النظر الأكثر تحررًا من

الحركة، ألهمه چيفرسون داڤيز. تحدث داڤيز قبل مائة عام تقريبا أمام مؤتمر ولاية مسيسيپى الديمقراطى، مدافعا عن تجارة العبيد ونقل العبيد، وألمح إلى أهمية العبودية إلى حام كوفاء لقدره بأن يكون عبدا للعبيد، وإعادة التأكيد من چيلسپى نشرها مجلس المواطنين البيض فى جرينوود تحت مسمى «نظرة مسيحية للفصل العنصرى»[٤٢١].

وتلاقى وجهة النظر الإيڤانجليكية للتمسك بالتمييز العنصرى قبولا أقل، ولهذا هى أقل ظهورا. ولكن دون شك هناك علاقة بين الكتاب المقدس بين التطرف العنصرى الحديث والأصولية. ولعل أفضل دليل على هذا يأتى من حركة كوكلوكس كلان وطوائف أخرى مسيحية مثل الأمة الآرية، والمعروفة أيضًا باسم كنيسة مسيحى يسوع المسيح، وحركة الهوية المسيحية.

والحركة الأقل شهرة فى التمييز العنصرى، رغم نشاطها فى ذلك الخصوص، هى حركة «معيدو البناء». رغم أن معهد «شالسيدون ـ Chalcedon»، وهو المؤسسة التى أنشأها الراحل أر. چيه. رشدونى، تنكر اهتمامها بإعادة عبودية السود، ولكنها تؤازر العبودية كوسيلة من وسائل دفع الديون. لاحظ «مستشارو أونتاريو للتسامح الدينى» رغبة «معيدو البناء» فى إعادة نظام العبودية. وقد استلمت الحركة رسالة إلكترونية من عضو بها غير سعيد، ينكر مثل هذه الرغبة[٤٢٢]. وعلى الرغم من هذا، استلمت الحركة عدة رسائل من أعضاء يؤازرون العبودية، حيث أشاروا أن فيها الخير لأمريكا الشمالية[٤٢٣]. يوجد عدد متزايد من الأصوليين فى طوائف وحركات متداخلة، وعليه فإنه من المرجح أن عددا كبيرا من الأعضاء يرغبون فى استعباد الأعراق الأخرى، بغض النظر عن ادعاءات أو وجهات نظر معهد شالسيدون.

أظهر هذا كثير من العنصريين البيض ومنظماتهم، وقد بدءوا بربط مواقعهم على الشبكة بصفحات «معيدو البناء» وتبنى فلسفتها. مثال على هذا فى موقع «نظام الله مؤكد بالحب»[٤٢٤]. يدعى هذا الموقع أن المسيحية كانت تاريخيا دينا للجنس الأبيض بغض النظر عن محاولات البيض لتحويل العالم إلى المسيحية. يصر نظام الله «بالإضافة إلى كونك ملتزما بأساس من الكتاب المقدس، فإنه على معيدى البناء أن يعملوا على المحافظة على عائلاتنا التى تشمل أعظم أسرة (أمة)

عرقية والتى ولدنا فيها»[٤٢٥]. وكان هناك الكثير من التأييد من «الهوية المسيحية» و«الأمة الآرية» لحركة إعادة البناء.

على الرغم من أنه فى معظم الشواهد لا تمثل العنصرية جزءاً مكشوفًا من ذخيرة الأصوليين. تلك التحيزات واضحة، كما شوهدت فى سبعينات القرن العشرين. **خسرت حوالى مائة مدرسة دينية ميزة الإعفاء من الضرائب، عندما رفضت التكامل[٤٢٦] [بدخول الآخرين فيها]**. وبرغم تغير كثير من ذلك، فإنه حتى عام ١٩٨٨، كانت نسبة الطلبة البيض فى المدارس المسيحية أعلى من النسبة فى المجتمع[٤٢٧]. والسبب فى هذا كما تقترح نانسى أمرمان «هو أن هناك افتراضا ضمنيا ـ إن لم يكن علنيا ـ أن الكثير من الطلبة السود لا يريدون ـ أو لا يستطيعون ـ العيش مع مقاييس المسيحيين المحافظين»[٤٢٨]. وتقول «سوزان روز»، من المشروع الأصولى، ما زال هناك التزام عند الكثير من الأصوليين اليوم، بأنه إذا لم يكن هناك الآن فصل عنصرى، فعلى الأقل يمكن أن يكون هناك انفصال[٤٢٩].

وكشف مشروع الحقوق المدنية فى يونيه عام ٢٠٠٢م، فى جامعة هارفارد، معلومات تؤكد استمرار ذلك الاتجاه. أظهرت المعلومات أن المدارس الدينية بها نسبة من الفصل العنصرى أعلى من تلك التى فى المدارس العلمانية، أو المدارس العامة، ومدارس الكاثوليك هى على قمة مدارس الفصل العنصرى الدينية[٤٣٠].

ومن المنشآت التعليمية المعروفة بسياستها فى الفصل العنصرى جامعة بوب چونز المحافظة، والتى فقدت الإعفاء الضريبى منذ عام ١٩٨٢ نتيجة لسياستها فى تحريم التعارف والزواج بين الأجناس المختلفة.

وقد ترافع محامى جامعة بوب چونز أمام المحكمة العليا مصرا بأنها كمؤسسة دينية، على وجه القصر، فإنها تستحق التمتع بالإعفاء الضريبى بغض النظر عن سياساتها العرقية، حيث إن سياساتها مبنية على اعتقادات دينية. انضم الإيڤانجليكيون لقوات المدافعين عن جامعة بوب چونز. برغم ذلك خسرت الجامعة قضيتها واستمرت بالعمل طبقًا لعقيدتها، مع التخلى عن الإعفاء

الضريبي . واستمرت على اعتقادها بأن **«الله أراد أن تنفصل الأعراق»**[٤٣١] . والحذر الخاص بالتعارف بين الأعراق المختلفة تم رفعه عام ٢٠٠٠م، تبعه اهتمام إعلامي بممارسات جامعة بوب چونز . بينما ينكر اليوم كثير من أعضاء هيئة التدريس وطلاب جامعة بوب چونز أن سياستها عنصرية، ولكن المعنى المقصود من السياسة لا يمكن إنكاره، خاصة مع معرفة المؤسس .

بوب چونز (الكبير)، كان واعظًا أصوليًا «وكان متكلمًا باسم كوكلوكس كلان، وكان يهاجم الكاثوليكية والأجانب»[٤٣٣] .

تذمر بوب چونز (الكبير) صاخبًا وقائلاً : «أفضل أن أرى حانة في كل ناصية عن أن أرى كاثوليكيًا في البيت الأبيض . بل أفضل أن أرى زنجيًا كرئيس عن أن أرى رئيسًا كاثوليكيًا»[٤٣٤] .

وحديثًا، قال بوب چونز الثالث مستندًا إلى لعنة حام :

أفضل ما يكون الزنجي عندما يخدم على المائدة . وعندما يقوم بذلك، فهو يقوم بأحسن ما يعرفه . أما الزنجي الذي ارتقى في مناصب في الحكومة أو التعليم، فأعتقد ـ بصفة عامة ـ أنك ستجد دماء بيضاء قد سرت فيه . أنا لست عنصريًا، وهذه الجامعة ليست عنصرية . لا أستطيع تأكيد ذلك بما يكفي، ولكن ما أقوله، هو بكل إخلاص إن ما تعلمته، وما استطعت أن أدرسه هو تعاليم الكتاب المقدس[٤٣٥] .

چيمس إيه . لاندريث (الصغير) نشط من مجموعة متعددة الأعراق، تقدم إلى جامعة بوب چونز عام ١٩٩٨م . وتلقى خطابا منها يفيد بأن الجامعة تقيد التعارف بين الأعراق المختلفة . وحيث إنه متزوج من عرق آخر، فإنه يمكنه هو أو زوجته أن يكون طالبا بالجامعة ولكن ليس كليهما[٤٣٦] . ثم كتب چوناثان بيت المنسق للعلاقات بالجامعة إلى لاندريث :

الله قد فصل الناس لأسباب خاصة به . قد أقام حدود بين الأمم وهي ليست حدود أرض وبحر ولكن حدود عرقية وثقافية ولغوية . لقد خلق الله الناس مختلفين عن بعضهم البعض وأراد أن تبقى هذه الاختلافات . وتعارض جامعة بوب چونز التزاوج بين الأعراق المختلفة؛ لأن مثل هذه الزيجات تخرق الحدود

التى وضعها الله، فهى تجمع ما فصله الله وأراده أن يظل مفصولا. كل جهد بذل فى التاريخ العالمى لتجميع العالم، أوضح اعتماد الإنسان على نفسه وعدم رغبته فى أن يبقى كما قدر الله له. المحاولات التى تمت لجعل عالم واحد كانت لاختراع نظام بدون الله، وعملت على إنشاء نظام موحد لإعطاء القوة للعالم بحيث لا توجد حاجة لله، ويمكن قلبه[٤٣٧].

والمثير للدهشة أن جامعة بوب چونز - **والتى حصل من خلالها النائب العام چون أشكروفت على الدكتوراه الفخرية، وألقى فيها خطاب قبوله [للمنصب] فى مايو ١٩٩٩** - تعد المفضلة لدى المسيحيين المحافظين. وفوق هذا، اشترك العديد من السياسيين المحافظين فى حملات بالجامعة ذاتها، بما فيهم عضو مجلس الشيوخ الجمهورى ستروم سرموند ونائب الرئيس الجمهورى السابق دان كويل، والذى ظهر مع الرئيس چورچ دبليو بوش. العديد من السياسيين تخرجوا فى الجامعة أو حصلوا على درجات شرفية منها[٤٣٨].

قضية التمييز العرقى من جانب الأصوليين بعيدة عن كونها محصورة فى المنشآت التعليمية. أشار المسح الذى تم عام ٢٠٠٠م، إلى أن الذين يؤمنون بالكتاب المقدس على أنه كلام الله حرفيا يزيدون ثلاث مرات فى تفضيلهم سن قوانين ضد التزاوج فيما بين الأعراق المختلفة عن الذين لا يأخذون الكتاب المقدس حرفيا. ويزيدون بمرتين فى رغبتهم فى عدم التصويت للسود المرشحين لمنصب الرئيس، حتى وإن تم الترشيح من خلال حزبهم السياسى[٤٣٩].

وأكثر من هذا، فى فبراير ٢٠٠١م، رفع عشرة من الموظفين الأمريكيين ذوى الأصول الأفريقية دعوى ضد «الائتلاف المسيحى» بتهمة التمييز. قالوا فى دعواهم: على السود ألا يستعملوا الباب الأمامى، ويجب أن يتناولوا وجباتهم فى أماكن منفصلة فى مقر الائتلاف الرئيسى بواشنطن دى سى، والسبب ببساطة كونهم سود[٤٤٠]. ولعب الائتلاف دورا فى عام ٢٠٠٠م فى كارثة انتخابات فلوريدا. فقد أرسل محامين للمساعدة فى تفادى تصحيح المشاكل التى لا حصر لها للحصول على الإحصاء الدقيق للأصوات، بما فى ذلك المشكلة الأساسية للأمريكيين من أصل أفريقى، الذين حرموا من الإدلاء بأصواتهم على وجه الإطلاق[٤٤١].

جماعة المثليين، هى أقل الجماعات التى يتسامح معها الأصوليون. لقى الأصوليون فى الماضى تأييدًا كبيرًا من التيار الرئيسى للسكان. منذ حوالى ثلاثين سنة، أسقطت جمعية «أطباء النفس الأمريكيين» جماعة المثليين من قائمتها لأصحاب الخلل النفسى.

ومع هذا، بدأت الثقافة ـ بصفة عامة ـ مؤخرًا لقبول ذلك التصرف، والذى كان ينظر إليه تقليديًا على أنه انحراف.

معظم التيار الرئيسى للمجتمع اليوم، يقبل ويدعو لقبول التسامح مع المثليين ذكورًا وإناثًا. أما الذين مازالوا يتكلمون بازدراء عن المثليين، فهم يفعلون ذلك من جراء قراءة حرفية انتقائية للكتاب المقدس، ويعتبرونه معصومًا. فهم يستخدمون العقيدة المسيحية لتأييد ازدرائهم.

عند الأصوليين، زواج المثليين تهديد لرؤيتهم للأسرة الأمريكية. ذلك برغم التقرير الحديث للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال، والذى يفيد بأن الأطفال الذين ينشأون تحت رعاية والدين مثليين لم يعودوا ناقصى التوافق والانسجام مع المجتمع بالنسبة للأطفال الآخرين[٤٤٢].

تم اقتراح إصدار تشريع لحماية حقوق المثليين جنسيًا، وتم إحراز بعض النجاح. على أن معظم مشروعات القوانين تلقى ردًا عنيفًا من الأصوليين، الكثير منها من خلال النظام السياسى، وعليه تعجز المشروعات عن حشد التأييد الكافى. وعلى سبيل المثال، أوقف النائب العام چون أشكروفت خلال خدمته بمجلس الشيوخ، مشروعًا للتوقف عن التمييز.

ومع ذلك، فالمثليون هم عرضة للنقد الشديد، ومحاولات تحويلهم أو تصحيحهم، ولا يقلل من ذلك محاولاتهم لبناء أسر.

يقاسى المثليون ـ رجالاً ونساءً ـ من رفض العائلة، والتعدى الكلامى عليهم. وهم يشبهون فى تلك المعاناة الأمريكيين من أصل أفريقى (والذين ما زالوا ـ لدرجة مزعجة ـ يعانون التمييز). يعانى المثليون من التمييز فى الحصول على سكن، أو عمل، ويقعون تحت التهديد، وكثيرًا العنف[٤٤٣].

ولسوء الحظ، يواجه الرجال المثليون صعوبات أكثر فى حماية أنفسهم من الممارسات التمييزية ضدهم، لأن فى كثير من الولايات لا توجد قوانين كافية لحمايتهم. توقفت مشروع حماية حقوق المثليين من التمييز أمام المقاومة القوية من الأصوليين، وأكثرها من داخل النظام السياسى، فلم تنجح مشاريع القوانين من جميع التأييد الكافى. فعلى سبيل المثال، عارض چون أشكروفت ـ وهو فى مجلس الشيوخ ـ ذلك. لقد أصر [أشكروفت] أن المثلية هو اختيار قام به المثليون، وأن مثل هذا المشروع سيرسل رسالة خطأ للشباب بأمريكا(٤٤٤). وفشل التشريع فى أن يمرر بصوت واحد من خلال المجلس الذى يحكمه المحافظون(٤٤٥).

يشرح ديل ستوڤر، المحرر بمجلة «أوربان أدڤوكات» فى النشرة التى يصدرها اتحاد مجالس إدارات المدارس القومية، مأساة وجهة نظر الأصوليين فيما يخص المثليين. يشعر الطلاب المثليون بأنهم معزولون فى مجتمع يعاملهم على أنهم طاعون. هدد والد أحد الطلبة «إذا ظننت أنك شاذ لكنت خنقتك بالوسادة»(٤٤٦). أى إنسان ينمو فى خوف من أن يتم التبرؤ منه، ونبذه، أو قتله، بسبب لا يمكنه تغييره فى نفسه، فإنه على الأرجح سينمو تصاحبه مشكلات عاطفية.

يعد الانتحار هو الرد العام تجاه تأثير سلوك الأصوليين مع المثليين. ويقدر نسبة المنتحرين من ا لشباب منهم والمزدوجين جنسيا والمتحولين جنسيا بثلاثين بالمائة من انتحار المراهقين(٤٤٧). حوالى أربعة إلى عشرة بالمائة من التعداد السكانى مثليون. رغم أن الجمعية الأمريكية لطب الأطفال، والجمعية القومية للتعليم، وجمعية رفاهية الطفل بأمريكا، متفقون بالإجماع على الاحتياج لمزيد من الخدمات لمساعدة الشباب المثلى، يرى ستوڤر أن مثل هذه الخدمات لن تتوفر غالبا.

إن المعارك المفروضة على المدارس من قبل المحافظين المتدينين فيما يخص الطلبة المثليين ومعارضة التعليم الجنسى عموما، يجعل هذا الموقف بدون منتصر(٤٤٨). للأسف، نادرًا ما يحصل أعضاء هذه المجموعة المعرضة للخطر

على مساعدة، وهذا بسبب أن بعض المحافظين المتدينين يعارضون بضراوة أي شيء ممكن أن يسبب أي مظهر قبول للمثلية، الذى هم «يشجب. . . . الشيء البغيض»(٤٤٩).

عندما يفرض المثليون على أنفسهم الزواج التقليدى، تعانى عائلاتهم كثيرا من الحقيقة. سانتون ل. چونس كتب مقالة فى مجلة «المسيحية اليوم» عن صديق له مثلي يدعى پيتر تزوج امرأة. حاول پيتر دون نجاح أن يكبح جماع رغباته لمدة ١٥ سنة. خلال زواجه كان على علاقة برجال آخرين، ومؤخراً، عندما علمت زوجته بتلك العلاقات، تدمرت حياتهما وزواجهما(٤٥٠). إن لم يكن پيتر فى وضع يجعله يحتاج إلى كبح مشاعره، ما كان ليتزوج من امرأة أبدا، ولكان تجنب آلام هذه التجربة الجارحة(٤٥١).

بشكل مأساوى عرف ماثيو شيپرد الآلام التى قد تسببها المثلية، جاء قدر شيپرد فى مجتمع غارق فى معارضة المسيحيين المحافظين، وكره ومعارضة المثليين كليا.

فى ١٢ أكتوبر عام ١٩٩٨، زعم أحدهم أن شيپرد أحرجه فى بار، وفى رد انتقامى على ذلك، قرر أن يسرق حافظة نقود شيپرد. ولكنه تجاوز حدود السرقة عندما قام كلا من هارون ماكينى وراسل هندرسون بضرب شيپرد بضراوة ثم ألقياه فى قارعة الطريق مقيدا إلى صندوق بريد(٤٥٢). ماكينى وهندرسون يقضيان عقوبة السجن مدى الحياة، دونما احتمال فى العفو نتيجة لموت شيپرد، وقد أعفى القاتلان من حكم الإعدام نتيجة لوصية والد الطالب المقتول(٤٥٣).

برغم وضوحها، فقضية شيپرد ليست فريدة كما نأمل. فى عام ١٩٩٩م، أفاد تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالى بأنه سجل ١٤٨٧ اعتداءً دافعها الجنس ضد ١٥٥٨ فردا، أسفرت ثلاثة منها عن موت الضحايا، و١٨٠ اعتداء كان لحالات مشابهة للاعتداء على شيپرد. والمدهش أن يصبح المثليون والمزدوجو الجنس أهدافا لجرائم كراهية كما لو كانوا أقليات عرقية، برغم أن اختلافهم أقل وضوحًا(٤٥٤).

الجانب الآخر من مجهودات كبح المثلية توضحه قضية چيفرى داهمر.

الإصرار على أن المثلية هى اختلال وخطيئة، أخذ حصته فى المجتمع. عانى القاتل بالجملة، المدان داهمر، من كراهية شديدة للذات بسبب مثليته. أقنعه

الأصولى الذى رباه بأنه خاطئ فى قلبه، وأن عائلته لن تقبله بتاتًا إذا عرفت بذلك. اشتعل غضب داهمر بشكل مأساوى على سبعة عشر رجلاً وطفلاً، قتلهم ثم مارس الجنس معهم قبل أن يمثل بجثثهم. شهد الطبيب النفسى چورچ باليرمو فى محاكمة داهمر، وقال لمجلة «حارس ميلواكى» «أعتقد أن چيفرى داهمر قتل ضحاياه لأنه كره المثلية»[٤٥٥].

فى عام ١٩٩٦، أجرى هنرى أدامز، وليستر رايت الصغير، وبثانى لوهر (جميعهم من جامعة چورچيا) تجربة أضافت مصداقية للافتراض القائل بأن (الهلع من نفس الجنس ـ Homophobia)، يعنى فى العادة كراهية المثليين، أكثر ما يعنى الخوف، قد يكون رد فعل على ميل غير معروف للمثلية.

فى هذه التجربة، شاهد رجال شرائط ڤيديو جنسية لمثليين رجال ونساء، ولآخرين [طبيعيين]، وهم متصلون بجهاز يقيس مدى استثارتهم الجنسية[٤٥٦].

قبل التجربة، ملأ الرجال استبيانا للرأى عن المثلية.

الرجال الذين صنفوا على أن لديهم «هلع من نفس الجنس ـ Homophobia» أظهروا استثارة جنسية عند مشاهدة المثليين، والآخرون لم يظهروا ذلك. ولكن بعد التجربة، أنكر الأولون استثارتهم الجنسية عند مشاهدة المثليين. يدل هذا على أن ذوى «الهلع من نفس الجنس» يكبحون، أو على الأقل غير راغبين فى الكشف عن ميولهم المثلية[٤٥٧].

ويقترح هذا أن بعضهم يتحول إلى أصوليين، كطريقة لكبح ميولهم المثلية.

من حسن الحظ أن السلوك يتغير ـ ولو كان ذلك ببطء. فى عام ١٩٨٤م، رأى ٧٤٪ من الأمريكيين أن العلاقات الجنسية بين المثليين دائمًا خاطئة، ولكن فى عام ٢٠٠٠م اختار فقط ٥٩٪ ذلك الرأى[٤٥٨]. كم سيأخذ التغيير وإلى أى مدى سيكون مؤلمًا؟ لا أحد يدرى. فأقل قليلاً من ثلثى السكان ما زالوا على نفس الرأى. روزى أو دونل التى ظهرت على غلاف «مجلة الناس» فى مارس ٢٠٠٢م، اكتسبت التحية لشجاعتها وظهورها أمام الناس فى برنامج «الوقت الرئيسى ليوم الخميس» على شاشة ABC. سمعتها الممتدة كأم بالتبنى وصداقتها لمن حولها، جعلت من الصعب على الأصوليين أن يقنعوا الناس بأن هناك ضررا

أو شرا فى رغبتها أن تكون والدة. تعرض الآن الكثير من الشركات، مثل آپل كمپيوتر، وديزنى، وإيه. أو. إل و تايم وارنر، برامج صحية للرفقاء من نفس الجنس. ولكن تلك الشركات لم تمارس تلك السياسات بدون ثمن.

واجهت ديزنى مقاطعة «مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين» عندما أضافت لخطتها الصحية عام ١٩٥٥م بعض الفوائد للرفقاء المحليين [بالإضافة لقائمة أخرى من الأسباب أو «الغسيل القذر» لدى المعمدانيين الجنوبيين، من ضمنها التصوير الإيجابى للمثليين، ذكوراً وإناثاً][٤٥٩].

ومع أن ديزنى ثبتت على أرضيتها، إلا أن المحتمل أن الشركات الأخرى الأصغر لن تستطيع تحمل الخسارة التى قد تسببها أعمال الأصوليين، وسوف تبتعد عما يغضبهم.

وفى بعض الولايات، برغم قوة المعارضة الأصولية، هناك فرصة حقيقية لصدور قوانين تسمح بزواج المثليين. ولكن لسوء الحظ، أصدرت ثلاثون ولاية - فى ضربة إجهاضية - قوانين تحدد الزواج كاتحاد بين «رجل وامرأة»، وفى هذا تملص كامل من جوهر صياغة دستور الولايات المتحدة[٤٦٠].

يقاتل اليمين المسيحى بأظافره وأسنانه لمنع قبول المثليين فى المجتمع، ولذلك يبدو أن هناك الكثير من ماثيو شيپرد فى الطريق، والكثير من الحاجة إلى روزى أو دونل. يمكننا **فقط أن نأمل أن يتم قبول المثليين فى المجتمع أسهل وأسرع من قبول الأفارقة الأمريكيين والنساء، وخاصة لأن المجموعتين الأخيرتين لم تفوزا فى معاركهما الحاسمة بعد!**

لا تؤيد أجندة الأصوليين ولا شخصياتهم تغيير الرأى العام [فيما يخص القضايا السابقة]. ولذلك ليس من المستغرب أن يتبنى الأصوليون تحيزات من أنواع متعددة. فى السنوات الأخيرة، دلت بعض المداخل للإفراط فى الدين على التحيز.

الجمود الدينى، وأكثر منه التسلط فى الدين، لهما أقوى رابطة مع التحيز[٤٦١]. وجد الباحثان چيمس فوريست وليندا وايلى من جامعة مانيتوبا

لازمة قوية بين الأصولية والتسلطية . كذلك وجدا أن الأصولية تنبئ بالعنصرية ، والهلع من نفس الجنس ، والعرقية [الاعتداد الزائد بالعرق] ، والميل للعقاب[٤٦٢] .

وجد مسح أجراه لى كيركپاتريك من كلية وليام ومارى ، أن التحيز ضد المثليين ، والنساء ، والسود ، والشيوعيين ، كان عاليًا بين الأصوليين المسيحيين ، والمسيحيين التقليديين[٤٦٣] [الأرثوذكس بالمعنى اللغوى وليس الطائفى] .

ووجدت دراسة أجراها ثلاثة إخصائيين اجتماعيين[٤٦٤] أن تسع عشرة دراسة من ثلاث وعشرين [من عام ١٩٦٠ وقبله] أظهرت أن الناس الأكثر تدينًا كانوا أيضًا أكثر ميلاً للانحياز . دراسة واحدة فقط أظهرت العكس ، وثلاث دراسات لم تجد علاقة[٤٦٥] .

وافق پروفيسور علم النفس بروس هنسبرجر فى جامعة ويلفريد لورير ، أونتاريو ، كندا ، على أن هناك مقدارا كبيرا من البحث يكشف عن ارتباط التدين بالتحيز[٤٦٦] . وفى عمله مع بى . ألتماير ، عرّف هنسبرجر الأصولية ـ بهدف دراسة العلاقة بين الاثنين ـ كما يلى :

الاعتقاد بأن هناك مجموعة تعاليم دينية تضم بوضوح الأصول ، والأساس ، والقلب ، والجوهر ، للحقيقة المعصومة عن البشرية والإله . وأن هذه الحقيقة الأساسية ، تعارضها قوى الشر ، والتى يجب محاربتها بكل قوة . ويجب اتباع هذه الحقيقة [المعصومة] اليوم طبقًا للممارسات الأصولية القديمة [من الماضى] وغير القابلة للتغيير ، وعلى أن هؤلاء الذين يؤمنون ويتبعون هذه التعاليم الأصولية ، لديهم علاقة متميزة مع الإله[٤٦٧] .

ومع أن هذا التعريف أكثر تحديداً من الذى قدمناه فى أول الكتاب ، فهو يأتى إلينا بالطبيعة التسلطية لعقيدة الأصوليين ، ويوضح كيف تغذى ـ بسهولة ـ التحيز . وكما بين هنسبرجر : «كل من الأصولية الدينية والتسلطية يشجع الطاعة للسلطة ، والتقاليد ، والإحساس الزائد بتقوى الذات والاستعلاء»[٤٦٨] .

وأشار إلى أنه برغم أن الدراسات التى راجعها كانت متسقة فى ربط الأصولية الدينية بأعلى درجات التحيز، فما زالت هناك الحاجة للمزيد من الدراسات التجريبية. وما يبدو مفقوداً فى كثير من الدراسات الحديثة، هو مقاييس مختلفة للتدين[٤٦٩].

ومن المهم أيضًا ملاحظة أن الرابطة بين الأصولية الدينية والتحيز، ليس معناها بالضرورة أن الأصولية هى سبب التحيز. ما زالت هناك حاجة لمزيد من الدراسات لتحديد رابطة سببية، بالرغم من أنه لا يمكن ببساطة تجاهل تلك الاحتمالية[٤٧٠].

يستخلص هنسبرجر أن الدين نفسه وبواسطته، قد لا يسبب الانحياز، ولكن قد تكون «الطريقة التى يتم التمسك بها بالعقائد» كما هو عند الأصوليين والجناح اليمينى التسلطى، هى التى تسبب الرابطة [مع التحيز][٤٧١].

من المعتاد فى المؤسسات الدينية ـ حيث يُستنكر التحيز ـ أن يقول البعض أثناء دراسات مسح الرأى أو استطلاعه إنهم غير متحيزين[٤٧٢]؛ «لأنهم يرون أنفسهم أشخاصًا متدينين»، يشرح هنسبرجر «لذلك فسوف يتبعون خط الجماعة».

ولكن عندما لا تعارض الكنيسة ـ علنًا ـ بعض أنواع التحيز، أو حتى لو كانت هناك إجراءات غير علنية متخذة من الكنيسة، «فهؤلاء الناس سوف يعترفون بتحيزهم، طالما ذلك لا يتعارض مع تعاليم جماعتهم الدينية»[٤٧٣].

دراسة عصرية للعهد الجديد، تجعل ذلك الميل للانحياز خارجًا عن سياق العقيدة المسيحية، ومع هذا فميل الأصوليين لرؤية العالم من خلال مطلقات غير قابلة للنقاش، تجعل السلوك الانحيازى أسهل فى الاتباع والالتزام.

أكثر من ذلك، يُساعد التحيز على تبسيط العالم، وتسهيل اتخاذ القرار، واختصار كمية المعلومات المطلوبة خلال الحياة اليومية. وعندما يكافح البعض لتبنى نظامًا أخلاقيًا قديما، وتطبيقه فى المجتمع المعاصر، فأى وسيلة تقلل من تعقيد عالم اليوم، يتلقاها أولئك البعض بكل ترحاب.

يعتقد عدد من العلماء أن هناك بعض مظاهر الدين ـ عادة ما تجدها عند الأصوليين ـ من الممكن أن تؤدى إلى الانحياز والتمييز، مثل الإيمان بالحقيقة

المطلقة[٤٧٤]، وتعاليم مجموعات خارجية، والإحساس بقلة الأهمية[٤٧٥]، وإثارة الوطنية[٤٧٦]، وتشجيع التسلطية، والعرقية [الاعتداد الزائد بالعرق]، وقولبة المجموعات الداخلية [الأنا]، والخارجية [الآخر][٤٧٧]، وتغذية تكوين العقائد والآراء[٤٧٨]، والتأكيد على ضرورة الخضوع للسلطة[٤٧٩].

برغم أن التيار الرئيسى للأديان قد تكون لديه بعض من العناصر السابقة، ولدرجة معتدلة، إلا أن الإيمان الأصولى يعتمد على معظمها، إن لم يكن كلها، مما يجعله أكثر عرضة لأفكار التحيز.

يشرح البروفيسور المميز مارك ناثان كوهين، جامعة ولاية نيويورك، بلاتسبره «ينمو عدم التسامح من الحاجة لكبش فداء»، ولأنه لا يوجد نظام يتسم بالكمال، ولكن الثقافة تتطلب إيمانا لا يخبو بقواعدها، يبحث الناس المؤمنين بالنظام عن أسباب خارجية لتبرير إخفاقاته. ويجب إلقاء اللوم على ما هو خارج النظام لرفعه، أو على الأقل، إبقاء الإيمان به. وأحد أهم الاحتياجات التى يخاطبها الدين، هو الحاجة للشرح والفهم، واللوم عادة جزء من ذلك[٤٨٠].

يهدف الأصوليون: النساء، المثليين، الملحدين، الأمريكيين الأفارقة، وحزمة أخرى من المجموعات، عندما نواجه النقائص داخل ثقافتنا. يشرح كوهين «كبش الفداء هو صمام الأمن للنظام الثقافى ضد ضغط خيبة الأمل».

يحب القادة بصفة خاصة إلقاء اللوم على من هو خارج الدائرة لتجنب عدم رضا الأعضاء. وهذا أيضًا يمكنه أن «يبرر مبادراتهم الخاصة»[٤٨١].

ولذلك كلما ازدادت عالمية وشمولية أمريكا، كلما ازدادت انعزالية واستبعادية العناصر المحافظة. لعب الدين دائمًا دوراً رئيسيًا فى تعريف المجموعات. يشرح كوهين أن عدم التسامح والعنصرية لا ينتجان من الاختلافات الواضحة والبيولوچية بين المجموعة، وليس من «عدم الملاءمة الثقافية»، وإنما يصدر من سوء فهم وسوء تأويل المجموعات الأخرى، عندما تعيش المجموعات معًا[٤٨٢].

يقول كوهين: نحن نفشل فى أن نفهم أن معظم المشاكل يمكن النظر إليها من عدة أوجه. والناس فى كل الجوانب لا يستطيعون التعرف على ما هو تحكمى

وتقليدى فى تصرفاتهم ومعتقداتهم. فالثقافات ليست فقط تعمى أعضاءها عن الثقافات الأخرى، بل تغذى بنشاط الشوفينية [الغلو الوطنى] وعدم التسامح، كوسيلة لتقوية ذاتية المجموعة(٤٨٣).

يتم عدم التسامح عندما لا يشجع القادة أى جهود لتمازج المجموعات(٤٨٤) والتوافق مع الاختلافات، الأمر الذى فيه مصالح القادة الشخصية. يكشف عن هذا ممارسات جامعة بوب چونز، ومقر قيادة التحالف المسيحى.

تقنين التطرف

عندما تحظى آراء المتطرفين بالقبول والشرعية من المجتمع ككل، فيصير من الصعب تحديد ما الذى يأخذ الأمور بعيدًا لهذا الحد.

قد يكون لهذا تأثير فى جعل الناس يفكرون فى أن معتقداتهم تبرر لهم أى أعمال ضد المجتمع، مثل تلك الأعمال الصادرة من التحيز، وقد تجعل بعض الناس أكثر عرضة لتشكيل أو الانضمام لفرق أو جماعات أكثر تطرفًا. لتقدير مدى احتمالية تلك التأثيرات، يلزمنا فهمًا أساسيًا للاختلافات بين الكنائس، والفرق، والجماعات، وكيف تتغير الجماعات الدينية.

الطوائف أو الكنائس هى ما ينضم إليه التيار الرئيسى من المسيحيين. تقبل الطوائف ـ بصفة عامة ـ معتقدات الأديان الأخرى، وهى على وفاق مع المجتمع(٤٨٥). وعادة ما تفضل مدخلا فكريا للتعاليم الدينية، وتتجنب العواطف فى خدماتها [عبادتها]. أكثر رواد الكنائس من الطبقة الوسطى إلى الطبقة العليا، ويميل أعضاؤها إلى المشاركة من الخطوط الجانبية (من بُعد)، ويتصرفون بصفة أساسية كمتفرجين(٤٨٦).

وبالمفارقة، ينتمى الأصوليون المسيحيون إلى الفرق، وهى منحرفة عن التيار الرئيسى، تتمسك بعقائد تقليدية ويزعمون أنهم فقط المؤمنون الحقيقيون(٤٨٧)، أو المسيحيون الحقيقيون، ويرضون الجماهير، أو أولئك الذين هم فى المستوى السفلى فى نظام الإرضاء(٤٨٨). تركز الفرق على «العواطف، والممارسات

الشخصية الغامضة». ويشارك الأعضاء وبإيجابية فى الممارسة الدينية، والتى تقدم لهم «إحساسا قويا بالجماعة والتضامن»[٤٨٩].

يجب الإشارة إلى أن هناك تداخلا ـ مثلما هناك تداخل فى قضايا أصولية أخرى ـ فمثلاً هل الأصوليون جزء من جماعة أو طائفة؟ ليس بالأمر المحسوم، كذلك هناك كثير من الأصوليين من المعمدانيين الجنوبيين، والتى تُعتبر طائفة محافظة أكثر منها جماعة.

يمكن فهم هذا الموقف بشكل أفضل بالنظر إلى نظرية الكنيسة ـ الفرقة.

فى عالم يزداد علمانية، يصعب فهم كيف ولماذا هناك ـ فى نفس الوقت ـ زيادة سريعة فى الجماعات الدينية. تساعد نظرية «الكنيسة ـ الفرقة» التى استنتجها إرنست ترولتش، وطورها إتش ريتشارد نيبهور، على فهم هذه الظاهرة[٤٩٠].

تتغير الكنائس والجماعات على مدار التاريخ. قال نيبهور فى كتابه «المصادر الاجتماعية للطوائف» (١٩٢٩): يؤدى النمو فى المنظمات الدينية إلى زيادة العضوية من الطبقات الوسطى والعليا. وبمرور الوقت، أثرت تلك الطبقات على المنظمة [الدينية] حتى تتبنى موقفًا أكثر دنيوية، لا يدين النجاح المادى على أنه يستجلب عقاب الرب، ومن هنا صارت الحاجات الدينية للطبقات الدنيا غير مستوفاة. ومع زيادة عدم الرضا، تنفصل الجماهير من الكنيسة الأقل روحانية، لتكون جماعة ترضى احتياجاتها، كما فعلت من قبل المؤسسة السابقة [الكنيسة]. ثم تكرر الدورة نفسها[٤٩١].

تم ملاحظة نفس عدم الرضا، فى السنوات الأخيرة فى مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، مما أسفر عن انشقاق كبير. ولكن فى هذه الحالة، لم تنشأ جماعة لأن العضوية الواسعة للمحافظين المتطرفين كانت قادرةعلى السيطرة على الطائفة، مع إبعادها للأعضاء الأكثر تحررية. ولذلك حافظت الطائفة على الحاجة لتماسك أعضائها المحافظين والأصوليين.

بينما الفرق هى ببساطة منظمات تحاول إحياء ديانة قديمة، فالجماعة من الناحية الأخرى، هى حركات إما جديدة تمامًا، أو مختلفة عن المنظمات

التقليدية. بعد دورات كثيرة من عملية «الكنيسة ـ الفرقة»، يفقد التقليد الديني قدرته على إرضاء شريحة كبيرة من السكان. وهكذا، تدعم العلمانية أيضًا الجماعات. أصبح لمصطلح «جماعة» دلالة سلبية، بسبب التوتر بين الجماعات ومحيطها الاجتماعي[٤٩٢].

كل الديانات -بما فى ذلك المسيحية- بدأت كجماعة[٤٩٣]، أكثرها معتدل. وبالمفارقة مع الفرق، تحاول الجماعات تحويل الأفراد (لمعتقداتها)، وليس تغيير المجتمع[٤٩٤]. وتميل «الجماعة» إلى مهاجمة الفردية، وتؤكد على توافق الجماعة من حيث الملبس وطريقة الحياة، والأفكار، وحتى نماذج الجنس. ولذلك فبعضها يمكن أن يصبح مدمرًا تمامًا لأعضائها[٤٩٥].

أجرى الباحثان فى «الجماعات» فلو كونواى، وچيم سيجلمان، دراسة عام ١٩٨٠م عن طقوس الجماعة وطول تأثيرها. من ٤٨ جماعة، أكثر من ثلاثين منها «خرج من المسيحية الأصولية، أو المسيحية المحافظة». أما تأثيرها، فهو يتنوع ما بين الاكتئاب، والانتحار، والخوف، وفقدان الذاكرة والهلوسة، وذلك غيض من فيض[٤٩٦].

أكثر من هذا، وجد كونواى وسيجلمان أن تلك الثلاثين جماعة تعد الأكثر تدميرًا بين الجماعات.. من ناحية الأذى الذى تسببه لأعضائها[٤٩٧].

تقليديًا ـ حتى بين «الكنائس الأكثر قانونية» ـ يتعلم أتباع الجماعة المسيحية أن الكتاب المقدس يقدم أجوبة لكل الأسئلة عن الحياة.. ويشرح دونى پى. هوايتست ذلك قائلاً: «هناك آيات محددة، يُستشهد بها لحل أعقد قضايا الوجود الإنسانى. وتُتلى هذه الآيات عندما يواجه العضو لا يقينيات حياته». ويُستبدل «التفكير الجماعى والكلام الجماعى» بـ «التفكير الفردى والكلام الفردى»[٤٩٨].

وطبقًا لـهوايتست، فهناك تقدير: ما بين ٢ إلى ٣ ملايين أمريكى منخرطون فى حوالى ٣٠٠٠ جماعة (وست آند سينجر ١٩٨٠). ويزيد الرقم كثيرًا عند إدخال العائلة والأصدقاء من الذين تأثروا. أضف لذلك أن هناك أعدادا كثيرة من الناس فى العيادات تظهر عليها الأعراض والحالات العاطفية المصاحبة لأعضاء الجماعات[٤٩٩].

ومع هذا، فهناك اهتمام قليل فى مجال الصحة العقلية لهذه المشكلة واسعة الانتشار[٥٠٠].

هناك صفات عديدة مشتركة بين الجماعات، كما يشير الإخصائى الاجتماعى الدكتور رونالد سى. سويفتى. عادة ما يكون لها قائد كاريزمى (جذاب للجماهير)، ووسائل تجنيد مثيرة للتساؤل «تتطلب ولاء وطاعة حماسية»، مع تسليم الأموال والدخول للقائد[٥٠١].

يقدم پروفيسور قانون حقوق الإنسان فى جامعة ويتواتر سراند فى چوهانسبرج، جنوب أفريقيا، جوهان د. ڤان. ديرڤايڤر، شرحًا أوسع: تستخدم كثير من الجماعات ومن الإيڤانجليكيين الدين كخدعة. « فهم يستغلون بؤس الأشخاص المحتاجين، بسبب المرض أو الفقر، ليضمنوا خضوعهم»[٥٠٢]. تُظهر مناشدات الأيقونات ـ مثل بيلى جراهام ـ العلاقة بين الأصولية والجماعات فى بعض تلك الصفات. يستغل إيڤانجليكيو التليفزيون مشاهديهم ـ والذين يعرفون أنهم غير قادرين ـ فى التبرع المطلوب منهم، والذى يسهل إقناعهم به.

يميع الخط الفاصل بين الفرق والجماعات عند معاينة الكنائس الدولية للمسيح، المعروفة سابقًا بكنيسة المسيح/ حركة بوسطون، أو كنيسة المسيح/ حركة مفترق الطرق. يسميها البعض كنيسة أصولية، وأولئك أصحاب التجربة الشخصية، يسمونها جماعة. تنسجم عقائد كنيسة المسيح مع الأصوليين، ولكن طريقة عملها عدوانية تمامًا. يتبع المنضمون الجدد «حواريا»، وهو عضو قديم، يقوم بتعليمهم[٥٠٣]، ويتأكد من ذهابهم للاجتماعات الدراسية للكتاب المقدس، وحفلات تقديم الطعام المشوى، وغيرها من الأحداث. لا يُشجع الأعضاء الجدد على الاحتفاظ بعلاقاتهم الأسرية ولا صداقاتهم القديمة، ما لم يكونوا (أعضاء الأسرة والأصدقاء) فى نفس الجماعة.

وعند العمل فى الحرم الجامعى، فالمتوقع من أفراد الجماعة العيش فى الجمعية التعاونية للكنيسة، أو مع الأعضاء الآخرين للكنيسة. المنظمة كلها انعزالية فى كل شئونها عدا عند تجنيد الأعضاء الجدد.

يخبر الأعضاء القدامى عمن يتسلل فى منتصف الليل ـ تاركا كل ممتلكاته ـ للهرب[٥٠٤].

وجد خبراء دراسة تلك الجماعات، أن الناس الذين يمرون بمرحلة انتقالية، أو يعانون أزمة، هم الأكثر عرضة للتجنيد[٥٠٥] ولذلك فطلاب الجامعة هم هدف جذاب.

يصف هوايتست حالة «جـ» فى الواحدة والعشرين من عمرها. نشأت «جـ» فى كنيسة أصولية تعلم الكتاب المقدس وتفسره حرفيًا، وتقول أن كل أسئلة العالم لها إجابات فى الكتاب المقدس. لذلك لم تتعلم «جـ» أن تفكر لنفسها. وكانت أمها تجيبها على كل أسئلتها بأن تبحث فى الكتاب المقدس عن الأجوبة، وبهذا لم تنشأ بينهما الرابطة الضرورية للتنشئة الصحية[٥٠٦].

كذلك أدى «تحريم الكنيسة لأى نشاط جنسى. . العادة السرية، المثلية، . . والغضب» أن تملك «جـ» هاجس أنها «شيطانة». لم يجد علاجها النفسى بالمهدئات من تخليصها من ذلك الهاجس ومن تفكيرها فى الانتحار. وفى النهاية دخلت المستشفى[٥٠٧].

قصة «جـ» ليست فريدة. اكتشف هوايتست «أن نسبة غير مقبولة من البالغين الصغار (١٩ ـ ٢١) داخل مجتمع الكنيسة قاموا بمحاولات خطيرة للانتحار، وتحققت لبعضهم».

وفى إحدى الحالات، رفع أحد الوالدين قضية على الكنيسة لأنها لم تشجع ابنه المصاب بالاكتئاب ـ على طلب مساعدة المحترفين [الأطباء]. وطبقًا لما قالته «جـ» فالانتحار هو «حل حيوى» لأولئك الذين لا يستطيعون «العيش طبقًا لتعاليم الله»[٥٠٨].

تستخدم الجماعات الأصولية أساليب مشابهة لأساليب «الجماعات» فى تجنيد الأعضاء الجدد، أو على الأقل للحفاظ عليهم.

شاركت كريس السكن من كنيسة إيفانجليكية لوثرية تر تادها أسرتها فى مدينة صغيرة فى ميتشيجان. وبمرور الوقت لاحظت كريس ما اكتشفت فى الكنيسة أنه عقائد أجنبية غريبة، وفى النهاية انقطعت عائلتها عن ارتياد الكنيسة.

وبعد شهور، استلمت خطابًا يشعرها بالذنب، محملا بتهديدات بالعقاب الأبدى. يذكرها الخطاب: «هو [الرجل الغنى] كان مشغولاً عن سماع كلمات الله.. كم هو محزن أن انحلاله وإهماله لـ «الوحيد الذى هو فى حاجة إليه» كلفه ألما ومعاناة أبدية فى الجحيم»... واستمرت الرسالة:

اليوم.. وما زال لديك وقت، يدعوك الله إلى التوبة النصوح، أن تعكسى اتجاهك، وتتخلصى من آثامك فى عبادة مخلوقات وتعودى إلى مخلصك. فكلماته وقربانه المقدس فقط هى التى يمكن أن تخلص روحك. إنه لحمق تام ومحزن تمامًا لأى شخص أن يهمل علاج روحه لأى سبب. اتركى طرقك الشريرة وعودى إليه، فهو فقط الذى يغفر الذنوب.. وإلا فإنك مثل الرجل الفقير «الغنى» سوف تهلكين.

الخطاب المؤرخ عام ١٩٩٧م، انتهى بتهديد بأنه: إذا لم «يغيرا قلبيهما اللذين أثما، فاسمهما سوف يقدم أمام جمعية التصويت فى الكنيسة، وسوف يوصى «مجلس الكبار» بأن «يُلغى اسمهما ممن لهم حق حضور العشاء المقدس لأنهما يعيشان بلا توبة من إثم الزنا»، والتوقيع «من المحبة المسيحية».

لحسن الحظ، لم يتم غسل عقول الرفيقين خلال ارتيادهما الكنيسة، فلم يباليا بالخطاب. وفى الواقع، لأن الكنيسة فشلت فى محاولتها غسل عقليهما، فخطابها كان القشة التى جعلت الرفيقين لا يعودان للكنيسة، وبالطبع يمكن الافتراض أن رفيقين آخرين كانا سيهرعان من قلبيهما للكنيسة، نحو المزيد.

بدون شك، يساعد تأثير الأصولية على تقنين التطرف، ويساعد مجهودات الجماعات، والحركات الراديكالية الأخرى، وذلك بتمييع وتمويه الخط الفاصل بين التدين والتعصب.

كذلك تركيز «الجماعات الأصولية» على «آخر الزمان» يفتح الباب لـ «جماعات» يوم القيامة. والتسعة وثلاثون من أعضاء «بوابة السماء» الذين انتحروا فى مارس ١٩٩٧م مثلاً لذلك. كذلك مزرعة الداڤيديانز، والذين وقفوا أمام قوات الشرطة لمدة ٥١ يوما فى منتصف ١٩٩٣م.

التعديل الأول الذى يضمن حرية الدين لا يمكن ولا يجب أن يقلص؛ لأن هناك ما يُعتبر «تطرفا»، ولكن، ومثل كل بقية الحقوق، يجب أن تتوازى أعمال هذا الحق مع مسئولية الأعمال التى تؤثر على الآخرين.

الجريمة: الأخلاقية والواقعية

يرى معظم الأمريكيين، مسيحيين كانوا أو غير مسيحيين، أن فلسفة الأصولية هى فلسفة متطرفة، خاصة على ضوء حقيقة أن اليمين المسيحى يحاول التصديق على تلك العقائد والممارسات بتقديم مشروعات قوانين، يزعم أنها ضرورية لخفض معدل الجريمة والعنف فى مجتمع غير أخلاقى ومعادٍ للدين.

عادة ما يقدم اليمين المسيحى مشروعات قوانين لخفض عنف المراهقين، والمخدرات، والاعتداء على الأطفال والأزواج، وجرائم الملكية، والقتل وغيرها. ولكن عكس ما يزعمه اليمين المسيحى، فعادة لا يفعل الأصوليون شيئًا لتخفيف تلك المشاكل، بل وقد يتسببون في تفاقم السلوك الإجرامى. ومع هذا، ليس طريقهم فى التعامل مع المشاكل الاجتماعية هى التى تجعل من الأصوليين خطرًا. فكثير من الأصوليين يرتكبون أعمالا واسعة ومتنوعة من العنف والجرائم.

نبدأ بفرض أن أفعال الأصوليين متناسقة مع أهدافهم، [من سن القوانين] مما يعنى أن نتوقع انخفاض جرائم العنف فى المناطق ذات التركيز الأصولى. ولكن - بصفة عامة - نجد العكس. عند مراجعة المعلومات المتاحة، ست من الولايات الأعلى فى قائمة جرائم العنف تقع أيضا الأعلى فى قائمة تركيز الأصوليين، وفى نفس الوقت، سبعة من الولايات ذات أدنى عضوية فى كنائس الأصوليين، تقع

فى الثلث الأقل لجرائم العنف[٥٠٩]. وبصفة عامة يزيد تأثير التحضر على جرائم العنف أكثر من تأثير الدين عليها، فولايات نيويورك، وكاليفورنيا، وإيلينوى، التى بها أكبر ثلاث مدن فى الدولة [نيويورك، لوس أنچليس، شيكاجو]، تحتل المركز العاشر، والحادى عشر، والسابع عشر على الترتيب، وعلى ذلك فليس التحضر هو العامل الكامل فى توقع جرائم العنف.

برغم أن الولايات المتحدة «أكثر دول العالم الصناعى تدينًا» فمعدل القتل فيها أعلى من السويد ٥ مرات، ومن بريطانيا ٦ مرات، ومن فرنسا ٧ مرات. اليابان ـ والتحضر فيها أعلى من أى دولة على الإطلاق ـ بها أقل معدل جرائم عنف، وقليل من المسيحيين بها. معدل الذهاب إلى الكنيسة فى لويزيانا أعلى من أى منطقة أخرى فى الولايات المتحدة، ومع هذا فمعدل جرائم القتل بها أكثر من ضعف متوسط المعدل فى الولايات المتحدة كلها[٥١٠].

حتى لو كان هناك تلازم قوى بين الدين وارتفاع معدل الجريمة، فلا يعنى هذا بالضرورة أن الأصولية تسبب الجريمة، وإنما هو نفس الاحتمال فى أن الميل للجريمة أو التصرف الإجرامى يجعل الناس أكثر احتمالاً لاعتناق الأصولية. ومن المحتمل أيضًا أن القوانين غير الفعالة، بل والمضادة للإنتاج التى يقدمها ـ تقليديًا ـ اليمين المسيحى، فى المناطق ذات التركيز العالى للأصوليين، يشارك فى معدل جرائم العنف. نرى مما سبق أنه إذا كان للأنشطة الأصولية أى تأثير على انتشار جرائم العنف، فالاحتمال الأكبر أن يكون التأثير هو زيادتها وليس إنقاصها.

إحدى مشاكل الأصولية فيما يتعلق بالجريمة، هى كما أشار اختصاصيا الجرائم دى. ستانلى أيتزن، ودوج إيه تيمر فى «علم الجريمة: الجريمة والعدالة الجنائية»: إلى:

«يشبه المحافظون المعاصرون، المحافظين القدامى الذين «نجحوا فى أن يظهروا كحماة الهدوء الداخلى لعقود» وروجوا ـ تقليديًا ـ لسياسات اجتماعية واقتصادية تحمل جزءًا كبيرًا من المسئولية عن مستوى الجرائم والعنف الذى نعانى منه اليوم»[٥١١].

يمكن فهم هذا بسهولة بالنظر إلى تأثير تقنين الإجهاض على جرائم العنف. البروفيسور چون چيه دونوهو الثالث، جامعة ستانفورد، وستيف دى. ليڤيت بروفيسور الاقتصاد فى جامعة شيكاجو يشرحان ذلك. فقد وجدا فى تحليلهما عن اتجاهات الجريمة فى مناطق مختلفة جغرافيًا، أن نصف الانخفاض فى معدل الجرائم فى التسعينيات، يمكن إرجاعه منطقيًا لتقنين الإجهاض فى السبعينيات[٥١٢]. فكرة أن خفض عدد المواليد غير المطلوبين، وخفض عدد من لا يردن أن يصبحن أمهات يخفض معدل الجريمة، ليست مضادة لحدس معظم الأمريكيين. ولكن يُعد ذلك قريبًا من الهرطقة لدى المسيحيين الأصوليين.

إذا كان ما وجداه [دونوهو، وليڤيت] صحيحًا، فسيغير مجهودات الأصوليين لكبح الإجهاض من خريطة الجريمة فى المستقبل.

محاولات الأصوليين لجعل بعض العناصر غير المرغوبة، مثل الإباحيات (Pornography) كبش فداء لجرائم العنف، تعطيهم عذرًا فى فشلهم فى جعل العالم أكثر أمانًا. بجانب تجاهل المعلومات الأكيدة، إلى قلبها، عادة ما يخترع معارضو الإباحيات أدلة فى صالحهم. وكان هذا واضحًا مع السياسة المفترضة لشرطة ولاية ميتشيجان. تلك الدراسة التى زعموا أنها تمت فى الثمانينيات، يستشهد بها دومًا مضادو الإباحيات. طلب چايل پار مسئول التزويد فى مكتبة چيه. ڤى بارى، استراليا نسخة من تلك الدراسة. أجابه المفتش داڤيد مينزى «الحقيقة أنه لم تكن هناك مطلقًا تلك الدراسة». حاول مينزى أن يقلد تلك الدراسة باستخدام قاعدة بيانات القسم على أكثر من ٧٥٠٠٠ جريمة جنس تم التبليغ عنها منذ عام ١٩٥٥ إلى الحاضر، ولكنه لم يستطع أن يؤيد الزعم الأصلى. لم يجد إلا رابطة ضعيفة بين الإباحية والاعتداء الجنسى. قد يعنى هذا - ببساطة - أن مرتكبى جرائم الجنس لديهم ميل أقوى لمشاهدة «الإباحية».

أظهرت بقية العوامل، مثل شرب الكحوليات رابطة أقوى مع جرائم الجنس[٥١٣].

وجد أيضًا أن معتقدات وممارسات الأصوليين لها ارتباط قوى بتلك الجرائم. طبقًا لكتاب دنيس كون «مقدمة إلى علم النفس: استكشاف وتطبيق» فهم

المجتمع للجنس يلعب دوراً فى جرائم الاغتصاب. يعتقد كثير من الناس أن النساء يجب ألا يظهرن أى اهتمام بالجنس. وتعلم الرجال أن تكون لهم المبادرة فى الاقتراب الجنسى. لذلك حتى عندما تقول المرأة: (لا)، كثيراً ما تكون النتيجة الاغتصاب[٥١٤]. كراهية النساء سبب آخر للاغتصاب. وُجد أن كثيراً من المغتصبين لديهم كراهية وإزدراء دفينان، أو صريحان للنساء. وهناك اعتقاد واسع أن الجماع الجنسى ليس هو الهدف التقليدى من الاغتصاب، ولكنها الرغبة فى إذلال وتحقير وإخضاع المرأة إن لم يكن إلحاق الأذى الجسدى بها[٥١٥].

يستمر الأصوليون فى معارضة المساواة بين الجنسين، ودعم دور الجنس، وهذا يجعل إمكانية حدوث الاغتصاب أكثر احتمالاً. بل إن تفسير الكنيسة لصلب وقيامة المسيح قد يلعب دوراً لدى المغتصب. طبقًا لكريستين إى. جودروف، پروفيسور الإلهيات فى جامعة زاڤير، سينسيناتى، كثيراً ما يقول المسيحيون لضحايا الاعتداء الجنسى «أنه شىء طيب أن تعانى»، ومن تلك المعاناة «ينالون حظوة الله»[٥١٦]. كثيراً ما يقول المسيحيون للضحايا: إن ذلك الاعتداء حدث بمشيئة الله، وإنهم سرعا ن ما سينسون الحادث، ويعيشون حياتهم، بل والأسوأ، أن يعفو عن المذنب[٥١٧].

مثل هذه الآراء قد تساعد على زيادة الاغتصاب عندما يدرك المرتكبون انعدام رد الفعل، بل وقد يبررون أفعالهم بتلك الآراء. **أكثر من هذا، هناك تقارير بأن ما يقرب من ٣٠٪ من الراهبات، تعرضن لـ «أذى جنسى» من داخل الكنيسة، طبقًا للباحثين الكاثوليك، كذلك وجد المعمدانيون الجنوبيون ١ , ١٤٪ من رجال الكنيسة أساء جنسيا لأعضائها[٥١٨].**

هناك علاقة قوية بين إساءة معاملة الزوجة، وآراء الأصوليين فى دور المرأة. كذلك وجد أن إساءة معاملة الأطفال أكثر انتشاراً فى منازل الأصوليين، حيث يلتزم الوالدان بعقلية «اترك العصا يفسد الطفل» كما ناقشنا فى الفصل الثالث. كذلك وجدت الدراسات ارتفاع نسبة زنا المحارم بين الآباء الأصوليين عن بقية المجتمع. وكما نلاحظ منذ سنوات، أفاد تقرير للقس توم إيكونوموس أن حوالى ١ , ٦ إلى ٣ , ١٦ فى المائة من القساوسة محبون للأطفال[٥١٩].

حب الاستعراض، مظهر سائد للانحراف الجنسي، يبدو أيضًا أن له علاقة بالأصولية، الصفات المشتركة بين الاستعراضيين أنهم ذكور، متزوجون، «ويأتى أكثرهم من خلفية متشددة وكابحة»(٥٢٠). توجد عادة تلك الخلفيات فى بيوت الأصوليين.

يبدو أيضًا أن هناك احتمالا لوجود رابطة بين الأصولية، أو التربية الدينية الأصولية وقتل الجملة، أو القتل المتتالى.

وجد ذلك الميل پول أوبريان خلال عامى ١٩٨٠، ١٩٨١، حين أجرى دراسة بعد أن قتل صديقه المدرس عائلته.

طبقًا لبريان، صار المدرس متدينًا جدًا وبدأ يحمل الكتاب المقدس معه. بعد أقل من سنة، قتل زوجته وأولاده الثلاثة.

لاحظ زميله فى الزنزانة ـ قبل إعدامه بالغاز فى أريزونا ـ أنه قال: «زوجتى وأولادى الآن فى الجنة، وأنا سعيد لأن ألحق بهم الآن»(٥٢١).

لمحاولة فهم تصرف صديقه الصارم، جمع أوبريان كل موضوع عن قتل الجملة أو القتل المتتالى فى «فلنت چورنال» لمدة ١٨ شهرًا. وجد أوبريان فى اثنتى عشرة حالة أن إحدى عشرة منها تشترك فى أن مرتكبها إما نشأ فى بيت متدين جدًا، أو يؤمن بالعفاريت والشياطين، «وأكثرهم كانوا يحملون الكتاب المقدس معهم»(٥٢٢).

من بين تلك الحالات سامپسون كاندراى، مسيحى معروف باسم قاتل البلطة، وقد قتل أكثر من ٣٠ شخصا، «لتسكين الأرواح الشريرة». ورجل آخر هو دوجلاس، كان يبحث عن امرأة وحيدة فى المنزل، ولما وجدها طعنها حتى الموت، لأنه تلقى رسالة إلهية تطلب ذلك. وقد كان قارئًا مواظبًا ـ للكتاب المقدس(٥٢٣).

المراهق داڤيد كيلر قتل أبويه بالبندقية. وطبقًا لـ «فلنت چورنال»، يقول أوبريان كانت كل حياة داڤيد هى الكنيسة والدين(٥٢٤).

باتريشيا ديويك ألقت أطفالها الثلاثة من شرفة الفندق، وكانت قد اجتازت تدريبًا دينيًا واسعًا، وقد أرادت أن تصبح راهبة كاثوليكية[٥٢٥].

أما كورتيس مارتن، فقد أخذ أطفاله الثلاثة إلى مصنع، حيث وضعهم فى وعاء صهر الصلب، وقام بتشغيله، وانصرف ماشيًا يقرأ الكتاب المقدس بصوت عال «بينما يتحول أطفاله إلى رماد»[٥٢٦].

تجدر ملاحظة أن هناك متناقضات كثيرة تحيط بمظاهر الجرائم، ولم تجد كثيراً فى الإمساك بالمجرمين، ولكن لا يمكن إنكار التدين الظاهر فى عمليات كثيرة للقتل بالجملة، أو مسلسلات القتل. التربية القمعية، والإيذائية، قد لا يكون لها دور مباشر، أو لا تكون السبب الوحيد للتصرفات العنيفة؛ لأن كثيراً من الذين تعرضوا لها لم يرتكبوا جرائم قتل، ولكنها ـ على الأقل ـ تلعب دوراً فى ذلك.

طبقًا لمقال «ما الذى يصنع نزوة القتل المتتالى ؟».

يعتقد بعض الوالدين أن التربية الخشنة سوف تقوى الطفل. بالعكس، فغالبًا ما تصنع نقصا فى الحب بين الطفل والوالدين، مما قد يثمر عن نتائج كارثية. إذا لم يرتبط الطفل بمربييْه الأصليين، فلن تكون هناك قاعدة تجعله يثق بالآخرين فى حياته. يؤدى هذا إلى العزلة، حيث تصبح خيالات العنف هى المصدر الرئيسى للإرضاء[٥٢٧].

هذا الشكل من التربية معتاد فى بيوت الأصوليين، حيث يتسلط الآباء، ويميلون للعقاب، فهم يرون تصرف طفلهم غير الناضج أو العنيد، كما لو كان شرا داخله، ويحتاج إلى كسره.

فى دراسة عام ١٩٩٥م قام بها المرجع العالمى فى جرائم القتل داڤيد لستر، ودراسة أخرى فى عام ١٩٩٢م قام بها إم. إتش. ميدوف، وآى لى سكوف «وجدوا أن الأصولية لم تكن ناجحة فى تقليل جرائم القتل». أكثر من ذلك، وجد أولئك المتخصصون فى علم الجريمة، أن الأصولية قد تكون سببًا فى القتل نتيجة قمعيتها ونظامها الأخلاقى المتشدد.

يُعتقد أن الأصوليين «قد لا يستطيعون التوافق.. ويعانون عاطفيًا وروحيًا مع تبعات عكسية»[٥٢٨]. كذلك استخلص مايكل فرانكلين وماريان هيثرلى أن «الخيال الشرير» والذى يشمل أشكالا متنوعة من العداء والكراهية والعنف، هو رد فعل للقلق والخوف المصاحبين لمن لا حيلة له ولا قوة، ويعتمد تمامًا على الإيمان[٥٢٩].

فيما يلى أظهر ملخص إحصائى جمعه البروفيسور دافيد بى بارنت من جامعة ريجنت، جرائم رجال الكنيسة، أو المنشآت الدينية أنها ارتفعت من ٣٠٠٠٠٠ دولار سنويًا منذ قرن مضى إلى ٣ بليون دولار عام ١٩٩٠م، مع تقدير أن يرتفع الرقم إلى ٦٥ بليون عام ٢٠٢٤[٥٣٠].

مثال آخر، هو روبرت آر. كورتنى شماس فى كنيسة مجمعات الله، حيث كان أبوه من قبل كاهنًا. اتهم كورتنى بتخفيف أكثر من مائة سائل علاج كيماوى، حتى يتسنى له دفع ديونه وضرائبه التى تقارب مليون دولار[٥٣١].

وصف «كورتنى الأب» «كورتنى الابن» «إنه ابن مثالى بكل معانى الكلمة»، وتم سجن كورتنى متهما بالتلاعب فى عشرين جرعة على الأقل.

وفى عام ١٩٩١م، جرت دراسة كاشفة طبقًا لمسح روبير، دلت على أن المسيحيين «المولودين من جديد، إو ثانيًا» تدهور سلوكهم بعد ذلك التحول. كانت نسبة قيادتهم للسيارات وهم مخمورون ٤٪ ازدادت بعد التحول إلى ١٢٪، وارتفعت نسبة استخدامهم للمخدرات القانونية من ٥٪ إلى ٩٪ بعد التحول، وارتفعت ممارستهم للجنس غير المشروع من ٢٪ إلى ٥٪ بعد التحول[٥٣٣].

لكل ما سبق، فإن اقتراح اليمين المسيحى بتعليق الوصايا العشر فى قاعات المحاكم والمدارس العامة، لخفض معدل الجريمة، وجعل المجتمع أعلى أخلاقيًا، تقابله اعتراضات خطيرة. ويقترح البروفيسور مارتين إى. مارتى من مشروع الأصولية، وأستاذ التاريخ المسيحى الحديث فى جامعة شيكاجو اقتراحًا بديلاً. فهو يقول: ربما يجب تعليق الوصايا العشر فى مذابح الكنائس[٥٣٤].

على عكس ما يعتقده معظم التيار الرئيسى للمجتمع، الأصولية لا تتراجع، وفى بعض الفرق تزداد نضاليتها، طبقًا لما تقوله كارين أرمسترونج التى تدرس اليهودية فى كلية ليوبايك، وهى واحدة من أوائل المعلقين على الشئون الدينية فى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى[٥٣٥].

معظم الأصوليين لا يريدون العنف، ولكن هناك مشكلة فى علاقتهم به؛ لأنه - طبقًا لتشارلز بى. ستروزير - الأكثر تطرفًا يريد أن يتحمل مسئولية عقاب المخطئين[٥٣٦]. وبينما يبدو على الأصوليين أن لديهم «نصف أمنية» للتدمير، فسرعان ما يتراجعون بعد إفصاحهم عن ذلك[٥٣٧].

ولكن أبعد من جرائم العنف التى تم مناقشتها، يُعرف بعض الأصوليين بأعمالهم الإرهابية وعنفهم.

القس المبجل «الستر» وغيره، يتطلعون إلى «حرب نووية للتعجيل بعودة عيسى»، وقال لخلصائه «أنا أتطلع لكل ذلك [التدمير النووى]، لأنه بحدوث «الاختطاف - Rapture»[*]، سيصير المجد للكنيسة»[٥٣٨].

ومع أن نسبة المتطرفين إلى تلك الدرجة بين الأصوليين صغيرة جدًا، إلا أن عدد من يتخذون هذا الموقف كبير تمامًا. عندما يتحول الأصوليون إلى النضالية، أو حتى العنف، فهم يخاطرون بفقد تأييد كثير من الأتباع، أو من يمكن أن يصبحوا مؤيدين للحركة. ولكن ما زال هناك الذين يريدون «تعليق اتباع الأعراف الأخلاقية للتقاليد الدينية، لمصلحة التقاليد الدينية»[٥٣٩].

يمكن للأيديولوچيا والسياسة أن تجذب الأصوليين. وهذا يجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل رسم خطوط واضحة بين الأشكال المختلفة للأصولية. الانفصاليون - أى أولئك الذين ينفصلون عن المجتمع - يمكنهم بسهولة أن يصبحوا نشطاء سياسيين[٥٤٠]، بل ومقاتلين حملة بنادق.

(*) مصطلح إنجيلى، يعنى أن الله يختطف المؤمنين الحقيقيين من أهوال الأيام الأخيرة، فيلاقوا المسيح فى السماء بينما يموت بقية البشر - المترجم.

برغم أنها ليست ممارسة أصولية تامة، فحركات الميليشيات التى تنمو فى كل ولاية فى أمريكا، لها علاقة قوية مع الأصولية المسيحية. يقدر عدد الملليشيات فى الولايات المتحدة بحوالى ٤٠٠، معظمها ذات قاعدة مسيحية. أتباع «الهوية المسيحية» هم طليعة الميلشيات وبعدد حول ٤٠٠٠٠ عضو(٥٤١).

الفكرة الرئيسية التى تجمع الميلشيات، وتجمع أيضًا جماعة «الهوية المسيحية» أن هناك مؤامرة لصناعة نظام عالمى جديد، تسيطر فيه الأمم المتحدة على العالم.

هذه النظرية ليست لدى الميليشيات و«الهوية المسيحية» فقط، فقد باع القس پات روبرتسون ٥٠٠٠٠٠ (نصف مليون) نسخة من كتابه «النظام العالمى الجديد» عام ١٩٩١م. فهو يقدم تلك الأفكار المتطرفة لـ«التيار الرئيسى للمسيحيين الإيڤانجليكيين والخمسينين»(٥٤٢). هناك أيضًا لدى الأصوليين «فكرة أن لبعض الأمريكيين دعوى للتمسك بقيم الوطن أكثر من الآخرين»، وهذا فكر جذاب خلال أوقات «غياب اليقين، عندما يخاف الناس من أن مجتمعنا تحت الهجوم»(٥٤٣).

بعد انهيار الاتحاد السوڤيتى، توسعت الميليشيات واليمين المسيحى، وشرح ذلك كينيث ستيرن فى كتابه «حركة الميليشيات الأمريكية، وسياسة الكراهية»:

إمبراطوريتنا القديمة المريحة «إمبراطورية الشر» [يقصد الاتحاد السوڤيتى] والتى أمكننا إسقاط أسوأ مخاوفنا عليها، لم تعد موجودة. لأولئك الذين يؤمنون بالتفوق المسيحى، والذين يؤمنون بالتفوق الأبيض، أصبح العدو فى الداخل: حكومة الولايات المتحدة.

هذا العدو الجديد المشترك، ساعد على خلق صور أيديولوچية تُمكِّن لكل من اليمين الدينى، واليمين المتطرف(٥٤٤).

تبرر الميليشيات المسيحية معتقداتها - كما يبرر الأصوليون معتقداتهم - بالرجوع إلى الكتاب المقدس.

يحاول «المرجع العملى للميليشيا الحرة» أن يثبت عصمة الكتاب المقدس. ثم بعد ذلك يدعم زعم الميليشيات بأن تسليح أنفسهم ليس فقط من أجل تصريح عيسى للمسيحيين بذلك، بل إن ذلك واجب مسيحى(٥٤٥).

أوضح لارى پرات من جماعة، «معيدو البناء»، والمدير التنفيذى لمالكى الأسلحة فى أمريكا، فى مقاله «ماذا يقول الكتاب المقدس عن التحكم فى السلاح؟»:

«يُعلّم كل من العهد القديم والعهد الجديد الأفراد الدفاع عن أنفسهم، حتى لو أدى ذلك للقضاء على حياة المهاجم فى أحوال معينة»(٥٤٦). ومن المثير للاهتمام أن پرات كان مساعدًا سابقًا لپات بوكانان(*). ولكن تذهب آراء پرات عن السيطرة على السلاح، لما وراء الحاجة أو الرغبة فى الدفاع عن النفس، فقد أعلن:

فى إنجيل متى الإصحاح ١٥، وإنجيل مرقس الإصحاح ٧، اتهم المسيح الزعماء الدينيين فى ذلك الوقت بأنهم أيضا يعارضون تنفيذ الحكم فى أولئك الذين يستحقون الإعدام ـ المراهقين المتمردين ـ لقد استبدلوا تقاليدهم بوصايا الرب.

لم يهتم الرب مطلقًا بالسيطرة على وسائل العنف. لقد أظهر دائمًا حكمة العقاب، ثم التعويض. السيطرة على الأفراد تُترك لحكمهم الذاتى، ويجرى عقابهم بواسطة الحكومة المدنية، إذا فشلت حكومتهم الذاتية(٥٤٧).

ما يروج له پرات هو الحكومة الذاتية التى ترغب فيها جماعة «معيدو البناء»، وبناءً عليه الأطفال الذين لا سبيل إلى إصلاحهم، تعاقبهم «الحكومة الذاتية»، والتى تقرر ما هو «التمرد».

أكثر من ذلك، يشتكى پرات «قضت حكمة الرجل اليوم بجعل مناطق المدارس منزوعة السلاح، ومع ذلك يحمل المراهقون الإرهابيون ـ الذين نرفض عقابهم ـ البنادق. يبدو أننا فهمنا القليل من توبيخ المسيح للفريسيين»(٥٤٨). هل يقترح پرات بألا يُعلن أن مناطق المدارس منزوعة السلاح؟ ويظهر عدم اهتمام الأصوليين بالأطفال من قول پرات: «بالتأكيد لا يمكن أن نعرض أنفسنا لخطر أكبر حتى نحمى أنفسنا من هجمات المجرمين، وهذا ما يفعله بنا قفل الزناد إذا تم تركيبه على سلاح الدفاع عن النفس»(٥٤٩).

(*) پات بوكانان من أعلام الأصوليين المسيحيين، ورشح نفسه لرئاسة أمريكا فى نهاية القرن الماضى ـ المترجم.

يتضح حجم مشكلة الميليشيات المسيحية من صور عديدة. إذاعة «يو . يى . آر ـ United Patriot Radio) هى إذاعة غير قانونية [غير مرخصة] يديرها ستيف أندرسون، أحد رجال الميليشيات، وأحد أعضاء جماعة «الهوية المسيحية» من ولاية تنيسى. **تذيع أخبار الميليشيات، وتؤيد «مقاومة انتهاك الحكومة الفيدرالية المتفاقم لحياة الأمريكيين».** تبث «يو . يى . آر» برامجها على مدى يزيد عن ١٢ ساعة يوميًا. ومن خلال برنامجه اليومى «ساعة الميليشيا» يدافع أندرسون: **«الفلسفة المسيحية فقط، هى ما يجب أن تكون عليه أمريكا. وفى نفس الوقت يشجب الأقليات الدينية، والتى يجب عليها أن تتحول لنوع المسيحية الذى يراه، أو عليهم أن يغادروا البلاد»**[٥٥٠].

تبدو معسكرات الصيف الأصولية للأطفال، كأماكن ترويحية لقضاء أجازات طويلة. ولكن نظرة فاحصة تبين ميلاً قويًا للأساليب العسكرية. أحدها هو معسكر پينيل فى ماربل فولز، تكساس. كبقية المعسكرات، يقدم المعسكر أنواعًا واسعة من الأنشطة المسلية، من لعبة الفولى بول إلى غيرها من الرياضات، والفنون، والأنشطة الحرفية. ولا جدال فى أن المعسكر ينطلق بأطفاله إلى أجواء فسيحة متعددة. ولكن تصيب المرء قشعريرة عندما يجده مشابها لمعسكرات التدريبات العسكرية، حتى لو لم يكن ذلك هدف مؤسس المعسكر.

يصبح الأطفال الذكور فى المعسكر «الشجعان» بمعنى تقليدى «المحاربون» فى قبيلة تهاس الهندية، بينما تكتسب الفتيات لقبا مملوكيا «بنات الملك»[٥٥١]. ويزرع المعسكر فى الفتيان «أخذ عيسى حوارييه عن منازلهم»[٥٥٢].

وعلى عكس ما قد يأمله معظم الوالدين من معسكر صيفى، فمعسكر پينيل يزعم أنه من الخبرة، وروابط الثقة التى تنمو، كذلك ينمو الاعتماد، وليس الاستقلال[٥٥٣].

النبرة العسكرية زاخرة فى المعسكر. يبدأ اليوم بـ «نوبة صحيان»، وتعريف ذلك فى قاموس المعسكر أنه نفخة البوق لبدء أول تشكيل عسكرى فى اليوم. يذهب الأطفال مرتين فى اليوم إلى المقصف لتناول المرطبات. بالإضافة لذلك، فهم يتمتعون بوقت «انسحاب» بعد المغرب[٥٥٥]، بعد نشاطهم القوى فيما بعد الظهيرة. تشمل أنشطة المعسكر كل أنواع الرماية والتصويب، بالأقواس والبنادق، هناك «أنشطة أخرى مروعة، مثل الهبوط بالحبال من أعلى الجرف،

والتزحلق السريع على سطح الماء خلف مركب بمحرك، والقفز من أرجوحة إلى ماء بارد. . كل هذا يتم التدريب عليه وإتقانه»[٥٥٦].

هناك أيضًا تسلق صخور، وتجديف، والطوفان على الماء على ألواح خشبية[٥٥٧]. وتبين صور معرض الرياضة في المعسكر ما يبدو أنه مغامرة في الطين، حيث يغطي الطين أجساد وشعور ووجوه الأطفال، كما لو كانوا متنكرين[٥٥٨].

قد تكون النية في التدريبات العسكرية للأطفال سليمة، ولكن التركيز على تمجيد ذلك الاتجاه، يخلق فيهم راحة، إن لم تكن جاذبية لحياة ذات شكل عسكري. يشارك ذلك مع صفات أخرى في الأصوليين، ليحث في النهاية شباب الأصوليين للالتحاق بالميليشيات المسيحية.

إحدى أكبر مشاكل تلك الميليشيات المسيحية الأصولية، أن كثيرًا من أعضائها يعتقدون أنهم فوق القانون.

أيدت المحكمة العليا حكمًا بمنع المظاهرات من الاقتراب لأقل من ١٥ قدما (٥ أمتار) من عيادات الإجهاض.

ومع هذا، وطبقًا لتقرير في «المسيحية اليوم» عام ١٩٩٧م، أصر فليپ بنهام، رئيس جماعة «عملية الإنقاذ» بأن «ليس لتأييد المحكمة العليا لحكم المنع بتأثير؛ لأن المحكمة العليا ليست بعليا»[٥٥٩]، و«عملية الإنقاذ» معروفة بروابطها القوية، والخطوط بين المنظمات المضادة للاختيار [المضادة للإجهاض] وحركات الميليشيات أصبحت ـ وبشكل متزايد ـ غير واضحة[٥٦٠].

القس المبجل ماثيو تريوهيلات، قائد «الإرساليات إلى ما قبل الولادة»، قال في مؤتمر ويسكونسن لحزب «دافعو الضرائب، في الولايات المتحدة» عام ١٩٩٤م:[٥٦١] **«يمكن للكنائس إقامة أيام الميليشيات، وتعلم رجالها كيف يقاتلون». كذلك عقدت الكنيسة ـ داخلها ـ فصولاً في «استخدام الأسلحة النارية»[٥٦٢]. وفي شريط الڤيديو الذي التقطه «اتحاد الأبوة المخططة في أمريكا» ظهر القس المبجل وهو يوصي الآباء بأن يشتروا» لكل طفل مسدسا من نوع SKS مع ٥٠٠ طلقة ذخيرة»[٥٦٣].**

الأمة الآرية، أو كنيسة «مسيحيو عيسى المسيح»، هى ميلشيا بيضاء عنصرية، ولها مجمعات سكنية ذات تسليح ثقيل فى أوتا وپنسلڤانيا، وقد «كانت مرتبطة بعدة عشرات من القتلة منذ عام ١٩٨٠»[٥٦٤].

أدين قائد «الهوية المسيحية» داڤيد لين بتهمة الابتزاز، والتآمر، وانتهاك الحقوق المدنية بقتل مضيف برنامج «عرض كلام ـ talk show» «يهودى». كتب دون لاتين: شرح لين تنبؤات برنامجه العنصرى «نهاية الأزمنة» من مبنى السجن[٥٦٥]. «قال: أنا الرمز الذى سيوقف قتل «اليهود ـ الأمريكيين» للعنصر الأبيض» تفاخر لين: «القتل مبرر دائمًا لحفظ النوع»[٥٦٦].

يبين لنا تحدى داڤيد كوريش قوات الحكومة فى عام ١٩٩٣م، كمون العنف لدى الميليشيات المسيحية. فقد كدس كوريش الأسلحة والمعدات فى مجمع «واكو» فى تكساس، بينما كان يدرس لاهوت السبتية، أو مجىء المسيح (Adventist Theology)[٥٦٧]، ثم تقبل هو وأتباعه الذين يتجاوزون السبعين مصيرهم من جحيم النيران التى صبتها عليهم النيران الحكومية.

وكل من تيموثى ماكجڤاى و تيرى نيكولس اللذين فجرا مبنى أوكلاهوما بالقنابل، استلهما ذلك من ميليشيات تكساس، التى لها روابط مع المجموعات المسيحية المتطرفة، بما فى ذلك جماعة الهوية المسيحية»[٥٦٨].

يسهل على الأصوليين استخدام العنف بصناعة وجهة نظر «لا يمكننا تقييم أنفسنا، مع الحَطّ من الآخر وفى النهاية قتله، إن لم نستدع الله إلى جانبنا فى المعركة»[٥٦٩]. هكذا يشرح إتش نيوتن مالونى، پروفيسور علم النفس فى معهد فولر اللاهوتى. يؤمن كثير من الأصوليين بالشيطان ـ حرفيًا ـ ويشيطنون الآخر، ومن هنا يسهل اندلاع العنف[٥٧٠]. يشرح ستروزير أنه بالنسبة للأصوليين «أولئك ا لذين يرفضون عيسى ليسوا فقط أغبياء، ولكنهم مختلفون، خطرون، ولكن يحتمل أيضا أن يكونوا ناقلين للعدوى. . مثل هذا التفكير يؤدى إلى خطورة قولبة الآخر» يرى الأصوليون غير المؤمنين «ناقصى الإنسانية»، وعلى هذا فيمكن الاستغناء عنهم[٥٧١].

ومن المثير للاهتمام، أن غير المؤمنين لدى الأصوليين ليسوا فقط الملحدين، أو معتنقى الأديان الأخرى، بل أيضا المسيحيين الليبراليين والتيار الرئيسى من المسيحيين الذين لا يقبلون عقائد الأصوليين. والأصوليون الذين لم يولدوا ويشبوا على مثل هذه الآراء، فربما يميلون إلى الشفقة والرثاء، أو التعاطف مع عدم المؤمنين، فهو، أو هى، ربما يكون انعكاسًا للأصولى قبل خلاصه. ولكن حتى هذا قد يكون له تأثير عكسى. فالإصلاحى عادة ما ينقلب على «غير المنصلح» والذى يمثل العدو المهجور للنفس[٥٧٢].

كثير من الميليشيات المسيحية من حركة «معيدو البناء»، التى أسسها الاقتصادى من تكساس جارى نورث، وروزاس چون رشدونى. تتخيل الحركة مجتمعا شموليا قائما على أساس التفسير الحرفى للكتاب المقدس، وأهدافها إعادة نظام العبودية، ومنع تنظيم الحمل، فى مجتمع رأسمالى لا تتدخل فيه الدولة[٥٧٣].
تعترف كارين أرمسترونج أنه احتمال بعيد جدًا لمثل هذه الحركة أن تكتسب شعبية فى الولايات المتحدة، ولكن ليس ذلك بالمستحيل كلية فى حالة طارئة، مثل كارثة اقتصادية أو بيئية. **وتذكرنا أرمسترونج بأن «برغم كل شىء، استطاعت المسيحية تبنى الرأسمالية، والتى هى مخالفة للكثير من تعاليم المسيح»**، وتستأنف «بل ويمكنها أيضًا [المسيحية] أن تؤيد نظاما فاشستيا، والذى قد يكون ضروريًا ـ فى ظروف قاسية ـ لحفظ النظام العام»[٥٧٤].

عبر القس المبجل نورمان إى. أدلسون ـ معمدانى، وقائد ميليشيا منطقة شمال ميتشيجان ـ عن رغبته فى تكوين تحالف بين كل الميليشيات المسيحية[٥٧٥]. مثل هذه الرغبة جديرة بألا تهمل. فطبقًا للأمم المتحدة، خلال الفترة من ١٩٨٩م إلى ١٩٩٢م، تسعة وسبعين من بين اثنين وتسعين صراعًا مسلحًا كان داخليا، وليس بين الدول. تلك كانت نتيجة العصبية الدينية: «تدمير فرص الملايين حول العالم لأن يتلقوا تخطيطا عائليًا، وتنظيمًا للحمل، وخدمات قانونية للإجهاض»[٥٧٦]. إنه من الصعب الفهم الجيد، بل وغير المحتمل، لمثل ذلك أن يحدث على الأرض الأمريكية، ولكنه ليس بمستحيل.

فى مناقشة شريحة من السكان تزعم أنها فى المقدمة فيما يخص الأخلاق، يبدو أنه من الضرورى أن نفهم تطور السلوك الأخلاقى والاجتماعى.

وضع لورانس كوبرج، پروفيسور جامعة هارڤارد حتى وفاته ١٩٨٧م، كتابًا مثل نقطة تحول فى علم تطور الأخلاق. ميّز بين ست مراحل منفصلة للنضج الأخلاقى، قسمها إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

المستوى قبل التقليدى، وهو ملاحظ فى أغلب الأحوال فى مرحلة الطفولة المبكرة، والمستوى التقليدى، يشترك فيه معظم المجتمع، وما بعد التقليدى، وهو مستوى لا يصل إليه معظم البالغين.

هناك مرحلتان داخل المستوى الأول (قبل التقليدى) معروفتان بـ «توجيه العقاب»، «توجيه البحث عن اللذة»، ويمكن التعرف على ذلك فى ملعب المدرسة. يدعم هذا السلوك الأشخاص ذوو السلطة، الذين يهددون بالعقاب على سوء التصرف، أو المكافأة على السلوك الجيد[٥٧٧]. يُشار للمرحلتين التاليتين - فى المستوى التقليدى - بـ «توجيه بنت طيبة أو ولد طيب»، و«توجيه السلطة». تقوم المرحلتان على الرغبة فى إسعاد الآخرين، واكتساب استحسانهم، ودعم القانون والسلطة الأعلى[٥٧٨]. والمثير أن أخلاق الدين تعلق هنا، عند المراحل البدائية للأخلاق. وذلك لأنها مؤسسة على البيان المطلق من الله، الوعد بالجنة والوعيد بالنار.

يشمل المستوى الثالث - بعد التقليدى - مرحلة «الميل إلى العقد الاجتماعى»، ومرحلة «أخلاقية مبادئ الفردية». عند هذا المستوى من الأخلاق، يتم التحكم فى القرارات داخليًا، فيما يتجاوز المصلحة الذاتية والقوانين. القوانين - مع ضرورتها - يُعتقد أنها - عند هذه المرحلة - مؤسسة على التفكير العقلى و«الاتفاق المتبادل»، **عند هذا المستوى يعتنى المرء برفاهية المجتمع، وتؤسس القرارات الأخلاقية على «العدالة والكرامة والمساواة»[٥٧٩]. هذا المستوى الأعلى والأقصى للأخلاق فى صراع مباشر مع الأصولية المسيحية.**

بالنسبة للأصوليين، هناك إما الأبيض أو الأسود، إما تابع لقوانين الله أو لقوانين المجتمع، فعلى القوانين أن تؤسس على عقائد المسيحيين المحافظين.

فى أوائل القرن العشرين، وضع إميل دوركهايم الأساس لنظرية اجتماعية حديثة، يمكن النظر إليها على أنها التطور الأخلاقى المجتمعى، بالمفارقة عن التطور الأخلاقى الفردى. وفى مقالاته «عن تقسيم العمل والمجتمع» و«عن الأخلاق والمجتمع» وصف مرحلتين من التطور الاجتماعى، طبقًا لشكل التضامن، وبكلمات أخرى، اتحاد مصالح ومسئوليات المجتمع.

المرحلة الأولى: هى فترة «تضامن ميكانيكى»، والثانية: هى فترة الفردية. تقوم الصلة فى المجتمع «الميكانيكى» على المعالم التى يشترك فيها الناس، وجذورها فى الطقوس والروتين المشترك. الدين قاعدة قوية للتضامن الميكانيكى، حيث يدعم القانون العام وتطلعات المجتمع[٥٨٠]. وبمرور الزمن، تتعقد تركيبات المجتمع، ويُطلب من الناس أن يلعبوا أدواراً مختلفة. ينشأ التكافل العضوى من الحاجة لتقسيم العمل، ويغذى شعوراً بالفردية، ويعتمد بصفة أساسية على الاعتماد المتبادل بين الناس لدعم الروابط الاجتماعية. يقوم كل شخص بعمل مختلف تمامًا عن الآخر، مثلما يفعل أعضاء الجسم المختلفة. وبدون ذلك الآخر، لا يستطيع الفرد أن يبقى حيًا. تذكرنا «العروض الواقعية» فى التليفزيون، بالقدر الهائل الذى ابتعدنا به عن الوقت الذى كان فيه على كل فرد الاعتماد على نفسه للبقاء حيًا.

ليس من السهل الانتقال من التكافل الميكانيكى إلى التكافل العضوى. ناقش دوركهايم ـ وهو يكتب فى أوائل القرن العشرين ـ الأزمة الأخلاقية التى جاءت مع التصنيع، بمصطلحات لا يزال الناس يألفونها بعد مرور قرن على كتاباته. وسمى أزمة الارتباك الأخلاقى Anomy، وهو اسم نشأ من مصطلح إغريقى تعنى ترجمته الحرفية «اللاقانونية».

وحذر: «علاج الشر ليس بمحاولة إحياء التقاليد والممارسات، فهى لن يصبح بمقدورها الاستجابة للأحوال الجديدة للمجتمع، وتصبح مصطنعة وذات وجود

زائف»[٥٨١] . والمطلوب بدلاً من ذلك أخلاق جديدة تناسب الحاجات الجديدة للمجتمع[٥٨٢] .

وبالمثل، يصف داڤيد ريسمان التطور الاجتماعى بأنه يحدث على مراحل. وعمله جاء بعد دوركهايم، ويناقش مرحلة ثالثة، مع تشابه مرحلتيه الأولتين مع مرحلتى دوركهايم (التضامن المكيانيكى، ثم التضامن العضوى)، ولكن يختلف عن دوركهايم فى تأكيده على تحديد المراحل من ناحية أين يجد الناس التوجيه الأخلاقى.

فى المرحلة الأولية، مرحلة «توجيه التقاليد»، يزيد معدل المواليد عن معدل الوفيات، فيكون للمجتمع معدل نمو عال للسكان، وتتأسس المجتمعات التى توجهها التقاليد على التطابق الأيديولوچىً. يحكم تلك المجتمعات الخوف من العار[٥٨٣] . ينخفض معدل الوفيات نتيجة التقدم فى العلم، وبدون التحرك نحو نموذج مرحلى للنمو «ذى توجيه داخلى»، سوف تقابل بضغوط سكانية شديدة[٥٨٤]، وإذا لم يتم خفض معدل المواليد ليقابل الانخفاض فى معدل الوفيات، سيجتاح الزيادة السكانية الهائلة موت جماعى، خلال المجاعات، أو الحروب، أو التضحيات الطقوسية[٥٨٥] .

أيضًا وصف ريسمان المرحلتين التاليتين، طبقًا للنمو السكانى. المجتمعات التى توجهها الذوات الداخلية، هى فى مرحلة نمو انتقالية، حيث يتبع انخفاض معدل الوفيات، انخفاضُ فى معدل المواليد. ومن علامات المجتمع الموجه داخليًا الأبوة النووية(*)، والمدارس المركزية، بالإضافة إلى أنه تحكمه الأخلاق الداخلية. وهذا ممكن لأن ممارسات الأبوة تساعد على مثل ذلك التطور الأخلاقى، والذى يمكن استخدامه فى المجتمع المعقد[٥٨٦] . عندما يزيد توجيه المجتمع [أفراد المجتمع] من خارجه [خارج ذات كل منهم]، يبدأ نموه فى التدهور. تقود حركات المجموعات المستمرة إلى التكيفية الفردية. يتحكم ضغط الأقران ووسائل الإعلام فى المجتمع الموجه خارجيًا[٥٨٧] .

(*) التى تعيش فيها أسرة من أب وأم وأبناء صغار، وليست أسرة الأجيال الثلاثة: الجد والأب والحفيد ـ المترجم.

يقع مجتمع عهد الكتاب المقدس ــ والذى يحاول الأصوليون إحياءه ـ بالتمام فى المجتمع الذى توجهه التقاليد. يطلب العهد الجديد «كن مثمراً وتكاثر»[٥٨٨]، و«العبيد يطيعون سادتهم»، و«الزوجات يخضعن لأزواجهن». يتناسب ازدراء الأصوليين للتنوع مع حاجة مجتمع التقاليد إلى عقائد مماثلة. والعار هو مقياس التطابق.

كما يشير الاسم، يعمل المجتمع الموجه بالتقاليد، طبقًا لقانون أخلاقى واضح، ونسبيًا غير مرن. ويُرى هذا فى قانون الكتاب المقدس الذى يريد الأصوليون فرضه على المجتمع. ومثل التكافل الميكانيكى عند دوركهايم، يعمل هذا القانون عندما تكون هناك أحوال معيشية قليلة. يجب على الناس أن يقوموا بنفس الدور فى المجتمع، عندما يكونون فى المنزل، أو فى العمل أو الكنيسة، أو حتى فى اللهو، حتى يعمل القانون.

يبدأ المجتمع ذو التوجيه الأخلاقى الداخلى فى الظهور، عندما تصبح أدوار الناس متوقفة على المواقف، حيث يبحث المرء عن هداية داخلية من بوصلة داخلية تقوده خلال المواقف المختلفة بمجموعة من القواعد العامة الأكثر مرونة. فى عالم اليوم، قد يُفصل الناس من العمل لقولهم أشياء تُعتبر معتادة فى الموقف الأقل رسمية، مثلما يحدث بين الأصدقاء أو العائلة، كذلك يمكن أن ينتهى أمر البعض بالطلاق، إذا عاملوا زوجاتهم مثلما يعاملون موظفيهم. لذلك هناك الحاجة لنظام أخلاقى مرن للبقاء فى المجتمع.

إذن ماذا تعنى الأصولية بالنسبة لوصف دوركهايم وريسمان للتطور الاجتماعى، والتطور الأخلاقى لكولبرج؟

ربما تكون أحسن وسيلة لتصوير الصراع بين: أين نحن؟ وإلى أين يريد الأصوليون أن يأخذونا؟ هو اختبار الوصايا العشر. قرار المحكمة العليا فى عام ١٩٨٠م فى قضية «ستون ضد جراهام»، أنهت الجدل حول الآثار الدينية (الآثار المقدسة)، بالحكم بعدم دستورية عرضها فى القاعات والمدارس العامة[٥٨٩]. فى أوائل عام ١٩٩٩م، بعد إطلاق النار فى مدرسة كولومبين الثانوية، قامت حركة قوية لتعليق الوصايا العشر فى المنشآت العامة بطول البلاد وعرضها، خصوصًا المدارس.

قاد المهمة القاضى روى مور من «ألاباما»، وقام بتعليق الوصايا العشر فى قاعة محكمته[٥٩٠].

وازدادت سخونة معركته عندما اقترح المحافظون الأمريكيون أن تعليق الوصايا العشر قد يمنع مآسى مثل إطلاق النار فى ليتلتون، كولورادو. قال الاتحاد الأمريكى للحقوق المدنية (ACLU): «يمثل هذا الاقتراح أسوأ تفكير ممكن»[٥٩١]. بالرغم من ذلك الخلل المنطقى، ازدادت بشكل هائل مبيعات الوصايا العشر [ملصقات، بطاقات، كتب وما شابه . .].

فمثلاً ارتفعت مبيعات «لايت هاوس كريستيان بوك ستور» فى پيكڤيل، كنتاكى أكثر من ٤٠٠٪ من ١٩٩٨ إلى ١٩٩٩[٥٩٢].

يعتقد الأصوليون ـ لأنهم يأخذون الكتاب المقدس، المعصوم ـ حرفيًا، أن الوصايا العشر ضرورية، وفى نفس الوقت كافية لتنظيم المجتمع. قد يكون ذلك صحيحًا لمجتمع قَبَلى من عصر ما قبل الصناعة، ولكن هناك مخاطر كثيرة لفرض قوانين قديمة على أمريكا الحديثة.

أولاً: **الوصايا الخمس الأولى** ليست بذات فاعلية كبيرة فى خلق مجتمع أخلاقى.

الأربع الأولى تتعامل مع تأسيس دين توحيدى جديد، أى عقيدة قبول إله واحد. «لا يكن لك آلهة أخرى سواى. لا تنحت لك تمثالاً. ولاتصنع صورة ما مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من أسفل الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد آثام الآباء فى البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضى». فليس هناك مكان لآلهة أخرى ـ **الوصية الثالثة**، تقدس أى كلمة تشير إلى إله «اليهومسيحيين ـ Judeo-Christian» «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلاً» ـ **الرابعة** تمنع العمل فى السبت، ـ **والخامسة** تأمر بإكرام الأبوين «أكرم أباك وأمك لكى يطول عمرك فى الأرض التى يهبك إياها الرب إلهك»[٥٩٣]. قد تكون لهذه الوصية قيمة اليوم، ولكن بدون أن تصاحبها وصية بإحسان الأبوين معاملة طفلهما، تصبح غير فعالة، بل وقد تكون ضارة ـ

الوصية السادسة «لا تقتل»[٥٩٤] هى وصية يقبل بها كل فرد. القانون الأمريكى العلمانى، ظل سليمًا بدون الحاجة لأمر دينى داخله.

هذا الشرع الذى يدخل تحت نطاق «الإدراك المشترك» نشأ فى وقت كان الناس فيه محتاجين لأن يقول لهم أحد إن القتل خطأ. فى القرن الواحد والعشرين، يدرك المجتمع أن قتل الآخرين ـ بصفة عامة ـ خطأ وهو يطور تحديد لمتى يُسمح بخرق تلك القاعدة، كما فى الحرب مثلاً، أو الدفاع عن النفس. يعوق المنع اللاهوتى الواسع تطوير الاستثناءات المناسبة، فيما يعطى مناهضى الإجهاض تبريرًا لقضيتهم.

والمثير للسخرية، استخدام عقوبة الإعدام ـ التى يفضلها الأصوليون ـ ضد من ينتهك نفس الوصية [مقارنة بمنع الحرب]. ويقود الأصوليون الحرب ضد القتل الرحيم. ولكن حياتنا اليوم تمتد لقرن، بدون أى مانع للمعاناة الطويلة. أطوال أعمار الأمريكيين زادت بأكثر من الضعف فى القرن الماضى[٥٩٥]، ومع تغير حياتنا تتغير احتياجاتنا، ولذلك لا تستطيع اللغة العامة للوصايا العشر أن تحقق المهمة المبدئية فى تحديد السلوك المحرم. يزيد هذا من الارتباك عوضًا عن الحل والاتفاق.

الوصية السابعة تمنع الزنا «لا تزن»[٥٩٦]. الزواج هو أحد ثلاثة بنود للثقافة العالمية[٥٩٧]. كل ثقافة معروفة تحددَ الزواج بطريقة أو بأخرى، برغم اختلاف التعريفات الواسع طبقًا للزمان والمكان. يحدد العهد القديم الزواج والزنا لدين جديد، وقانوننا الحالى فيما يخص الزواج، يعكس ذلك التحديد فى أوجه أساسية كثيرة، بما فى ذلك تحديد الزنا. الاستثناء هو أن قوانين العهد القديم فيما يخص الزنا لا تنطبق على الرجال، وإنما على النساء فقط، باستثناء الرجال الذين يقيمون علاقة جنسية مع امرأة متزوجة. **اليوم، تعتبر سبع وثلاثون ولاية ومنطقة كولومبيا الزنا جنحة، وهناك ولايات كثيرة أخرى ما زالت تعتبره جناية**. وهو يشكل سببًا للطلاق فى كل الولايات التى تسمح بالطلاق المبنى على العيب أو الذنب[٥٩٨]. عند اعتبار أى قواعد اجتماعية يجب أن تحكم الزواج، من الضرورى الاعتراف بالتغييرات فى طول العمر. لما كان الناس اليوم يتأخرون فى

الزواج، ويطلقون أكثر مما كان فى القرن الماضى، ولكنهم يعيشون أطول، فالوقت الذى يعيشونه متزوجين لم يتغير إلا قليلاً.

تخلط كثير من منشورات التحذير الأصولية الحقائق، فهى تزعم أن متوسط عمر الزواج الأمريكى ست أو سبع سنوات، مع إهمال تعقيب أن ذلك فى حالات الطلاق. وفى المتوسط، يعيش الأمريكيون ستا وعشرين سنة متزوجين خلال حياتهم، وفقط ١٦٪ تزوجوا مرتين أو أكثر[٥٩٩]. واليوم الزواج الذى ينتهى بوفاة أحد الزوجين، يطول إلى ثلاث وأربعين سنة فى المتوسط، بالمقارنة بثماني وعشرين سنة فى مطلع القرن العشرين[٦٠٠]. ومع العلم بالتغييرات الهائلة فى الظروف المحيطة بالزواج، يجب مراجعة مقاييسنا. اليوم فقد الزنا وضعه كمهدد لمؤسسة الزواج، أو الوفاق المجتمعى، وأخذ مكانه إيذاء الأطفال والزوجات[٦٠١]، ولذلك فوصية أكثر تناسبًا مع العصر هى: «لا تضرب ابنك ولا زوجتك».

«لا تسرق»[٦٠٢] هى **الوصية الثامنة** المحكمة، وهى ثابتة على أرضية «الإدراك المشترك». من أصغر لأكبر سرقة. تشغل السرقة جزءًا كبيراً من القانون الجنائى. يمكن اليوم للقاعدة الذهبية أن تغطى - بسهولة- السرقة، ولذلك فوصية عدم السرقة، وإن لم تكن فعليًا غير منتجة، فهى لا تخدم غرضًا واضحًا فى تحديد الأخلاق والقانون. يعترف عموم مجتمعنا بالرغبة فى التملك، والفائدة العملية من ورائه.

الوصية التاسعة تمنع الكذب «لا تشهد زورا على جارك»[٦٠٣]. وهى وصية فضفاضة مثل بقية الوصايا، ويمكن «على جارك» أن تجعلها فريدة. فهناك عدد من التأويلات للجار. ونقاد الكتاب المقدس يرون أنه لا غبار على الإطلاق فى أن تكذب على غير الجار، ولكن الانتهاك فقط عندما لا تكون مخلصًا ولا صادقًا مع أولئك الذين ينتمون لنفس القبيلة. يلقى داڤيد. آر. ڤايسبارد من «كنيسة الموحدين مزيداً من الضوء على الموضوع. يشير ڤايسبارد أن كتابة هذه الوصية تناغمت تمامًا مع قانون «حمورابى»، وكانت ـ بالتحديد ـ عن احترام العملية القضائية الجديدة[٦٠٤]. قال «بينما كان [السلوك فى المسائل القانونية] مهمًا

بصورة خاصة فى ذلك الوقت، لم يرق سلوك الناس فى المحاكم إلى القيم الأخلاقية لوقتنا الحالى». يستحق «حمورابى» التقدير على اختراعه نظام العدالة، ولكن قانون المحاكمات اليوم أكثر تقدمًا بمراحل، ويشمل عقوبات على الكذب تحت اليمين، والانتهاكات الأخرى للنظام.

ربما تكون **آخر الوصايا العشر** أكثرها كشفًا عن عصرها «لاتشته بيت جارك، ولا زوجته ولاعبده ولا أمته، ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئًا مما له»(٦٠٥). مثل وصية منع شهادة الزور، يمكن لمنع اشتهاء ما للغير أن تكون وصية مفيدة فى مجتمعنا الحالى، إذا لم تشتمل تحديد ما هو المملوك [يقصد الزوجة والعبد والأمة]. قوانينا التى تضاد ملكية الناس [الرقيق]، أحدث من دستورنا بسبعين سنة، وكانت نقطة الفصل فى حربنا الأهلية الوحيدة. قد تكون هناك قيمة فى شجب اشتهاء ما للغير فى حلبتنا الاجتماعية المتنافسة اليوم، ولكن الإشارة للزوجة والخادم على أنها ممتلكات للزوج لا تناسب البتة قانوننا الأخلاقى المعاصر، ولكنها تخدم أولئك الذين يريدون تقويض الحريات المدنية للمجموعات المعرضة لذلك التقويض [يقصد بها الأطفال والزوجات، «والآخرين» بالنسبة للپروتستانت البيض الأصوليين] بتبرير أفعالهم.

منذ ثلاثة آلاف سنة، أدت تلك الوصايا وظيفتها كأساس لدين جديد، وأسست اتفاقية اجتماعية ثورية، اكتسبت جدارتها حتى اليوم. ومع تطور المجتمع الأمريكى، تحللت القيم الأخلاقية القديمة ليحل محلها تعقيدات جديدة. وكتسجيل وثائقى لنظامنا وتراثنا الأخلاقى والقانونى، يمكن أن تكون تلك الوصايا قيمة، ولكنها تقصر تمامًا من مخاطبة احتياجاتنا.

ومع الضغط الهائل الذى يتعرض له المجتمع نتيجة صراع المثاليات بين الأصوليين والتيار الرئيسى، فمن الواضح أن أمتنا لن تستسلم فى أى وقت قريب لضغط الأصوليين وتتبنى قانون الكتاب المقدس كالأساس لنظامنا الأخلاقى. بالرغم من ذلك، يستمر المحافظون فى ممارسة نفوذهم - فى كل وجه من وجوه الحياة تقريبًا - مما يسفر غالباً عن تبعات غير مرغوبة، وأحيانًا مأساوية.

تطبيق قانون أخلاقى واحد يستلزم تبسيطا هائلا لبيئتنا الاجتماعية، بطرق لسنا مستعدين للتواؤم معها. . ببساطة، لا يمكن إزالة آثار التقدم الذى يغير العالم، بدون إزالة التقدم نفسه. رؤية الأصوليين للعودة لمعدل إنجاب عال، والتقليدية، والمجتمع القوى ميكانيكيا، هى حلم غير قابل للتحقيق، إذ إنه سيلزم الأمريكيين على التخلى عن التقدم الطبى الذى أطال أعمارهم، والتخلى عن كثير من التكنولوچيا والصناعة التى تعتمد على أدوار متخصصة للغاية.

ليس من الممكن تحقيق أهداف الأصوليين بدون إرجاع ساعة التكنولوچيا عدة مئات من السنين. ومع هذا، يعمل الأصوليون بنشاط ضد التقدم الاجتماعى. وهم بهذا يزيدون صعوبة تطوير نظام أخلاقى جديد لينظم مجتمعا «ذا توجيه خارجى»، بل ويطلبون إنهاء «الأخلاقية ذات التوجيه الداخلى» التى اعتمد عليها الأمريكيون لأكثر من قرن. وفى نفس الوقت بإظهارهم الإعجاب بإخلاص الأصوليين للكتاب المقدس، يصبح التيار الرئيسى للمسيحيين فى وضع يغذى فيه - بدون عمد - ذلك المأزق الأخلاقى. أكثر الكنائس وروادها يرفضون داخليًا كثيرًا من الأصول التى تقدم عليها معظم حركات المحافظين، ولكنهم فى العادة مترددون فى الشجب الصريح لها، إلا السياسات الاجتماعية ذات الضرر الواضح.

يموج تأثير الأصولية فى المجتمع كله، مع انتشار الفقر والجريمة والتعاسة العامة فيه. تواجه الأطفال غير المرغوبين إيذاءات خطيرة من آبائهم، بالإضافة للإهمال، وفى النهاية يصبحون مسئولين عن ارتفاع معدلات الجريمة، بينما أولئك الذين ينتظرون التبنى، لديهم فرص قليلة فى بيوت حب. حتى الأطفال الذين جاءوا من حمل غير مقصود، وليسوا مهملين ولا تُساء معاملتهم من آبائهم، غالبًا ما يعيشون فى فقر، ولهذا فى ذاته تبعات سلبية على الصحة النفسية والبدنية للطفل، وعلى نضوجه الفكرى، ويؤدى هذا إلى نظرة كئيبة للهرب من الفقر يحملها الطفل لمرحلة كبره.

المثليون، رجال ونساء، هم الأهداف الأولى للأصوليين، يجدون حقوقهم الأساسية منتهكة، بل وبطريقة قانونية؛ لأن الأصوليين يرونهم محلاً للشر.

الأمريكيون الأفارقة، وغيرهم من الأعراق، ما زالوا أهدافًا لممارسات عنصرية سائدة. وإن كانت أقل لفتا للنظر. وكل مما سبق يعانى من جرائم الكراهية.

الآخرون، خصوصًا عندما يصلون لمرحلة البلوغ، معرضون لخطر التجنيد فى الفرق والجماعات الضارة التى تدمر الأحاسيس. كل الأمريكيين فى خطر متزايد من أن يصبحوا ضحايا لجرائم متنوعة، تنتج من قوانين غير فعالة، وغير منتجة. ويمكن لمعتقدات الأصوليين القمعية أن تلعب دورًا فى الأمراض العقلية. يظهر هذا فى شكل القتل الجماعى [القتل بالجملة]، والقتل المتتالى [مسلسلات القتل]، وجرائم العنف الأخرى.

وختامًا، هناك احتمال كبير لأعمال إرهاب، وصراعات مسلحة تنشب من تمجيد الأصوليين للحرب، مع نمو تجمعاتهم العسكرية وترسانات أسلحتهم.

هناك دروس كثيرة من التاريخ المتقلب للعالم، وحتى للولايات المتحدة. ومن المأمول أن تكفى تلك الدروس لمنع الأصوليين من اكتساب مزيد من القوة لتنفيذ أجندتهم، وللقضاء على التنوع الأمريكى، ومن المأمول أيضًا عكس ما جلبه الضرر فعليًا.

* * *

الفصل السادس

الطريق إلى الحكم الدينى
تطهير التعديل الأول

بقلم: چون. إم. سوارز
ترجمة: هبة رءوف

«الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة» استعارة مبنية على تاريخ سيىء، وأثبتت فشلها كمرشد فى القضاء. فيجب التخلى عنها بصراحة وبشكل واضح[٦٠٦].

القاضى ويليام رنكويست(*) (١٩٨٥م)

لن يقر الكونجرس أى قانون فيما يخص تأسيس دين(**) أو يحرم الممارسة الحرة له، أو يحد من حرية التعبير أو الصحافة، أو حق الناس أن يتجمعوا، ويقدموا التماسا للحكومة لرفع ظلم[٦٠٧].

أول ست عشرة كلمة من التعديل الأول عادية ومألوفة وتعنى بالعلاقة بين الحكومة والدين، وتبدو أنها مهمة لا أمل فيها حتى بالنسبة للمئات، بل الآلاف من الكلمات. رغم ذلك، ظهر خلال القرنين الماضيين من التجربة الاجتماعية السياسية التى تجسدت من خلال الكلمات المصقولة بمرارة، والتى أُحسن اختيارها، أن تلك الكلمات ليست أقل من كلمات فريدة، وثورية. ولكن مثل هذه الكلمات القليلة لا يمكن أن تتوقع أو تتماشى مع المواقف - التى لا مناص من تعقيدها - التى ستنشأ. ولذلك نشأت تفسيرات كثيرة وسيستمر ذلك. «الفصليون» الحقيقيون من يفضلون الفصل بين الكنيسة والدولة، على خلاف «الموفقين»، ويجد «الفصليون» أنفسهم مراراً وتكراراً فى صراع متفاقم. يعتمد الفصليون على التفكير المتروى والقرارات التى اتخذها الآباء المؤسسون والأحكام المتعاقبة من المحكمة العليا الأمريكية. مثل هذه الجهود ضرورية لإقناع باقى الأمريكيين بمفهوم وحكمة فصل الحكومة عن الدين.

(*) كبير قضاة المحكمة العليا، وتوفى فى النصف الثانى من عام ٢٠٠٥م - المترجم.

(**) المصطلح المستخدم فى مادة التعديل الأول للدستور الأمريكى هو : Establishment Of Religion، وهو مشتق من Established Church، والمقصود به الكنيسة التى تعتبرها الحكومة المؤسسة الرسمية للدين فى الدولة، وهذا هو ما فر منه البيوريتانز (أو الحجاج)وغيرهم من المهاجرين من انجلترا إلى أمريكا ليعبدوا الله بالطريقة التى يرونها، فهم كانوا على خلاف مع الكنيسة الإنجليكانية، وهم كلهم بروتستانت، فالخلاف كان داخل الدائرة البروتستانتية - المترجم.

ظهر العنصر الديني بقوة، في معظم الحروب والغزوات، وإسالة الدماء، طوال التاريخ البشرى، ولم يخبو ذلك حتى اليوم. شهد القرن العشرين حروبًا اشتعلت لأسباب دينية في أيرلندا الشمالية، والشرق الأوسط، والبلقان، ومناطق أخرى في كثير من آسيا وأفريقيا، ومثل تلك الحروب وحشية بدرجة لا تصدق، والعنصر المشترك الأكبر في تلك الحروب كان عدم القدرة على حل الصراع، والسماح للسكان بالتعايش في وفاق وقبول مشترك، وذلك برغم المجهودات التي يبذلها المتفاوضون من حين لآخر. كانت بداية القرن الواحد والعشرين منذرة. فأحداث ٩/١١ التي تفوق الخيال، والمدبرة بدقة، أقحمت العالم في مواجهة واضحة، بين الإسلام «تقاليد دينية تطورت بشكل مختلف تمامًا عن المسيحية» وما يطلق عليه ـ غالبًا ـ اليوم «العالم الحديث»[*]، وهنا أيضًا، عجزت جهود علماء الدين، ونشطاء السلام عن امتصاص نيران العاطفة الدينية، وعدم الفهم.

يمكن تقدير حكمة التعديل الأول من تلك الخلفية المضادة. ذلك المفهوم الرئيسى للآباء المؤسسين، تم توضيحه وتوسيعه بأحكام المحكمة الدستورية العليا من آن لآخر. حفظ ذلك التعديل مجتمعنا خلال المائتى عام الماضية من التورط في حرب دينية ليس لها قرار.

لم يكن هذا بالأمر السهل، ولا غرابة في ذلك. مجتمعنا يستضيف أكبر عدد من الأديان في العالم. الكبيرة والصغيرة، المعروفة، والتي تكاد تعرف أو لا تعرف. **يقول بعض الاخصائيين الاجتماعيين إن الولايات المتحدة أكثر تدينا من نظيراتها الغربية، بسبب التعديل الأول**. في بلاد كثيرة، هناك دعم على مستوى ما من الحكومات للدين. الجمع التنويرى بين فقرتى حرية الممارسة، والدين المؤسس، أكثر تحفيزا للنشاط الديني عن عائدات الضرائب [التي تعفى منها المؤسسات الدينية]. يمكننا مما سبق أن نرى النجاح اللافت الذي تحقق، حسب أى مقاييس سياسية. فلماذا عدم الرضا؟ وما السبب في المحاولات التي تريد إلغاء التعديل الأول؟

(*) في الإسلام كما في المسيحية واليهودية ـ هناك تيار رئيسى معتدل، أقرب لأن يكون تقليديًا، وتيار إصلاحى، وتيار أصولى.
ومعاداة الحداثة موجودة ـ بشكل أو بآخر ـ في الأصوليات الثلاث ـ المترجم.

ينشأ عدم الرضا ذلك من نجاح التعديل الأول، فقد خدم كعامل مساعد فى صنع مجتمع يتمتع بالحرية الدينية الحقيقية، والانسجام داخل التعددية الدينية.. وفى نفس الوقت لم يتجاهل ذلك أولئك الذين لديهم معتقدات دينية. ولكن هناك بيننا من لا يريدون العيش والتسامح مع الاختلافات، فهم يريدون لنظامهم العقائدى أن يعلو على الآخرين، مع استبعادهم. فهم يريدون لمفهومهم الخاص للدين أن يتخلل كل وجوه الحياة الخاصة والعامة، وتهددهم البدائل المتاحة، والأهم أن التعديل الأول ـ الذى يزعجهم بشدة ـ يشكل العلاج الرئيسى ضد تأسيس دولة دينية.

لذلك نرى محاولات كثيرة، مثل تلك التى قام بها عضو الكونجرس إرنست ايستوك عن ولاية أوكلاهوما، لإدخال تعديل يحيد به تأثير التعديل الأول، الذى تطورت فعالياته خلا مائتى سنة (٦٠٨). الأمر الأكثر إزعاجا أن ايستوك حصل على دعم كبير من المشرعين. ومحاولات إضعاف أو إلغاء التعديل الأول ليست مقصورة على محاولات التصويت ضده، بل تأتى أيضا فى خطوات تدريجية ماهرة، منها أحكام قضائية من قضاة لهم رؤية مختلفة عما كان فى عقول الآباء المؤسسين. مثل هذه الخطوات لها تأثير تآكلى على عناصر الحماية فى التعديل الأول.

يشترك جزء آخر من التعديل الأول فى التلاعب بين حرية الدين والمحافظة على حكومة علمانية.

ويوفر التعديل الأول «حرية التعبير»، ويضعها ـ لأهميتها ـ مباشرة بعد حرية الضمير. وكما اكتشفنا سابقًا، يمكن إعداد سيناريوهات تضع أحد أنواع الحريات فى مواجهة نوع آخر، لهدف رئيسى هو تآكل حائط الفصل بين الكنيسة والدولة. فمثلا، قد يحاول مدرس فى مدرسة عامة الدعوة لما يؤمن به بطريق مباشر فى قاعة الفصل، أو يضم موادا من إيمانه فى المادة التى يدرسها. إذا، وفقط إذا، جعل طالب أو عائلة طالب مسألة من ذلك، ووضعت إدارة المدرسة حدودًا لذلك، فهل تصل المسألة إلى النور؟ فى مثل هذه الحالة، سيأتى دعم واسع من

المنظمات الأصولية. وأصبح هذا وسيلة قوية لتقويض الفصل بين الكنيسة والدولة، وتتزايد الممارسات المماثلة.

سوابق للحرية الدينية

لم يكن سكان أمريكا ما قبل الثورة يفضلون النموذج الديمقراطى الذى ظهر بعد الثورة.

عارض أسلاف الأصوليين المسيحيين فكرة اليوم عن الحرية الدينية، وانزعجوا تماما لازدهار التعددية حولهم. سيستمر مظهر التعدد لمجتمعنا الحالى فى إشعال عدم الرضا لديهم، وكما أشار بوسطون، يبدو أن الحجاج والپيوريتانز الذين جاءوا لهذه الأرض هربا من الاضطهاد الدينى، يرضون تماما بتأسيس نوع من الدولة الدينية، تسمح بالحرية الدينية لهم فقط(٦٠٩). أشهر منشق فى ذلك الوقت، كان روچر وليامز، فرغم آرائه الدينية(٦١٠)، مثلما اتخذ موقفا معارضًا لأى دور للحكومة فى الدعوة أو فرض المعتقدات الدينية.

والمستعمرة التى أنشأها فى «پروفيدنس ـ رود أيلاند»، كانت الوحيدة التى تمارس حرية دينية شبيهة بما نعتبره اليوم حرية دينية، ومع ذلك، فإسهامه فى الدستور ووثيقة الحقوق لم يبرز فى التاريخ. عكست كتاباته بوضوح فهمه ودعوته للتنوع، أو فصل الكنيسة عن الدولة، بالإضافة للقيمة المتأصلة فيه للتعددية(٦١٠).

وكما يشير مؤرخ المسيحية روبرت آر. هاندى، ارتبط قليلا دعم الحكومة للدين بدرجة التدين لدى السكان(٦١١). وخارج رود أيلاند اختلفت الأحوال بين الولايات، ويشمل ذلك الضرائب لدعم بعض الأيديولوچيات الدينية، واضطهاد الكاثوليك، والكويكرز(*)، وبقية الأقليات، وبالطبع كان هناك إعدام

(*) الكويكرز: ظهرت هذه الجماعة فى انجلترا فى منتصف القرن السابع عشر، كانشقاق من الپيوريتانز أطلق عليه «الباحثون ـ Seakers». وأخذوا أفكارهم من الدعاة والوعاظ المتجولين مثل چورچ فوكس (مثل جماعة التبليغ والدعوة) والتى تتحدث عن «النور الداخلى» كمصدر للهداية والإرشاد. أخذت الجماعة اسمها، وتكاثر عددها، بعد أن قال عنهم أحد القضاة الإنجليز: يرتعشون عند ذكر الله. =

الساحرات فى ماساشوستس[٦١٢]. ومع الليونة التى أصابت جمود الدولة الدينية بالتدريج، إلا أنه لم تهب رياح التغيير القوية إلى أن ظهرت إسهامات ابنين شهيرين من ڤيرجينيا، توماس چيفرسون، وچيمس ماديسون، واللذين تكلما عن الاتجاهات التقدمية، وعملا لها. كافح ماديسون من أجل مبدأ الحرية الدينية، حتى إنه فى النهاية تخلى عن مفهوم التسامح من أجل مفهوم آخر أكثر جذرية، وهو حق الممارسة الحرة والكاملة للدين [لأى دين][٦١٣]، وقد تأثر فى هذا بفلاسفة أوروپا، وخاصة چون لوك نصير العلمانية السياسية، والحفاظ على انفصال الدين عن السياسة[٦١٤]. كان «ماديسون» واضحا تماما فى جداله عما أصبح فى النهاية «فقرة المؤسسة» كانت كتابات چيفرسون حاسمة فى مفهوم الحرية الدينية، وقد أصر - على صواب - أن مشروعه صمم لحماية معتنقى الدين، بما فى ذلك «الكافرين بأى طائفة»، أى غير المؤمنين[٦١٥]. على ذلك، عمل الآباء المؤسسون على خلق إطار عمل لمفهوم الديمقراطية الثورى، ودولة علمانية، والتواجد المشترك للحكومة والدين.

كان ذلك نتاج تجاربهم الشخصية، بالإضافة لكتابات فلاسفة التنوير [فى أوروپا].

لا ينتبه معظم الناس لأن وثيقة الحقوق كانت خلافية، حتى «ماديسون» كان لديه شكوكه، ليس لأنه عارض الحريات المدنية، ولكنه خشى أن كتابة بعض الحقوق، قد يؤدى للفهم الخاطئ بأنه فقط تلك الحقوق يكفلها الدستور.

وفى آخر الأمر، ومن حسن حظنا، تغلبت الحاجة إلى الوضوح والدقة، وتطورت صياغة (وثيقة الحقوق) كوثيقة تكميلية ضرورية للدستور[٦١٦].

أجمع معظم العلماء، كما يقول بوسطون، على أن «التعديل الأول هو أمر

= تعرض الكويكرز فى انجلترا لاضطهاد الحكومة والكنيسة؛ لأنهم رفضوا كنيسة الدولة، الكنيسة الإنجليكانية، وكثيراً ما ألقى بهم فى السجون.
هاجروا للعالم الجديد، أمريكا، ووقعوا من جديد ضحية لاضطهاد الپيوريتانز فى ماساشوستس، ودعوا للسلام وأعمال الخير، ورفضوا الرق - المترجم.

للحكومة بأن ترفع يدها عن الدين ـ لا تساعده ولا تعوقه ـ إلى أقصى حد ممكن»(٦١٧).

بعد عدة سنوات فى عام ١٨٠٢م، وصف «چيفرسون» التعديل الأول كبناء حائط بين الكنيسة والدولة(٦١٨) عندما كتب إلى المعمدانيين فى «دانبرى»:

أتدبر مع السادة الموقرين، عمل كل الشعب الأمريكى الذى أعلن أن على مشرعيهم أن «لا يصدروا قانونا بخصوص تأسيس دين، أو قانونا يمنع حرية الممارسة، وعلى ذلك يبنى حائط للفصل بين الكنيسة والدولة»(٦١٩).

المعارضون للفصل، مثل كبير قضاة المحكمة العليا «ويليام رنكويست» انتقد استعارة «چيفرسون»، لأنها مبينة على تاريخ سيئ، وهى مرشد سيئ للقضاء، مستخلصا: **«يجب التخلى عنها وبصراحة، وبشكل واضح»(٦٢٠).**

يأخذنا هذا إلى جدال رئيسى لدى الأصوليين المسيحيين، أن الولايات المتحدة تأسست على أنها أمة مسيحية كما يشير بوسطون، هذا التأكيد يربك حقيقة أن حكومتنا صنعت كوحدة سياسية، وعلى أنها المنظور التاريخى الأوسع للغزو والمستعمرات فى أمريكا الشمالية من قبل الأوروپيين(٦٢١). كانت هناك محاولات قليلة خلال مؤتمرات صياغة الدستور، تفضل الاعتراف بالمسيحية فى تشكيل القوانين، ولكن رفضت تلك الأفكار(٦٢٢). مما أدى لظهور الدستور كوثيقة علمانية تمامًا، ولذلك فليس من المصادفة أنه يخلو من المراجع الدينية.

واتضح هذا عام ١٧٩٧م، عندما صدق مجلس الشيوخ برئاسة چون أدامز على معاهدة طرابلس(*)، والتى تعلن بدون أى لبس «حكومة الولايات المتحدة ليست ـ بأى شكل ـ مؤسسة على الديانة المسيحية»(٦٢٣) بالطبع، لا يثير أى من تلك الكشوفات دهشة أولئك الذين يقدرون حكمة التعديل الأول والفوائد الاجتماعية والسياسية التى أثمرها فى القرنين الماضيين، ومع هذا يستمر

(*) هدفت المعاهدة إلى كسب ود ليبيا، ومنع أى هجمات أو مضايقات للسفن الأمريكية من الساحل الليبى ـ المترجم.

الأصوليون المسيحيون يؤكدون ـ بتكرار أكثر وأصوات أعلى ـ مزاعمهم بأن هذه أمة مسيحية.

ويجادلون بأن الولايات المتحدة فقدت اتصالها بأصولها المسيحية، وذلك لأن التعددية ـ التى خرجت عن نطاق السيطرة ـ ضللت المشرعين، كذلك الأحكام الخاطئة للقضاة الليبراليين، تلك قضية رئيسية لمن يسعى فى اتجاه حكومة دينية، ولا يتخلى عن ذلك رغم الأدلة التاريخية المضادة.

أسطورة أن الولايات المتحدة أمة مسيحية، تسمح بإدخال الدين فى كل المجالات العامة والحكومية، وتدعو إلى ذلك ويتم تبرير ذلك، بأن إبعاد الله والدين عن الحياة العامة سبب الأمراض الاجتماعية.

وإذا حدث تجاوز لفقرة «تأسيس دين»، والحدود الحساسة، ورد الناس على ذلك، يساء تمثيل الموقف على أنه مثل آخر لاضطهاد المسيحيين من قبل عديمى الإيمان، أو المضلين، وعادة ما يصاحب ذلك جزء معتبر من التشويه. والنسخة الأوسع، خاصة لدى الشباب، تشمل ادعاءات بأن الدين ـ المجرد ـ تحت الهجوم. وإذا لم يكونوا مجهزين تمامًا فهم ـ فى العادة ـ ينضغطون حينما يسألون من الذى يهاجم الدين؟ ولاى غرض؟

قانون الأرض

كأمين لـ«الأمريكيون المتحدون للفصل بين الكنيسة والدولة»، أخاطب عامة الناس فى مواضيع عن التعديل الأول وفصل الكنيسة عن الدولة.

غالبا ما أبدأ بذكر الست عشرة كلمة الأولى من التعديل الأول، وأسأل المخاطبين ماذا تعنى؟ تركز معظم الإجابات على قضايا معينة، وتعكس فهمًا عامًا للمبدأ، تسمح لى تلك الإجابات بتقدير حنكة المخاطبين. وفى نهاية الأمر، أعرض عليهم السؤال الحاسم «هل يعنى هذا أنكم توافقون على أى ما تقوله المحكمة العليا؟» ويقودنا هذا إلى القضية اللصيقة: تشكيل المحكمة العليا.

مبكرًا فى بداية تاريخه القضائى، كان التعديل الأول منقسما إلى مكونين: حرية الممارسة، وفقرة التأسيس(٦٢٤). ركزت حرية الممارسة على أن الحكومة خلال كل نشاطاتها لا تتدخل فى ممارسة الأفراد للدين، فى نفس الوقت، قامت بحماية كل التقاليد وبخاصة تقاليد الأقليات. وتختص فقرة «التأسيس» ـ بلا خلاف ـ بالقيود المفروضة على الحكومة فى مسألة تدخلها فى الأنشطة الدينية. علق المحافظون ـ بشكل متكرر ـ أن فقرة التأسيس رمت إلى منع الحكومة من اعتناق أو تأسيس دين بعينه. رفض العلمانيون والمفكرون الأحرار السلطة الدينية وعقائدها، وفسروا فقرة التأسيس على أنها تمنح الحرية من الدين. الحرية الدينية ـ على الأقل من الخارج ـ لا تشكل اهتماما أساسيا للأغلبية من مجتمعنا. وعليه لا نستغرب أن أكثر الحالات القضائية ـ وخاصة من يلجأون إلى الاستئناف ـ تخص فقرة التأسيس(٦٢٥).

منذ عدة سنين حاول اليمين الدينى المتطرف أن يوثق ادعاءاته بالهجوم الوبائى على الدين، واضطهاد الأمريكيين المتدينين. ولكن كان من الصعب أن يأتوا بحالات هامة محددة، انتهى الأمر بتحريف حالات قديمة. عند تأسيس المدارس، تؤدى الظروف أحيانا إلى القمع غير المقصود لتعابير دينية لائقة بسبب التقدير الخاطئ. معظم المواقف الفردية يتم حلها وتصحيحها بسرعة وبشكل ودى، وبدون أن يؤدى ذلك للذهاب للقضاء وطلب آرائه.

أحسن تصوير لفقرتى التعديل الأول، بتشبيههما بحدين على جانبى نفس نصل السيف، وفى الواقع، يعتبر كثير من فقهاء القانون أن فقرة التأسيس هى الحامى الفعال الأكبر لحرية الممارسة، وذلك بسبب تقييدها للحكومة فى تأسيس دين أو الدعوة إلى ذلك، وبهذا يتم الحفاظ على كل الأديان، على نفس المستوى.

من المستحيل، بسبب محدودية هذا الفصل، ذكر كل الأحكام القضائية خلال القرنين الماضيين، والتى ساعدت على تشكيل تفاعلنا الحالى بين الكنيسة (الدين) والدولة (الحكومة). فى منتصف القرن التاسع عشر، كان هوراس مان، مسيحيا

«موحدا ـ Untiarian» وكان وسيطا، كعضو فى إدارة ماساشوستس التعليمية، ومشرع، فى معارضة الفرق الدينية فى المدارس العامة. دعا هذا ـ فى النهاية ـ إلى مبدأ الحياد الدينى للمدارس العامة[٦٢٦].

معظم الصراعات بين الأغلبية الساحقة للپروتستانت، والكاثوليك، تم حلها خارج قاعات المحاكم.

يكشف ذلك عن مدخل مختلف تمامًا لجدل الكنيسة والدولة القائم الآن. خسر الكاثوليك معظم المعارك، وقادهم ذلك إلى أن أسسوا مدارسهم الخاصة، ليمارسوا الصلوات وقراءة الكتاب المقدس، **ومن المثير للاهتمام أن أول نزاع قضائى خاص بالممارسة الدينية فى المدارس العامة، فى أوهايو، إلينوى، رفعه الكاثوليك، وذلك بالمفارقة لحالات الشكاوى المعاصرة** [٦٢٧].

وما نراه اليوم على أنه قضايا هامة فى تطوير التعديل الأول، ازدهر فى النصف الثانى من القرن العشرين. سمحت قضية «إيڤرسون ضد إدارة التعليم»، فى عام ١٩٤٧م، لطلبة المدارس الأبرشية بالاستفادة من خدمات سيارات النقل العام [٦٢٨]. شددت كتابات القاضى هوجو بلاك القيود على المال العام بالنسبة للدين، فجادل قائلا:

يعنى التعديل الأول فى الدستور ـ على الأقل ـ ما يلى:

ليس مسموحا لحكومة ولاية، ولا للحكومة الفيدرالية، أن تقيم كنيسة، ولا تصدر قوانين تساعد أحد الأديان، ولا كل الأديان، ولا تفضل دينا على آخر.. ولا يمكن فرض الضريبة، صغيرة أو كبيرة لدعم أى نشاط أو معهد دينى، مهما تم تسميته، ومهما كانت طريقته لتدريس أو ممارسة الدين[٦٢٩].

وفى قضية «ماكولم ضد إدارة التعليم» (٨ ـ ١) فى عام ١٩٤٨م، خلص بلاك أنه لا يسمح لرجال الكنيسة دخول المدارس [العامة] لتعليم الدين[٦٣٠].

ولكن فى قضية«زوراش ضد كلاوسون» عام ١٩٥٢م، سمحت المحكمة العليا لطلبة المدارس العامة أن يخرجوا من المدرسة لحضور فصول دينية خارج الأراضى التابعة لها [٦٣١]، وبعد ذلك بعشر سنوات، أظهرت المحكمة العليا

موقفا أكثر وضوحًا، بحكمين هامين، فى قضية «إنچل ضد ڤيتال» (٦ ـ١)، حكمت بعدم دستورية الصلاة التى تدعمها المدرسة [٦٣٢]. وبعد ذلك بسنة، فى قضية «حى مدرسة أبينجتون ضد شمپ» (٨ـ١) لقت قراءة الكتاب المقدس فى المدارس العامة نفس الحكم [٦٣٣]. وبعكس ما يزعمه الأصوليون اليوم، لم تكن الصلاة وقراءة الكتاب المقدس المدعومتان منتشرة فى المدارس العامة فى طول البلاد وعرضها، وأضاف القاضى بلاك فى قضية إنچل، أن فقرة (التأسيس) «هدفها الأول الرئيسى المباشر يقوم على أساس الاعتقاد بأن اتحاد الحكومة والدين يميل إلى تدمير الحكومة، والحط من قدر الدين».

وفى قضية «ليمون ضد كورتز مان» عام ١٩٧١م، جاء الحكم بأن قوانين «پنسلڤانيا» و«رود أيلاند» التى تسمح بالتمويل العام لتغطية مرتبات رجال الكنيسة الذين يدرسون مواد علمانية، غير دستورية. بل أكثر من ذلك أهمية، وضعت المحكمة اختباراً من ثلاثة أجزاء للكشف عن أى انتهاك للتعديل الأول. تعتبر ممارسة الحكومة أو قانونها انتهاكا لفصل الكنيسة عن الدولة إذا:

(١) لم يكن لها هدف علمانى.

(٢) لها هدف رئيسى فى الدعوة لدين، أو ضده.

(٣) تغذى تماسا زائداً بين الحكومة والدين.

تم الاستشهاد باختبار ليمون مراراً وتكراراً فى أحكام عديدة لحماية فصل الكنيسة عن الدولة من الدعوات المتصاعدة لليمين المسيحى لوقف العمل بمبدأ الفصل [٦٣٤]. شهد العقدان الماضيان، انتصارات قضائية صريحة لمبدأ الفصل، وأخرى مثّلت تآكلا واضحا للمبدأ. فى قضية «ستون ضد جراهام» (٧ـ٢) عام ١٩٨٠، جاء الحكم بأن قانون ولاية «كنتاكى» الذى يطلب من المدارس العامة تعليق نسخ من الوصايا العشر فى كل فصل غير دستورى [٦٣٥].

بعد ذلك فى قضية «والاس ضد چافرى» (٦ـ٣) عام ١٩٨٥م، أسقط الحكم قانون فى ولاية «ألاباما» يتطلب من المدارس العامة إعطاء لحظة من الوقت للتأمل [الدينى] [٦٣٦]. وفى قضية «لى ضد وايمان» (٥ـ٤) فى عام ١٩٩٢م، مُنعت

المدارس العامة من دعم الدعاء فى حفلات التخرج [٦٣٧] . وكتب القاضى أنتونى كنيدى عن الأغلبية : تعنى فقرة التعديل الأول أن الاعتقادات والممارسات الدينية، أغلى من أن تحرمها أو تفرضها الدولة .

وفى قضية مدرسة «سانتا فى المستقلة ضد دوى» (٦ـ٣) فى عام ٢٠٠٠م، منع الحكم دعم الصلاة فى المسابقات الرياضية[٦٣٨] .

ننظر للوجه الآخر من العملة . فى قضية «مجلس التعليم ضد ميرجنس» (٨ـ١) فى عام ١٩٩٠م، دعمت المحكمة القانون الفيدرالى للسماح المتساوى، الذى يسمح باستخدام النوادى الدينية لساحات المدارس العامة، إذا سمح لنواد أخرى [أنشطتها] خارج المقررات من استخدام ساحات نفس المدارس[٦٣٩] . وفتح هذا الباب لقضية «جود نيوز كلاب ضد مدرسة ميلفورد المركزية» (٧-٢) والتى جاء الحكم فيها بالسماح للإيفانجليكيين باستخدام المدارس العامة بعد ساعات التعليم[٦٤٠] .

يحتاج تطور التاريخ القضائى [فيما يخص التعديل الأول] انتباها خاصا، وهو يجسد طبيعة الصراع بين التعديل الأول والأصولية المسيحية . نشر داروين كتابه «فى أصل الأنواع بواسطة الاختيار الطبيعى» عام ١٨٥٩م، ولكن كان للمسيحيين المحافظين اليد العليا فى منع تدريس النظرية العلمية للتطور لمدة تزيد عن القرن . وبعد القرن بحوالى عشر سنين فى عام ١٩٦٨م، وفى قضية «إبرسون ضد أركانسو» (الولاية) أطاح حكم القضاة ـ بالإجماع ـ قانون «أركانسو» الذى منع تدريس التطور فى المدارس والجامعات العامة[٦٤١] .

وبعد ذلك بحوالى عشرين عاما، فى قضية، «إدواردز ضد أجيلارد» (٧ـ٢) فى عام ١٩٨٧م ألغى الحكم قانون لويزيانا الذى طلب من المدارس العامة أن تعرض «معالجة متزنة» بين نظرية داروين ونظرية الخلق فى الكتاب المقدس[٦٤٢] .

ولم يثن هذا التطور مؤيدى نظرية الخلق فى الكتاب المقدس «الخلقيين» وحلفاءهم قيد أنملة .

استمر حظر نظرية داروين فى ولايات كثيرة، بينما تتسلل نظرية الكتاب المقدس ـ بانتظام ـ فى فصول العلم فى المدارس العامة. وهذه ظاهرة أمريكية خالصة.

كان التطور القضائى لفقرة الممارسة الحرة للدين، بطيئًا بالمقارنة بفقرة «التأسيس» المتوهجة. وكان هناك تطور عام ١٩٩٠م، فاجأ بعض الناس، وبدأ يدخل دائرة التركيز. قبل عام ١٩٩٠م بدا أن المحكمة العليا ملتزمة بتأويل ليبرالى لفقرة حرية الممارسة الدينية. وفى حالات الصراع بين القانون والأنشطة الدينية، كان المتوقع أن الدولة تنحنى وتستسلم داخل النطاق المعقول، تحت مفهوم بديل «الأقل تقييدًا». وبعد ذلك جاءت قضية استخدام «البيوت ـ peyote» ـ وهو مخدر غير قانونى ـ فى مراسيم احتفال دينى للأمريكيين المحليين [الهنود الحمر] (٦٤٣).

وفى تحول جذرى، كتب القاضى «أنتونين سكاليا»، معبرا عن رأى الأغلبية، مقدما فكرة أن الحكومة ليست مضطرة لأن تجد «سببا إجباريا» قبل تطبيق القوانين السارية، والتى قد تتداخل مع الممارسة الدينية.

أطلق الحكم شكاوى وقلقا عند الكثيرين. خاف حماة الحرية الدينية ـ من تغير المفهوم، طبقا لهذا الحكم الجديد ـ على إمكانية بقاء أديان الأقليات. ففقدان حماية أحد الأديان، يعرض للخطر حماية بقية الأديان، بما فى ذلك حالة غير المؤمنين. أديان الأكثرية لم تتأثر، لأن ممارستها الممتدة من قديم تواءمت مع القوانين السارية، أو بالأحرى، تشكلت القوانين بحيث تتواءم مع الممارسات الدينية الراسخة.

قامت محاولات لتقنين العودة للأيام «الخوالى الطيبة». رفض المحكمة العليا «قانون استعادة الحرية الدينية ـ The Religious Freedom Restoration Act (RFRA)».

وذلك ما هو إلا مثال واحد. حاول قانون (تقنين إعادة تأسيس مفهوم السبب الإجبارى)، و«الأقل تقييدا»، كمرشد فى حالة اشتباك الممارسات الدينية مع القانون العام.

تلخيص ما سبق، أن العقد الماضى شهد تحولا كبيرا فى تأويل المحكمة العليا لفقرتى حرية الممارسة الدينية «والتأسيس» فى التعديل الأول.

ولت الأيام التى كان قلقنا فيها قليلاً، وكنا نثق بشكل طبيعى فى المحكمة العليا لتقرر الصواب لنا. أى بحفظ قاعدة الآباء المؤسسين فى التعديل الأول، والحائط القوى الفاصل بين الكنيسة والدولة.

أصبح تشكيل المحكمة العليا هو القضية. بدا تشكيلها فى مطلع القرن الواحد والعشرين غير متوازن مع مستقبل ينذر بالشؤم. لم تخف إدارة «چورچ بوش» نيتها فى تعيين قضاة فى كل من المحكمة العليا، والمستوى الفيدرالى يلتزمون بوجهات نظرها، نحو العالم، ونحو التعديل الأول على وجه الخصوص. تنفيذ الإدارة لسياسيات جذرية، يؤثر على الاقتصاد، والبيئة، والعلاقات الدولية، وغيرها. كل ذلك هين بالمقارنة بالصدمة التى سيلقاها النظام القضائى، لعقود مستقبلية قادمة. نحن نقدر فقط على لمح لحظات تفلت من عملية معقدة، تنكشف بالتدريج.

رؤى الانتهاك

لما كنت ناشطة اجتماعية لمدة طويلة، أجد نفسى أتعامل مع عدة قضايا ساخنة فى وقت واحد، ولا جدال فى أن تحديات التعديل الأول قد تطاولت للسماء خلال العقد الماضى، وازدادت سوءاً بعد أحداث ١١/ ٩ الفظيعة. على رجال الإطفاء عندنا أن يحاربوا حرائق وجهنمات عديدة فى وقت واحد، وداخليا وخارجيا يؤدى هذا إلى استهلاك إمكانياتنا إلى مستوى خطير. بعد هذه الحقيقة، علينا، أكثر من أى وقت سبق ـ أن نضع قائمة بالأولويات والاختيارات الصعبة.

ومن خلال هذا السياق، وجدت قيمة أكيدة فى توصيف قضايا الكنيسة والدولة إلى نوعين من المفاهيم، أسميهما «الرمزى» و«الجوهرى»، وهذا ـ بوضوح ـ ليس تصنيفا خالصا، ولكن يساعدنا على تحديد اختياراتنا، وعلى فهم الإستراتيچيات التى تعمل تحت السطح. أعنى بـ**«الرمزى»** القضايا التى تدخل

الدين فى المربع العام، بشكل جلى، تصدم المناخ الاجتماعى، وتبعدنا عن فكرة المجتمع العلمانى. أمثلة على ذلك: «نحن نثق بالله» على العملة، تعليق الوصايا العشر فى المراكز والقاعات والمحاكم العامة، دعم الحكومة للصلاة فى المحيط العام. أما **«الجوهرى»** فقضاياه هى سندات (كوبونات) المدارس، اختيار أعمال الخير، الرقابة الدورية على المناهج، التركيز على تغيير نسيج مجتمعنا.

تجذب القضايا «الرمزية» اهتماما فوريا. أصبح لدى غالبية السكان قلق من أن الوعاء أصبح يسرب [وعاء الإذابة]. وبالمفارقة، تقع القضايا الجوهرية تحت سطح رادار العامة. حتى فترة قريبة، لم تكن لدى رجل الشارع أى فكرة عن الآثار المترتبة على استخدام التمويل العام فى سندات (كوبونات) المدارس الدينية. وأكثر من ذلك، برغم أن قانون اختيار عمل الخير بدأ سريانه منذ عام ١٩٩٦م، فحتى اليوم، ترتفع أيادى قليلة جدا عندما أسأل إذا كان أحد قد سمع عنه.

استراتيجية اليمين الدينى الجذرى والراديكالى بسيطة. يعلنون التحديات الرمزية، وهم سعداء تماما بجذب أقصى الاهتمام لها. وليس لديهم أى أوهام بالانتصار فيها كلها، أو حتى معظمها، إن لم يكن بعضها، وما يحققونه، هو صرف الأنظار عن المسائل الجوهرية، وهى المعارك الحقيقية التى يجب عليهم الانتصار فيها لتحقيق القوة الاجتماعية ـ السياسية الضرورية للتقدم نحو الدولة الدينية، وهذا يخلق المأزق الحقيقى لحماة التعديل الأول، حيث إنه يجب معارضة قضايا النوعين، عند ظهورها على السطح، ولكن ليست لديهم [حماة التعديل الأول] الإمكانيات للحرب على كل الجبهات. على الأقل، يجب على «الفصليين» الانتباه التام للوعى العام، أو نقصانه. وبهذا، لا تحل القضايا «الجوهرية» بدون التدقيق العام الكامل لها.

كانت التحديات الرمزية لفصل الكنيسة عن الدولة فى ارتفاع متزايد قبل أحداث ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، بزمن طويل، وساعدت الأحداث على فتح الأبواب على مصراعيها لمزيد من تلك التحديات، وقد كانت قضية «جود نيوزكلاب» انتصاراً رئيسياً للأصوليين وحلفائهم. كانت تلك أول مرة تدخل الأنشطة الدينية

الواضحة، مصحوبة بوسائل الدعوة والإغراء لهداية وتجنيد الآخرين. فمثلا، زمالة الأطفال الإيڤانجليكية هدفها هو تجنيد الأطفال، ومثاليا يبدأ ذلك من الروضة، ويعتقدون أنه بإمكان الطفل أن يفتح الباب لأن تصبح عائلته كلها إيڤانجليكية، وقد جهزوا موادا تناسب الأطفال قبل سن القراءة (٦٤٤).

وعلى وجهة أخرى، بدأ القس المبجل دونالد ويلدمون ـ الذى يدير «جمعية العائلة الأمريكية» الضغط لتمرير قوانين تتطلب من المدارس تعليق ملصقات «نثق فى الله»(٦٤٥)، بأنه ما دام ذلك هو الشعار الوطنى (فقط منذ عام ١٩٥٦م)، فهو مختلف من ناحية المبدأ عن الوصايا العشر. جهز ويلدمون ملصقات مناسبة للبيع، لتسهيل مهمته. قبل الحملة على المدراس، صممت ولاية «چورچيا» علمًا جديدًا فى عام ٢٠٠١م عليه الشعار «نثق فى الله». كان الشعار الأصلى للولايات المتحدة ـ من كثير من الواحد ـ From Many One ـ علمانيًا تمامًا. وفقط بعد منتصف القرن التاسع عشر، بدأ الشعار الدينى فى الظهور على العملة.

ظهر أن قرار المحكمة العليا فى قضية «ستون ضد جراهام» عام ١٩٨٠م، حاسمًا فى منع تعليق الوصايا العشر فى المنشآت الحكومية، بما فيها المدارس العامة. وقد أيد رفض المحكمة العليا فى ٢٠٠١م قبول استئناف على أساس حكم محكمة أدنى، المفهوم الذى ظهر فى قضية عام ١٩٨٠م، حين لم تسمح بعرض نصب حكومى من الجرانيت للوصايا العشر. وبعد كل هذا، وإظهارًا للمثابرة الأصولية التقليدية، فبدلا من الركون، رفع الأصوليون قضايا فى مختلف أنحاء البلاد لنفس المسألة، والتبرير الذى يسوقونه هو أن الوصايا العشر هى الأساس للقانون الأمريكى العلمانى، ولكن ذلك قول ينقصه الإثبات التاريخى.

قد يكون أوضح حادث فى هذا السياق، هو إزاحة الستار عن النصب الجرانيتى ـ الذى يزن ٥٢٨٠ رطل[حوالى ٥ , ٢طن]ـ والأوضح فى ذلك الحادث الواضح، هو أنه قام فى المبنى القضائى لألاباما، فى مونتجومرى، حيث مقر كل من المحكمة العليا للولاية، ومحكمة الاستئناف (٦٤٦)، وما زال النصب قائمًا بدون أى إزعاج.

التطورات الجوهرية، لم تتأخر هى الأخرى عن الرمزية. قبل ١٩٩٦م، واختيار أعمال الخير، كان هناك تمييز حاد ومقبول بصفة عامة عن توزيع الأموال العامة على المؤسسات الدينية. لم تكن هناك مشكلة فى ذهاب أموال الضرائب إلى المؤسسات «التابعة دينيًا» مثل المؤسسات الخيرية الكاثوليكية، والخدمات اللوثرية فى أمريكا، وخدمات العائلات اليهودية.

تقدم هذه المنظمات خدمات اجتماعية، بتمويل من مصادر من القطاعين الخاص والعام. كان ذلك يتم بدون أى رسالة دينية، وداخل النطاق الحامى للدستور. المؤسسات المفرطة فى الطائفية، أى الكنائس، والمنظمات ذات الممارسات الدينية ضمن برامجها الاجتماعية، غير مؤهلة للتمويل العام لأن ذلك يمثل انتهاكا واضحا للتعديل الأول.

نجح چون أشكر وفت فى عام ١٩٩٦م - حين كان عضو مجلس شيوخ عن «ميسورى» - فى تمرير عدة تشريعات، تحت اسم اختيار أعمال الخير، وتلاشت بعدها الثغرة بين «التابعة دينيا» و«المفرطة فى الطائفية». أصبحت الأخيرة مؤهلة للحصول على التمويل العام، وتعمل بدون قيود، حرة من معظم المراقبة الحكومية. خلق المشهد الجديد إغراءً هائلاً للمنظمات الدينية، فبمقدورها الحصول على التمويل العام من أجل خدماتها الاجتماعية، وبدون الاضطرار للتخلى عن هويتها الدينية، ولكن هناك مشاكل كثيرة تصاحب هذا التطور، أولها وأهمها، أنها تمثل انتهاكا للتعديل الأول، وفصل الكنيسة عن الدولة، وللدستور نفسه. وبجانب ذلك، سوف تجلب تطبيق القواعد الحكومية على الكنائس، وتتدخل فى الحرية الدينية للمستفيدين، بالإخفاق فى توفير بدائل كافية. وبما أن الحكومة لا يمكنها، بل يجب عليها عدم تفضيل دين عن آخر، فسوف تطالب الجماعات الدينية الأخرى بتمويل مماثل من الضرائب.

تقل التبرعات تطوعيا، أو بصفة خاصة، عندما يعتمد تمويل برامج الكنيسة على دولارات الضرائب. وفى النهاية، قد يمثل ذلك الخطوة الأولى فى تحويل الخدمات الاجتماعية من عموم الناس إلى خصوصهم.

ومن المثير أنه بعد ست سنوات من القانون، تطور «اختيار أعمال الخير» ببطء شديد، وتم التعرف على عدة عوامل سببت ذلك، منها الشك وعدم

اليقين، مما أسفر عن نقص الآليات المالية المطلوبة للتنفيذ، ومن ثم لم تزد الميزانية، ولم يصبح التمويل متاحًا. ربما يكون الأهم، أن المنظمات الدينية ظلت كتومة بدهاء عن اعتمادها على التمويل المثير للتساؤل، وعن مراقبة الحكومة، والتي - ولا بد - تتبع منح المال العام. وتبرر حقيقة أن البرنامج يكاد يكون لم ينطلق، عدم تحديه أمام القضاء على أسس دستورية.

مبادرة إدارة بوش المسماة «المبادرة المؤسسة على الإيمان»[٦٤٧]، هى لإكمال وتوسيع اختيار أعمال الخير، وهى أحد البرامج الأولى التى أعلنها بوش عند دخول مكتب الرئاسة.

تبين هذه الخطة مفهوم الرئيس للتعديل الأول، والتزامه الهائل تجاه اليمين المسيحى الجذرى. وعند تقديمه للمبادرة، قال بوش: «واحدة من المبادرات الأقصى أهمية التى ليس فقط تناقشها إدارتى، بل التى تقدم تنفيذها». وأنشأ لها وكالة فيدرالية جديدة: مكتب المبادرات المؤسسة على الإيمان، والجماعة. ولخيبة أمل الإدارة، لم تلق المبادرة الحماس الواسع[٦٤٨]. مشروع القانون المصاحب «قانون حلول الجماعة» ثم تمريره فى مجلس النواب، ولكنه حتى هذه الكتابة، ما زال تحت الدراسة فى مجلس الشيوخ، وحتى المتوقع تأييدهم، مثل پات روبرتسون، يثير اعتراضا واخزا للضمير: هل تحصل الطوائف «غير المستقيمة» على حصتها من الفطيرة «المؤسسة على الإيمان»؟. وهناك خطوة أخرى للخلف، عندما استقال رئيس المبادرة داخل البيت الأبيض «چون ويلاليو»، مصرحا بوضوح أنه ضاق بالنقد من كل من اليمين واليسار[٦٤٩].

تعكس مشاكل المبادرات المؤسسة على الإيمان المشاكل المتأصلة فى مفهوم «اختيار أعمال الخير». استخدام دولارات الضرائب ينتهك - بوضوح - فصل الكنيسة عن الدولة. فبرغم تلقيها تمويلا عامًا، فيمكنها قانونيًا ممارسة التمييز على أساس الدين، حين توظف من يعمل بها.

كذلك خلط الخدمة الاجتماعية بالدعوة للدين، يعرض دين متلقى الخدمة

للخطر. ومع واجب الحكومة فى رصد ما تموله، يصبح النشاط الدينى ـ ولا مفر ـ عرضة للرصد والقيود الحكومية.

وكما ذكرنا سابقا، يتضاءل الحافز لتبرع أفراد الجماعة عندما يعلمون بأن هناك دولارت الضرائب. ولأن حجم الفطيرة محدود، بل وقد يكون صغيرا نسبيا، فقد تتقاتل الجماعات الدينية مع بعضها من أجل الحصص. والأسوأ، أنه قد تُفَضَّل بعض الجماعات، طبقا للعلاقة مع صاحب التمويل. . ومع أنه قد يتم تفضيل الجماعات الدينية عن الجماعات العلمانية فى تلقى الدعم، وهذا هو القصد الحقيقى للمشروع، فلا أحد يضمن أنها تقدم خدمات أو تحرز نتائج أفضل من العلمانية، ونحن فقط نأمل أن الاهتمام العام والمعارضة الشديدة من مختلف الأنحاء تستمر، مما يؤدى فى النهاية لرفض المشروع.

وأخيرا، تجىء قضية سندات «كوبونات» دعم التعليم الخاص بأموال عامة. ظهرت مخططات كثيرة فى هذا الصراع، ويبقى المكون الرئيسى فيها استخدام دولارات الضرائب لتمويل التعليم الخاص، وبالذات الأبرشى. حتى كلمة «سند ـ voucher » بعد رفضها فى عدة استفتاءات عامة، استبدلت بمصطلح «اختيار الوالدين» أو «المنحة الدراسية الفرصة».

كان التعليم العام الهدف الرئيسى لليمين المسيحى الجذرى من البداية. وهذا مفهوم؛ لأن نظام تعليم عام نابض بالحياة وفعال، لا يتواءم مع تأسيس دولة دينية. استخلص اليمين المسيحى الجذرى أنه من الضروى إعاقة التعليم العام، بمنع التمويل عنه كخطوة فى اتجاه إضعافه. برغم أنواع الخلل الدستورى المتأصلة فى نظام السندات، وبرغم غياب الدعم الشعبى، فالنظام مستمر بأشكال وحزم كثيرة. بدءًا من ولاية نيويورك عام ١٩٦٧م، كان هناك أكثر من خمسة وعشرين استفتاءً عامًا، ضمن ولايات أخرى، ومع هذا رفض المصوتون ـ باستمرار ـ فكرة «السندات» ومساعدات الضرائب الأخرى للمدارس الدينية والخاصة[٦٥٠].

رفض «السندات» كان، ولا يزال قويا[٦٥١]. فعلاوة على القضية الرئيسية من انتهاك ذلك النظام للتعديل الأول، ولفصل الكنيسة عن الدولة، ليس هناك دعم شعبى، وقد بين ذلك الاستفتاءات المتكررة.

لن تضمن «السندات» «اختيار الأبوين» لأن إدراة المدارس الخاصة والدينية تحتفظ ـ بخلاف المدراس العامة ـ بحقها فى قبول أو رفض المتقدمين .

وليس هناك دليل يدعم الزعم بأن نظام «السندات» سوف يحسن نظام التعليم العام بإدخال المنافسة فيه . ومع أن ذلك النظام يحتاج ، بل يجب أن يتحسن ، فإنه لم يخذل أطفالنا ولا مجتمعنا[٦٥٢] . وحتى وراء قضية الاختيار ، لن تستطيع العائلات الفقيرة إلحاق أولادها بالمدارس الخاصة ، لأن قيمة السندات تقصر عن ذلك . وكما قالت ساندرا فلدمان رئيسة «الاتحاد الأمريكى للمدرسين» : «السندات» لا تعنى الإصلاح ، مهما تغير الاسم الذى تطلقه عليها . وما تفعله يعنى التخلى الجذرى عن المدارس العامة والتعليم العام[٦٥٣] .

برغم النتائج السيئة للاستفتاءات المتكررة بخصوص تشريع «السندات» أثمرت المثابرة فى المجهودات ، أن قررت المحكمة العليا إعادة النظر فى القضية بعد ٣٠ سنة من دراستها الأخيرة . فى قضية «زيلمان ضد سيمونز هاريس»[٦٥٤] فى نهاية عام ٢٠٠٢م ، توصلت المحكمة أن «السندات» دستورية بأغلبية ٥ إلى ٤ . وجاء ذلك القرار برغم أن ٩٦٪ من الطلبة المشتركين فى برنامج «كليفلاند» كانوا يذهبون إلى مدارس دينية ، و ٨٢٪ من المدارس المشاركة فى البرنامج كانت مدارس دينية . رأت الأغلبية [أغلبية القضاة فى المحكمة] أن البرنامج لا يهدف إلى الدعوة للدين ، لأنه لم تكن المدارس الدينية هى البديل الوحيد . القاضية ساندرا أو كونور ، صاحبة الصوت المرجح ، أضافت أن المساعدة من المال العام ذهبت إلى الطلبة مباشرة ، وليس إلى المدارس الدينية ، أما الأقلية [من القضاة] فكان تعليقها أن الاتجاه السائد للموافقة على مساعدة المدارس الدينية يفرغ فقرة «التأسيس» من معناها ، ويضعف من حائط الفصل[٦٥٥] .

ومع أنه كانت هناك عناصر إيجابية فى القرار ، يجب أن يعرف «الفصليون» ـ بكل تأكيد ـ أن حقيقة عدم الدستورية أصبحت منزوعة السلاح فى المعركة . فتح القرار ـ كما كان متوقعا ـ بوابات الفيضان فى الولايات والمحليات . وخلال شهرين فقط جاءت الأخبار بأن المشرعين فى ٢٠ ولاية كانوا يعملون لتقنين «السندات»[٦٥٦] .

يركز منتقدو القرار على الكوارث المالية التى ستحل على التعليم العام، ويعتبرون تخصيص المال العام للمؤسسات الدينية عملا غير واعٍ.

أحيا قرار قضية «زيلمان» اعتبار ومناقشة قرارات قديمة ـ نادراً ما تذكر ـ للمحكمة العليا. فى عام ١٩٧٣م، رفض «نيكوست»[٦٥٧] قرار برنامج السندات؛ لأنه يخلق حوافز للوالدين لاختيار المدارس الدينية بدلاً من العلمانية، ويقدم مساعدة للأطفال الذين يذهبون للمدارس الخاصة. بعد ذلك وفى نفس العام فى قرار «سلون»[٦٥٨]، رفضت المحكمة برنامجًا مشابهًا لما رفضه نيكوست. فصّلت أغلبية القضاة فى قضية زيلمان أنه على برنامج السندات أن يوفر اختيارات عامة وعلمانية كافية، حتى يكون بمأمن من المراجعة الدستورية.

ومع إزالة قضية الدستورية على المستوى الفيدرالى، وجه معارضو «السندات» تركيزهم على الولايات. وبمراجعة دساتير الولايات، ظهر أنه على الأقل فى ٣٧ منها، مضمون يمنع تمويل «مؤسسات الفرق الدينية» من أموال الضرائب، أكثرها حسما فى الأقسام المسماة «تعديلات بلان». وكما هو المتوقع، صارت تلك الأقسام الهدف المفضل لليمين المسيحى الراديكالى، وللآخرين المؤيدين «للسندات»، وردهم الرئيسى على «تعديلات بلان»، أنها تعكس معاداة الكاثوليكية فى القرن التاسع عشر. تشمل استراتيجيات تفنيد «تعديلات بلان» إقناع محاكم الولايات بأن تتبع تأويلا ضيقا لها، مع اعتبار المحاكم الفيدرالية تلك التعديلات متعارضة مع التعديل الأول، وإقناع المصوتين بإبطالها من صناديق الاستفتاء[٦٥٩]. لم يمر وقت طويل بعد قرار قضية زيلمان حتى أعلنت محكمة فى فلوريدا أن برنامج «سندات» الولاية غير دستورية[٦٦٠]. فقد وجدت أن البرنامج ينتهك المادة واحد قسم ثلاث من «دستور فلوريدا» التى تنص على: «لا يمكن أخذ أى دخل من الولاية أو أى وكالة أو قسم تابع لها، من المال العام، وإعطاءه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لمساعدة كنيسة أو جماعة أو طائفة دينية، أو لمساعدة أى مؤسسة لفرقة دينية». وما هى إلا مسألة وقت حتى تختبر هذه القضية، أو قضية مماثلة أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة. أظهر كتابان من منشورات مجموعة «أمريكيون من أجل حرية الدين» أنشطة المدارس المسيحية

الأصولية، وحركات التعليم فى المنزل التابعة[٦٦١]، وكيف أن الهدف الرئيسى من التعليم الأصولى هو حماية شبابهم من التعددية الحالية فى المجتمع الأمريكى. تدعو كتب الأصوليين إلى التفرق، وعدم التسامح الدينى، ومعاداة الفكر، وازدراء التفكير النقدى والعلوم، وإلى التطرف فى التفكير السياسى المحافظ. إذا أصبح الأمريكيون على وعى بما يحدث، سوف ترتفع بحدة المعارضة الاجتماعية والسياسية لـ «سندات المدراس».

محظورات التعليم

أصبح تعليم التاريخ موضوعا جدليًا مشحونا؛ لأن التاريخ يعكس التغيرات والتطورات، غالبا خلال الصراع، فليس من المستغرب أن يرى كل جانب الأحداث بشكل مختلف. أو على الأقل يريد أن ترى بشكل مختلف. صحيح جزئيًا وكليًا أن التاريخ يكتبه المنتصرون، ومع هذا فالباقون علت أصواتهم برواياتهم هم أيضا. **يفيد ناشرو الكتب بأن عليهم ضغطا متصاعدا من عدد متزايد بسرعة من مجموعات المصالح. ما زال أولئك الذين يتمتعون بالسلطة، يسيطرون على تحليل الصراعات والاختيار النهائى لما يقدم، وكيف يقدم.**

بدأت الشقوق تظهر فيما كان وحدة صلبة. يؤدى الصراع إلى تجنب الخوض فى المسائل الخلافية. وهذا ما رأيناه فى النظرية العلمية للتطور، تحت الهجوم من العقائد التى تهددها اكتشافات النظرية. **ويبدو أن التعديل الأول للدستور، ولازمته الطبيعية، الفصل بين الكنيسة والدولة، يمران بمصير مشابه لنظرية التطور.** وفى بعض الأحوال، يميل المدرسون، والمقررات أيضا، إلى تجنب الخوض فى تلك القضايا، أو الإقلال قدر الإمكان من ذلك، خوفا من الخلاف المتوقع. المنظمات المهتمة بالدعوة إلى حماية التعديل الأول، مثل «الأمريكيون المتحدون للفصل بين الكنيسة والدولة»، و«الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية»، «ناس الطريقة الأمريكية»، أصبحت قلقة، ومعها الحق فى ذلك، من تدنى إدراك هذا المفهوم الأساسى بين كل من الطلبة والعامة بشكل واسع.

حتى السياسيون فى حملاتهم الانتخابية، يميلون لتجنب القضية، سوى تأكيد مبهم على أنهم يؤيدون الفصل بين الكنيسة والدولة، وعند أسئلة معنية،

يثبت عدم علمهم، أو الأسوأ من ذلك، يبدو أنهم يفضلون وجهات نظر لا تتفق مع علمانية الدولة.

بناء على ما سبق، فضل العديد من المنظمات التقدمية خلق مواد تعليمية جديدة، وإعدادا جديدا للمدرسين. وهذا عمل دستورى، يمكن فيه تقديم وثيقة الحقوق بطريقة حية وفعالة فى مختلف سنوات التعليم فى المدارس العامة.

برغم أنى أميل بشدة إلى تلك المجهودات، ولكن توصلت لإدراك أن المأزق أكثر شوكا من ذلك.

من كثرة أسفارى وتفاعلى مع الناس، أدركت أننا نعيش عالمين متفاوتين، إن لم يكن أكثر. وبعبارة أدق، هناك كتلة كبيرة ولكن لها قطبان على طرفيها، وهذا ما تركز عليه هذه المناقشة.

على أحد الطرفين، هناك مجتمع متعدد الثقافات ذو انضباط تعددى، مثل «نيويورك» و«لوس أنجليس». يتعرض الطفل فيه - إلا إذا كان معزولا بطريقة اصطناعية - لعدة أعراق وأديان وتقاليد، والأهم من ذلك أن ذلك الطفل يتعلم كيف يتفاعل مع ذلك المجتمع، وهو مطمئن، وبدون التضحية بذاته أو ذاتها، يتعلم الطفل كيف يحترم الآخر ويحترمه الآخر، وهذا هو عين الموضوع. ويتعلم أن هناك مساحات وقواعد للاتفاق والاختلاف، وأن الاختلاف لا يعنى الصراع مع الآخر.

الذين ينشأون فى هذه البيئة، يميلون إلى العالمية والتسامح، ومشكلتهم الوحيدة - أحيانا - هى عندما يجدون صعوبة فى التعاطف مع المتعصبين ونظرتهم الضيقة، أو أولئك الذين لم يتوفر لهم الحظ فى أن يتعرضوا للتنوع. وعند هؤلاء الناس، لا يحتاج التعديل الأول إلى دعوة وإقناع، فهو يمارس يوميا. وفى الواقع فهم الذين يجعلون المجتمع حيويا ومنتجا. ونحن نعرف جيداً الثمن المدفوع عندما لا تمتزج المكونات. رأينا ذلك فى الشرق الأوسط، وأيرلندا الشمالية والبلقان. وعلى الطرف الآخر من مقياس الطيف، نجد حالات من التوافق والتجانس. نجد ذلك فى الجماعات الصغيرة والمتوسطة فى الجنوب

وأجـزاء من الغـرب الأوسط . فى تلك المناطق، هناك التطابق، ويصبغ الشك وعدم الراحة النظر إلى الاختلافات. قد تكون هناك أقليات فى الجماعة، مثل عـائلة أمـريكيـة من أصل صينى تدير مطعـمـا فى وسط المدينة، طبيب أو تاجـر يهـودى أمـريكى، أو مـوظف حكومـة أمـريكى من أصل أسـيـوى، ولكنهم مهمشون، ويُعرفون بأعراقهم. تُقبل تلك الأعراق، أو على الأقل يتسامح الناس معهم طالما لا يتجاوزون الحدود الخفية المقامة لهم. غير المؤمنين وضعهم أبعد من الأقليات، وهم ـ فى الغالب ـ يختارون الابتعاد؛ لخفض الصراع. فى مثل هذا المجال، ليس من اللائق ولا العملى المناسب مجرد الكلام عن التعديل الأول، وفصل الكنيسة عن الدولة. وأى محاولة لإظهارها على السطح، يشب ضدها رد فعل عدوانى. لن تسمح الجماعة بأى شىء تراه يمثل تحدى للوضع القائم ولطريق حياتهم. والقضية الهامة حقيقة، هى أن (دينهم)، وعلاقاتهم الاجتماعية ـ السياسية، أصبحت متداخلة بشكل لا فكاك منه.

أىّ دعوة لمراجعة مبادئهم وافتراضاتهم، سوف يترجمونها على أنها هجوم على كيانهم الدينى، الأمر الذى لن يتهاونوا فى رده. والمثل الآتى يوضح ذلك بطريقة مثيرة[٦٦٢] . **فى مقاطعة رهيا، ولاية تينسى، استمرت دروس الكتاب المقدس لمدة واحد وخمسين عام، من روضة الأطفال إلى المستوى الخامس، فى ثلاث مدارس عامة.** تجاهلت المنطقة قرارات المحكمة العليا التى تمنع تدريس الدين فى المدارس العامة. كان اسم البرنامج «كهنوت تعليم الكتاب المقدس»، وكان يديره طلبة من مدينة بريان، وهى كلية دراسات الكتاب المقدس، تم تأسيسها بعد محاكمة «سكوبس»(*) . كانت مدة البرنامج ثلاثين دقيقة كل أسبوع، خلال ساعات الدراسة، بدون موافقة الوالدين.

رفعت «مؤسسة الحرية من الدين» قضية فيدرالية فى أبريل ٢٠٠١م نيابة عن «چون دو»، و«مارى رو»، والدى أطفال فى المدرسة، فكان ذلك تحديًا للممارسة. **تعلم الادعاء فى مثل هذه القضايا أن يتستر خوفًا من ردود أفعال الجماعة.**

(*) تم محاكمته فى مطلع القرن العشرين بتهمة تدريس نظرية التطور لداروين، وتم حبسه فى قضية شهيرة، ثم أفرج عنه ـ المترجم.

خلص قاضى الحى آر ألان إدجار، أن الممارسة غير دستورية، وشبه أنشطة الفصل بما يجرى فى «فصول مدارس الأحد التابعة للكنيسة المسيحية فى مقاطعة رهيا»، وأكمل: «لا يمكن للحكومة من خلال نظامها فى المدارس العامة أن تعلم، أو تسمح بتعليم وجهة نظر دينية مميزة»، وخلص إلى أن ذلك البرنامج الدينى له «كل من الهدف والتأثير للتصديق على، والدعوة إلى الدين فى المدارس العامة».

كيف كان رد الفعل؟

اجتمع مجلس إدارة المدرسة، وشجعه ٣٠٠ شخص من الجمهور الغاضب، وصوت بالإجماع ضد القرار، وقال أحد أعضاء مجلس إدراة المدرسة «نريد أن نعلم أطفالنا أن الكتاب المقدس هو الحقيقة»، ودعا أحد المستمعين إلى محاكمة القاضى إدجار، بل أكد آخر «من يمنعه [الكتاب المقدس] يجب أن يشنق».

وهكذا يبدو بوضوح أن حماية التعديل الأول ليس بالمهمة السهلة. ويبدو أن لدينا قطاعًا واسعًا من السكان لايأبه للنجاح الذى حققناه فى تجربة المائتى سنة الماضية، ويراه عديم المعنى والجدوى. بل الأسوأ، قد يراه كحاجز يقف فى طريق أيديولوچيته الدينية التى تدعو إلى التحرك فى اتجاه الدولة الدينية. وفى مثل هذه الأجواء، تظل مهمة نقل جوهر القانون وحروفه إلى الأجيال التالية عملية تحد كبيرة.

وفى الحقيقة، فإن الاتجاه الحالى المكثف للالتفاف حول التعديل الأول، أو إبطاله، قد يتفوق فى المجهود والحماس على التزام بقية المجتمع بالدفاع عنه.

***

الفصل السابع

تسييس مفهوم العصمة

بقلم: هيرب سيلفرمان
ترجمة: تامر عبد الوهاب

أمارس حرب العصابات، وأطلى وجهى بالسواد وأرتحل فى الليل. لا تدرك أن الأمر قد انتهى إلا حين تُوضع فى حقيبة الجثث. لا تعرف إلا ليلة الانتخابات (٦٦٣).

رالف ريد

كان لكلمة «معاداة إنهاء الطابع المؤسسى (الرسمى) - Antidisestablismentarianism» مكانة بين هواة التبارى فى هجاء الكلمات على اعتبار أنها أطول كلمة فى اللغة الإنجليزية، لكن لم يكن ثمة من يعرف أو حتى يهتم بمعرفة ما تعنيه تلك الكلمة. ولو افترضنا أن الناس قد فكروا فى معناها بأى شكل من الأشكال، فمن المحتمل أنهم قد افترضوا بأنه مهما كان المعنى فقد مضى عليه وقت طويل بحيث انقضت أهميته.

ما الذى تعنيه تلك الكلمة إذن، ولماذا يهتم أحد بمعناها؟

فى القرن التاسع عشر، سعت الكنائس الحرة أو «غير المتمثلة - Nonconformist» أى كنائس الطوائف البروتستانتية غير الإنجليكانية - إلى إنهاء الطابع المؤسسى (الرسمى) لكنيسة انجلترا. وسُمى الذين فضلوا استمرار وجود كنيسة مؤسسة (رسمية) لانجلترا «المعادون لفكرة إنهاء الطابع المؤسسى (الرسمى) للكنيسة - Antidisestablismentarians» وتمكنوا من وضع حد لتمرد أولئك الذين سعوا إلى فصل الكنيسة عن الدولة فى انجلترا.

وعلى عكس ما تم فى انجلترا، نجد أن مستعمرات العالم الجديد - التى ستصبح لاحقًا الولايات المتحدة - لم تعلن فقط استقلالها عن انجلترا عام ١٧٧٦ ولكن بالتوازى حدث أمر أكثر راديكالية إذ أعلنت أن «الحكومات تؤسس من بين الرجال وتستمد سلطاتها العادلة من رضا المحكومين». وقد أكد الأمريكيون بذلك على حق الشعب فى تشكيل حكومته، وتحديداً حكومة ذات سلطات

محدودة، حيث رفضوا أن ينصب الأساقفة الملوك، ليحكم الملوك وفقًا لمبدأ «الحق الإلهى»، ومن ثم لم يكن لدى الولايات المتحدة كنيسة مؤسسة (رسمية) ابتداءً كى تسقط عنها الطابع الرسمى.

ولم تكن الحكومة الفيدرالية تحظر من حيث المبدأ أن تُقيم الولايات كنائس تابعة لها. فقبل إقرار دستور عام ١٧٨٧ تبنت غالبية الولايات شرط الولاء للمسيحية، إن لم يكن لطائفة مسيحية بعينها، كما أُحتُفظ بمزية الحق فى التصويت وفى شغل المناصب الحكومية لأعضاء المذهب «الصحيح». ثم جاءت الموافقة على إقرار المادة السادسة من الدستور بالإجماع، لتحظر اشتراط الاختبار الدينى لشغل المناصب الفيدرالية، فسرعان ما حذت كل الولايات تقريبًا حذو المبادرة الفيدرالية[٦٦٤].

لكن دائمًا ما تواجد فريق من الناس يذهبون بالخطأ إلى أن الآباء المؤسسين أرادوا إقامة أمة مسيحية، بل وحاول بعضهم تمهيد الطريق لتأسيس هذه الدولة بشكل رسمى. وعلى سبيل المثال، فقد تلقى الكونجرس عام ١٩٤١ تعديلاً للدستور بعنوان «أمة مسيحية»، ونص بشكل واضح على وجوب أن تخضع كل قوانين الولايات المتحدة إلى «كلمة الرب وابنه، يسوع المسيح»[٦٦٥]. ورغم الفشل فى تمرير الفكرة عام ١٩٤١م إلا أنها استمرت فى الظهور بانتظام فيما بعد.

ففى الستينيات، انتُخب چون اندرسون لعضوية الكونجرس على أرضية تأييده لهذا التعديل؛ وهو الموقف الذى تنكر له لاحقًا عند خوضه لانتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ مقدمًا نفسه كمعتدل[٦٦٦].

وفى وقتنا الحالى، يتخذ جل أعضاء اليمين الدينى من جعل الولايات المتحدة أمة مسيحية هدفًا رئيسيًا لهم. وقد يكون مفهومًا أن يأمل المرء فى أن يتفق الآخرين مع معتقداته، لكن قوى اليمين المسيحى تعمد إلى ما هو أكثر من مجرد الأمل بأن تتطلع لأن تضفى الطابع المسيحى على الدولة؛ إنهم يعتقدون بأن الرب قد ألزمهم بإنجاز ذلك الهدف وأن من واجبهم أن يطيعوا أمر الرب.

ففى فترة رئاسة چورچ بوش الأب، وخلال نظر المحكمة العليا لقضية الصلاة فى حفلات تخرج المدارس الإعدادية، والتى سُميت بقضية «لى ضد ويزمان» ١٩٩١، ذهب مساعد المدعى العام السابق تشارلز ج. كوپر إلى القول **«إن الدستور لم يمنع ولاية من اختيار دين رسمى لها طالما لا يتم إجبار أحد على ممارسة هذا الدين»**[٦٦٧]. لقد كان الغرض من هذه القضية واضحًا؛ فلم تكن إلا محاولة لإرساء سوابق تغير بصورة خطيرة من الوجه العلمانى للولايات، وبالتالى من وجه أمريكا ككل[٦٦٨]. فالادعاء بأنه ما من أحد مُجبر على اتباع دين رسمى ما هو إلا فكرة محفوفة بالخطر، وليس إلا مشهداً يحاول اليمين المسيحى تجميله لأولئك الذين قد لا يحبذون فرض دينهم على الآخرين، لكن يسعدهم أن يرتقى دينهم إلى هذه المرتبة الرسمية.

يحظى الأصوليون المسيحيون، على عكس ما يعتقد كثير من الأمريكيين، بنفوذ سياسى كبير، وليس من سبيل لمواجهة اليمين الدينى إلا من خلال فهم أهدافهم السياسية وإدراك الأساليب المتنوعة التى يقومون بتوظيفها لبلوغ هذه الأهداف. فلابد للأمريكيين من أن يكونوا على دراية ليس فقط بمنجزات اليمين المسيحى الشهيرة على المستوى الوطنى، وإنما أيضًا بانتصاراتهم السياسية الكثيرة على مستوى المحليات والتى تؤثر فى الولايات والمقاطعات والمدن ومجالس إدارات المدارس. وقد يتحمس المواطنون بصورة كافية لاتخاذ موقف إن هم أدركوا مدى خطورة المشكلة.

فمن السهل التقليل من شأن التدخل الدينى فى حياة الآخرين عندما لا يكون الناس على دراية إلا بالأمور التى تمسهم بصورة مباشرة. **وعلى سبيل المثال، قد يكون من الصعب أن يستوعب غالبية الناس الوضع فى ولاية مثل أوكلاهوما، التى لابد أن تتضمن الكتب المدرسية فى مادة الأحياء العامة نص مضاد لنظرية التطور، يقول «لم يشهد أحد نشأة الحياة الأولى على الأرض. لذلك يجب النظر لأى مقولة فى أصل الحياة باعتبارها نظرية»[٦٦٩]. لكن الواقع أن خروقات من هذا القبيل تنتشر فى أنحاء هذا الوطن وفى الولايات والمجتمعات المجاورة لأوكلاهوما.**

لا يمكننا إذن الاستمرار فى تجاهل قوى اليمين الدينى على أمل أنها يصيبها الإنهاك من تلقاء نفسها بالنهاية. فجزء من قوتهم السياسية راجع إلى غضبهم واستيائهم من عزوف المجتمع أو عدم قدرته على الاعتراف بأمانيهم وتلبيتها. وإن أقلية ضئيلة العدد، لكنها مؤثرة، تكون «شديدة الغضب ولن تصبر على ذلك كثيراً»، كما يوضح سكوت أپلباى، الأستاذ المساعد بقسم التاريخ فى جامعة نوتردام، فى كتابه «طلائع الرب ـ The God Squads»[٦٧٠] يقول أپلباى:

إن مسيحيى أمريكا الشمالية غاضبون مما يعتبرونه حرية النقد للكتاب المقدس فى المعاهد البروتستانتية الرئيسية والبيروقراطيات الطوائفية، وغاضبون من تجاهل أو عداء الإعلام للقيم اليهودية-المسيحية، وغاضبون من قرارات المحكمة العليا التى تحظر الصلاة فى المدارس العامة، وغاضبون من الثورة الاجتماعية التى قادتها الحركات النسوية الراديكالية[٦٧١].

فى الصفحات التالية، نقدم وصفًا للأساليب التى يستخدمها بعض القادة الأصوليين لاكتساب النفوذ السياسى، وللكيفية التى شوه بها اليمين الدينى صورة نظام المدارس العامة الأمريكى من الناحية السياسية ويعوقه. كما نستشرف إمكانية التوصل إلى توافق سياسى مع الأصولية الدينية من خلال تسليط الضوء على التوترات داخل اليمين الدينى. ولسوف أربط هذا العرض بنضالى الشخصى والسياسى ضد اليمين الدينى فى مسقط رأسى بولاية جنوب كارولينا. ثم اختتم الفصل بعرض للأهداف السياسية لليمين الدينى، وللكيفية التى يأملون من خلالها تحقيق هذه الأهداف، وأخيراً للكيفية التى يمكن من خلالها مواجهة أساليبهم بفاعلية.

أغان مختلفة ونغمة واحدة

لماذا يلجأ العديد من قادة الأصولية الدينية إلى تكوين منظمات نشطة سياسيًا؟ من هم هؤلاء القادة، وإلى أى مدى نجحوا فى مساعيهم؟ لنبدأ بجماعة «معيدو البناء ـ Reconstructionists» التى يذهب البعض للقول بأنها أكثر جماعات اليمين

المسيحى تعصبًا. يقول ويليام مارتن، فى كتابه «حين يكون الرب فى صفنا ـ With God on Our Side» إنهم يعتبرون أن «المسيحيين لديهم التزام بإعادة بناء . . . كل بنى الإنسان»، وإنهم «يتحدون فى أن الكتاب المقدس . . . يقدم مخططًا تامًا للشكل الذى يجب أن يتخذه عالم مُعاد بناؤه»[٦٧٢].

يُعرف معيدو البناء أيضًا باسم «المتسلطون ـ Dominionists» طبقًا للآية ٢٨ من الإصحاح الأول من سفر التكوين، «املئوا الأرض وأخضعوها. وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يتحرك على الأرض»[٦٧٣]. ولكونهم «وكلاء خطة الرب الجلية»، فهم يعملون على إقامة حكم إلهى أو «حكم الرب»، الذى لا يترك فرصة للتسامح مع وجهات النظر الأخرى[٦٧٤]. **فوفقًا لمارتن، «المثلية الجنسية، والزنا، والطعن فى الذات الإلهية، وترويج العقائد الخاطئة، وإصرار الأطفال غير المطيعين والمستعصين على الإصلاح على إتيان السلوك غير القويم، ستخضع جميعها فى ظل نظام الحكم الإلهى لعقوبة الإعدام، التى من المفضل تطبيقها بواسطة الرجم بالحجارة»**[٦٧٥]. وانطلاقًا من أن هذه المبادئ الأخلاقية هى انعكاس لإرادة رب سرمدى، فإن معيدى البناء يزعمون انطباقها على جميع الناس فى كل العصور. فالأب المؤسس لأيديولوچية إعادة البناء، آر. جيه راشدونى، يعتبر التعددية مجرد بدعة، حيث إنه «باسم التسامح»، يُطلب من المؤمن أن يضع نفسه على قدم المساواة بالملحد والضال والمجرم، وبأتباع الأديان الأخرى[٦٧٦].

إنه لمن غير المرجح أن تسيطر حركة «معيدو البناء» فجأة على السلطة السياسية، لأن أفكارها ـ ببساطة شديدة غاية ـ فى التطرف، لدرجة أن قادة اليمين الدينى كانوا حذرين من أن يقيموا أية علاقة بهذه الحركة المتطرفة. لكن من الواضح أن معيدى البناء كانوا مؤثرين، فقد أثنى قساوسة أصوليون، مثل چيرى فالويل ودى. چيمس كنيدى على كتب لمؤلفين من الحركة. وثمة رواية مؤكدة أن عضواً غير معروف من اليمين الدينى اعترف لكثيرين قائلاً: «رغم أننا نخفى كتبهم تحت السرير، إلا أننا نقرأها»[٦٦٧]. وبينما ينبذ معظم نشطاء اليمين الدينى الأهداف غير المستساغة لحركة إعادة البناء، فإنهم يؤكدون على نظريتهم

الأساسية بأن الكتاب المقدس يقدم مخططًا تنفيذيًا لكيفية تسيير الحكومة. وقد أفصح جاى جرمستيد، رئيس «تحالف الإحياء [الدينى] ـ Coalition on Revival» عما يدور بوجدان العديد من القادة المسيحيين المحافظين، عندما ذهب إلى أنه فى حين أنهم قد لا يكونوا مؤيدين تمامًا لحكم إلهى، فما زال لديهم الرغبة فى إعادة بناء أمريكا على أسس من الكتاب المقدس[٦٧٨].

لقد شهد عقد السبعينيات استنفاراً سياسيًا للمسيحيين المحافظين، الذين انشغلوا فى كثير من فترات التاريخ الأمريكى بإنقاذ الأرواح أكثر من انتخاب السياسيين، وربما يكون قرار المحكمة العليا عام ١٩٧٣ بشأن قضية الإجهاض «روى ضد واد» قد أطلق العنان لوقوع التحول. ففى عام ١٩٧٩ قام القس چيرى فالويل ـ وهو معمدانى جنوبى ناشط فى مجال الإيڤانجليكية التليفزيونية بإنشاء «الأغلبية الأخلاقية ـ Moral Majority» وقد تبنت هذه المنظمة المسيحية اليمينية رؤية مفادها أن الفضيلة الأمريكية ضاعت ولا بد من استعادتها. كما استحث فالويل المسيحيين على الالتزام بواجبهم الأخلاقى عبر تأييد الشخصيات السياسية من ذوى المعتقدات الدينية المحافظة والقيم الوطنية التقليدية.

ففى كتابه المعنون «اسمعى يا أمريكا ـ !Listen America» والذى ألفه لصياغة المغزى والهدف من إنشاء المنظمة الجديدة، وصف فالويل منظمة الأغلبية الأخلاقية بأنها مؤيدة للحياة وللأسرة وللأخلاق ولما هو أمريكى[٦٧٩]. واعتبر أن الإجهاض والإباحية والمثلية الجنسية والطلاق والعلمانية التنويرية، على وجه التحديد، هى الشرور الكبرى التى تهدد أمريكا. كما دعا المسيحيين إلى تعلم الكيفية التى تعمل بها الحكومة، بدءًا من مستوى الأحياء ووصولاً إلى مستوى الرئاسة، ثم الاتصال بالمسئولين العموميين. لكن كيف حدث هذا وفالويل نفسه زعم أنه كان يناضل ويقاوم ضد الانخراط فى السياسة، وأنه انتقد قساوسة آخرين كانوا قد شاركوا فى حركة الحقوق المدنية؟. يقول فالويل إنه غيَّر من رأيه بسبب:

أننى لم أكن أتصور أن الحكومة ستتعدى حدودها بهذا القدر، ولم أكن أتصور أن يصبح السياسيون غير موثوق بهم إلى هذه الدرجة، كما لم أكن أتصور أن

يجن جنون المحاكم لدرجة الجنوح إلى اليسار. لقد تخلفنا بسبب فشلنا فى الخروج إلى الساحة وخوض النضال(٦٨٠).

غالبًا ما تضمنت مشاركة فالويل السياسية عبر منظمة الأغلبية الأخلاقية كتابة رسائل حشد التمويل التى لا تخلو من التحريض والإثارة. ففى إحدى الرسائل، يذكر خبر السماح بدفن المثليين الذكور فى مقابر أرلنجتون، ثم يقترح متهكمًا تغيير اسم النصب التذكارى للجندى المجهول إلى «النصب التذكارى للوطى المجهول»(٦٨١). ومن الأساليب الأخرى المفضلة لديه أنه صمم استبيانًا ملىء بالتحريض وأرسله لمؤيديه للرد عليه وإرجاعه مع بعض التبرعات، ثم بعث بهذه الردود إلى الكونجرس. وقد تمثل النموذج الحرفى لأسئلته الملتوية فى السؤال القائل «هل توافق على حرق العلم الأمريكى فى التظاهرات الليبرالية والراديكالية المعادية لأمريكا؟»(٦٨٢) فمثل هذه الصياغة لا تميز بين الموافقة على تصرف ما والموافقة على الحق فى الاعتراض السياسى، وهذا هو حال الأسئلة الخاصة بإقامة دورات مياه مشتركة للجنسين، وببيع المجلات الإباحية للأطفال، وبحظر أى شكل من أشكال الصلاة فى المدارس.

رغم أن ثمة احتمالاً بأن منظمة الأغلبية الأخلاقية لم تكن تملك من القوة والنفوذ بقدر ما كانت تدعى غالبًا (حيث يذهب البعض إلى أن المنظمة لم تكن أخلاقية ولا تشكل أغلبية)، فقدت مهدت الطريق لظهور منظمات أخرى، حيث انفرط عقد المنظمة عام ١٩٨٩ وذلك بعد أن لعبت دور مهمًا فى تسييس المحافظين الدينيين. لكن السؤال هو ما الذى تعلمه قادة اليمين الدينى من أخطاء چيرى فالويل فى منظمة الأغلبية الأخلاقية؟ فى كتابه «مواجهات عن قرب مع اليمين الدينى ـ Close Encounters with Religious Right» يشير روب بوسطون إلى أن فالويل بدا وكأنه يعتقد أن باستطاعته تغيير أمريكا فوقيًا، وظن أنه سيأتيه كل ما أراد وهو جالس مكانه بعد أن ساعد فى انتخاب رونالد ريجان لمنصب الرئاسة(٦٨٣). لكن الأمر تغير الآن، فمعظم قادة اليمين الدينى يرون أن الطريق لإحداث تغيير حقيقى يبدأ من القاع وصولاً إلى القمة، لذلك فإنهم يركزون على الانخراط فى اللعبة السياسية على مستوى المحليات بنفس قدر تركيزهم على

المنافسات الانتخابية فى الولايات وعلى المستوى الفيدرالى .

فى ضوء ذلك، لا يمكن بأى شكل من الأشكال الزعم بأن منظمة «أدخل فى التحالف المسيحى ـ Enter the Christian Coalition» التى أقيمت عام ١٩٨٩ بزعامة پات روبرتسون هى نسخة أخرى من منظمة الأغلبية الأخلاقية، بل حظى التحالف المسيحى بتمويل جيد وبحرَفية إعلامية لم يتوفرا للأغلبية الأخلاقية. وكما أشار ستيفين ل. كارتر، فى كتابه «اسم الرب بلا جدوى ـ God's Name in Vain» منذ نشأته :

كان التحالف المسيحى قوة فى الحزب الجمهورى. فأعضاؤه من الكنائس، وقدرته على شن حملات المراسلات والتصويت، وهدفه المعلن بشأن تدريب ١٠ نشطاء سياسيين فى كل دائرة انتخابية مهما كان حجمها ـ بإجمالى ١,٧٥ مليون ناشط ـ جعلت العديد من المرشحين المحافظين ينظرون إليه باعتباره مصدراً مرغوبًا لتجديد الطاقات وأنه يمثل جندهم بالميدان . . . وجماعة لا يتمنى أحد أن يعاديهم[٦٨٤] .

ويذهب روب بوسطون، مساعد مدير العلاقات العامة بمنظمة «الأمريكيون المتحدون من أجل الفصل بين الكنيسة والدولة ـ Americans United for the Separation of Church and State» إلى أن :

يكرس التحالف المسيحى معظم أمواله وجهوده للعملية السياسية على مستوى المحليات والولايات. فهو يسعى للسيطرة على الحزب الجمهورى انطلاقًا من القاعدة ووصولاً إلى القمة، وقد حقق نجاحات فائقة فى بعض المقاطعات والولايات. لذلك فإنه يشكل صداعًا مزمنًا برأس الأعضاء المعتدلين بالحزب الجمهورى الذين يناضلون من أجل أن يستعيد الحزب مكانته المحورية[٦٨٥] .

لكن رؤى پات روبرتسون ليست إلا رؤى مغرقة فى المركزية. فقد تنبأ، وهو أحد المرشحين لانتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٨ قائلاً :

عندما تحكم الأغلبية المسيحية هذا البلد، فلن يكون هناك كنائس شيطانية، ولا توزيع حر للمجلات الإباحية، ولا ثمة حرية فى طلب الإجهاض، ولا مزيد من

الأحاديث حول حقوق المثليين. وبعد أن تسيطر الأغلبية المسيحية، فسوف يُنظر إلى التعددية باعتبارها أمر غير أخلاقي وشرير، ولن تسمح الدولة لأى من كان بممارستها[٦٨٦].

صحيح أن روبرتسون خسر ترشيح الحزب الجمهورى لانتخابات الرئاسة أمام چورچ بوش، لكنه كان ضيف شرف فى مراسم تدشين ولاية بوش. وفى الليلة الأخيرة من المراسم، تلقى روبرتسون جائزة «رجل العام» من منظمة سياسية بأحد المعاهد المحافظة، تُدعى «طلاب من أجل أمريكا ـ Students for America». وتلاقت خطط وتوجهات روبرتسون مع نظيراتها لدى مؤسس ورئيس المنظمة الشاب رالف ريد، وكان اللقاء مثمراً لكلا الرجلين. فمن فرط إعجاب روبرتسون بفطنة رالف السياسية وقناعاته الدينية ودرجة تمكنه التى لا تتوفر عادة لشاب فى الثامنة والعشرين من عمره، قرر تعيينه المدير التنفيذى للتحالف المسيحى.

نجح الشاب ذو المنظر الجذاب فى خلق انطباع عام عن التحالف المسيحى مغاير لذلك الذى كان قد رسمه روبرتسون، بحيث أصبحت صورة التحالف أكثر طيبة وأكثر لياقة وأقل تهديداً. فقد كان ريد ضيفًا دائمًا فى البرامج الحوارية بالتليفزيون، واستطاع التوكيد على أنه كان من الأهمية للمحافظين الدينيين أن ينخرطوا فى العملية الانتخابية دون أن يلجأ إلى استعمال خطاب «الأمة المسيحية» المثير للفتنة الذى اعتاد روبرتسون توظيفه[٦٨٧]. وفى عام ١٩٩٠ نجح التحالف المسيحى، بتوجيه من ريد، فى توزيع ٧٥٠ ألف نسخة من «دليل الناخبين» قبل يوم واحد من الانتخابات بولاية نورث كارولينا، الأمر الذى أكسب ريد بعض المصداقية فى إعادة انتخاب چيسى هيلمز لمجلس الشيوخ. وفى عام ١٩٩١ أمطر جنود التحالف المسيحى أبرز أعضاء مجلس الشيوخ بالمكالمات الهاتفية خلال جلسة الاستماع التى عقدت لبحث ترشيح كلارنس توماس للمحكمة العليا[٦٨٨]. **وقد اكتشف رالف ريد البراجماتى [النفعى] ، وربما بمشاعر متضاربة أيضًا، إلى أى مدى هيمن المسيحيون المحافظون على المؤتمر السنوى للحزب الجمهورى عام ١٩٩٢عندما صاح نائب رئيس الحزب دان كوايل فى الحضور الغفير متسائلاً «بمن تثقون؟»، فتوقع اسم ريد الرد «چورچ بوش»، لكن الجماهير صاحت: «يسوع!»[٦٨٩].**

كان كوايل قد تحدث عام ١٩٩٤ فى المنتدى الذى استضافه دى. چيمس كنيدى التليفزيونى الإيڤانجليكى - (التليڤانجليكى)، والذى تلا فيه المشاركون قسمًا بالولاء - غير ذلك المعروف لدى معظم الأمريكيين. فقد كان نص القسم كالآتى: **«أتعهد بالولاء للعَلَم المسيحى وللمنقذ، الذى يتصب لمملكته. منقذ واحد، صُلب ويرُفع وآت ثانيةً بالحياة والحرية لكل المؤمنين»**(٦٩٠).

وبعد سلسلة من النجاحات، تورط ريد فى إحدى كوارثه على صعيد العلاقات العامة عندما شرح الأساليب التى استخدمها لتحقيق النصر السياسى بالقول: «أمارس حرب العصابات، وأطلى وجهى بالسواد وأرتحل فى الليل. لا تدرك أن الأمر قد انتهى إلا حين تُوضع فى حقيبة الجثث. لا تعرف إلا ليلة الانتخابات»(٦٩١). لقد عبرت هذه الفقرة بوضوح عن فلسفة ريد. ففى حملة عام ١٩٩٢ أخبر التحالف المسيحى بمونتانا أن يستمعوا إلى نصيحة الفيلسوف الصينى صن تسو القائلة بأن «الاستراتيچية الأولى، والأكثر أهمية من نواح عدة، هى السرية . . . فنحن فى حرب. وسلاح هذه الحرب ليس الطلقات النارية، وإنما الاقتراع فى الانتخابات»(٦٩٢).

إن كثرة استخدام العديد من قادة التحالف المسيحى للتعبيرات العسكرية، جعلت من السهل على الصحفيين والنقاد وصف المنظمة بأنها محاربة. وقد كتب ريد عام ١٩٩٢ - أى بعد فترة قصيرة من انتخاب بيل كلينتون للرئاسة - مذكرة ينصح فيها قادة اليمين الدينى باستخدام تعبيرات من المجال الرياضى بدلاً من التعبيرات العسكرية(٦٩٣). لكن لم يكن ثمة مؤشر على عزم التحالف المسيحى التخلى عن أساليب التسلل الخفى، ذلك أن قوى اليمين الدينى كانت تدرك أن رؤاهم المتطرفة فيما يخص قضايا الإجهاض وتحديد النسل والتعليم العام لا تمثل الرؤى الغالبة فى المجتمع، خاصة بعد فشل المعتقدات التى خلقت لهم قاعدة جماهيرية فى قيادتهم للفوز بالانتخابات فى المجتمعات المعتدلة. وقد قدم انطونيو ريڤرا، المستشار السياسى للتحالف المسيحى بنيويورك، وصفًا لاستراتيجية التسلل الخفى عام ١٩٩٢ قال فيه: **«احتفظ برؤاك الشخصية لنفسك حتى يكون المجتمع المسيحى مستعداً لأن يهب من ثباته، ولك أن تتخيل ما يحدث بعد ذلك! سنقضى عليهم»**(٦٩٤).

ففى عام ١٩٩٥ وقع التحالف المسيحى و«منظمة الأسرة الأمريكية ـ American Family» التى تُعد المنبر الرسمى العام للتحالف، عقداً سُمى بعقد «القيم الأسرية ـ Family Values» رحب به بوب دول مرشح انتخابات رئاسة الحزب الجمهورى فى ذلك الوقت، أثناء لقائه مع ريد. وقد امتلأ العقد بمقترحات للتدخل الدينى، منها «تعديل مبدأ المساواة الدينية ـ Religious Equality Amendment» الذى نص على أنه:

لا يجوز تفسير أى جزء من هذا الدستور لمنع مواطنى الولايات المتحدة من ممارسة الدين فى الأماكن العامة، أو لمنع الولايات من تسهيل ممارسة المواطنين الدين[٦٩٥].

ورغم أن السماح للولايات بتسهيل ممارسة الدين قد ينخر بعمق فى الجدار المقام بين الكنيسة والدولة، إلا أن العقد تعرض للانتقاد بسبب ترويجه لبعض المبادئ العلمانية، التى بدت ببساطة ذات طبيعة محافظة أكثر منها مسيحية. وقد دافع ريد عن الأهداف الخاصة بخفض معدل الضرائب وتقليل عجز الموازنة الفيدرالية مكتفيًا بالقول إن المحافظين الدينيين الذين على علاقة بالتحالف المسيحى يهتمون بمثل هذه الأمور[٦٩٦]. **كما لم يُخف روبرتسون هدفه الخاص بهيمنة التحالف المسيحى على الحزب الجمهورى. فعندما أبلغ بأن التحالف نجح فى حصد الأصوات فى انتخابات الحزب لعام ١٩٩٥ فيما يقارب نصف الولايات وأن لديه حضوراً قويًا فى كثير من الولايات الأخرى، قال روبرتسون مشجعًا إن هناك المزيد الذى يجب إنجازه، وقال «أريد ١٠٠٪»[٦٩٧].**

لكن الأسئلة تواترت منذ نشأة التحالف المسيحى حول ما إذا كان نشاطه السياسى الواضح يتعارض مع وضعيته كجمعية خيرية معفاة من الضرائب. فقد عارض روب بوسطون استحقاق التحالف للإعفاء الضريبى مشيراً إلى أن التحالف كان يمثل «بصورة أساسية لجنة عمل سياسى لليمين المتطرف، كرست نفسها لانتخاب الأعضاء الجمهوريين الأشد تحفظًا فى المناصب العامة»[٦٩٨].

وفى مقابلة استراتيجية، حيث عرض روبرتسون خطط التحالف لانتخاب

الأعضاء الجمهوريين، أدرك أن تعليقاته لم تكن كلها فوق الشبهات. وقد حاول السخرية من الموقف بالقول «إذا كان ثمة صحافة هنا، فهلا تفضلتم بإطلاق النار على أنفسكم؟»[٦٩٩] . لكن منظمة الأمريكيين المتحدين حصلت على نسخة مسجلة لتعليقاته وقدمتها إلى مصلحة الضرائب، وبعد فترة وجيزة، في يونيه ١٩٩٩ تحديداً، قررت المصلحة بالفعل إسقاط ميزة الإعفاء الضريبي عن التحالف المسيحي. إلا أنه في الثاني من يونيه وحسبما يذكر بوسطون «بعث ستة من النواب الجمهوريين اليمينيين بمجلس الشيوخ برسالة إلى المدعى العام چانت رينو، وطالبوها بعمل تحقيق جنائي مع منظمة الأمريكيين المتحدين بزعم محاولتها تخويف الناخبين المتدينين»[٧٠٠] .

صحيح أن التحالف المسيحي بدأ يفقد بعضًا من نفوذه مؤخراً، خاصة بعد استقالة المدير التنفيذي رالف ريد عام ١٩٧٧ لكن المنظمة ما تزال نشطة. فقد نقل التحالف مقره الرئيسي من ولاية ڤيرچينيا إلى العاصمة واشنطن كجزء من استراتيچيته. **وفي عام ٢٠٠٠م ادعى روبرتسون بأن التحالف قام بتوزيع ٧٠ مليون نسخة من دليل الناخبين أثناء الانتخابات العامة[٧٠١]. وفي الخامس من يوليه عام ٢٠٠٠م أوردت صحيفة شارلستون جازيت خبر انضمام پات روبرتسون إلى چيرى فالويل الذى قاد حملة جمع خلالها ١٨,٦ مليون دولار لحشد أصوات ٣٥ مليونًا من المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس لانتخاب چورچ دبليو بوش رئيسًا[٧٠٢]** .

وقد أثر كلٌّ من فالويل وروبرتسون في أعداد كبيرة من الأمريكيين عبر تواجدهم المكثف بوسائل الإعلام، لكنهما ظهرا بشكل مثير للسخرية حين قدما تصريحات فجة لاستمالة المسيحيين المحافظين. فقد استاءت الجماعات اليهودية عندما أخبر فالويل مجموعة من القساوسة في كينجسپورت بتاريخ ١٤ يناير عام ١٩٩٩ بولاية تينيسي بأن المسيح الدجال يهودي وأن ثمة احتمالاً لوجوده في وقتنا الحالي[٧٠٣]. وقد قال فالويل ما نصه « هل هو حي وموجود اليوم؟ ربما، لأنه حين يظهر وقت «الضيقة العظمى _ Tribulation» سيكون نسخة مكتملة ولكن مزيفة من المسيح. سيكون يهوديًا بالطبع. كما أنه من المعلوم أنه سيتظاهر بأنه المسيح»[٧٠٤] .

لكن مهما كانت الأرضية اللاهوتية لهذه الآراء لدى فالويل وغيره من قوى اليمين الدينى، فإن مثل هذه التصريحات تشكل عقبة فى الحصول على الدعم السياسى من جمهور أكثر ميلاً للرؤى المعتدلة السائدة. فبعد يومين من هجمات الحادى عشر من سبتمبر على مركز التجارة العالمى بنيويورك، قام روبرتسون باستضافة فالويل فى برنامجه التلفزيونى «نادى السبعمائة» فقال ضمن الحديث:

لقد سمحنا للعلمانية المنحرفة والمتسترة، إلخ. ، بأن تبث عبر التليفزيون. وسمحنا فى مكان ما بجوارنا فى أحياءنا وفى مجتمعنا أن يُذبح ما بين ٣٥ إلى ٤٠ مليون جنين. ولدينا محاكم وضعت إصبعها فى عين الرب وقالت له سوف أشرع فى طردك من المدارس. وسوف ننتزع وصاياك من قاعات المحاكم فى مختلف الولايات. ولن ندع الأطفال الصغار يقرأون وصايا الرب. ولن نسمح بقراءة الكتاب المقدس، ولن تكون هناك صلاة بالمدارس. لقد أسأنا إلى الرب فى أعلى مستويات الحكومة. ثم نتساءل «لماذا يحدث لنا ما يحدث؟» إنه يحدث لأن الرب الجبار حجب عنا حمايته[٧٠٥].

لقد أساء هذا التعليق لسمعة روبرتسون حتى بين المسيحيين المحافظين، فقد لاحظ الناس - ببساطة - كيف أن هذه الكلمات كان من الممكن أن تأتى من أسامة بن لادن.

وعلى الجانب الآخر فإن پات روبرتسون ليس لديه مانع من خلط اللاهوت بالأرصاد الجوية لإمتاع المشاهدين، ففى إحدى حلقات البرنامج عام ١٩٨٥ طلب روبرتسون من إعصار جلوريا أن يتحول، باسم المسيح، عن شاطئ ڤيرچينيا ويتوجه إلى الشمال الشرقى. وقد تحول الإعصار بالفعل عن ڤيرچينيا ليضرب لونج أيلاند. فما كان من روبرتسون إلا أن أعلن وبكل فخر، أثناء خوضه معركة الرئاسة عام ١٩٩٥ أن هذا الحدث له أهمية قصوى فى خططه السياسية، **«حيث شعرت بأننى لو لم أقدر على تحويل إعصار، فإننى لن أستطيع تحويل أمة»**[٧٠٦].

هناك أيضًا أصولى آخر ليس بشهرة فالويل أو روبرتسون، لكنه أكثر كياسة منهما إلى حد كبير، هو چيمس دوبسون، مؤسس منظمة «التركيز على

الأسرة». ورغم أنه إذاعي متخصص في الصحة النفسية، إلا أن برنامجه يحدث نشاطًا سياسيًا ملحوظًا. وكما يلاحظ بوسطون، فإن «آراء دوبسون على نفس الدرجة من التطرف، لكنه يقدمها داخل حزمة من الأفكار المحببة للأسرة والتي لا تثير التوجس»[٧٠٧]. فبينما يحوز كلٌّ من روبرتسون وفالويل على تقييمات سلبية كبيرة في استطلاعات الرأي العام، يرى المشاركون بالاستطلاعات في دوبسون عمًا عطوفًا رقيقًا متسامحًا.

ففي عام ١٩٩٩م، أذيع البرنامج الإذاعي «التركيز على الأسرة» ١٨ ألف مرة في الأسبوع بأكثر من ٤٠٠٠ آلاف محطة إذاعية، وقُدر عدد متابعيه بنحو ٥ ملايين مستمع[٧٠٨]. من الواضح أن دوبسون هو النسخة الإذاعية من پات روبرتسون. **أضف إلى ذلك أن إجمالي حجم مبيعات كتب دوبسون الأربعة عشر تجاوز ١٦ مليون نسخة**، كما أن لمنظمته عشر إصدارات مختلفة ما بين مجلات ونشرات. **والأهم من ذلك أن دوبسون يعرف تمامًا كيف يستخدم نفوذه، حيث يهدد بالخروج من الحزب الجمهوري لو أن قادة الحزب رفضوا تلبية مطالبه.**

وكان دوبسون قد وزع رسالة في الثالث من أبريل عام ١٩٩٨ على مؤيديه رأى فيها أنه حان الوقت كي يحسم الجمهوريون أمرهم، مخيرًا إياهم بين «الصيد أو منع الطعم»، وأضاف:

لا بد لهم أن يفهموا أننا سنتخلى عنهم إذا استمروا في تجاهل القضايا الأكثر أهمية. ولابد أن يكون التهديد حقيقيًا حتى نتكامل، وإنني ملتزم أن أفي بوعدي بشن حملة ضدهم إذا لم يتغير الوضع. لكنني أتضرع إلى الرب ألا نضطر إلى ذلك[٧٠٩].

فما كان من كبار قادة الحزب الجمهوري إلا أن قرروا في شهر مايو إقامة «فريق لحفظ القيم ـ Values Action Team» يرفع تقريرًا أسبوعيًا لدوبسون وقادة اليمين الديني الآخرين[٧١٠].

«مجلس بحوث الأسرة ـ Family Researc Council» الذي أسسه جاري بوير

عام ١٩٨٣هو الجناح السياسى لمنظمة التركيز على الأسرة. وقد درس البروفيسور چون إم. سووملى دور مجلس بحوث الأسرة، ونوه للخطر الذى يشكله، حيث أفاد بأن هذه الهيئة «كانت قد أقيمت بغرض إبقاء دوبسون بعيداً بعض الشيء عن الانخراط المباشر بالسياسة»، وبالتالى الحفاظ على وضعية الإعفاء الضريبى التى تتمتع بها منظمة التركيز على الأسرة[٧١١]. ومجلس بحوث الأسرة هو جماعة تتخذ من واشنطن مقراً له، أما منظمة التركيز على الأسرة فلها مكاتب فى بعض عواصم الولايات حيث يمكن لها أن تركز على التنظيم القاعدى. وقد حاول جارى باور عام ٢٠٠٠م، أن يكون مرشح الحزب الجمهورى لانتخابات الرئاسة، لكنه فشل مثلما فشل من قبله پات روبرتسون عام ١٩٨٨.

لكن أى نوع من المرشحين يحظى بالدعم الواضح من دوبسون الذى يترأس منظمة «غير سياسية»؟. إن أحد هؤلاء هو راندال تيرى المعروف بمعاداته لحق الإجهاض. فعندما سعى تيرى للفوز بترشيح الحزب الجمهورى لأحد مقاعد الكونجرس عن نيويورك عام ١٩٨٨م، أيد دوبسون مطلبه قائلاً؛ «أتمنى أن لو كان لدينا عشرة أعضاء مثله فى الكونجرس»[٧١٢] وتيرى هذا من أشد المعادين للإجهاض، حيث قال عن قضاة المحكمة العليا المؤيدين للحق فى الإجهاض إنهم «أعداء المسيح»، كما شبههم بهتلر وستالين. وكما أُشير فى فصل سابق، فقد قال تيرى فى إحدى جلسات تدريب الراغبين فى التضييق على موظفى عيادات الإجهاض وتهديدهم وتخويفهم؛ **«إن عدم التسامح شىء جميل. إننا سنحول حياة [المشتغلين بالإجهاض] إلى جحيم»**[٧١٣].

دوبسون نفسه غير معروف عنه التسامح، حتى أنه كان قد هاجم جمعيات الكشافة النسائية لترويجهن «الأنسنة والنسوية الراديكالية». وللرد على تساؤل ما الذى فعلنه واستوجب غضبه، نذكر أنه فى المؤتمر السنوى لمنظمة الكشافة النسائية عام ١٩٩٤ واحتراماً للتنوع داخل المنظمة، صوتت الوفود بأغلبية كاسحة مع قرار جعل الإشارة إلى الرب فى يمين الكشافة أمراً اختيارياً. لاحظ أن جمعيات الكشافة النسائية لم تُسقط القسم بالرب؛ بل أرادوا ببساطة إزالة أى عائق أمام انضمام فتيات من شتى الخلفيات[٧١٤].

لقد ركزنا بشكل حصرى حتى الآن على اليمين الدينى البروتستانتى، الذى يقترن فى الغالب بالكنائس الإيفانجليكية للبيض، مثل مجمعات الرب ومؤتمر المعمدانية الجنوبية **فكثير من هذه الجماعات تعتبر أن الروم الكاثوليك لا يتبعون المسيحية الحقة، لذا فللكاثوليك العذر فى أن يحجموا عن التحالف مع البروتستانت المنتمين إلى اليمين الدينى.**

وفى الحقيقة فقد كان البروتستانت والكاثوليك عدوان لدودان لفترات طويلة، ففى القرن التاسع عشر عارض كثير من الكاثوليك قراءة الكتاب المقدس فى المدارس العامة، أو قراءة فقرات محددة منه على الأقل، ، حيث كان الكاثوليك يرفضون النسخة البروتستانتية لـ «صلوات الرب ـ Lord's Prayer » والتى تختلف عن نظيرتها الكاثوليكية المعروفة باسم «أبانا ـ Our father» **وقد عوقب طفل فى الحادية عشرة من عمره لأبوين كاثوليكيين بالضرب عام ١٨٥٩ فى بوسطون لرفضه قراءة الوصايا العشر من نسخة الملك چيمس للكتاب المقدس. كان الطفل يعلم أن الكتاب المقدس الكاثوليكى المعروف باسم دواى «Catolic Douay Bible» يحتوى على نسخة مختلفة لهذه الوصايا. وأقيمت دعوى قضائية ضد المدرس، لكن القاضى قرر إسقاط كل التهم[٧١٥]. وكانت قد اندلعت عام ١٨٤٣ أحداث شغب بمدينة فلاديفيا واستمرت لمدة ثلاثة أيام، بعد أن قرر مجلس التعليم بالمدينة السماح للأطفال الكاثوليك أن يختاروا بين الإعفاء من الواجبات الدينية الإلزامية أو استخدام نسختهم من الكتاب المقدس. وكرد فعل على القرار، قام البروتستانت الثائرون بحرق كنائس وبعض بيوت الكاثوليك، مما أدى إلى مقتل ثلاثة عشر شخصاً[٧١٦].**

وقد قادت هذه الأحداث فى النهاية الكاثوليك إلى إقامة مدارسهم الخاصة لتجنب القهر الدينى لطغيان الأغلبية البروتستانتية. فمن بواعث السخرية إذاً أن نرى بعض الكاثوليك المحافظين ينضمون إلى الحركة المعاصرة لتعديل مواد القانون الخاص بالصلاة فى المدارس، الأمر الذى قد يقلق جماعات أخرى تماماً مثل ما شعروا هم ذات يوم من قبل.

لكن ليس السماح بالصلاة فى المدارس العامة هو الأمر الأكثر أهمية الذى يتفق عليه المحافظون من الكاثوليك والبروتستانت، بل تتلاحم مشاعرهم حول

معارضة الإجهاض. فبدافع من هذه المعارضة، قام الأساقفة الكاثوليك عام ١٩٧٥ بتنظيم حملة طموحة لجنى مقاعد بالقضاء والكونجرس ومجالس الولايات والوزارات، شاركت بها ٢٠ منظمة كاثوليكية، حسبما يشير الكاتب الكاثوليكى تيموثى ايه. بيرنس.

كان جل تركيز الحملة الكاثوليكية منصبًا على جنى مقاعد بالمحكمة العليا للفوز بقضية «روى ضد واد» فقد صرحوا فى خطتهم بأنه **«يجب بذل الجهود من أجل تغيير الحكم، ومنع المحاكم الأدنى من تفسير وتطبيق قرارات المحكمة العليا، بطريقة مطلقة وأكثر تشددًا من المحكمة العليا»**[٧١٧]. وقد اكتسبت الحملة زخمًا خلال إدارتى ريجان وبوش، حتى أنه حتى أواخر عام١٩٨٩ـ وبعد انقضاء ٦ سنوات من عمر إدارة كلينتون ـ كان أكثر من ٧٠ ٪ من القضاة الفيدراليين و ٤ قضاة بالمحكمة العليا على الأقل ضد قرار الحق فى الإجهاض[٧١٨].

لقد تعلم المحافظون الكاثوليك توظيف الإعلام بطريقة مؤثرة، مثلما تعلم المحافظون البروتستانت ذلك. وتُعتبر «الرابطة الكاثوليكية للحقوق الدينية والمدنيةـ The Catholic League for Religious and Civil Rigts» واحدة من أكثر المنظمات التزامًا بأفكار اليمين الدينى، رغم الانطباع المعاكس الذى يتركه اسمها. فهدفها الرئيسى هو حماية الكنيسة الكاثوليكية، والڤاتيكان، والبابا، من أى «نشاط أو لغة أو خطاب أو مطبوعة أو مادة إعلامية» قد تعتبرها الرابطة مسيئة[٧١٩]. كما عبر زعيم الرابطة، ويليام دونوهو عن معارضته لحرية التعبير والصحافة، ولحقوق المرأة والمثليين، وللأفعال المؤيدة لذلك[٧٢٠]. كما تزعم الرابطة أنها تحظى بـ «تأييد كل الكرادلة الأمريكيين وكثير من الأساقفة»[٧٢١].

وتبرر القاعدة ١٣٦٩ من ميثاق القانون الكنسى شرعية وجود الرابطة الكاثوليكية، حيث تنص:

يُعاقب بجزاء عادل أى شخص يقوم، فى مناسبة أو تجمع عام، أو فى مادة كتابية منشورة، أو فى خلاف ذلك من وسائل الاتصال الاجتماعى، بالخوض فى

الذات الإلهية ، أو الإضرار المتعمد بالأخلاق العامة، أو التعدى بلفظ جارح على الدين أو الكنيسة ، و باستثارة البغضاء ضدهما ، أو بازدراءهما [٧٢٢] .

كما كشف دونهو عن سر نجاح الرابطة الكاثوليكية فى عدد ديسمبر ١٩٩٥ من صحيفة «كاتالست ـ Catalyst» التى تصدرها الرابطة ، حيث كتب ما نصه :

نحن نجيد التسبب فى الحرج الاجتماعى للشخصيات العامة التى نغضب عليها، وهو ما يفسر قدرتنا على الفوز فى كثير من المعارك، فلا يوجد شخص أو منظمة تريد أن يتم إحراجها على الملأ، وهذا هو السبب فى أننا نتخصص فى عمل ذلك تحديداً[٧٢٣] .

لقد هاجمت الرابطة الكاثوليكية كثيراً من البرامج الإخبارية والصحف ومصادر الإعلام الأخرى إذا وجهت أقل نقد للبابا أو الكنيسة الكاثوليكية ، واستطاعت إلغاء عمود الكاتبة آن لاندرز من إحدى الصحف ، كما ألغت العديد من الإعلانات من المحطات التليفزيونية . فقد أقيمت الرابطة الكاثوليكية ، كما يعبر عن ذلك روب بوسطون ، **«بغرض أساسى هو الصراخ وتهديد أى شخص فى أى وقت إذا تجرأ على نقد الأهداف السياسية للكنيسة الكاثوليكية»[٧٢٤] .**

والواقع أن معظم جماعات اليمين الدينى تلجأ لأسلوب الشكوى من «التعصب ضد المسيحية» وإدانته إذا ما واجهها أى نقد لأهدافها . وقد لعب هذا التكتيك دوراً مؤثراً فى تفعيل وتنشيط قواعدهم الجماهيرية ، سواء أكانوا مقتنعون بصحة هذه التهم أم لا . لذلك يمكن النظر له باعتباره أحد الأسباب التى تفسر زيادة نسبة الحضور فى الكنائس البروتستانتية الإيفانجليكية ، وانخفاضها فى الكنائس البروتستانتية الأخرى عبر الولايات المتحدة . وإن توحيد جهود الإيفانجليكيين والكاثوليك حول قضايا مثل الإجهاض لا يعنى إلا أن اليمين الدينى قد أصبح أقوى سياسيًا من توجه آخر مثل اليسار الدينى[٧٢٥](*) .

« إنقاذ » المدارس العامة

متى ولماذا إذًا أصبح التعليم العام هو الموضوع الأثير لدى اليمين الدينى؟

(*) يقصد باليسار الدينى الكنائس التقدمية التى تتبنى رؤى المساواة والعدل الاجتماعى بالمفاهيم ـ المترجم.

يمكن التأريخ لتركيز اليمين الديني على التعليم العام بعقد الستينيات، حيث قررت المحكمة العليا عدم السماح بتدريس الكتاب المقدس بالمدارس العامة، وألزمت بمراعاة التكامل العرقي بهذه المدارس. ولم يكن لدى المحافظين البروتستانت نظامًا للمدارس الدينية التابعة مثل الكاثوليك، وبالتالي بدأ تأسيس المدارس الخاصة في الجنوب لتجنب الاشتراطات التي قررتها المحكمة بخصوص المدارس العامة في المقام الأول. لكن يجب ملاحظة أنه في الوقت الذي كانت قوى اليمين الديني تطالب بإقرار الصلاة بالمدارس العامة، فقد كانوا أيضًا يريدون إلغاء الكثير من مقومات التعليم وموضوعات المناهج في هذه المدارس، منها التثقيف الجنسي، التثقيف بشأن المخدرات، ونظرية التطور، وما يسمونه بـ «الكتب الإباحية».

ففي كتاب «الإرهاب المقدس: الحرب الأصولية على الحريات الأمريكية في الدين والسياسة وحياتنا الخاصة ـ Holy Terror: The Fundamentalist War on America's Freedoms in Religion, Politics and Our Private Lives» يذهب كلٌّ من كونواى وسيجلمان إلى أن «الكثير من الآباء رأوا في المدارس الأصولية وسيلة لحماية أطفالهم من التغيرات غير المسبوقة في الواقع، بقدر ما كانوا يحاولون أيضًا حماية أنفسهم منها»(٧٢٦). ويرجع المؤلفان أن قوى اليمين الديني تعتقد أن «حرية الأفكار هي أشد الأمور خطرًا في المدارس العامة، وبخاصة الأفكار التي تتعارض مع تفسيرهم الجامد للكتاب المقدس»(٧٢٧).

يذكرني ذلك بأحد أكثر التعليقات سخافةً أثناء حرب ڤيتنام. ففي تحقيق أجراه بيتر أرنت من وكالة أسوشيتد پرس حول هجوم تيت عام ١٩٦٨ نقل أرنت عن رائد أمريكي لم يذكر اسمه قوله **«لقد أصبح من الضروري تدمير القرية حتى يمكن إنقاذها»** (٧٢٨). فعقيدة «لا شيء أسوأ من المدارس العامة»، التي يدين بها كثير من أنصار اليمين الديني، هي الوجه الآخر لعقيدة «لا شيء أسوأ من الشيوعية». وقد أكد چيري فالويل بأنه كان **«يتطلع إلى اليوم الذي تُدار فيه جميع المدارس بواسطة الكنائس»**(٧٢٩).

لقد هاجم هوارد فيليبس، أثناء حملته فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٩٢، والتى كان مرشحًا فيها عن حزب الدستور، فكرة التعليم العام لأنه يجعل «الحكومة تروج بشكل حتمى لأفكار معادية للمسيحية حول طبيعة الرب والانسان»(٧٣٠). كما أوضح الكاتب جارى نورث، المنتمى إلى جماعة «معيدو البناء»، أهمية تدمير نظام المدارس العامة بالقول **«لن يكون ثمة احتمال لتأسيس جمهورية دينية مالم يسحب الغالبية العظمى من المسيحين أولادهم من المدارس العامة»** (٧٣١).

يود اليمين الدينى «إنقاذ» مدارسنا (العكس هو الصحيح) بمنح سندات بالمصروفات الدراسية إلى الآباء الذين يرغبون فى التقديم لأبنائهم بمدارس خاصة. ولأن الغالبية العظمى من المدارس الخاصة هى مدارس دينية، فإن نظام السندات هذا سيعزز بصورة رئيسية من خضوع المدارس لإدارة الكنائس. ويذهب مؤيدو نظام السندات إلى أن المدارس العامة ستصبح أكثر كفاءةً وتلبيةً لاحتياجات الأطفال لو أنهم اضطروا إلى منافسة المدارس الخاصة للحصول على أموال الضرائب. لكن تبنى هذه النظام، إلى جانب انتهاكه مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة، يؤدى إلى تآكل التمويل المحدود المتاح للمدارس العامة بصورة خطيرة. أضف إلى ذلك أن المنافسة لا تؤتى أفضل نتائجها إلا فى وجود تكافؤ بين اللاعبين. فبينما يمكن للمدارس الخاصة أن تختار تلاميذها، فإن المدارس العامة مضطرة لقبول كل الأطفال المنحدرين من بيئات اجتماعية فقيرة. رغم كل ذلك، نجد موضوع سندات المصروفات وقد أصبح ثابتًا بخطاب الحزب الجمهورى عبر العديد من المؤتمرات الانتخابية فى سباق الرئاسة(٧٣٢).

يد عو العقد الموقع بين منظمتى التحالف المسيحى والأسرة الأمريكية عام ١٩٩٦ إلى جانب تأييده لتطبيق نظام سندات المصروفات الدراسية، إلى صك قانون لحقوق الآباء **«يؤكد حق الآباء فى توجيه أمور التعليم والرعاية الطبية والتأديب والتنشئة الدينية الخاصة بأبنائهم»** (٧٣٣). فكيف لعقد يبدو حميداً أن تكون له أضرار؟ إن هذا العقد يتيح لنشطاء اليمين الدينى ـ بشكل فعال ـ منع المدرسين بالمدارس العامة من استخدام كتب هامة؛ لأن أقلية من الآباء تعتبرها

إباحية أو مثيرة للجدل. وعلى أساسه، قد تكون الرعاية الطبية الأمثل فى المدارس تعنى «العفة فقط» وهو ما يغير الخدمات، كما يغير كل مقرر التثقيف الجنسى، مما يعنى أن الحديث عن العوازل الطبية ينبغى أن يكون فقط للتأكيد على معدلات فشلها، وألا تكون متاحة للطلاب النشطين جنسيًا. كما يمكن من خلال ذلك منح الآباء الحق المطلق فى تأديب أطفالهم وفق مبدأ **«ترك العصا يفسد الولد»** الذى يستخدم كمبرر للإساءة للأطفال. كما قد يُمنح الآباء الحق فى الامتناع عن تقديم العلاج الطبى للأطفال المصابين بالسكر أو بأى مرض عضال آخر.

يُعد السماح بالصلاة فى المدارس العامة من الأولويات الرئيسية فى أجندة اليمين الدينى، لكن ذلك لا يجب أن يفهم خطأ باعتباره يعنى أن الصلاة على إطلاقها ممنوعة فعليًا بالمدارس، حيث يمكن للطلاب بالطبع الصلاة بصوت خافت فى المدارس العامة، وحيثما تكون امتحانات فمن المرجح أن نجد طلابًا يؤدون الصلاة (ورغم أن الصلاة قد يكون مسموح بها تمامًا فى مثل هذه الأوقات، يتفق معظم المدرسين على أن مذاكرة الدروس أكثر فائدة!). فما ليس مسموح به هو إقامة الصلاة برعاية من الحكومة. ورغم ذلك، يظل الاعتقاد سائدًا لدى ملايين الناس بأن الطلاب ممنوعين من الصلاة فى المدرسة.

يقول روب بوسطون إن ثمة إصرار على رواية الأساطير حول طفل يُعنف من قبل مدرسيه ثم يُجر إلى مكتب ناظر المدرسة بعار تلاوة الصلاة على مأدبة غداء. وكان پات روبرتسون قد ذكر هذه القصة على طفلة تُدعى شانون عمرها خمسة أعوام من كينجزفيل بولاية تكساس، فى حلقة من برنامجه التلفزيونى «نادى السبعمائة» أذيعت بتاريخ الرابع من ديسمبر عام ١٩٩٢م، لكنهم لم يجدوا أى طفلة بهذا الاسم فى المدرسة. وعندما وُوجه بذلك، لم يكن لدى روبرتسون أى دليل على صحة هذه الرواية. وقد أضاف بوسطون أن «اليمين الدينى قد فشل فى تقديم أى دليل حقيقى على وقوع انتهاك لحق طالب فى الصلاة بالمدارس العامة»[٧٣٤].

وعلى ذكر الأساطير، زعم اليمين الدينى أن أبواب جهنم فُتحت على

مصراعيها بعد طرد المحكمة العليا للرب من حجرة الدراسة عام ١٩٦٣ أي عندما حكمت بعدم دستورية إقامة الصلاة برعاية حكومية. فمن يزعمون بأن قرار المحكمة أدى إلى انتشار العنف وإدمان المخدرات وأمراض اجتماعية أخرى، قد يستفيدون كثيراً من حضور فصل تمهيدى فى علم الإحصاء كى يتعلموا التمييز بين العلاقات الارتباطية والعلاقات السببية. فعلى سبيل المثال، لا يوجد من يجادل فى وجود علاقة ارتباطية بين حمل الطلاب للثقاب فى جيوب القمصان وبين إصابتهم بسرطان الرئة بعد ثلاثين عامًا. لكن هل يجب استنباط أن حمل الثقاب فى جيب القميص يسبب الإصابة بسرطان الرئة؟ وهل من المنطقى فى المقابل استخلاص أى دلالة من ظاهرة الارتفاع فى تعاطى المخدرات منذ عام ١٩٥٤، بعدما أضيفت عبارة «تحت الرب» لقَسَم الولاء؟

قد يكون قرار المحكمة العليا بحظر إقامة الصلاة بالمدارس العامة برعاية حكومية قد تسبب فى تنشيط اليمين الدينى، لكن لم يكن أبدًا منع الصلاة بالمدارس العامة بدرجة الانتشار التى يريدون لنا أن نصدقها. **وقد أظهر مسح أجرى عام ١٩٦٠ أى قبل عامين فقط من نظر المحكمة العليا الأمريكية لأول دعوى قضائية بخصوص الصلاة بالمدارس، أنه لم يكن هناك سوى ٥ ولايات تقنن قراءة الكتاب المقدس بصفة يومية فى المدارس العامة، وأن قراءة الكتاب المقدس كان أمرًا اختياريًا فى ٢٥ ولاية، فى حين كان هناك ١١ ولاية ترى أن قراءة الكتاب المقدس برعاية حكومية أمر غير دستورى. أما الولايات الباقية فلم يكن لديها بصورة أو بأخرى أية قوانين حول الكتاب المقدس**[٧٣٥].

وقد تلقى الكونجرس على فترات مشروعات لتعديل قانون الصلاة بالمدارس. ففى عام ١٩٨٢ دعم الرئيس رونالد ريجان تعديلاً للسماح بالصلاة «التطوعية» بالمدارس. وقد شرحت مذكرة إعلامية صدرت عن البيت الأبيض ذلك بالقول: **«ستكون الولايات والمجتمعات حرة فى الاختيار بين الصلوات المكتوبة بالفعل أو تأليف صلواتهم الخاصة»**[٧٣٦]. **ورغم تأييد غالبية النواب للتعديل، إلا أنه لم يحصل على أغلبية الثلثين المقررة لتمريره، تمامًا مثلما فشل تعديل آخر قُدم عام ١٩٨٨ فى الحصول على أغلبية الثلثين**[٧٣٧]. ومن الناحية العملية، يُعد إحداث

تغيير بالمدارس العامة المحلية عبر مجالس إدارة المدارس على النطاق المحلى أسهل منه عبر إصدار تشريع على المستوى الوطنى. ففى النطاق المحلى، يمكن أن يكون «استبداد الأغلبية» أكثر فاعلية، وهذا ما يفسر قول رالف ريد من التحالف المسيحى بإن مقاعد مجالس إدارة المدارس أكثر أهمية من مقاعد الكونجرس[٧٣٨].

ويورد روب بوسطون تصريحات مخيفة أصدرها بعض أعضاء مجالس إدارات المدارس المنتخبين. ففى عام ١٩٩٠ صرح أحد أعضاء مجلس الإدارة بإحدى المدارس بمدينة سبرنج ڤالى بولاية كاليفورنيا قائلاً: **«نريد أن تعود المدرسة إلى ما كانت عليه قبل ١٠٠ عام، عندما كان الرب والوصايا العشر والصلاة هم محط اهتمام المدارس»**[٧٣٩]. وفى عام ١٩٩٢ أبلغت عضوة بمجلس إدارة إحدى مدارس مدينة ڤيستا بولاية كاليفورنيا صحيفة وول ستريت چورنال بأنها كانت تظن أن من واجب المدرسين فى المدارس العامة أن يخبروا التلاميذ بشأن المسيح ويقودونهم فى الفروض الدينية. كما استطردت قائلة: **«من بواعث السعادة أن نرى الكتاب المقدس يُقرأ بالمدارس حتى يتعلم الطلاب الحقيقة. هذا تراثنا. نحن نرحب بأى فرد يأتى إلى هذا البلد، لكن لا يجب أن نتهاون فى عقيدتنا أمام عقائد الآخرين»**[٧٤٠].

هناك أيضًا محاولات عبر الأبواب الخلفية لهداية الطلاب الغافلين. فقد عمل بينى پروفت رئيس منظمة «الأولوية الأولى لأمريكا ـ First Priority of America» على تأسيس نوادى دينية بالمدارس العامة. وكان من ضمن خطته أن توحد الكنائس المحلية قواها من أجل تدريب الطلبة وتمويل أنشطتهم. وباستغلال قانون المساواة فى فرص الالتحاق لوضع قدمه داخل المدارس، تم توجيه تعليمات للطلبة كى يسعوا لضم معتنقين جدد للمسيحية وأن يبعثوا لمنظمة «الأولوية الأولى» بتقارير منتظمة بعدد حالات التحول إلى المسيحية. ووفقًا لپروفت، فإن هناك ٣٠٠٠ مدرسة من هذا النوع تنتشر عبر ٢٠٠ منطقة. لكن يبدو أن وضع هذه المدارس ينتهك قانون المساواة، الذى ينص على أنه «لا يجوز لشخص من خارج المدرسة أن يدير، أو ينظم، أو يسيطر، أو يحضر بصفة منتظمة، أنشطة

المجموعات الطلابية»[٧٤١] . فالمنظمات القانونية مثل «المركز الأمريكى للقانون والعدالة ـ American Center for Law and Justice» الذى تربطه علاقة بپات روبرتسون، ومعهد راثرفورد المحافظ، ترسل ممثلين لها بصفة منتظمة للحديث فى مجالس إدارات المدارس و«لشرح» حقوق الطلاب فى الاشتراك فى الأنشطة الدينية بالمدارس العامة. ووفقًا لبوسطون:

هذه الرسائل مُصممة لتخويف مسئولى المدرسة عبر التهديد بمقاضاتهم، بينما «المشورة» القانونية التى تحتويها هذه الرسائل مُصممة حقًا للالتفاف حول قرارات المحكمة العليا فيما يخص قضايا مثل الصلاة بالمدارس العامة[٧٤٢] .

يقحم اليمين الدينى العلم أيضًا فى مجال السياسة والتعليم. لكن الجدالات حول وجود تعارض بين العلم والدين قديمة قدم العلم نفسه. **فمنذ ٥٠٠ عام وجد الأصوليون تفسيرًا من الكتاب المقدس لتوكيد أن الأرض مسطحة؛ وقبل ٤٠٠ عام تمسكوا بأن الأرض هى مركز الكون ولا تتحرك؛ وقبل قرن من الزمان حاولوا استبدال معامل پاى (الذى يمثل النسبة بين طول محيط الدائرة وقطرها) برقم ٣ الذى يجدون له تفسير فى الكتاب المقدس. [كتاب الملوك الأول، الإصحاح السابع، آية ٢٣] (*).**

أما اليوم، فيهاجم الأصوليون تدريس نظرية التطور فى مدارسنا العامة، ويعتبرونها مجرد «نظرية». لكن من المهم أن ندرك أن العلماء لا يستخدمون كلمة نظرية بنفس الطريقة التى يستخدمها رجل الشارع فى الأحاديث العادية، من على شاكلة «لدى نظرية بأن . . . .» فالعلماء لا يطورون من وضعية الفرضية أو الحدس إلى وضعية النظرية إلا بعد وضع افتراضات، ومبادئ مقبولة، وقواعد إجرائية للتحليل أو التنبؤ أو لتفسير ظاهرة معينة. وما يزيد عن ٩٩٪ من كل البيولوچيين يتفقون أن ثمة دليلاً جوهريًا على أن أشكال الحياة تتغير عبر فترة طويلة من الزمن. كما يتفقون على أن أشكال الحياة حاليًا انبثقت من الأشكال السابقة، وأن الحفريات تشكل بقايا مخلوقات عاشت فى الماضى البعيد.

(*) نص الآية «وصنع حيرام بركة من نحاس وجعلها مستديرة، يبلغ طول قطرها من الحافة إلى الحافة عشر أذرع (نحو خمسة أمتار) وارتفاعها خمس أذرع (نحو مترين ونصف المتر)، وطول محيطها ثلاثين ذراعًا (نحو خمسة عشر مترًا)».

وبغض النظر عما يريد اليمين الدينى أن نؤمن به، فإن نظرية التطور ليست مثار جدل داخل الجماعة العلمية. فهى مؤيدة من قبل أفضل العقول العلمية لدينا، منهم ٢٠٠٠ عضو بـ «الأكاديمية الوطنية للعلوم ـ National Academy of Sciences» أكثر من ١٦٠ منهم حاصلين على جائزة نوبل. كما أن «الجمعية الوطنية لمدرسى البيولوچى ـ The National Association of Biology Teachers» التى تضم أكثر من ٨٠٠٠ عضو بين مدرس وعالم، تصرح على موقعها الإلكترونى أنه «لا معنى لشىء فى البيولوچى إلا فى ضوء نظرية التطور»[٧٤٣].

من المؤكد أن هناك حاجة لبعض التنقيحات والرؤى الإضافية حتى تكتمل نظرية التطور، لكن أبرز العلماء يتقبلون إطارها الأساسى. فنظرية التطور راسخة رسوخ نظرية الجاذبية، التى ستتطلب هى الأخرى ثورات كبيرة حتى يمكن تفهمها بصورة كلية، لكن الفارق أن نظرية الجاذبية لم يتم تسييسها. ولو أن نظرية التطور كانت قد استُبدلت بـ «علم الخلق»، لكانت الحفريات يُنظر إليها باعتبارها بقايا لطوفان نوح، ولكان مفهوم الزمن الچيولوچى يُرى على أنه وهم علمى، ولكان علماء الطبيعة سيضطرون هم أيضًا إلى صرف النظر عن فكرة السرعة الثابتة للضوء، لأنه وفقًا لفكرة الخلق فإن عمر الأرض والكون هو ٦٠٠٠ عام فقط، فى حين أن قياس المسافة التى يقطعها الضوء فى عام واحد تشير إلى أن عمر الأرض يقارب ٤,٦ مليار عام، وأن عمر الكون يقارب ١٥ مليار عام.

لقد شن اليمين الدينى حملة إعلامية على فترة زمنية طويلة لتشكيل الإدراك العام لنظرية التطور، وقد نجح فى ذلك للأسف. فعدد كبير من الأمريكيين يعتقدون إما بوجوب عدم تدريس نظرية التطور فى المدارس العامة، أو بوجوب تدريسها مع ما تسمى «النظرية العلمية للخلق» [طبقًا للكتاب المقدس]. لكن العلم ليس ديمقراطيًا. فلو أن مليون شخص يعتقدون فى أمر خطأ، فإن ذلك لن يغير من كونه خطأ. فالنظرية العلمية للخلق هى بديل لزيوس وكرشنا، وليست بديلاً لداروين. ولا يجب أن يُدرس «علم الخلق» بعد الآن كطرح آخر بجانب نظرية التطور، تمامًا مثلما لا يجوز تدريس «نظرية اللقلق» كطرح آخر بجانب التكاثر.

نجحت إدانة اليمين الديني لنظرية التطور في تخويف وتشويش الكثير من المعلمين والإداريين، لدرجة أن بعض المدارس العامة الآن تتجنب تدريس النظرية، بهدف تفادي الجدل، أو استخدام كتب مدرسية تقصر مناقشة النظرية في فقرة أو فقرتين. يقول بوسطون، «إن أنصار نظرية الخلق [طبقًا للكتاب المقدس] مسئولون عن تدهور مستوى جيل كامل من الطلاب الأمريكيين، وأحدثوا خسارة هائلة في تدريس العلوم بهذا البلد»[٧٤٤]. لكنني لا أشك في إخلاص المؤمنين بنظرية الخلق، فهم يريدون أن تُدرس الحقيقة الكاملة ولا شيء غير الحقيقة بالمدارس، تمامًا مثل المؤمنين بنظرية التطور. وكما يشير كارتر، «بالنسبة للإيفانجليكيين بصفة خاصة، فإن كل الكتاب المقدس يندرج تحت توصيف واحد فقط، وهو: الحقيقة»[٧٤٥]. لكن هذه النسخة من «الحقيقة» ليست العلم، وليس لها مكان في مقرر العلوم.

يشجع مجتمعنا الآباء على تربية أبنائهم بالطريقة التي يفضلونها طالما أنهم لا ينزلون بأبنائهم عقابًا ذا ضرر خطير، لكن غالبًا ما يصعب على المحاكم تحديد الخط الفاصل بين حق الآباء في عقاب أبنائهم بغرض التأديب وبين الإساءة البدنية والعاطفية. ورغم أن لا غنى للأطفال عن نوع ما من التدريس، يُمنح الآباء مساحة كبيرة من الحرية في تقرير هذه المسائل، حيث يستطيعون التدريس لأبنائهم بالمنازل أو إرسالهم إلى مدارس أصولية، تقدم نظرية التطور للطلاب باعتبارها اعتقاد بأن البشر ليسوا إلا « نفايات أعيد تنظيمها في بركة آسنة»[٧٤٦].

إنه لمن المؤلم لي كمعلم أن أرى طالبًا أنهى مدرسته دون حتى دراسة الجوانب الأولية من نظرية التطور، مثلما يحدث في هذه المدارس. لكن رغبة الأصوليين في منع أطفال المدارس العامة أيضًا من تعلم نظرية التطور لهي أكبر أذى يمكن للأصوليين أن يحدثوه في مجتمع بكامله. إنني أود أن أشكر العالم البريطاني ريتشارد داوكنز للفته انتباهي لمقال نيكولاس همفري الممتاز والذي جاء بعنوان «ماذا سنقول لأبنائنا؟»[٧٤٧].

يذهب همفري إلى أنه من واجب المجتمع أن يحمي الأطفال من الآباء المهملين والمتعصبين الذين يغتصبون حقوق أبنائهم في تلقي أحسن تعليم ممكن.

قد تثير الجدالات اللاعلمية التى سادت فى العصور الوسطى حول قضية مركزية الأرض ذهولنا اليوم، لكن يجب أن نعلم أن الأجيال القادمة سوف تنظر هى الأخرى باستغراب مساوٍ إلى «الجدالات حول نظرية التطور» التى سادت فى قرننا الحادى والعشرين.

فن تسييس الدين

إذا كانت السياسة هى فن التفاوض والحلول الوسط، وكانت الأصولية تتبنى رؤية كونية مطلقة وجامدة، فإنه لمن المنطقى أن نتساءل إلىٰ أى مدى يمكن للأصوليين أو يجب عليهم أن ينخرطوا فى السياسة؟ ويمكننا أن نأخذ فى الاعتبار الانقسامات داخل اليمين الدينى بين البراجماتيين الذين يركزون على السياسات العملية لهذا العالم، والمثاليين الذين يركزون على تخليص الأرواح للعالم الآخر، وهنا فإن حالة الرئيس السابق رونالد ريجان تعد نقطة بداية جيدة.

لم يكن المرشح الجمهورى ريجان، من الناحية الظاهرية، الشخص الذى يمكن لليمين الدينى تأييده بحماس فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠. فقد كان مطلَّقًا وأبًا غائبًا فى معظم الفترات عن أبناء ليسوا على الأرجح نماذج لمن يتمسكون بشعار «القيم الأسرية». وعندما كان حاكمًا لكاليفورنيا، وقع قوانين تقر حرية الاجهاض، كما عارض صدور تشريع يقضى بمنع المثليين من التدريس بالمدارس العامة. كما أنه حقق نجاحًا كنجم سينمائى، ولم يكن من المواظبين على ارتياد الكنيسة. والأهم من ذلك كله أن ريجان كان ينافس الرئيس چيمى كارتر الذى عمل كمدرس فى أحد مدراس الأحد التابعة للكنيسة المعمدانية الجنوبية المتبنية لفكرة الميلاد من جديد.

لكن ريجان استفاد من منهج كان قد استخدم فى أحد حملات الحزب الجمهورى الناجحة، فقد أصبح ريتشارد نيكسون رئيسًا عام ١٩٦٨ بالاعتماد على توظيف «استراتيچية جنوبية» تتبنى سياسات عنصرية مثيرة للفتنة بغرض إقناع الديمقراطيين المنتمين لجماعة چورچ والاس بالتصويت لمرشح جمهورى. وقد وصف سيدنى بلومينثال استراتيچية اليمين الدينى الجمهورية التى وظفت

ضد كارتر عام ١٩٧٩ بالقول إن ريجان استخدم مسائل اجتماعية لفصل الإيڤانجليكيين، الذين ينتمى معظمهم للكنيسة المعمدانية الجنوبية، عن ولائهم التقليدى للحزب الديمقراطى[٧٤٨].

وقد حقق هذا التكتيك نصراً كبيراً فى مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين عام ١٩٧٩. حيث كان كلٌّ من مورتون بلاكويل وإد ماك آتير، وهما من الأعضاء النافذين بالحزب الجمهورى، قد تعاون مع القوى الأصولية للتخطيط لعملية «سيطرة مذهلة على الجانب الأعظم من الطائفة البروتستانتية فى الأمة»[٧٤٩]. وقد صُممت خطة السيطرة على أساس إدخال المعمدانيين الجنوبيين فى الحزب الجمهورى. ووفقًا لأيلباى، فقد حل الأصوليون محل المعتدلين فى مجالس المعاهد الدينية والمجالس التبشيرية، كما ركزوا اهتمامهم على الحزب الجمهورى فى المحليات وعلى مستوى الولايات وعلى المستوى الوطنى[٧٥٠].

كانت المهارات الاتصالية، التى كان قد نماها ريجان الممثل السينمائى بصورة فعالة، قد ساعدت أيضًا ريجان السياسى. ففى خضم حملته الرئاسية، بتاريخ ٢١ أغسطس عام١٩٧٩ وأمام «جلسة تلخيص الشئون الوطنية ـ National Affairs Briefing» بدالاس، وهو المؤتمر الذى يجمع بعضًا من أبرز الشخصيات المحافظة سياسيّا ودينيّا، أعلن ريجان «قد لا تريدون تأييدى، لكننى أنا أستطيع تأييدكم»[٧٥١]. وقد أصاب ذلك القول وترًا حساسًا لدى هؤلاء، كما أفاد بذلك إد دوبسون أحد المساعدين المقربين لچيرى فالويل:

لا أعتقد أن الناس يدركون أن الأصولى العادى شعر بالاغتراب عن الثقافة الأمريكية السائدة. وكانت هذه لحظة مهمة، لأن المرشح جاء إلينا؛ ولم نذهب نحن إلى المرشح[٧٥٢].

فى نفس اليوم، طالب ريجان فى مؤتمر صحفى بأن يتم تدريس قصة الخلق الواردة بالكتاب المقدس بالمدارس العامة جنبًا إلى جنب مع نظرية التطور، وذهب **إلى أن نظرية التطور كانت تفقد مزيداً من مصداقيتها بين العلماء، كما اشتكى من أن المحكمة العليا كانت قد «طردت الرب من فصول الدراسة» وذكر بأن «كل فرد**

مؤيد للإجهاض قد وُلد بالفعل»[٧٥٣]. وكان د. بيلي سميث، الذى كان قد انتخب حديثًا كرئيس جديد لمؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، أحد المتحدثين الآخرين فى ذلك المؤتمر، ولم يظهر أى قدر من التسامح عندما زعم: **«إن الرب العظيم لا يقبل صلاة من يهودى»**. **وقد عبر بعد ذلك أنه لم يكن يقصد من تصريحه أن يكون معاديًا للسامية ـ فهو غير متسامح بنفس القدر مع المسلمين والبوذيين والهندوس! وقد برر سميث تصريحه ذلك بالقول:**

لإنه كيف للرب أن يتقبل صلاة من رجل يقول بأن يسوع المسيح ليس هو المسيح المنتظر الحقيقى؟ هذه هرطقة. قد تكون المقولة رائجة على مستوى الخطاب السياسى، لكن لا أحد تُقبل صلاته إلا إذا صلى باسم يسوع المسيح[٧٥٤].

سرعان ما فتر ابتهاج الإيفانجليكيين بانتخاب ريجان رئيسًا عام ١٩٨٠ ذلك أن ريجان كان قد وعد فى اجتماع مع القساوسة عام ١٩٧٩ أن يكون عدد المسيحيين الإيفانجليكيين فى إدارته مكافئًا لنسبتهم وقوتهم بين السكان[٧٥٥]. لكن الإدارة علمت أن ٤٠٪ من سكان البلاد يعتبرون أنفسهم من جماعة المولودين ثانيا أو من جديد، وأن عدداً قليلاً جداً منهم قد شارك فى الحكومة من قبل، فاتضح أن ذلك وعد سينقضه ريجان. صحيح أن ريجان عين چيمس وات، عضو مجمعات الرب وزيراً للشئون الداخلية، لكنه لم يعين فى المناصب القيادية الأخرى سوى القليل من المنتمين إلى الميلاد الجديد[٧٥٦].

لكن ما أزعج اليمين الدينى بصورة أكبر هو إعلان ريجان بعد انتخابه بفترة وجيزة «أن النظر الجاد فى الأچندة الاجتماعية سيتم تأجيله ما لا يقل عن عام، وذلك لإعطاء الإدارة الجديدة الوقت اللازم للتركيز على استرداد عافية الاقتصاد»[٧٥٧]. وقد وعى اليمين الدينى الدرس بسرعة، وعلم أن الوقوع بغرام اليمين السياسى يمكنه أن يؤدى إلى الخذلان، فهؤلاء قضيتهم ليست القضية التقليدية السلاح أم الخبز، وإنما الرب أم الخبز. كانت القضية هى اليقين الدينى المطلق وليس التوفيقية السياسية.

لقد وصف كال توماس، صاحب العمود الصحفى ونائب رئيس منظمة

الأغلبية الأخلاقية، السياسة بأنها «فتنة كبرى». فقد تحدث توماس عن ارتحاله إلى الكنائس المختلفة عبر البلاد ورؤيته لصور فوتوجرافية رائدة تجمع بين ريجان والقساوسة في المحليات، لكنه كان قلقًا من عدم قدرة بعض القساوسة على قول الحق في وجه سلطان القوة لأن **«رونالد ريجان أصبح وكيل المسيح المنتظر البديل»**[٧٥٨]. وكان العديد من القادة الدينيين منزعجين مما يمكن أن يفعله الاشتغال بالسياسة بدينهم، وأدت المخاوف بكال توماس إلى التأكيد على أن نشطاء اليمين الديني قد ارتكبوا خطأ بالتركيز كثيرًا على السياسة بينما من المفترض لهم إنقاذ الأرواح من الضلال[٧٥٩].

لكن ليس ثمة إجماع على ذلك في اليمين الديني. فالقس دي. چيمس كنيدي، رئيس قساوسة كورال ريدچ، يرى أن ذلك مجرد هراء[٧٦٠]، وكان كنيدي قد دعا توماس ليكون أحد المتحدثين الرئيسيين في المؤتمر الذي نظمه كنيدي عام ١٩٩٩ تحت عنوان «استصلاح أمريكا للمسيح - Reclaiming America for Christ» لكن بعد ظهور كتاب توماس، قام كنيدي برفع اسمه من برنامج المؤتمر ووضع بدلاً منه زعيم الأغلبية الجمهورية ديك أرمي. وقد اشتكى توماس للواشنطن پوست من الرقابة التي كان اليمين، وليس اليسار، يمارسها عليه[٧٦١].

لم يكن كال توماس إنسانيًا ليبراليًا في أي وقت من الأوقات، ففي عموده بجريدة شارلستون پوست أن دكورير بتاريخ ٢ يناير عام ١٩٩٥م، عبَّر عن استيائه من أفكار أحد طلبة اللاهوت بجامعة إيموري. وقد كتب ما نصه: «ربما نتساءل أي خير في دراسة اللاهوت إذا كان الموضوع لا يحيل الطالب إلى سلطة أعلى من سلطة عقله؟».

وقد قمت بالرد على تساؤله في خطاب إلى المحرر كتبت فيه:

من الواضح أن السيد توماس، مثله مثل معظم المنتمين لقوى اليمين الديني، لا يدرك الفارق بين التعليم والتلقين. فالبحث العقلاني في المباحث الدينية المتجاوزة للطبيعة مثل ذات ووجود الإله تؤدي بباحثين مختلفين إلى نتائج مختلفة. والتعليم أكبر من مجرد استذكار بناء من الحقائق أو الاستنتاجات الجاهزة[٧٦٢].

إن كثيراً من القوى داخل اليمين الدينى بدأت التركيز على الحرب الثقافية التى رأتها داخل الولايات المتحدة، عندما لم يعد للاتحاد السوفييتى «إمبراطورية الشر» وجوداً كى يُمحى. ففى كتابه الصادر عام ١٩٤٤ بعنوان «الصفة والقدر- Character & Destiny» يؤكد القس دى. چيمس كنيدى أن أمريكا كانت أمة مسيحية فى يوم من الأيام، إلا أن «وابل العداء من الملحدين وغيرهم من العلمانيين المتأنسنيين بدأ يستأصل هذا التراث». ويستطرد قائلاً «**إن مهمتنا هى رد أمريكا إلى المسيح، مهما كان الثمن**». كما أنه على يقين من أن النصر سيتحقق، حيث يقول: «**إن المسيحيين لم يبدأوا الحرب الثقافية لكننا سننهيها. هذه حقيقة، والكتاب المقدس يؤكد أن النصر حليفنا**»(٧٦٣).

قبل ذلك بعامين، وتحديداً أثناء مؤتمر الحزب الجمهورى عام ١٩٩٢ تحدث مرشح الرئاسة المحافظ پات بوكانان أيضاً فى نفس الموضوع قائلاً: «**إن ثمة حرباً دينية دائرة فى هذا البلد. إنها حرب ثقافية ستحدد نوع الأمة التى نريد أن نكونها، وتضارع فى أهميتها أهمية الحرب الباردة. إنها حرب من أجل روح أمريكا**»(٧٦٤).

وكان اليسار الدينى أيضاً نشطاً فى العمل من أجل إحداث تغييرات ثقافية، لكن فى الدفاع عن الحريات المدنية وعن توفير مستوى معيشة لائق للجميع. وكانت، ولا تزال، معظم المسائل الثقافية والسياسية التى ارتبطت باليسار الدينى تدور حول الإجهاض، الإباحية، المثلية الجنسية، والصلاة فى المدارس العامة.

وقد حاول رالف ريد، المدير التنفيذى السابق للتحالف المسيحى والرئيس الحالى لمركز استشارات سياسية يُدعى «استراتيچيات القرن - Century Strategies» نسج شبكة أوسع من المؤيدين. فذكر عام ١٩٩٦ الصعوبات التى واجهها التحالف المسيحى فى تجنيد أعضاء من السود، **ذلك أن البروتستانت الإيڤانجليكيين البيض، لاسيما بالجنوب، كانوا يرون أن أكثر النضالات أهمية هى من أجل العدالة الاجتماعية فى القرن العشرين، أى النضال من أجل الحريات المدنية، كان أمراً خاطئاً لأنه يناقض إرادة الله فى تفاوت البشر. وقال ريد: «كانوا يعظون ضد ذلك الهدف، وقد نظموا صفوفهم ضده، واستخدموا**

منابرهم للزعم بأن ما يقوم به القساوسة السود من أمثال مارتن لوثر كينج من خلط للسياسة بالدين هو أمر خطأ »[٧٦٥] .

وقد واصل اليمين الدينى النضال ضد الحريات المدنية أثناء الحملة الرئيسية للحزب الجمهورى عام ٢٠٠٠م حيث كان معظم الأعضاء يتنافسون على أصوات قوى اليمين الدينى. **وفى إحدى المناظرات، سجل چورج دبليو بوش بعض النقاط عندما قال بأن يسوع المسيح هو فيلسوفه المفضل.** وبحلول فبراير من نفس العام، كانت المنافسة قد انحصرت بين مرشحين اثنين، هما؛ چورج دبليو بوش، وچون ماك كين. وفى خضم حملته فى ولاية جنوب كارولينا ذات الأهمية السياسية الرئيسية، قبل بوش دعوة للحديث بجامعة بوب چونز، وهى إحدى المعاهد العليا ذات الميول الأصولية المثيرة للجدل بالولاية. فالموقع الإلكترونى للجامعة يتخذ الموقف التالى من الرومان الكاثوليك :

إن الكنيسة الرومانية لا تمثل طائفة مسيحية أخرى. إنها تزييف شيطانى وطغيان كنسى على أرواح البشر، وليس لقيادتهم إلى الخلاص، بل لتبقيهم فى خطيئتهم وتلقى بهم فى اللعنة الأبدية. إنها الزانية الموجودة فى كتاب الرؤيا، إنها أم الزانيات[٧٦٦] .

وقد سئل ميندى توكر، المتحدث باسم بوش، عن سبب حديث بوش بالجامعة، التى تمنع أيضًا المواعدة بين الشباب والفتيات من أصول عرقية مختلفة. وقد أجاب توكر بأمانة، حيث قال : «إن الحاكم لا يوافق على هذه السياسة، لكن هذه مدرسة لديها كثير من الناخبين المحافظين، وهى إحدى المحطات المألوفة فى الحملات من هذا النوع»[٧٦٧] . وقد انتقد المرشح المنافس چون ماك كين زيارة بوش إلى المدرسة، وخسر الصوت الأصولى بولاية جنوب كارولينا، وبالتالى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى بالولاية. ولم يستطع ماك كين من يومها تحقيق أى فوز، ففاز بوش بسهولة بترشيح الحزب الجمهورى.

إن اليمين الدينى شن ـ ولا يزال يشن ـ غزوات سياسية مهمة. ففى صلاة على اجتماع للإفطار بمؤتمر الحزب الجمهورى عام ٢٠٠٠م، تحدث الأب

الرومانى الكاثوليكى فرانك پروفون من منظمة «قساوسة من أجل الحياة ـ Priests for Life» قائلاً:

لم تأت علينا انتخابات وطنية أكثر أهمية من تلك التى نواجهها هذا العام. فهى لن تكون سائرة كالعادة، لا سيما فى الكنائس. إننا بحاجة إلى إعادة التأكيد مراراً وتكراراً أننا كمؤمنين يتطلعون إلى الحياة الآخرة . . . لدينا صك مواطنة فى الجنة . . . إننا مدعوون لقول الحق، وأحد أماكن قول الحق هو لجنة الاقتراع . . . الكنيسة لا تحدد سياسات الأمة. لكن الكنيسة تؤيد حقيقة الرب الذى لا بد لهذه السياسات أن تخضع لها(٧٦٨).

ومن المؤكد أن اختيار الرئيس چورچ دبليو بوش لشخصية المدعى العام لقى ترحيبًا لدى اليمين الدينى. فقد أثنى «الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية ـ American Civil Liberties Union» ذو الميول الأصولية ـ رغم تسميته ـ على الاختيار بالقول:

إن حقيقة حصول المدعى العام الجديد للأمة چون أشكروفت على نسبة ١٠٠٪ فى كل البطاقات الانتخابية للتحالف المسيحى منذ دخوله مجلس الشيوخ عام ١٩٩٥ يجب أن تكون كافية كى ترتعد لها فرائص أى فرد يطالب بفصل الكنيسة عن الدولة(٧٦٩).

وأشار الاتحاد إلى أن أشكروفت كان قد شق «كل طريقه السياسى» باتجاه واحد، وأنه كان يحاول إدخال ممارسات ومعتقدات دينية طائفية بقوانين الولايات المتحدة(٧٧٠). كما ذكر الرئيس بوش وأشكروفت أسماء كل من انتونين سكاليا وكلارنس توماس كنماذج لنوعية القضاة الذين يرغبون فى تعيينهم بالمحكمة العليا، وقد ثبت تحيز سكاليا وتوماس ضد المثليين والإجهاض، من واقع قرارتهما بالمحكمة العليا(٧٧١).

لقد خصص الرئيس بوش منصبًا فيدراليًا لتنفيذ خطة تمويل المنظمات الدينية العاملة فى مجال تقديم الخدمات الاجتماعية، وهو ما يُعد مثالاً خطيراً لموقف الرئيس من الفصل بين الكنيسة والدولة ولنواياه بشأنه. لكن الأكثر إثارة للقلق

هو نية إدارة بوش لإحلال قضاة المحكمة العليا المتقاعدين بآخرين من على شاكلة سكاليا وتوماس[٧٧٢].

المرشح بدون صلاة

سأروى هنا تفاصيل المواجهة الشخصية والسياسية التى جمعتنى باليمين الدينى عام ١٩٩٠م. فقد ولُدت فى فيلاديفيا وتلقيت تعليمى بها وبولاية نيويورك، ثم انتقلت عام ١٩٧٦ للتدريس بكلية شارلستون العليا قبل عام ١٩٩٠م، كانت لدى فكرة بسيطة عن العيش داخل «حزام الكتاب المقدس»، أى مناطق تركز الأصولية، ولم أكن أدرك المعنى الحقيقى لتلك الفكرة ولا الكيفية التى يمكن من خلالها أن تضرنى. كانت حياتى الثقافية، كأستاذ فى الرياضيات، تدور حول المجتمع الأكاديمى بعزلته الرائعة، لكننى كنت على وشك أن أدرك مدى التأثير والفاعلية التى سيغير بها اليمين الدينى حياتى بصورة جوهرية وإلى الأبد.

أتدرون لماذا رشح يهودى ملحد يانكى ليبرالى مثلى من ساكنى الشمال نفسه فجأة لمنصب الحاكم عن ولاية جنوب كارولينا، رغم أنه لم يسبق لى السعى لمنصب سياسى؟.

الأمر بدأ عندما استثار أحد زملائى فضولى السياسى عندما أشار إلى فقرة فى دستور جنوب كارولينا تنص على أنه «**لا يجوز لأى شخص ينكر وجود الذات الإلهية تولى منصب الحاكم**».

لكن المادة السادسة من الدستور الأمريكى تحظر فرض اختبارات دينية لتولى أى منصب عام. وقد استشرت محامى محلى، يعمل مستشاراً للمصلحة العامة بفرع الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية بولاية جنوب كارولينا، حول كيفية إلغاء هذه الفقرة التى تتعارض بوضوح مع الدستور، فأخبرنى بأن السبيل الوحيد للطعن بها يكون من خلال الترشح الفعلى للمنصب من قبل شخص أعلن على الملأ أنه ملحد. فى الحقيقة، لقد قال لى أن أفضل مرشح على الإطلاق لذلك هو أنا ـ فى سباق على منصب حاكم ولاية جنوب كارولينا!

بعد كثير من التفكير في هذا الاقتراح، وافقت على خوض الانتخابات على منصب حاكم الولاية. وكنت قد افترضت، بسذاجتي السياسية، أن المدعى العام للولاية سيوافق بكل بساطة على إخضاع القوانين بولاية جنوب كارولينا للقوانين الفيدرالية. كما أنني فوجئت بأن «حزب المواطنين المتحدين ـ United Citizens Party» وهو حزب صغير لم يسبق له أن رشح أحد لمنصب عام، قبل القيام بترشيحي. لم أكن بالطبع أتوقع نجاحًا ولم أتطلع لانتخابي.

كان أكثر ما أثار تعجبي هو الاهتمام الوطني الذي لقيه ترشحي للمنصب بسبب أن ذلك الأمر بدا غريبًا. ورداً على مطالبي، صرح حاكم ولاية جنوب كارولينا، كارول كامبل، بالقول إن دستور الولاية على ما هو عليه لا يحتاج إلى تعديل لأن البلاد تأسست على مبادئ إلهية. لكن الحاجز السياسي الأول الذي اضطررت لإذابته هو ذهول ومعارضة أمي. فقد كتبت الأسوشيتدپرس تقريراً عن ترشيحي قرأته أمي في جريدة فيلاديفيا إنكويرير، وكان على الاعتراف بأن الجريدة ليست بالمكان اللائق الذي تعرف منه أمي بأمر ترشحي وبأنني ملحد.

لم أكن أتصور أن حرصي على الدستور وتثبيت أسبقيته على قوانين الولايات سيجد مثل هذا الصدى الواسع جغرافيًا. ومثل الكثير من غير المؤمنين، فقد أردت تجنيب أسرتي المشقة المنتظرة للكشف عن خبر ثقيل مثل تأكيد أنني ملحد. وبعد تهدئتي لأمي، اعترفت أنها لم يحزنها بدرجة كبيرة معرفة أنني ملحد، لكنها كانت قلقة أكثر بشأن مما يمكن أن يسببه مثل هذا الاعتراف العام والمعلن من خسائر لسمعتي.

لقد أخبرت أحد الصحفيين بأنني لا أعرف من شاغلي المناصب العامة ملحداً يقر بإلحاده، لكنني توقعت وجود «ملحدين في السر» في جنوب كارولينا وأماكن أخرى. وقد أورد تقرير للأسوشيدتدپرس، نُشر في صحيفة شارلستون نيوز أند كورير، ردوداً لنواب في برلمان جنوب كارولينا. فقد وصف النائب لينوار ستاركي تصريحي بأنه «مناورة سياسية وكلام تافه». وأضاف بأنه يعرف بعدم وجود ملحدين بالمجلس التشريعي. كما أكد النائب لاري مارتن للمواطنين بأن ما يزيد عن ٩٠٪ من النواب «نشيطون جداً في كنائسهم المحلية بغض النظر عن

إيمانهم بالرب». كما ذكر مارتن، ذو الميول المعمدانية الجنوبية، أنه سيصلى من أجل هدايتى[٧٧٣].

فى نفس الوقت، أوردت لجنة الانتخابات بولاية جنوب كارولينا رواية نُشرت فى شارلستون نيوز أند كورير. وقد زعمت اللجنة فى روايتها أن الطريقة التى تم بها ترشيحى من قبل حزب المواطنين المتحدين قد شابها «عدم الانضباط». وفى ١٥ مايو، قررت لجنة الانتخابات بأغلبية ٣ أصوات مقابل صوتين بوجوب التحقيق فى الأمر من قبل «قسم تنفيذ القانون بالولاية - State Law Enforcement Division.» وفى اليوم التالى تسرعت نيوز أند كورير فى افتتاحية بعنوان «اللجنة تريد التحقيق مع سيلڤرمان» بالحديث عن تلاعبات مزعومة قمت بها. ولم تتح لى اللجنة ولا الصحيفة أى فرصة للدفاع عن نفسى ضد أى من التهم، رغم إخبارى قسم تنفيذ القانون بالولاية عن استعدادى للتعاون معهم وإمدادهم بالوثائق اللازمة.

وبعد مرور ثمانية أسابيع لم أسمع خلالها أى شىء بخصوص التحقيق، قمت بالاتصال بقسم تنفيذ القانون، فتم إبلاغى بأن التحقيق يقارب على الانتهاء وأنهم ليسوا بحاجة لإفادة منى. وبعد بضعة أيام، أصدرت لجنة الانتخابات تقريراً يفيد باكتشاف قسم تنفيذ القانون لإجراءات غير مضبوطة، مما يعنى أنه يمكن إلغاء ترشحى للانتخابات. ويبدو أن أحد قادة حزب المواطنين المتحدين قد تعرض لمضايقات من قبل ضباط وحدة تنفيذ القانون الذين استفسروا عن سبب تأييده للملحد، فانتهى إلى القول بإنه لم يكن يفهم الوثيقة التى كان يوقعها والخاصة بموافقة الحزب على ترشيحى، رغم أن عندى شهود يستطيعون إثبات عكس ذلك. ورغم أن قرار لجنة الانتخابات كان محزنًا، فقد نصحنى مستشارى القانونى الذى يعمل بالاتحاد الأمريكى للحريات المدنية بأن قضيتنا لن تُمس بسوء إذا ما واصلت الجهد باعتبارى مرشحًا لم يبت نهائيًا فى شرعية ترشيحه، وهو الأمر الذى وافقت على المضى فيه.

أطلقت حملة عبر الولاية، محاولاً الظهور فى أكبر عدد من منتديات «التقى مع المرشح» التى استطعت إقناع منظميها بدعوتى للحديث فيها. وكنت دومًا

أوضح أننى أرى قضيتى مسألة حقوق مدنية. وغالبًا ما كان الحضور يحظى بعد إلقاء الكلمة بفرصة للحديث مع المرشحين فى فترات الاستراحة. وفى واحد من هذه المنتديات عقد فى مدينة سپارتنبرج، لاحظت أن الناس يبتعدون عنى، كما كان يحدث فى بعض المرات. لكن قبل أن أهم بالانصراف، اقترب منى رجل وهمس فى أذنى بأنه كان ناظراً بأحد المدارس الثانوية، وأنه أراد فقط أن يخبرنى بمدى تقديره لشجاعتى فى أن أقول ما قلته. ثم سرعان ما انصرف بعيداً.

أيضًا، استضافتنى بعض البرامج الحوارية فى الإذاعة. وكنت دائمًا ما أقدم بعبارة «ما يُسمى» الملحد، أو «المعلن» إلحاده. وقد تساءلت عن رد الفعل المحتمل لو أن ضيفًا آخر تم تقديمه بعبارة «ما يُسمى» المشيخى Presbyterian أو «المعلن» انتمائه للمعمدانية الجنوبية. وكان المسيحيون المحافظون الذين يتصلون بالبرامج يسألوننى أن كنت قد عبدت الشيطان يومًا، على اعتبار أننى «لابد وأن آمنت بشىء ما». لكن أغرب التعليقات التى جاءت من المتصلين أنهم يفترضون بأننى أشعر بالحرية تمامًا فى أن اغتصب أو أقتل أو ارتكب كل الأفعال الشنيعة، لأننى لا أؤمن بوجود حساب إلهى. فما كان منى إلا أن أخبرت هؤلاء المتصلين بأنه إذا كان هذا تصورهم فإننى إذًا ـ ولصالح هذا المجتمع ـ أتمنى أن يظلوا على إيمانهم بالرب!

كما أننى تلقيت الكثير من رسائل الإدانة والهداية من المنتمين إلى اليمين الدينى. وفى الحالات النادرة لكتابة الراسلين لعناوينهم، قمت بالرد على رسائلهم شارحًا وجهة نظرى. ولقد تعلمت من خلال تلك الخبرة أن الحاجة إلى الحملة التى أطلقتها لم تكن ببساطة مجرد تغيير مادة غير دستورية فى قانون الولاية، لكن الأكثر الأهمية هو السعى لتغيير قلوب وعقول مواطنى جنوب كارولينا.

وجاء يوم المحاكمة فى الخامس من أكتوبر عام ١٩٩٠ أى قبل شهر واحد من الانتخابات. وبدلاً من أن يعلن المدعى العام للولاية أن عمل اختبارات دينية لتولى المناصب العامة أمر غير دستورى، أرسل أربعة محامين لدحض دعواى على أربعة أسس، هى: صورية الدعوى، على اعتبار أننى لم أحظ بترشيح

حزب لى؛ الترشيح المعلق، على أساس أننى لست مرشحًا شرعيًا؛ عدم موائمة الدعوى، وتعنى عدم وجود حاجة للبت فيها فى الوقت الحالى؛ والتعديل الدستورى الحادى عشر، الذى يضع قيودًا على مقاضاة مسئولى الولاية.

وظننت أنه مما يثير السخرية أن تنهى صحيفة نيوز أند كورير افتتاحيتها بالقول: «لو أن السيد سيلڤرمان يحاول حقيقة أن يعطى درسًا فى التسامح وليس فى الإلحاد، فإن عليه أن يفكر مرتين فى الدفوع القانونية التى تستهلك بلا داعى نقود دافعى الضرائب»(٧٤٤). إذ أن الحقيقة هى أن الولاية هى التى كانت تنفق آلاف الدولارات لتنفيذ قانون من الواضح أنه غير دستورى.

فى يوم النطق بالحكم، رفض القاضى ديڤيد نورتون الدعوى التى أقمتها على أساس عدم مواءمة الدعوى لأن فرصى فى الفوز بالانتخابات كانت قليلة. وكان نورتون قد عُين للتو كرئيس لمحكمة المقاطعة بولاية جنوب كارولينا بناءً على ترشيح من النائب ستروم ثرموند. ومن الناحية العملية، فقد رفض النظر فى موضوع عدم دستورية قانون الولاية إلا إذا فزت بالانتخابات، الأمر الذى لم يتحقق بالطبع.

وبعد بضعة شهور، اكتشفت أن دستور ولاية جنوب كارولينا يحظر على الملحدين تولى المناصب العامة. وقد أخبرنى مستشارى القانونى أننى يمكننى تحدى هذا النص عن طريق التقدم للحصول على رخصة العمل كموثق عام. وأن نصًا مطابقًا لهذا النص فى دستور ولاية مارى لاند قد حُكم بعدم دستوريته فى قضية« توركاسو ضد واتكنز» التى نظرتها المحكمة الأمريكية العليا عام ١٩٦١م، فإذا ما منحتنى ولاية جنوب كارولينا رخصة موثق عام، فإن ذلك سيُعد اعترافًا من قبل الولاية بأن الاشتراطات الدينية لم يعد من الممكن تضمينها ضمن مؤهلات تولى المناصب العامة.

وقد توقع مستشارى القانونى أن تكون حملة الحصول على هذه الرخصة أقصر وأكثر نجاحًا من تلك الخاصة بالترشح لمنصب الحاكم. لكنها لم تكن أقصر! **إن استخراج هذه الرخصة فى كارولينا الجنوبية أسهل عادة من الولايات الأخرى،**

فكل الطلبات تحظى بموافقة الحاكم بصورة روتينية. وقد دفعت الرسوم الخاصة بالطلب وهى ٢٥ دولار فى أكتوبر عام ١٩٩١م، لكننى وضعت علامة x على عبارة «فليساعدنى الرب» فى طلب التقدم، كما ذكرت أن الدستور الأمريكى يحظر وضع اشتراطات دينية لتولى المناصب العامة.

فما كان من سكرتير الولاية للشئون الخارجية چيمس مايلز إلا أن رد طلبى على أساس أننى لم أملأ الطلب بصورة مناسبة. فقام مستشارى القانونى بإرسال الطلب مباشرة إلى حاكم الولاية كارول كامپل، الذى رفض الطلب. وعندما سألنا عن السبب، أجابنا متحدث رسمى من مكتب حاكم الولاية بالقول أنه لمن العسير عليهم تقديم أسباب لكل قرار سلبى. بعد ذلك، وفى شهادة أدلى بها سكرتير الولاية مايلز عام ١٩٩٤ أجبر على الاعتراف بأن ٣٣٤٧١ طلبًا للحصول على رخصة موثق عام قد وُوفق عليه فى الفترة من ١٩٩١ إلى ١٩٩٣ .كان طلبى هو الوحيد الذى رُفض فى هذه الفترة، كما أننى ـ على حد علمي ـ الشخص الوحيد على مدار تاريخ جنوب كارولينا الذى رُفض طلبه للحصول على رخصة موثق عام.

ورغم أن الحاكم كامپل قد ترك منصبه فى يناير عام ١٩٩٥م، إلا أنه ظل بعدها يتمتع بحصانة تمكنه من رفض المثول أمام القضاء للشهادة، قد يُجبر فيها تحت القسم على إبداء سبب رفضه منحى رخصة موثق عام. لكن جاءتنا المساعدة من مصدر غير متوقع. فقد ذهب مستشارى القانونى الذى يعمل بالاتحاد الأمريكى للحريات المدنية إلى أنه إذا كان المحامين فى قضية پولا كوربن چونز استطاعوا إجبار الرئيس كلينتون على الإدلاء بشهادته، فإن الحاكم السابق كامپل لم يعد بإمكانه تجنب الإدلاء بشهادته أما القضاء.

كانت مصادفة ساخرة، فقد قام چون وايتهيد، مؤسس معهد رثرفورد المحافظ سياسيًا، بالدفاع عن پولا چونز فى قضيتها ضد كلينتون. وفى كتابه، بعنوان «الثورة الأمريكية الثانية ـ The Second American Revolution» انتقد وايتهيد قرار المحكمة العليا الأمريكية لعام ١٩٦١م، الذى قضى بعدم دستورية وضع الاشتراطات الدينية لتولى المناصب العامة فى قضية «توركاسو ضد واتكنز». فقد

كان هذا القرار هو الأساس الذى أقمت عليه قضيتى. لقد علق وايتهيد على الحكم بالقول، إن المحكمة العليا رفضت اليهودية - المسيحية كأساس للولايات المتحدة»[٧٧٥]. وكان وايتهيد صائب تمامًا فى تعليقه. فالمحكمة العليا أكدت أننا فى الحقيقة دولة علمانية تعتبر وضع اشتراطات دينية لتولى المناصب العامة أمرًا غير دستورى.

دون مستشارى القانونى شهادة الحاكم كامپل، التى أدلى بها فى ٣ مارس عام١٩٩٥ فى ٦٨ صفحة. وكان من بين الردود الملتوية للحاكم تفسيره لإمكانية رفض التعيين فى المناصب العامة على أساس المعتقدات الدينية، حيث قال:

هل من الصواب أن يكون لديك أناس ينافسون على منصب عام يمكنهم الإطاحة بالولايات المتحدة الأمريكية وتدميرها، ولا يؤمنوا بذات عليا بل بحكومة أجنبية ويسمون ذلك دينا؟[٧٧٦].

وفى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٥ قال رئيس الدائرة القضائية الخامسة فى «محكمة التظلمات العمومية - Court of Common Pleas» أن التماسى لأن أكون موثق عام استوفى جميع الشروط القانونية، وطلب من الحاكم النظر فى الطلب الذى تقدمت به فى خلال ثلاثين يومًا من الحكم. وحيث أن الحاكم السابق كارول كامبل كان قد نجح خلال توليه لمنصبه فى تعطيل منحى لترخيص العمل كموثق عام، فقد أصبح القرار الآن فى يد خلفه، الحاكم ديڤيد بيزلى، المنتمى إلى تيار الميلاد من جديد والذى كان قد أُنتخب عام ١٩٩٤بتأييد قوى من التحالف المسيحى وتمنى تضمين نظرية الخلق فى المقررات الدراسية بالمدارس العامة.

لكن سكرتير الولاية للشئون الخارجية چيمس مايلز حث مسئولى الولاية على الاستئناف ضد قرار محكمة الدائرة الخامسة لأنه لم يكن يعتقد أن نص القانون يشكل تمييزًا دينيًا. فقد قال: «إننى أؤمن بأن اللغة التى كُتب بها النص مناسبة لأننى مسيحى»[٧٧٧]. وقد أصر الحاكم بيزلى على عدم ترك الأمر يمر بهدوء،

فبعد أن خسر الاستئناف الأول، قام بالاستئناف ضد القرار ثانية أمام المحكمة العليا لجنوب كارولينا.

وقد نشرت صحيفة شارلستون نيوز أند كورير، التي أعيد تسميتها پوست أند كورير، بتاريخ ٣١ أكتوبر عام ١٩٩٥ مانشيتًا صحفيًا بعنوان «الحاكم ديڤيد بيزلى يريد من محكمة جنوب كارولينا العليا الحكم فيما إذا كان على المتقدمين لشغل المناصب العامة أن يؤمنوا بذات عليا»(٧٧٨).

وقد أجبت أحد صحفيي التحقيقات بأننى أدركت إلى أى مدى يمكن إجبارى على القول بأننى أؤمن! (التعذيب يمكن يؤتى نتيجة!) لكن الحاكم بيزلى لم يوضح كيف يمكن بالفعل إجبارى على الإيمان. كانت وجهة نظرى أنه من المناسب للحكومة تقنين بعض السلوك، لكن لا يمكنها أبدًا تقنين الإيمان. ولم أستطع فى المقابلات منع نفسى من التأكيد على أن الولاية اعتبرتنى مؤهلاً لأن أكون پروفيسور للرياضيات فى مؤسسة عامة، لكنها اعتبرت أننى أفتقر كثيرًا إلى المعايير القيمية والأخلاقية المتطلبة فى منصب موثق عام. وقد يساعدنا معرفة أن التلقين الدينى يحظى بتقدير أكبر من العقل والبحث العلمى، فى تفسير المستوى المتدهور للتعليم فى جنوب كارولينا، حيث تأتى درجات امتحانات الـ SAT بين أكثر معدلات الدرجات تدنيًا على مستوى الأمة الأمريكية فى كثير من الأعوام.

بدأت المحكمة العليا بالولاية نظر قضيتى فى أكتوبر عام ١٩٦٦. وعندما سألنى أحد المراسلين الصحفيين بالولاية عن تفسيرى لاستئناف الحاكم بيزلى للقضية أمام المحكمة العليا بالولاية، أجبت بأننى أفترض أن الحاكم بيزلى، الذى درس القانون، يعرف أن وضع اشتراطات دينية لتولية المناصب العامة أمر غير دستورى، لكن «محاولته استبعاد غير المؤمنين تجعلنى أعتقد بأنه ـ وببساطة ـ يلعب على ورقة التعصب الدينى لدى جزء من الناخبين فى دائرته».

وفى نفس المقال، رد السكرتير الصحفى للحاكم، جارى كار، بالقول أنه «ينكر بشدة أن يكون الحاكم بيزلى متعصب دينيًا، ويعتقد أنه من العار أن يهاجم الدكتور سيلڤرمان المعتقدات الدينية للحاكم بهذه الطريقة»(٧٧٩).

وجاءتنى أخبار طيبة بتاريخ ٢٧مايو عام ١٩٩٧ حيث صدقت المحكمة العليا بالولاية بالإجماع على قرار الدائرة القضائية القاضى بأن دستور ولاية جنوب كارولينا انتهك التعديل الأول والفقرة الخاصة بالشروط الدينية فى دستور الولايات المتحدة. ومن سخرية القدر أن تصدرت صورتى فى اليوم التالى الصفحة الأولى لصحيفة محلية جنبًا إلى جنب مع الشخص الذى مهدت دعواه القضائية الطريق أمام استدعاء الحاكم كامپل للشهادة بالمحكمة. وقد وضعت صحيفة شارلستون بوست أند كورير الموضوعين جنبًا إلى جنب تحت عنوانى: **«ملحد يكسب قضية ضد 'فقرة الرب'»** و بجوارها «المحكمة العليا تقول بأن چونز يمكنها مقاضاة كلينتون».

وبتاريخ ٣٠ مايو ١٩٩٧ ورد فى مقال بصفحة الرأى بجريدة سپارتابرج هيرالد چورنال ما نصه:

قد لا يكون سيلڤرمان شخصية مؤثرة تمامًا حيث أنه سعى إلى المنصب لمجرد لفت الأنظار إلى حقوق الملحدين. لكن لا يجب الحكم بعدم صلاحيته لممارسة الحياة السياسية بالولاية بناءً على معتقداته الدينية وحدها أو لافتقاره إليها بالتالى[٧٨٠].

لكن كان ما يزال لدى الحاكم بيزلى خطوة صعبة ليتخذها. ففى حين لم يكن يرغب فى أن يكون أول حاكم فى تاريخ جنوب كارولينا يمنح ترخيص موثق عام لملحد يجهر بإلحاده، إلا أنه كان مترددًا فى الاستئناف أمام المحكمة العليا الأمريكية لسببين: فمحاموه كانوا قد ركزوا على مقولة حقوق الولايات التى تقضى بأن مسئولى الولاية كانوا قد أقسموا على احترام دستور الولاية دون النظر إلى الأحكام السابقة للمحكمة العليا الأمريكية، فكيف إذن يتسنى لهم أن يطلبوا من الحكومة الفيدرالية التدخل فى حكم صدر بالإجماع عن أعلى محكمة فى ولاية جنوب كارولينا ذات السيادة؟

بالإضافة إلى ذلك فإن ولاية جنوب كارولينا كانت قد بددت مؤخرًا قدرًا كبيرًا من أموال الضرائب كى تحرم النساء من الالتحاق بأكاديمية القلعة، وهى أكاديمية

عسكرية بجنوب كارولينا للرجال فقط. وكان من المتوقع رفع مزيد من الدعاوى القضائية ضد الولاية بسبب تعليق الوصايا العشر بغرف مجلس مقاطعة شارلستون. ولم يرد مسئولو الولاية المحافظون أن يوجه لهم الانتقاد بإهدار المزيد من أموال دافعي الضرائب على استئناف سيكون مكلف وغير ذى فائدة فى حالة قضيتى. **أخيراً، وفى ٨ أغسطس عام ١٩٩٧م [بعد ست سنوات] أرسل إلى الحاكم بيزلى بالبريد تفويضاً للعمل كموثق عام.**

ورغم أننى تمنيت عام ١٩٩٠ فى الحصول بسرعة على تأكيد لحق الملحد فى شغل المنصب العام، إلا أن خوضى لهذه التجربة أضاف إلى خبرتى الحياتية فوائد لا يمكن إنكارها. فقد تلقيت قدراً معقولاً من الاهتمام الإعلامى فى جنوب كارولينا مكننى من نشر وجهة نظر لم تُسمع فى الغالب داخل «حزام الكتاب المقدس». وبعد كل ظهور إعلامى، كنت أتلقى مكالمات هاتفية ورسائل حماسية من أناس ظنوا أنهم الوحيدون الذى يحملون هذه المعتقدات فى جنوب كارولينا. وقد شجعنى ذلك على تأسيس منظمة «العلمانيون الإنسانيون بالبلاد المنخفضة - Secular Humanists of the Lowcountry»وهى جماعة نشطة للمفكرين المتحررين بالولاية يلتقون بصفة شهرية. وكان أفضل ما حدث لى على المستوى الشخصى فى هذه التجربة هو لقائى بزوجتى شارون فراتيپيترو - فى الكنيسة! فعندما كنت أنافس على منصب الحاكم ١٩٩٠ سمعتنى أتحدث فى كنيسة الموحدين المحلية. وقد عرضت مساعدتى فى الحملة، ولم نفترق من حينها.

ومنذ فترة قريبة، شاهد أحد طلبتى فى الرياضيات شارة الموثق العام معلقة فى مكتبى، وقد سألنى دون أن يكون لديه علم بأمر قضيتى إن كنت قد اضطررت لدراسة القانون حتى أحصل على تفويض بممارسة مهنة الموثق العام. فأخبرته أنها لم تكن بهذه البساطة، فالدراسة بمدرسة الحقوق يمكن أن تستغرق ثلاث سنوات، أما حصولى على التفويض للعمل كموثق عام فقد استغرق فترة أطول من تلك التى استغرقها حصولى على الدكتوراه فى الرياضيات! إن حقى فى أن أكون موثقاً عاماً لم يكن من الضرورى له بالطبع أن يستغرق ٦ سنوات، أو أن يتم بالطريقة التى حدث بها، لكنه من نواح عديدة استحق كل هذا الانتظار.

رغم فشل اليمين الديني الذريع في منعي من أن أصبح موثقًا عامًا، لكن قضيتي تبرز مدى النفوذ الذي يمكنهم أن يمارسوه على السياسيين. فما من أحد من القادة السياسيين بجنوب كارولينا، ولا من مستشاريهم القانونيين بالتأكيد، اعتقد في إمكانية حسم الموضوع قانونيًا إذا هم استأنفوا القضية. لكن نفس هؤلاء السياسيين فضلوا إهدار الوقت والمال على قضية خاسرة عن أن يخاطروا بإغضاب وخسارة أصوات قوى اليمين الديني المنظمة جيداً.

حكم ديني أم ديمقراطية؟

ما هي الأهداف السياسية لليمين الديني؟ يلخص كونواي وسيجلمان الإجابات العديدة والمتنوعة التي حصلا عليها من قادة الحركة في الآتي:

تنصير أمريكا، وشغل جميع المناصب الحكومية بمسيحيين مؤمنين بالكتاب المقدس، والسيطرة على الإعلام الوطني، وتدريس المعتقدات الأصولية كعلم في المدارس العامة، وإملاء المعنى الحقيقي للحياة الإنسانية، وتنصير كل إنسان على وجه الأرض في النهاية[٧٨١].

باختصار، فهم يودون استبدال ديمقراطيتنا العلمانية بحكم ديني أصولي.

لكن ما زال هناك بعض الخلاف داخل جماعة اليمين الديني حول ما إذا كان الحكم الديني أفضل أم الديمقراطية. لقد وصف جاري نورث ـ المنتمي لتيار إعادة البناء المسيحي ـ الدستور بأنه وثيقة «علمانية متأنسنة»، ودعا إلى تمزيقه واستبداله بوثيقة حكم جديدة ترتكز بوضوح على الكتاب المقدس ـ أو على تأويله هو للكتاب المقدس على الأقل[٧٨٢]. ورغم أن من يسوقون وجهة النظر تلك هم في الواقع أقلية، حتى بين جماعة اليمين الديني نفسها، فإن أتباع اليمين الديني بصفة عامة يعتبرون الحكم الإلهي أو حكم الرب قيمة مثالية يمكن العمل لأجل بلوغها من خلال العملية الديمقراطية.

لكن بينما يمكن للمجتمع الديمقراطي استيعاب الاختلافات في الرأي بسهولة، فإن الحكم الإلهي لا يمكنه ذلك. قليل من الأمريكيين يعتبرون أن

دستور الولايات المتحدة وثيقة لا تخطئ ولا تزل، تمامًا كما تذهب جماعة اليمين الدينى فى نظرتها إلى الكتاب المقدس. لقد أدرك واضعو الدستور الحاجة إلى التغيير فوضعوا آليات لتحقيقه. على الجانب الآخر، يقبل اليمين الدينى الكتاب المقدس، بدءًا من سفر التكوين وحتى كتاب الرؤيا، على اعتبار أنه معصوم من الزلل وغير قابل للتعديل. عندما تضيف الاكتشافات العلمية والتقدم الإنسانى بعض المعارف الجديدة ينشأ احتمال تصادمها مع اليمين الدينى، خاصة إذا حثت تلك الاكتشافات على تغيير سلوكنا ونظرتنا للعالم.

وأبلغ الأمثلة على ذلك نظرية التطور، التى لا يمكن للقراءة الحرفية للكتاب المقدس أن تدعمها.

لقد قنن الدستور، مثله مثل الكتاب المقدس، الرق فى وقت من الأوقات، لكن الدستور تغير بحيث أصبح الرق أمرًا غير قانونى. أما الكتاب المقدس، فقد كان كثير من أصوليى القرن التاسع عشر يستشهدون بفقرات منه بسهولة (التكوين ٩ : ٢٥، الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ١-٢، الرسالة إلى تيطس ٢ : ٩-١٠، الرسالة إلى مؤمنى أفسس ٦ : ٥) (*) للدفاع عن مؤسسة الرق، بل إن المؤتمر المعمدانى الجنوبى قد ظهر إلى حيز الوجود عام ١٨٤٥ تأييدًا للرق. الآن، نجد أكثر العناصر راديكالية فى اليمين الدينى يتجاهلون تلك المسألة أو يعيدوا

(*) «ليكن كنعان ملعونًا وليكن عبد العبيد لإخوته».
جاء فى النص العربى لطبعة الحياة للكتاب المقدس: «من بولس، رسول المسيح يسوع ووفقًا لأمر الله مخلصنا والمسيح يسوع رجائنا إلى تيموثاوس ولدى الحقيقى فى الإيمان، لتكن لك النعمة والرحمة والسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا» - الرسالة الأولى تيموثاوس ١ : ١-٢.
أما الطبعة الإنجليزية لترجمة الملك چيمس، فترجمتها العربية:
«ليجعل العبيد - بقدر ما يكون عددهم - أسيادهم جديرين بكل احترام، حتى لا يجدف أحد على الله أو على الإيمان. وأولئك الذين لهم أسياد مؤمنون، فلا يستخفون بهم، فهم إخوة، بل يخدمونهم، لأن أولئك المخدومين مؤمنون أحباء. علِّم ذلك وحض عليه» - الرسالة الأولى تيموثاوس ١ : ١-٢.
«وعلِّم العبيد أن يكونوا خاضعين لسادتهم مرضين لهم فى كل شىء غير معاندين ولا سارقين، بل مظهرين أمانة كلية صالحة» الرسالة إلى تيطس - ٢ : ٩-١٠.
«أيها العبيد، أطيعوا سادتكم البشريين بخوف وارتعاد من قلب صادق كمن يطيع المسيح» - الرسالة إلى مؤمنى أفسس ٦ : ٥.

تأويل فقرات الكتاب المقدس لتأكيد معارضتهم للرق. أما المثلية الجنسية فهى أحد الموضوعات الأخرى التى بدأت الثقافة الغالبة تنظر إليها من زاوية القرن الحادى والعشرين، رغم الاعتراضات من اليمين الدينى.

فمعظم منظمات اليمين الدينى تفترض بأن هناك جانب «صواب» على المسيحى أن يتخذه فى مسائل معينة. لكن أغلبية المسيحيين فى هذا البلد ليسوا أصوليين، وبينهم مجموعة من الاختلافات الطائفية الجوهرية. فعلى سبيل المثال، كل مجتمع، علمانى كان أم دينى، يدين القتل. لكن التأويل الإنسانى لفعل القتل يختلف، حتى بالنسبة لهؤلاء الذين يعيشون على هدى كتبهم المقدسة. فالمسيحيون لا يتفقون حول ما إذا كان فعل القتل يشمل الموت الرحيم، والانتحار، والإجهاض، الحرب، الإعدام شنقًا، والجدل الثائر الآن حول الاستنساخ.

تصر جماعات اليمين المسيحى على أن تصورها للحقيقة وحده هو الصواب، وبالتالى يصير من السهل إخراج المسيحيين الذى لا يتفقون معهم من الدين باعتبارهم ليسوا مسيحيين «حقيقيين». أكثر من ذلك، فإن أى نقد للأهداف السياسية للتطرف الأصولى يتم تصويره على أنه إهانة للدين. وقد صار «لعب دور الضحية» أحد الأساليب السياسية المفيدة فى تنشيط اليمين الدينى. يقول الخبير الاستراتيچى المحافظ پول وايريش إنه نصح القادة الجمهوريين عام ١٩٩٤ «أن يصفوا هجوم كلينتون على اليمين المسيحى باعتباره هجوم على الدين نفسه»[٧٨٣]. وقد ذكر الرئيس السابق للجنة الجمهورية الوطنية، هيلى باربور، لصحيفة واشنطن پوست أن الديمقراطيين «يعتقدون أن الإساءة للمسيحية هو الشكل الوحيد المقبول للتعصب ضد الدين الذى تم الإبقاء عليه . . . لكنه تعد على كل جماعة دينية فى البلاد»[٧٨٤]. وأحيانًا يكون من الصعب أن نتأكد مما إذا كنا نستمع إلى تدليس سياسى أم إلى مقولات خطيرة تعكس تعصبًا دينيًا.

ففى محاولته لمواجهة اليمين الدينى، أخبر الرئيس بيل كلينتون الحضور فى صلاة الإفطار الوطنية عام ١٩٩٤ أنه «يجب علينا جميعًا أن نسعى لأن نعرف وأن ننفذ إرادة الرب حتى وإن اختلفنا»[٧٨٥]. ولقد شكك مايكل كينزلى فى مزاعم

الأصوليين أن ضغطًا يمارس على المسيحيين لإجبارهم على التقهقر إلى المجال الخاص مصحوبين بالعار. فقد سأل «هل من يصلون بانتظام مجبرون على أن يبقوا ذلك سراً؟ لا يحدث ذلك فى أى مكان فى أمريكا التى أعرفها!»(٧٨٦).

كيف يتمنى اليمين الدينى تحقيق أهدافه إذًا؟ رغم أنهم كثيراً ما يشتكون من السيطرة «الليبرالية» على الإعلام، فإن اليمين الدينى يسيطر بصورة جيدة على الموجات. فلديهم ٢٤ ساعة يوميًا من البرامج التليفزيونية والإذاعية موزعة على مجموعة من الشبكات. والأهم من ذلك أن مذيعى اليمين الدينى متدربين على الانتقال بسهولة من الدينى إلى السياسى، والبيانات السياسية التى تُبث بالمحطات الدينية لا يتم فى العادة مراجعتها أو الطعن بها.

وكما تشير ماليكا دت «ما يمنح جماعة اليمين الدينى قوتها، هو أن لديهم رؤية واضحة لنوع المجتمع الذى يريدون خلقه»(٧٨٧).

ويُعتبر اليمين الدينى أفضل كثيراً من الناحية التنظيمية عن اليسار السياسى، وهو الأمر الذى يعود فى جانب منه إلى فاعليتهم فى استخدام الإعلام. فنسبة كبيرة منهم يقومون بالتصويت ويتصلون بنوابهم المنتخبين. ووفقًا لأپلباى، فإن القادة الأصوليين غالبًا ما يتلاعبون بالدين لبلوغ أهدافهم السياسية. فهم على درجة عالية من التنظيم فى العمليات السياسية وفى تقنيات التسويق السياسى الجماهيرى لآراءهم. ويبدو أنهم فى صعود **«لأن الحداثة العلمانية تبدو وكأنها أفرغت كل ما لديها من حلول للمشكلات الاجتماعية»**(٧٨٨).

ويشرح الناشط اليمينى المتطرف، چورچ جرانت، كيف أن التركيز على مرشحين فرادى يمكن أن يساعد على تحقيق السيطرة: «حيث أن ما يقرب من ٦٠٪ فقط من الذين يحق لهم التصويت مسجلين، وما يقرب من ٣٥٪ فقط منهم يميلون للذهاب إلى الاقتراع، لذا فإن أى مرشح يحتاج فقط إلى تأييد مجموعة صغيرة نخبوية من المواطنين حتى يفوز»(٧٨٩).

وقد أثبتت هذه الاستراتيچية نجاحها فى كثير من الانتخابات المحلية وانتخابات الكونجرس. ويكشف كلٌ من إد دوبسون وإدوارد هندسون، فى كتابهما «إغواء

القوة ـ The Seduction of Power » أن :

أظهر المحافظون الإيڤانجليكيون قدرة كبيرة على جعل النظام السياسى يعمل فى صالحهم . . . وتعلم بسرعة إيڤانجليكيو الجناح اليمينى كيفية تسجيل الناخبين وتبنى البرامج وفوز المرشحين بالمناصب[٧٩٠] .

أكثر من ذلك ، فإن اليمين الدينى يعتمد على عقد تحالفات استراتيچية . فالأصوليون الذين ليس لديهم اهتمام كبير بهدف أصولى معين سيقفون إلى جوار من لديهم اهتمام بهذا الهدف . وبهذه الطريقة يكسبون تأييد زملائهم الأصوليين فى موضوعات أخرى يهتمون هم بها . ومع الاستقطاب الدينى فى أمريكا ، فإن المحافظين اليهود والمورمون والمسيحيين الأصوليين ، وكثيراً من الكاثوليك ، يوحدون من جهودهم فى مسائل مثل معارضة الإجهاض[٧٩١] . وقد أصبح السياسيون ، لا سيما الجمهوريون ، يرون فى اليمين الدينى قوة تصويتية مهمة .

كيف يمكن تحييد أساليب اليمين الدينى؟

أولاً ، لا بد من الاعتراف أن النجاح السياسى الذى حققته هذه الأقلية ، التى على الرغم من صغرها فإنها تتمتع بالحيوية والنفوذ ، يرتكز على لامبالاة الآخرين . فلا بد من إعلام ومشاركة وتنظيم الأمريكيين بشكل أفضل . فالذين لا ينتمون إلى اليمين الدينى غالبًا ما يتسمون بالمرونة ويمكنهم استيعاب طيف واسع من الآراء ، وهو ما يجب أن يدفع الجماعات المتنوعة للعمل معًا .

إن اكتشاف أن الشبه فى التركيب الچينى بين قرود الشمبانزى والبشر أكبر منه بين الغوريلا والبشر يُعد من الأمور المثيرة للدهشة . وإذا ما اُكتشف يومًا سر الچين «الدينى» ، فإننى أتوقع أن يكون التركيب الچينى للمتدين الليبرالى أقرب إلى التركيب الچينى للملحد منه إلى المحافظين الدينيين . فالأصوليون فى مختلف الأديان يتشابهون فيما بينهم أكثر مما يتشابهون مع الليبراليين من نفس دينهم . وثمة تحالف طبيعى بين المتدينين الليبراليين والملحدين فى فصيل واسع

من القضايا السياسية من على شاكلة الفصل بين الكنيسة والدولة، حقوق الإجهاض، حقوق المثليين، وغيرها. لذلك فإن مزيداً من التعاون يمكن ويجب أن يتصدى بفاعلية لقوى اليمين الدينى التى تتمتع بتنظيم جيد.

لم يتردد اليمين الدينى فى نشر معلومات مغلوطة فى قضايا مثل عداء المدارس العامة للمسيحية، والفصل بين الكنيسة والدولة، والزعم بأن الولايات المتحدة تم تأسيسها باعتبارها دولة مسيحية. وإذا تركت هذه القوى وهذه المزاعم دون مواجهة، فإن مزيداً من الناس سيبدأون فى الاعتقاد بصحة هذه المزاعم غير الدقيقة. وهذا يتطلب الاهتمام بالدعاية الموجهة من اليمين الدينى، وتعلم كيفية كشف الزيف والتضليل فى هذه المعلومات.

لا يتطلب الرد على هذا التضليل من المرء المعرفة بكافة التفاصيل. فالحياد الدينى فى المدارس العامة ليس بالأمر المعادى للمسيحية. وليس من الضرورى البحث فى النوايا الأصلية لواضعى دستور الولايات المتحدة، أو فى المعتقدات الدينية التى كانوا يؤمنوا بها. فما يهمنا الآن هو أن هذا البلد لم يُؤسس ليُجسد حكمًا دينيًا مسيحيًا، بل كدولة علمانية تكفل الحرية للجميع. ويمكننا الإحالة إلى المادة السادسة من الدستور الأمريكى والتى تحظر وضع اختبارات دينية لتولى المناصب العامة. أضف إلى ذلك ما ينص عليه التعديل الأول للدستور من فصل بين الحكومة والدين. فهاتان المادتان فقط التى يأتى ذكر للدين بهما، وليس من ذكر آخر يظهر فى أى مكان بالدستور الأمريكى.

ولو أن أحدًا يزعم بأن كنيسته تتعرض إلى التمييز لأنه لا يُسمح لها بتأييد مرشحين سياسيين، فما من داعٍ لذكر العشرات من المبررات القانونية، بل نذكر فقط أن هذه البلد أشعلت ثورةً ضد مبدأ دفع الضرائب دون وجود تمثيل للشعب(*)، وليس من أجل تمثيل دون ضرائب. فلو أن الكنائس كانت مستعدة لأن تتخلى عن وضعية الإعفاء الضريبى التى تتمتع بها، فمن المؤكد أنه سيسمح لها بتأييد المرشحين.

تتفق الأطراف على أهمية التأثير على الأجيال القادمة، وهو ما يفسر الأهمية

(*) الثورة الأمريكية على انجلترا، أو حرب الاستقلال ـ المترجم.

الكبيرة للخلاف حول فلسفة التعليم. هل يجب على المؤسسات التعليمية العامة أن تعلم مهارات التفكير النقدى وتشجع التطور الأخلاقى والعلمى؟ أم يجب عليها أن تتبع نظامًا صارمًا يفرض الطاعة المطلقة؟ إن الهوة الشاسعة بين الأمرين والتى يستحيل معها التوفيق بينهما، تؤكد أن الصراع سيستمر طالما ظل هناك يمين دينى.

كانت الولايات المتحدة سعيدة الحظ فى أنه لم يقع بها أبدًا حرب دينية، وذلك رغم أن التيار الدينى المحافظ يشكل إحدى القوى فى المجتمع الأمريكى منذ فترة طويلة. نفوذ اليمين الدينى فى مد وجزر، لكن لا يجب أبدًا إهمال قوته وإمكانياته. صحيح أن اليمين الدينى يشكل أقلية، إلا إنها من النوع النشط والمفوه. ولابد للأمريكيين من أن يبقوا مستيقظين حتى يضمنوا أن هذه الأقلية لن تفسد على أولئك الذين ينظرون ويتعاملون ويفكرون فى الأمور بشكل مختلف حرياتهم التى يتمتعون بها. لقد أدرك كورت سيتسما هذه المشكلة الدائمة، وبينها تمامًا فى قصيدته «مانيفستو الأنسنة ـ A Humanist Manifesto» المنشور فى مقدمة كتاب كورليس لامونت «فلسفة الأنسنة ـ Pilosopy of Humanism ».

مانيفستو الأنسنة

فى كل عصر تتطلب بدعة التعصب تركيزًا آخر،
فثمة شيطان آخر يُجبر على البروز إلى الساحة بخداع الكراهية.
كان الشر يرمز له عادة باليهودى، ثم فيما بعد بالساحرات(*)،
ثم بالسود الذين كانوا يحفرون كل الخنادق.
تلون الشر مرة باللون القرمزى وسُمى بالشيوعى،
والآن، فجأة وفى طرفة عين، أضحت الأنسنة هى الشر[٧٩٢].

(*) ساحرات سالم اللاتى تم شنقهن ـ المترجم.

الفصل الثامن

الفوز بالمعركة الملكية
الحلول والبدائل
للخطر المتزايد

بقلم: إدوارد م. بكنر
ترجمة: هبة رءوف

«من ليس معى فهو ضدى»

إنجيل متى (١٢:٣٠)

«إن كان أحد لا يثبت فىَّ يطرح خارجًا كالغصن فيجف، ثم تجمع الأغصان، وتطرح فى النار فتحترق»

إنجيل يوحنا (١٥:٦)

كما أوضحت الفصول السابقة، تشكل الأصولية خطرًا حقيقيًا على حياة الشعب الأمريكى وحرياته، إذ أنها ليست مجرد مشكلة أكاديمية أو مشكلة لمن يجد الأصولية غريبة أو غير منطقية إلى حد ما.

إذ تتسع دائرة هذا الخطر لتشمل كلاً من المرأة والطفل والانتخابات العادلة، بل إنه خطر يهدد المجتمع بأسره، علاوة على كونه يهدد حق الشعب الأمريكى فى اختيار الإنتاج [المقصود حرية الإجهاض] وحريتهم فى اختيار شركائهم فى الجنس، إلى جانب حريتهم الدينية والحرية فى المعارضة على كافة أشكالها وحقهم فى أن ينعموا بالخصوصية وأن يموتوا مرفوعى الرأس.

وبذلك نجد أن كيان المجتمع الأمريكى العلمانى فى خطر، وأن المخاطر التى تحف بالعلمانية تمتد وتتدفق، ومن الممكن جدًا أن تجد أمثلة من التاريخ كان فيها الهجوم على الحرية والعلمانية أكثر مما نواجهه الآن، سواء فى تاريخ الولايات المتحدة ذاتها أو فى تاريخ أى دولة أخرى، مثلما كان الوضع عليه فى العصور الوسطى، ولكن تبدو بداية القرن الواحد والعشرين محفوفة بالمخاطر وتزداد بعضها فى خطورتها وشدتها بمرور الوقت.

وقد وصف - عن غير عمد - كورتيس لى لاوز، محرر كتاب «الأصوليون» خلفية الأصوليين وموقفهم أو اتجاههم القتالى، فى جملة واحدة إذ قال «نحن نقترح أن يطلق على الذين لا يزالون يتمسكون بالأصول العظيمة والنية، والذين

ينوون أن يخوضوا معركة ملكية من أجل تلك الأصول: الأصوليين»[٣٧٩].
يتضح الخوف من الحداثة من خلال «يتمسكون»، بالإضافة إلى استخدام التشبيه الاستعارى العسكرى «المعركة الملكية»، يصفان بوضوح التحدى الذى سيجابه أى من يحاول أن يجد حلولاً لمشكلة الأصولية، ويبقى هذا التشبيه العسكرى - الذى دائمًا ما تجده فى كتابات وخطابات الأصوليين - مهيمنًا ومسيطراً، على الرغم من قول رالف ريد بأنه يؤثر على العلاقات العامة سلبًا[٧٩٤].

وتتلخص الأسباب الرئيسية فى خطورة الأصوليين، والتى تجعل منهم جبهة يصعب مواجهتها فى أنهم:

- متزمتون ومقتنعون تمامًا أنهم على حق.

- موقنون أن هناك ربا قادرًا يحيط بكل شيء علمًا، يرعاهم ويوجههم.

- أنهم جزء من الكنائس التى تطلب الالتزام التام بالمذهب الدينى، والتى تتوقع طاعة عمياء.

- تحركهم العاطفة أكثر ما يحركهم العقل فى الحفاظ على عقائدهم أكثر من الآخرين

- منذ استخدام كورتيس لى لاوز لأول مرة المصطلح، ومنذ قرون قبل ذلك، كانوا هجوميين، قتالين، مقاتلين فى مداخلاتهم، وباختصار مرحبين بالعنف فى سبيل «المعركة الملكية».

ولكن يجب أن يوضع فى الاعتبار، أنه ليس كل الأصوليين يتصفون بتلك الصفات على نحو متساو، ولا حتى يتفق الأصوليون كلهم فيما بينهم على ما يؤسس تلك «الأصول».

وبالتأكيد هناك بعض من غير الأصوليين أو غير المؤمنين، لديهم مسحة من ذلك، ولكن تلك النقاط السابقة تلخص بشكل جيد ما هو عليه مبدأ الأصولية بصفة عامة.

تعد آيات العهد الجديد - مثل تلك التى افتتحت بها هذا الفصل - نموذجا للفقرات ذات القداسة المزعومة، والتى يلجأ إليها أخطر أتباع أى ديانة، إذ ينفذونها بشكل حرفى وجدِّى، بل وأحيانًا ما يتسببون فى قتل بعض الناس.

يقف الإعلان المنقول من المسيح - بأنه لا توجد أرضية وسط، ولا خيار - فى وجه الدفاع عن مجتمع علمانى، والذى هو الحل الوحيد - على المدى الطويل - لمشاكل الأصولية. لا تستخدم الآية السادسة من الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا كثيراً الآن، ولكنها كانت آية رهيبة خطيرة عند الاستعادة المسيحية لإسبانيا، ويمكن بسهولة أن تصير خطيرة ثانيًا.

ومن بين أكثر معتقدات الأصوليين جوهرية، هو ذلك القائل بأن قواعد السلوك الإنسانى لا تتغير وغير قابلة للتحدى، حيث إن تلك القواعد قد أرساها إله كامل لا يتغير، مما يهيئ غلافًا دفاعيًا لا يمكن اختراقه، وهو سبب رئيسى للطبيعة العنيدة لتلك المشاكل. فإن تأكد أحدهم أو تأكد بعضهم أن تلك القواعد والتوجيهات إنما تأتى هكذا دون تغيير من قبل إله له كل القدرة وكل المعرفة، فكيف يتسنى للآخرين إذًا أن يعترضوا على مثل تلك الأوامر؟ فإن كان هناك ثمة أساس مطلق، ومجموعة قوانين صارمة تعتبر مرغوبا فيها، إذًا فإن الضغط من أجل قبول واحدة بعينها سيكون قويا، حتى وإن كان لا يوجد من الأدلة ما يبرهن على أنها جاءت مباشرة من مصدر إلهى.

يعد هذا سببًا رئيسيًا يدفع الزعماء الأصوليين إلى القول بأن العلمانيين يشكلون تهديدًا مهلكًا. بسبب تلك النظرة النسبية للأخلاق فى العلمانية، واعتبار القيم الأخلاقية متغيرة، وتجريبية أو مؤقتة، وعدم قدرة - أو موافقة - العلمانية على إعلان اتصال القيم الأخلاقية بأساس مطلق، أو بحقيقة مطلقة متجاوزة للطبيعة.

يتطلب حل أى مشكلة الفهم الجيد لتلك المشكلة، وهذا هو الهدف الأساسى لهذا الكتاب. فإن سلمنا جدلاً أن الشعب الأمريكى يخوض معركة ملكية، مثلما يقترح كورتيس لى لاوز، فإن معرفة الحلفاء والمعارضين سيكون على رأس جدول الأعمال، كما يجب أن نضع فى الاعتبار الدروس المستفادة من خبرات الآخرين، مثل تلك الموجودة فى المجتمعات التى يحكمها الإسلام، **فالمعركة الحقيقية ليست بين الأصوليين والمؤمنين المتحررين [الليبراليين]، أو التيار الرئيسى من المؤمنين، ولا بين الأصوليين واللا دينيين، ولكن المعركة الحاسمة حقا هى بين**

الأصوليين والعلمانيين. مما يجعل العلمانيين يستعدون لخوض معركة شرسة، إذا ما كان ذلك فى سبيل الدفاع عن حرية الجميع.

يخاطب هذا الكتاب العلمانيين بصفة خاصة، حيث إنهم الأمل الوحيد لمكافحة مخاطر الأصولية، فإن هؤلاء الناس جميعا ـ المؤمن منهم وغير المؤمن ـ هم من يدركون ضرورة الحكم العلمانى للحكومة والمجتمع.

العلمانيون هم من يستطيعون أن ينظروا إلى ما هو أبعد من إيمانهم أو عدم إيمانهم، فإنهم يؤمنون أن من لهم سلطة دينية ـ أو من يتظاهرون أن لديهم السلطة ـ لا يمكن السماح لهم بأن يحكموا المجتمع.

الإسلام الأصولى: مشاكل مختلفة، حلول مختلفة!

بدأت الأصولية الإسلامية فى جذب انتباه الشعب الأمريكى منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، فكثير من الدول فى جميع أنحاء العالم كانت على دراية تامة بمثل تلك المخاطر، حتى قبل أحداث ذلك اليوم الرهيب. وحيث إن كلمة «أصولية» هى اختراع مسيحى فى الأصل، فإن المسلمين يرفضون أن تنسب لهم هذه الكلمة[٧٩٥]، وبرغم ذلك، فإن من المنطقى من عدة نواح أن يمتد استخدامها ليشمل أيًا ممن يعتقدون أن أصول دينهم تدفعهم لخوض «معركة ملكية».

فمنذ سبتمبر ٢٠٠١م، والأصوليون الذين يصنعون الأخبار عادة ما كانوا من المسلمين، ولكنهم لم يكونوا وحدهم، فلم يكن الأصوليون المسلمون وحدهم الذين أسهموا فى تعقيد المشاكل وجعلها أكثر صعوبة ورعبًا فى الشرق الأوسط، بل أسهم معهم فى ذلك أيضًا الأصوليون اليهود[٧٩٦]، وأيضًا قتل الأصوليون الهندوس والمسلمون أكثر من ٨٠٠ ضحية فى بداية عام ٢٠٠٢م فقط. فقد أحرقوا أبرياء لا دخل لهم بشىء أو ربما قطعوهم إربًا، بما فى ذلك نساء وأطفال من الجبهتين فى حرب دينية فى ولاية جوجارات فى غرب الهند[٧٩٧]. بل وقد استمر القتال الوحشى بين الأصوليين المسيحيين والمسلمين ـ على الأقل ـ منذ

الحروب الصليبية. ومن بين الأحداث التى قد وقعت مؤخراً، هى تلك الحرب الدينية التى اندلعت فى قرية مالوكو بإندونيسيا وأسفرت عن مقتل ٩,٠٠٠ شخص بما فيهم نساء وأطفال، ما بين مطعون ومحروق ومقتول بالرصاص، فقط فى الأعوام الثلاثة الماضية[٧٩٨].

وفى نيجيريا قتل ١٠٠ شخص ضمن أعمال شغب كانت قد اندلعت فى «كادونا» وهى مدينة بشمال نيجيريا ذات مليون شخص، ولها تاريخ من العنف الإسلامى المسيحى، والتى كان سببها النزاع حول الإهانة التى قد وجهت للإسلام بتنظيم مهرجان ملكة جمال العالم لعام ٢٠٠٢م[٧٨٩].

إعطاء موجز عن الأصوليين غير المسيحيين، وبالذات الأصوليين الإسلاميين، يعد اختياراً صائبًا، حيث إن هناك كثيرا من الأمور المشتركة بين هذه الجماعات الأصولية الموجودة فى كل الأديان، والتى هى على استعداد أن تكون قارئة حرفية للنصوص، وقتالية، كى تخوض الحرب الملكية، من أجل ديانتهم. وإن من السهل على الأصوليين المسلمين، مثلهم مثل الأصوليين المسيحيين، أن يجدوا ما يدعم فكرة القتال ـ والمطلق ـ فى قراءة حرفية لكتبهم الدينية[٨٠٠]، وعلى سبيل المثال فإن فى آيات القرآن ما يخدم هذا الغرض

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) ﴾ [الأنفال: ٣٨-٣٩][٨٠١].

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (٩١) ﴾[النساء: ٩٠-٩١][٨٠٢].

وبما أن هذا الكتاب يعنى بالأصولية المسيحية بالدرجة الأولى، فسوف يتضمن فقط نظرة عابرة وسريعة على الأصولية الإسلامية، ومحاولة إيجاد حلول ممكنة لها، ولا يوجد أى معنى ضمنى هنا يشير إلى توازى الأصولية المسيحية والأصولية الإسلامية، ولا أن الخطر الذي يشكلانه هو نفس الخطر أو من نفس النوع. ولكن رفض الأصوليين المسيحيين الفظ - بضرب أى أمثلة لهم - غير مبرر، فعندما تبلغ الأصولية - أيا كان نوعها - أكثر المراحل تعصبًا، يصبح خطرها الذى يهدد حياة الفرد والمجتمع حادا وتصبح الحاجة إلى الحلول ملحة.

أفضل مصادر فهم الإسلام بعمق، من منظور غير إسلامى، قد تكون هى الكتب التى نشرتها «Prometheus Books». وتشمل عدة كتب، منها كتاب ابن وراق «لماذا أنا لست مسلمًا؟»(٨٠٣). تقدر التهديدات التى تمثلها الأصولية الإسلامية المعاصرة. يوضح هذا بجلاء التناقض الظاهرى لأى من يريد حماية حرية الدين للجميع، حتى للأصوليين.

تظهر انحرافات الأصولية الإسلامية، بكل حيوية وترعيب، الأخطار التى يمكن لأى دين مطلق صارم أن يشكلها. وكما كتب لورانس داڤيدسون فى كتابه «الأصولية الإسلامية»: «أى فكر (سواء كان إسلاميًا أو غير ذلك) يدعى احتكاره للحقيقة، ويرى أن محتواها قد وضع بموجب إلهى، فإنه من غير المحتمل أن يتقبل المعارضة السياسية»(٨٠٤). وقد وصف برنارد لويس الإسلام، بأنه كان قويا بل مسيطرا، فى فترات مبكرة من التاريخ، وأن العلماء المسلمين مختلفون حول «ما هو الخطأ الذى حدث؟» وقال: «لقد كان يكفى أن يشعر المسلمون بالفقر والضعف، بعدما كانوا يتمتعون بالقوة والرخاء لعدة قرون، وأن يفقدوا قيادتهم للعالم التى اعتبروها مع الوقت حقا لهم، وأن يصبحوا تابعين للغرب، ولكن ما حدث فى القرن العشرين وبخاصة النصف الثانى منه، جلب لهم المزيد من الإهانة»(٨٠٥).

ووفقًا للويس، فإن هناك من العلماء من يرجع هذا التدهور الكبير إلى الأصولية الإسلامية، ولكن هناك آخرون كثيرون، وعلى الأكثر أصوليون ممن يعتقدون فى عكس ذلك. إذ هم على يقين من أن مشاكل وخسائر الدول الإسلامية يمكن نسبتها إلى التخلى عن الإسلام الحق من أجل الحداثة.

ويرى لويس أن هؤلاء الأصوليين هم على عكس هؤلاء الذين يقول عنهم «أنهم السبب الرئيسى وراء التقدم الغربى بفصلهم الدين عن الدولة، وبخلقهم لمجتمع مدنى تحكمه القوانين العلمانية»(٨٠٦)، وبذلك يحاول لويس أن يبرهن على أن الحضارة الإسلامية قد فقدت مجدها العظيم وفاعليتها، ويقول: إن السبب الحقيقى فى التدهور ـ على عكس ما يراه الأصوليون ـ هو فقدان الحريات الأساسية (٨٠٧).

وقد اختتم ابن وراق كتابه «لماذا أنا لست مسلمًا؟» بفصل تحت عنوان «الإسلام فى الغرب»، ويعرض الفصل دعوة قوية من الكاتب إلى الثقافات الغربية لتتمسك بقيمها وألا تخشى الدفاع عنها. وقد حذر أيضًا من تأويل التحررية الغربية المؤيدة للتعددية الثقافية والتى تقر بجدارة كافة القيم الثقافية، ويصر ابن وراق على عدم السماح للأصوليين الإسلاميين باستغلال القيم الغربية التى يحاولون الإطاحة بها فى الأصل.

وقد كتب ابن وراق قائلاً «على الرغم من نواقص الديمقراطية التحررية الغربية، إلا أنها تعد أفضل بكثير من ثوابت الدين الإسلامى التسلطية المغيبة للعقول»(٨٠٨).

لم يقدم ابن وراق أية حلول إلا فيما يتعلق بالتعليم، ولكن أكد بشدة على ضرورة محاربة أو مواجهة هؤلاء الأصوليين الإسلاميين، المستعدين لخوض المعركة الملكية، وقد اختتم كتابه «لماذا أنا لست مسلمًا؟» بصورة استعارية حربية إذ قال «لذلك فإن ليس بالضرورى أن تكون المعركة الأخيرة بين الإسلام والغرب، بل ربما تكون بين من يقدرون الحرية ومن لا يقدرونها»(٨٠٩).

يتفق مؤلفو هذا الكتاب مع ابن وراق إلى حد كبير، إذ يقولون: إن هذه المعركة لن يتسنى لنا أن نفوز فيها، إلا إن استجمعنا من الشجاعة ما يجعلنا نقف فى وجه هؤلاء الأصوليين المناهضين للعلمانية والحرية، والمناهضين لأمريكا أينما كانوا، وإننا نلح على عدم اللجوء للقتال أو العنف.

وكما ذكر من قبل، فإن كل من الأصوليين المسلمين والمسيحيين ينكرون بشدة التشابه القائم بينهم، وقد يشير المدافعون عن الإسلام إلى أن ماضى المسيحية

«المطلقة» والأرثوذكسية المتطرفة، أثبتت بكل طريقة ممكنة أنها خطر على البشرية والمجتمع البشرى بما لا يقل عن أسوأ أشكال الأصولية الإسلامية.

لم يمسك العلمانيون فى إيران وپاكستان وأفغانستان بزمام الأمور، ولكن فى الدول الإسلامية الأكثر ديمقراطية مثل تركيا، ترى المجتمع العلمانى يتصدى بشراسة للأصوليين الإسلاميين وغيرهم، وإن تركت الفرصة للأتراك الأصوليين، لكانوا الآن يحكمون حكمًا دينيًا.

كثير من الأمريكيين يهتمون بما يحدث فى كثير من بلاد العالم، بدافع اهتمامهم بسعادة الإنسان ورفاهيته. ولكن لماذا ـ خارج نطاق الاهتمام الشرعى برفاهية الإنسان ـ يأبه الشعب الأمريكى ؟

لأنه يجب التعرف على خطوط التوازى بين كل من الأصولية المسيحية والأصولية الإسلامية والأصوليات الأخرى، وقد بدأ الصحفيون فى التحدث عن ومناقشة تلك الخطوط المتوازية منذ الحادى عشر من سبتمبر.

ولكن ربما يرجع فشل الأصوليين والشعب الأمريكى بصفة عامة، فى تحديد الصلة وعقد المقارنات، إلى أسباب دفاعية.

وقد صور انعدام الرؤية ما كتبه جريجورى چيه. رامو، أحد كتاب الأعمدة الإيفانجليكيين «تسمية المسيحيين «طالبان» هو قذف وتشويه». هذه الإشارة لطالبان، على عكس ما يعتقده رامو، للمقارنة بين الأصوليين المسيحيين والأصوليين المسلمين، وليس عامة المسيحيين.

وقد تساءل رامو: «إذًا ما هو الفرق بين طالبان والمسيحيين المحافظين الأمريكيين ؟».

ويرى رامو أن «طالبان هم مجموعة من المتطرفين المسلمين الذين يستغلون القرآن ويعتبرونه مبررا لأعمال القمع والشجب التى يمارسونها ضد أهل دينهم، وإعلانهم للجهاد ضد كل من يعارضهم، ويوصفون عن حق بأنهم: كارهون للبشر، كارهون للنساء، يعتقدون بسمو عقائدهم الدينية، يعتقدون فى الألفية، ضد الحداثة، ضد المسيح، ضد السامية، إرهابيون، جهاديون، انتحاريون»[٨١٠].

وإن استثنينا كلمة «ضد المسيح» واستبدلناها بـ «ضد الإسلام» و«ضد الإنسانية العلمانية» ستكون بتلك السمات التى حددها كل من پايپس ورامو قريبة الشبه جدًا من صفات الأصوليين المسيحيين، وقد تكشفت هذه المسألة عدة مرات، خلال هذا الكتاب، والتى تقول بأن للأصوليين المسيحيين والإسلاميين نفس الصفات تقريبًا، وفى الأغلب ما يكون لهم نفس النظرة الضيقة لما يؤسس القيم الأخلاقية.

يقرأ الأصوليون المسيحيون عن الفظائع المرتكبة فى البلاد التى يحكمها الإسلام، ولكنهم لا يرون إلا القوى المتطرفة القمعية التى أمسكت بتلابيب الحكم هناك، فهم لا يرون التشابه بين معتقداتهم وبين المعتقدات الأصولية الأخرى.

المسلمون ــ مثل المسيحيين ــ ليسوا كلهم متماثلين: ما يفصل المسلمين الأصوليين عن المسلمين المتحررين هو قراءتهم الحرفية للقرآن، تمامًا مثلما يقرأ المسيحيون الأصوليون الكتاب المقدس حرفيًا[٨١١].

ينقسم المسلمون إلى مجموعتين أساسيتين هما الشيعة والسنة، السنة هى الأغلبية الساحقة والأكثر تحررًا من المسلمين. وينقسم الشيعة إلى علة طوائف[٨١٢]، ويمثلون الأقلية المسلمة التى تعتبر أكثر محافظة وتطرفًا من السنة، وكما هو الحال فى الأصولية المسيحية، فهناك بعض الجماعات الإسلامية النشطة سياسيًا، وهناك بعض الجماعات الأخرى المنكبة على نفسها، أى لا تتدخل فى السياسة.

وفى جنوب آسيا، تتخذ أهم حركتين أصوليتين إسلاميتين مدخلين مختلفين تمامًا، وفقًا لما يراه ممتاز أحمد، أحد أعضاء المشروع الأصولى. وفى المؤتمر الوطنى للجماعة الإسلامية بپاكستان لعام ١٩٨٩م، والذى انعقد فى مدينة لاهور ــ پاكستان، قال قاضى حسين أحمد، رئيس الحركة الأصولية فى كلمته الافتتاحية:

إننا مجتمعون هنا اليوم من أجل تأكيد بيعتنا لله القادر، بأننا نجعل من پاكستان أمة إسلامية حقة، ودولة تحكمها الشريعة، ودولة أساسها العدل بين الناس ومسئولية الحكام، وسوف نجعل منها نموذجا لقوة الإسلام لكى يقتدى بها سائر العالم الإسلامى[٨١٣].

وفى الوقت نفسه ، وعلى بعد ثلاثين ميلا فقط ، اجتمع مليون مسلم فى المؤتمر الدولى لجماعة التبليغ ، حيث تجد الناس فى الخيم إما يصلون أو يقرأون القرآن أو يستمعون لبعضهم بعضًا ، وقد قال مولانا إنا مول حسين رئيس الجماعة فى خطابه الوداعى : «اذهبوا وانشروا رسالة الإسلام الأبدية في شتى بقاع الأرض، ذكروا إخوانكم بواجباتهم الدينية ، وذكروهم بيوم الحساب وحثوهم على أن يتذكروا إلههم العظيم وأن يمتثلوا لإرادته ، وأن يطيعوا النبى محمد صلى الله عليه وسلم» .

تعنى جماعة التبليغ فى المقام الأول بأخلاق الفرد وروحانيته ، ويقول أحمد موضحًا إنها تحث الفرد على «أن يعمل بموجب التزاماته الدينية» بغض النظر عن طبيعة الدولة التى يعيش فيها .

ومثل الانفصاليين المسيحيين ، ترى هذه الجماعة (جماعة التبليغ والدعوة) أنها ستؤدى واجبها باتباعها العقيدة الإسلامية ، ومن خلال هدايتهم للآخرين إلى الطريق الصحيح ، بينما ترى الجماعة الإسلامية من الناحية الأخرى ، أنه من واجبها أن تفرض آراءها الأصولية على المجتمع كافة ، ولذلك فإنها تتطلع أن تقيم دولة إسلامية «دستورها القرآن والسنة وقانونها الأساسى هو الشريعة»(٨١٥) .

ويعد مولانا المودودى نموذجا آخر للأصولية الإسلامية المتعصبة ، التى تشبه أصولية اليمين المسيحى ، وبخاصة أصولية «معيدو البناء» ، والمودودى الأصولى هو ملهم «الأسلمة الپاكستانية» ، وهى عملية إحياء الشريعة فى پاكستان ، كما يفهمها الأصوليون بمنظورهم الضيق ، ويحاجج قائلاً :

الدولة الإسلامية على عكس الدولة العلمانية ، لا يقتصر واجبها على أن تسيطر على النظام الداخلى ، بل واجبها الأول والأخير هو أن تؤسس نظام الصلاة والزكاة ، وأن تنشر تلك القيم التى وصفها الله ورسوله «بالفضائل» وأن تمحو تلك الأشياء التى وصفها الله ورسوله «بالرذائل» ، بمعنى أنه لا يمكن أن تعتبر أى دولة نفسها ، إلا إذا حققت تلك الأهداف الرئيسية التى تقام على أساسها ، الدولة الإسلامية ، لذا فإن الدولة التى لا تأخذ على عاتقها غرس

الفضائل واقتلاع الرذائل، والتى يتفشى فيها الزنا وشرب الخمر والمقامرة والفن الإباحى والأفلام غير اللائقة والأغانى المبتذلة وعرض الجمال بصورة لا أخلاقية واختلاط الرجال بالنساء والتعليم المشترك. . . . الخ، دون أى منع أو ردع، لا يمكن أن تدعى بالدولة المسلمة، حيث يلزم للدستور الإسلامى أن يشمل الأهداف السالف ذكرها كواجب الدولة الأول[٨١٦].

إن هذا الهوس وتلك الأهداف تختلف قليلاً عن أهداف أصوليات الأديان الأخرى، وخصوصًا الأصولية المسيحية.

وجدير بالذكر، أن للأصوليين الإسلاميين فخر القيام بأكبر ثورات التاريخ المعاصر فى إيران، فى عام ١٩٧٩م، حيث وضع الزعيم الدينى المحافظ آية الله الخمينى نظاما إسلاميا، ليحل محل الحكومة نصف العلمانية الإيرانية، **وقد استخدمت الحكومة المحافظة الجديدة الشعارات والرموز الدينية مثل تلك التى اجتاحت أمريكا منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر.**

تم التركيز - بشكل ملحوظ - على العلاقات الجنسية والنساء فى إيران. ومثلما قال الأصوليون المسيحيون، قال الإيرانيون: إن الأمومة والحياة المنزلية «مبنية على أساس وقواعد ربانية»، وقد أصبح التشجيع على الزواج شعارًا لحل مشاكل المجتمع، وقد أصبح تنظيم الأسرة يرى على أنه شىء شرير مثلما يراه الأصوليون المسيحيون، وقد تأثر بشكل كبير، وأصبح تحديد النسل شيئا خاطئا وباهظ التكلفة، نظرًا لعدم موافقة الزعماء المحافظين عليه، مما أدى إلى زيادة معدل النمو السكانى[٨١٧].

يقول ريتشارد سويفت، محرر «العالمى الجديد»: إن الإسلام يرشد المسلم الأصولى إلى الطريق «من كل نواحى الحياة، ثقافية وسياسية واقتصادية، وحتى السلوك الشخصى أيضًا»، كما يرى أن الأصوليين المسلمين يتمسكون بقواعد الشريعة «التى تمثل حكم الله المباشر للمجتمع»، فهم پيوريتانز مناضلون، (يتبعون مذهب الپيوريتانز فى الأخلاق) يدعون للمساواة بين البشر، يعارضون المخدرات والكحوليات والمثلية الجنسية وحقوق المرأة والإجهاض وممارسة الجنس خارج الزواج، كما يشعرون بالريبة تجاه الثروة.

ويتبع الأصوليون الإسلاميون ممارسات متطرفة، ويعملون بشتى الطرق على ضمان ألا تمارس في مجتمعاتهم تجليات العالم الحديث [٨١٨].

لم يصل تأثير الأصولية المسيحية على المرأة في أمريكا للمستوى الحاد الذي وصل إليه في الدول التي يحكمها الإسلام، ويرجع هذا لسلامة الديمقراطية الأمريكية الآن، ولا يزال يتأرجح المستوى الذي من الممكن أن تتأثر به المرأة بالأصولية، ولا تزال أمريكا غير مستعدة لتقبل العنف الأسرى، بغض النظر عن وجوده إلى حد كبير في بيوت الأصوليين المسيحيين، حيث يصل في حالات كثيرة إلى أقصى الحالات التي يسمع عنها في المجتمعات الإسلامية الشرق أوسطية.

ينظر للمرأة في پاكستان وغيرها في الأماكن على أنها جزء من ممتلكات الرجل، مما لا يختلف كثيراً عما يعتقد فيه الأصوليون المسيحيون، حيث يقتصر واجبها على خدمة الرجل وتقبل أي شكل من أشكال المعاملة التي يراها هو مناسبة، بل ويعتقد كثير من النساء الپاكستانيات ـ تماماً كما تعتقد النساء الأمريكيات اللاتي تنتمين إلى بيوت مسيحية أصولية ـ أنهن يستحقن تلك المعاملة أو على الأقل يدركن أنه ليس في وسعهن أن يفعلن ما قد يمنع ذلك[٨١٩]، وقد جاء في دراسة أجرتها إدارة تطوير نساء البنچاب ورفاهيتهن الاجتماعية:

أن ٤٢٪ من النساء يتقبلن العنف على أساس أنه جزء من قدرهن، بينما يشعر ٣٣٪ من مجموع السيدات أنهن لا يستطعن أن يواجهنه، وأن ١٩٪ فقط من السيدات سجلن اعتراضهن فيما يتعلق بمثل تلك المسألة، وأن ٤٪ منهن اتخذن ضده الإجراءات اللازمة.

وقد تبين أن ٣٥٪ ممن يمارسون هذه الأعمال العنيفة من الأقارب الرجال، وأن نسبة الأزواج الذين يتعاملون بعنف مع زوجاتهم تصل لحوالى ٣٢٪، وتتبعهم سيدات أخريات بنسبة ١٣٪، وأقارب آخرون بنسبة ٢٪، وفيما ورد في التقرير أيضاً أن ٥٪ فقط من جرائم الاغتصاب والشرف بشكل عام، قد تم الإبلاغ عنها[٨٢٠].

ومثلما هو الحال في أمريكا، يتخطى العنف مجرد ظلم الإيذاء، ففي

لاهور، قام أحد الأزواج بحرق زوجته حتى الموت فى أبريل من عام ٢٠٠٠م، وفى المستشفى، وقبل أن تلقى مصرعها، كانت قد أبلغت عائلتها أن أم زوجها كانت تساعد زوجها فى ضربها، وكان كل ما اقترفته هو «أنها ولدت طفلة أنثى بعد عامين من الزواج» كما «رفضت أن تقبل أن يتزوج زوجها بأخرى»[٨٢١].

تنتشر الجرائم التى تتعلق بالشرف فى كثير من الدول الإسلامية. على غرار إيران وتركيا، التى تعتبر من الدول الديمقراطية نسبيًا، والتى يتزايد تأثرها بالأصولية الإسلامية، فكثيراً ما يقتل الأزواج والأقارب من الرجال النساء، لأنهن يجلبن العار لأهاليهن، وقد يحدث هذا نتيجة لرفض الزواج بالإكراه، ولكن دائما ما يدافع القتلة عن أنفسهم ويبررون أفعالهم بإشارتهم للقرآن وللتعاليم والشرائع الإسلامية. وغالبًا ما ينالون عقوبات مخففة أو لا تتم معاقبتهم من الأساس. وفى أحد الأفلام الوثائقية التى قد تم إذاعتها على سينماكس بعنوان «جريمة الشرف» تظهر امرأة ومعها رجل، من المفترض أن يكون عشيقها، فى وسط الشارع وتغطيهم ملاءة بيضاء، ويرجمون حتى الموت[٨٢٢]، والإعدام بالرجم هو العقوبة المفضلة لدى «معيدو البناء» من المسيحيين الأصوليين.

منذ أن تولت طالبان السلطة فى أفغانستان فى عام ١٩٩٦م، كانت المرأة تضرب فى الشارع بصفة مستمرة من قبل الشرطة الدينية «للمخالفات، مثل ارتدائهن جوارب بيضاء» والتى تعتبر «عصرية» أو «فاتنة» وكان هذا ضمن الأشياء التى حددتها وزارة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كمحرمات تمنع المرأة من دخول الجنة، وكانت المرأة تضرب أيضا لخروجها على العامة غير مرتدية البرقع أو الزى الشرعى الذى من المفترض أن يغطى جسدها كله، وقد كان يحظر على المرأة أيضًا العمل خارج المنزل، إلا فيما يتعلق ببعض الوظائف الطبية (الرعاية الطبية) مما أدى إلى تسول مليون أرملة فى الشوارع، وقد تدهورت رعاية المرأة الصحية، لأنه لم يكن مسموحا للأطباء الرجال أن يفحصوا المرأة بشكل دقيق، إلا فى حالة مخاطرة الطبيب التى قد تعرضه للسجن.

ونتيجة لتلك التحكمات فيما يتعلق بصحة المرأة، إلى جانب الإجراءات

والممارسات القمعية الأخرى، فقد أصبح متوسط عمر المرأة الأفغانية الآن أربعة وأربعين عاما فقط[٨٢٣].

ومن السهل ملاحظة عدم اهتمام اليمين الديني [في أمريكا] براحة المرأة وملاحظة عداوته لها بشكل عام، أولاً: فهو يعارض الإجراءات التي تحمي المرأة من المعاناة الكبيرة التي تعيشها في مختلف أنحاء العالم، وثانيًا: يدعو إلى وضع قانون للطلاق ويدعو لإصلاح نظام الإعانة المالية بحيث يصبح الطلاق مسألة صعبة المنال في أمريكا، وثالثًا، يعارض الإصلاحات في البلاد التي يصعب إتمام الطلاق بها، إن لم يكن مستحيلاً.

وفي الفترة الأخيرة ، اتضحت الصورة المأساوية التي تعامل بها المرأة في كثير من الدول الشرق أوسطية، مما يجعل عدم اتخاذ الولايات المتحدة ـ تحت إدارة بوش ـ الإجراءات الدولية اللازمة لحمايتها، أمر ينم عن عدم تحمل المسئولية. وعلى الرغم من رحيل طالبان في الآونة الأخيرة عن كابول، فلم يكف الأزواج عن ضرب زوجاتهن، إذ ما يزال يتهددهن ذلك الأمر، كانت إحدى الزوجات والتي لديها من الأطفال سبعة قد قالت لريتشارد لكايو، أحد مراسلي مجلة «التايم» كما ذكر في عدد ٣ ديسمبر ٢٠٠١م « يقول زوجها : إن القرآن يعطيه الحق في تقويم زوجته كيفما شاء، وقالت: إنها قرأت القرآن ولم تجد آية من ذلك صحيحا، ومع ذلك فإن لم تطعه، تصبح لا حيلة لها، كما أنه يضربها لأسباب عديدة».

الانحراف الذي توسم به الأصولية المسيحية المرأة، يمتد لأصوليات وثقافات أخرى، الفرق الوحيد يكمن في كون الأصولية الإسلامية يتضح فيها الأمر إلى حد بعيد. ففي الدول الأفريقية والشرق أوسطية، يتم تشويه الأعضاء التناسلية لحوالي ٢ مليون فتاة سنويًا، ويعد الختان أقصى صور هذا التشويه[٨٢٤]، حيث تترك فقط فتحة صغيرة للتبول ولخروج الطمث، ويتم إجراء هذه العملية في أي وقت ما بين فترتي الطفولة والبلوغ، دون أي تخدير، وعادة ما يُستخدم في ذلك قطعة زجاج مكسور أو غطاء صفيح أو مقص أو شفرة موس أو أي أدوات قطع أخرى. «وكثيرًا ما تؤدي إما للموت أو للأمراض المزمنة أو للمشاكل النفسية».

ففى اللقاء الجنسى الأول، تشعر المرأة بألم شديد عليها تحمله، وعادة ما يستلزم الأمر أن يقوم زوجها بفض غشاء بكارتها قبل أن يتم النفاذ.

هذا التشويه الذى يحدث فى الأعضاء التناسلية للمرأة، لا يحدث فقط لأغراض دينية، حيث تلعب الهوية النوعية والهوية الثقافية والمعتقدات المتعلقة بالعادات الصحية دوراً كبيراً، ولكن هذا لا يغفل دور الدين الكبير فى ذلك، فعلى الرغم من عدم اتِّباع معظم المسلمين لسنة النبى محمد، إلا أن هؤلاء الذين يمارسون تلك العادات من المسلمين يرجعونها دائمًا للسنة.

هذا البعد المتعلق بالنشاط الجنسى للإناث والهوس بالطهارة [الاستقامة والعفاف] يلعب دوراً أساسيًا فى هذا التشويه لأعضاء الأنثى التناسلية، الأمر الذى يتشابه فيه أيضًا المسلمون مع الأصوليين المسيحيين. قالت إحدى السيدات الكينيات «إن الختان يجعل المرأة نظيفة، وتحفظ العذرية والعفة، ويحافظ على الفتيات الصغيرات من الإحباط الجنسى بإضعاف شهوتهن الجنسية»(٨٢٥).

ومثلما يتضح من خلال أحداث الحادى عشر من سبتمبر وانهيار مبنى التجارة العالمى ومنذ ذلك الحين، يتبين أن «الجهاد» هو هدف الأصوليين الإسلاميين الأكثر تطرفًا، حيث يدرس هذا المفهوم فى المدارس الدينية فى پاكستان، وقد يتراوح المعنى بين كونه مجرد صراع شخصى غير مؤذ فى سبيل الطهارة، إلى حرب مقدسة مميتة.

يقول البروفيسور سيد منهاج الحسن، الأستاذ بجامعة پشاوار، إن كثيرا من الطلاب المسلمين يتعلمون أنه سوف ترحب بهم حور العين فى الجنة إن دفعوا حياتهم فى سبيل الإسلام (٨٢٦).

يتحدث الأصوليون المسيحيون أيضًا عن كون الأمر حربًا، ولكنها عند الكثيرين منهم حرب سياسية واجتماعية أكثر منها جسدية، رغم أن هناك كثيراً من الجماعات يعدون ويسلحون بكم هائل من الأسلحة. **وشبيه بهذا الترحيب السماوى الذى يتطلع إليه المسلمون فى الجنة، هناك المعتقدات المتعلقة بالعصر الألفى السعيد التى يؤمن بها الأصوليون المسيحيون، ورغم أنهم لا يدخلون حور**

العين فى الموضوع، إلا أنهم يعتقدون فى «اختطاف ـ rapture» المختارين، فى حين تواجه سائر البشرية عذابا أليما وحربا شعواء.

إن خوف الأصوليين المسيحيين من تدريس بعض الأفكار غير الخاضعة للرقابة فى المدارس، لديه ما يقابله أيضًا فى المجتمعات الإسلامية الأصولية. فعلى سبيل المثال، يقول زعماء إحدى الجماعات فى كشمير: إنهم «دققوا فى المكتبات فى المؤسسة التعليمية، كجزء من حملتهم الإسلامية، وإنهم فرضوا الحظر على الكتب التى لا تتماشى مع معرفتهم بالرجل والعالم من حوله»، وقد فقدت مكتبة جامعة كشمير أكثر من ٢,٠٠٠ كتاب ـ كما يقول تريسال ـ بما فى ذلك «كل الكتب التى تتحدث عن الفلسفة الهندوسية، الفردوس المفقود لميلتون، ومسرحيات چورچ برنارد شو، وكتب أخرى لأشهر الكتاب»[٨٢٧]. وقد انضم المدرسون أيضًا لعملية منع تدريس نظرية داروين للتطور فى المعاهد الطبية. حيث إنها لم تراع القيود الأصولية الإسلامية[٨٢٨].

وقد تعرضت مثل تلك الأفكار للرقابة من قبل المسيحيين الأصوليين أيضًا لأعوام طويلة.

فى السودان كانت المحاضرات تراقب، حتى يتم التأكد من التزامها بالعقائد الأصولية. وقد تم القبض على الدكتور فاروق إبراهيم النور، أحد أعضاء هيئة التدريس، بكلية العلوم، جامعة الخرطوم لارتكابه هذه الجريمة، وقد تعذب بشكل مرير «لإجباره أن يتخلى عن إيمانه بنظرية داروين للتطور[٨٢٩]»، وكان هذا بالطبع، قبل أن يتم إغلاق الجامعات من قبل الجبهة الإسلامية الشعبية، أحد أكثر الأحزاب أصولية، منذ أواخر الثمانينيات[٨٣٠].

ومن أكثر العناصر المثيرة للمشاكل فى پاكستان، محمد يونس شيخ، واحد من بين عشرات المعلمين الذين يتهمهم طلابهم بالتجديف «كما ورد فى صحيفة واشنطون پوست فى ١٧ مايو ٢٠٠٢م».

وفى پاكستان عقوبة التجديف الإعدام، تمامًا مثلما سيكون رد فعل «معيدو البناء» من المسيحيين، فقد أدين محمد شيخ بجريمة دينية، بالرغم من أن كلامه لم يرفض أو يسخر من الإسلام أو النبى محمد، بل إنه قد أوضح ثمة تناقض فيما يراه الأصوليون الإسلاميون على أنه حقيقة إسلامية، أجاب محمد شيخ أحد

طلابه، بأن النبى محمدا لا يمكن أن نعتبره نبيًا أو مسلمًا قبل سن الأربعين، حيث لم يكن الإسلام قد ظهر بعد. والآن هو فى انتظار أن ينفذ فيه حكم الإعدام. ومما يدعو للسخرية حقًا هو أن قضايا التجديف رُفعت فى ظل حكم الرئيس الباكستانى برويز مشرف، شريك واشنطن فى «الحرب على الإرهاب»[٨٣١].

وقد تم تسجيل بعض القيود على أتباع المعتقدات الدينية الأخرى، على مدار التاريخ الأمريكى، وحول العالم، فأينما تجد «دينا رسميا»، تبعته القيود وتلازم معه الاضطهاد الدينى. فعلى سبيل المثال، فى ماليزيا، حيث تبلغ نسبة المسلمين ٦٠٪ من مجموع عدد السكان، تجد الإسلام هو الدين الرسمى، ويعطى الدستور الماليزى «المواطنين الحق فى ممارسة ونشر دينهم»، ومع ذلك «فإن هذا الحق تفرض عليه القيود فى الواقع»[٨٣٢]، فبينما لا توجد قيود على أماكن العبادة الإسلامية، فعلى الديانات الأخرى أن تحصل على موافقة الحكومة لبناء مكان للعبادة، بل ويزيد الخناق على المواد المسيحية هناك، وتتم معاقبة الردة عن طريق الغرامة أو السجن حتى يتم تهذيب المذنب دينيًا.

وفى البوسنة، يضمن د ستور الدولة الحرية الدينية، لكن لا يوجد ما يشرع فصل الدين عن الدولة وإن لهذا مدلوله، إذ يهيمن الكاثوليك والأرثوذكس والمسلمين كل على مناطق معينة من الدولة ويضطهدون الأقليات الدينية الأخرى[٨٣٣](*).

وإنه لأمر مغر أن ترى الشرق الأوسط متفردًا، لو تخيلته جزءًا من العالم الذى لا يتواءم مع المجتمع العصرى. ولكن الأمر ليس كذلك، فقد شهد الشرق الأوسط الحداثة وعاشها فى القرن العشرين، بسبب الصناعة النفطية، وقد أسهمت العلمانية فى بث موجة الحداثة الأولى فى الشرق الأوسط، وقد أصبح الدين أمر خاصا أكثر منه عاما، ومع هذا المجتمع العلمانى ظهرت المساواة بين الرجل والمرأة، ولكن مثلما هو الأمر بالنسبة للأصولية المسيحية فى أمريكا، **ظهرت الأصولية الإسلامية فى أواخر الستينيات.**

(*) فى الحقيقة ـ أو فى المأساة ـ التى رآها العالم فى البوسنة، أظهر المسلمون تسامحًا واضحًا، وأظهر الأرثوذكس والكاثوليك التعصب الذى أدى إلى عمليات الذبح الجماعى للمسلمين، والذى ما زالت تتكشف جرائمه مع اكتشاف المقابر الجماعية للمسلمين، ووقع العديد من تلك المذابح تحت سمع وبصر قوات الأمم المتحدة، إن لم يكن مماطلاتها وتلاعباتها ـ المترجم.

انعكس تيار حصول المرأة على حقوقها، وعاد ثانيًا التركيز على خضوعها للرجل[٨٣٤].

قد يكون أوضح مثال لاندفاعة الأصولية الإسلامية وقدرتها على التسيد تحت الحكم الديمقراطي، هو ما حدث في الجزائر في بداية تسعينيات القرن الماضي. يصف البروفيسور چيمس إيه هوت الرعب الذي خيم على الجزائر من بعد ذلك.

زادت الضغوط على نظام حكم الحزب الواحد في الجزائر في عام ١٩٩٠، حتى اضطر لاجراء انتخابات شارك فيها الأحزاب على مستوى المدن، وفاز الأصوليون الإسلاميون بسهولة ويسر في أكثر من نصف الدولة، وسرعان ما كثف الأصوليون تركيزهم على إقامة دولة الشريعة، ويعنى ذلك أن مخالفة الشريعة تسفر عن الجلد بالسياط، قطع الأطراف، بل وحتى الإعدام.

ظهر العنف الرهيب في الجزائر، وانتشر بسرعة، وفرضت الحكومة حالة الطوارئ، وكما لاحظ هوت، عندما تم تحديد آخر عام ١٩٩١م للانتخابات البرلمانية، رفع الأصوليون شعار «لا دستور ولا قوانين، الحكم للقرآن وقانون الله». تظاهر ٣٠٠,٠٠٠ علماني في الجزائر هاتفين «لا للأصولية»[٨٣٥].

اقتنص العسكريون الحكم، بعد أن أسفرت الانتخابات عن انتصار كاسح للأصوليين، وألغى العسكريون نتيجة الانتخابات. وبهذا تم القضاء على الديمقراطية التمثيلية. كان البديل الوحيد للحكم العسكري هو الدولة الدينية. خسرت الجزائر عشرات الآلاف من القتلى في أعمال الشغب. وكما لاحظ هوت «أصبح الدين في الجزائر اليوم مرتبطا بالدم، كما كان منذ ٣٠٠٠ سنة»[٨٣٦].

العلمانية هي الحل

العلمانية هي الطريقة الأمريكية، ولذلك ـ كما رأينا ـ يجب حمايتها. فهي تؤكد على الحرية الدينية واحترام العقائد الدينية، أواحترام عدمها. وهي في نفس الوقت تصر على أن الشئون الدنيوية (سواء كان هناك شئون أخرى أم لا) يجب

معالجتها بدون الاعتماد على أى مجموعة من السلطات الدينية. تقدر العلمانية التعقيدات الاجتماعية، والرغبة فى المدخل العلمى، وفى التجريبية. تفهم العلمانية الرغبات، والعوامل المتعددة - التى لا فكاك منها - للتأثير على المجتمع، والثراء الذى يجلبه تنوع الثقافات.

ومما يدعو للسخرية، أن العلمانية تصر على الدفاع عن الحقوق، بما فى ذلك حقوق الأصوليين، على نفس أرضية الدفاع عن حقوق الآخرين، ولكن لسوء الحظ، لا يؤيد الأصوليون التنوع الثقافى، وغالبًا ما يعتبرون التعددية والتنوع فى الآراء نوعًا من الهرطقة.

كذلك يعبر الأصوليون عن خوف مستمر من غير المتدينين، بصفتهم يمثلون تهديدًا للفكرة الإلهية عن المجتمع الذى يحكمه الدين. عادة ما يدين الأصوليون العلمانيين فى كتاباتهم وفى مناهج مدارسهم، وكذلك يدينون الأفكار الدينية الليبرالية[٨٣٧].

فى الواقع - ولمرات - أثار المؤمنون الليبراليون مخاوف الأصوليين أكثر مما أثارها غير المؤمنين [٨٣٨].

يثير الدين العواطف، أحيانا للخير وأحيانا للشر، وفصل تلك العواطف عن مراكز السلطة ضرورى لاستقرار السلام. وكما لاحظ كولين كامبل فى جريدة أتلانتا «الدين يمكن أن يكون قاتلاً، ويمكن أن يكون حضاريًا وحاميًا للحياة». ويستخلص كامبل أن واضعى الدستور الأمريكى أدركوا ذلك التناقض المحتمل فى طبيعة الدين فيما يخص تأسيس مجتمع علمانى. **ويطفح التاريخ الأمريكى بالأمثلة عن الحاجة للحذر من خطورة المتطرفين الدينيين**[٨٣٩].

وكما ذكرنا بالتفصيل فى فصول سابقة، فالوجوه «القاتلة» للدين، لا تحصر نظرها على غير المؤمنين، أو أصحاب الأديان الأخرى. ولما كانت الطاعة للسلطة (الدينية) من أفضل الفضائل لدى الأصوليين، فالعنف الذى يؤدى لفرض تلك الطاعة ليس فقط مقبولاً، بل هو مرغوب.

الحل الأكثر جوهرية أمام خطر الأصولية، هو علمنة المجتمع والحفاظ على تلك العلمنة، ولكن إنجاز ذلك معقد، وغير مضمون على الإطلاق. قد يمكن

التوصل للحل بتركيبة من الآتى :

* التزام سياسى .
* دعم المدارس العامة .
* دعم البحث العلمى لكل المسائل .
* بذل المجهود لاكتساب الاحترام للعلم والفكر العقلانى، والتفكير النقدى، والتشكك المناسب لكل ادعاءات الحقيقة [الدينية] .
* بذل المجهود الواسع للتعليم بكل أنواعه - رسمى وغير رسمى - فى المعاهد وبعرض المجتمع وطوله .
* اليقظة الدائمة لضرورة حماية الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة .
* إدراك الحاجات العاطفية للبشر، بما فى ذلك الأصوليين .
* الاحترام المستمر والواعى لحقوق الجميع فى الحرية الدينية .

أكثر من مسألة حياة أو موت

فشل الأصوليون فى رؤية أنه ليس بمقدورهم ادعاء «المطلق» إلا إذا كانت الحقيقة «بسيطة مطلقًا» . فشلوا فى إدراك أنه كان هناك من قبل مئات الملايين من الأصوليين الذين كانوا يرون أنهم على «الحق المطلق» وأنهم يفعلون ما أراده الله منهم، ثم رأى الأصوليون المعاصرون أن ذلك لم يكن صحيحًا، ورفضوا ما رآه الأصوليون السابقون «حقيقة مطلقة» . كذلك يبدو أن الأصوليين لا يلاحظون أن الأصوليين اليوم فى مختلف أنحاء العالم غير متفقين مع بعضهم البعض .

اتباع الإرشادات المقدسة أثبت فى أغلب الأحوال أنه مميت . وهذا ثابت فى الاستعادة[٨٤٠] [استعادة الأندلس من المسلمين]، المحاكمة الرهيبة، ثم إعدام مايكل سرڤيتيوس عام ١٥٥٣[٨٤١] ، العبودية فى جنوب الولايات المتحدة قبل الحرب الأهلية[٨٤٢] ، محرقة هتلر[٨٤٣] ، مذبحة «الساحرات»، الحروب الصليبية، وآلاف الأمثلة الأخرى .

وتعطى الآن قصة الأم المسيحية فى ولاية تينيسى ـ عندما غضبت من رفع مقرر الكتاب المقدس من المدرسة العامة بحكم محكمة، وقالت **«يجب شنق من حكم برفع الكتاب المقدس»**(٨٤٤) ـ مثلاً صغيراً، ولكنه واضح. فى مجتمعنا العلمانى، عادة ما لا يكون لأصولى مثل تلك الأم أن يتصرف بفعالية طبقًا لغرائزه أو أفضلياته ـ ولكن يبقى الخطر، حتى لو كان ذلك مجرد مثال معزول، ولسوء الحظ فإنه ليس كذلك. وتزداد حدة الخطر لدى الناس المأسورين فى فخ الأصولية، سواء كانت أصوليتهم، أو أصولية آبائهم أو أزواجهم، وهى أيضا خطيرة فى المجتمعات التى تزداد فيها قدرة الأصوليين السياسية أو الاجتماعية.

يجب على الأمريكيين معالجة الضرر الذى أصاب الأفراد والمجتمع من عقائد الأصوليين وممارساتهم. يلزم أن تتطور الحلول لمساعدة الناس على الهروب من تلك العقائد المتطرفة، وتحميهم من التحول لها ثانيًا. وللمشاكل الأوسع نحتاج لحلول أوسع. يجب على علماء الاجتماع وعلم النفس وممثلى الحكومة دراسة هذا الوباء بطريقة منهجية مكثفة. يجب عليهم البحث عن حلول وليس فقط الفهم، وإلا سوف يستمر التأثير المدمر للأصولية، والأرجح أن يزيد.

هناك بعض الأمل فى أن يخلع بعض الأصوليين رداء الأصولية، بالرغم من المد والجزر فى ذلك. فعلى سبيل المثال أعلن ريتشارد ياو، وچيمس لوس، فى عام ١٩٨٥م عن منظمة أصولية مجهولة الاسم. وفى عام ١٩٨٧م، تجاوزت عضويتها ٣٠,٠٠٠، واستمرت فى الزيادة (٨٤٥). ولكن ليس هناك رقم تليفون أو موقع على النت، أو حتى عنوان ظاهر لتلك المجموعة، فهناك شك فى استمرارها. وطبقًا لكل من رود إيڤانز، وإيروين بيرينت، كانت هناك بعض المحاولات المبكرة لتأسيس منظمات إسلامية مشابهة فى عام ١٩٨٨(٨٤٦). وهناك موقع على الإنترنت، يقوم بتشغيله معهد علمنة المجتمع الإسلامى (ISIS)، http://ww.secularispam.org لترويج العقلانية والعلمانية داخل المجتمعات الإسلامية.

وبإمكان من يبحثون عن بدائل أو مهرب من الأصولية أن يجدوا ما يساعدهم على ذلك من خلال الكتب الموجودة على شبكة الإنترنت،

ومن خلال المنظمات التى تنتقد الأصولية، وذلك يتضمن مجلس الإنسانية العلمانية، ومؤسسة التحرر من الدين، وغيرها. بل وهناك صفحات على مواقع يديرها بعض المتدينين المتعطشين لمساعدة الأصوليين مثل: http://home.eartlink.net/~jcmmsm/ Groups/index.html وهو موقع مفيد يشرف عليه چيمس سى مويرز- سبتى سابق، وهو موقع يقوم بتوجيه الأعضاء السابقين للجماعات الدينية التقييدية لمصادر عديدة دينية وعلمانية، بما فى ذلك كتب وصفحات أخرى على شبكة الإنترنت. وهناك أيضًا موقع چيف ڤان ڤوندرين/ http://www.spiritualabuse.com وهو موقع مسيحى محافظ، مخصص للمسيحيين الذين يعانون من الإيذاء الروحى من قبل الأصوليين.

ومن بين النماذج الجيدة للكتب المخصصة لتوفر المساعدة الذاتية لهذه الحاجة الفردية كتاب «هجر الجماعات الدينية: دليل للأصوليين السابقين ومن يهجرون دينهم من الآخرين» والذى كتبه عالم النفس الاسترالى مارلين وينيل (٨٤٧). ومن بين المواقع المفيدة للأصوليين الميسيحيين السابقين، موقع «ارحل - Walk away» وهو جزء من معهد دراسات التعديل الأول http://www.ifas.org/wa/index.html ويصف الموقع نفسه «بأنه مكان يستطيع الأصوليون السابقون أن يقرءوا من خلاله قصص أناس آخرين خلفوا الأصولية وراء ظهورهم» وهناك أيضًا موقع «العائلات فى الصواب» http://www.yourpreacher/FIR.html.

تلك المواقع السابق ذكرها، يمكن أن تكون ذات فائدة لمن يعانون من الأصولية، فقط إن كانت معروفة. ولذلك على العلمانيين أن يدعموا مجالا واسعا ومتنوعا من مصادر المعلومات والمنظمات، فإن تلك المجموعات التى تدعم الأصوليين السابقين عاطفيًا، ومعهم الأطفال أو الأزواج الذين تحفهم المخاطر لها أهمية كبيرة. ومثلما يوضح الفصل الذى تحدث عن المرأة فى هذا الكتاب، فإن مخاطبة العاطفة يشمل ما هو أكثر من مجرد المواساة والعزاء، ينجح الرجال الأصوليون فى قمع الأصوليات من النساء - إلى حد كبير - بالتلاعب باحتياجاتهن العاطفية وعمدًا أو دون عمد. تتطلب مواجهة هذا القمع تعليما عاطفيا لضحايا النساء بالإضافة إلى الدعم العاطفى المستمر.

وفى حين أن التركيز الأكبر يجب أن يكون على المهمة الأعم، ألا وهي إقامة مجتمع علمانى، إلا أنه يجب أن يوضع فى الاعتبار أن التعليم يتم على ا لمستوى الفردى.

تستحق مناهضة الأصوليين والحلول الممكنة لها ـ ولسوف تنال بالفعل ـ اهتماما أكبر فى هذا الفصل. وقبل أن نرجع إلى المعاملة على المستوى الفردى، يجب أن نوجز المشكلة الأكبر، وكما أوضحت كيمبرلى بليكر، قائلة **«الأصولية لا يمكن أن تكون بالقوة الهزيلة أو التى تحتضر بأمريكا، وعلى الرغم من أنها لا تتضح دائمًا من الوهلة الأولى، إلا أن تلك الحركة تحيط بنا فى كل مكان ومن المحتمل أن تستمر فى نموها»**[٨٤٨].

ويوضح فريدريك كلاركسون من خلال كتابه «العداوة الأبدية: الصراع بين الدولة الدينية والدولة الديمقراطية» أن الصراع مستمر ومنتشر، وقال: «إن الخطر الذى يشكله اليمين لا ينبعث من بعض العناصر المتطرفة المتعصبة، وإنما من كوادر محكمة التنظيم من الناحيتين السياسية وشبه العسكرية، مكرسة للإطاحة بالديمقراطية»[٨٤٩]. وقد اقترح كلاركسون بعض الاستجابات فى الفصل الأخير بعنوان «الدفاع عن الديمقراطية»[٨٥٠] والتى كانت من أكثر الأساليب المتاحة والتى لاقت تأييدا، على الرغم من أنها تهدف إلى التنشيط السياسى بالأساس، واقتراحاته الحكيمة لا تتعارض مع الخلاصات المطروحة هنا.

النصيحة التى قدمها روبرت بوسطون فى كتابه «مواجهة مع اليمين الدينى: رحلة فى منطقة الشفق ما بين الدين والسياسة»، كانت مماثلة وواضحة، وكما يدل العنوان الجانبى الذى اختاره بوسطون، فقد اهتم فى الأساس بتهديد الأصوليين فى مجال السياسة.

وقد أيد بوسطون التنشيط السياسى شأنه شأن كلاركسون، وقد اقترح أيضًا البحث فى منظمات واستراتيچيات الأصوليين النشطين سياسيًا، وقال: يجب أن تكون هناك حملة دائمة، تعمل على كشف ونشر القيم الأصولية المناهضة للدستور الأمريكى، وتبين أن المثل العليا التى غذت المجتمع الأمريكى بأعظم

قواه ضرورية أيضًا. ويحمل الفصل الذى وضعه كلاركسون تحت عنوان «ما الذى يجب عمله؟»[٨٥١] قيمة خاصة فيما يتعلق بمكافحة المخاطر السياسية التى يشكلها الأصوليون.

«كنيسة الحب» فى مقابل «كنيسة القانون»

وليس من المدهش أن يميل هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم متدينين ولكنهم ليسوا بالأصوليين، أن يروا مخاطر الأصولية من منظور يختلف عن ذلك الذى يراه غير المتدينين. ودائما ما يركز المعلقون الدينيون على الأصولية بوصفها خطرًا على الدين، حيث تقارب من تشتيت الناس، وقد هاجمت كارين أرمسترونج فى كتابها الأفضل مبيعًا «تاريخ الله: ٤٠٠٠ عام - سعى اليهودية والمسيحية والإسلام» الأصوليين، إذ أنهم قللوا من شأن ما قد رأته بمثابة الحقيقة الثرية والضرورية للأديان ولله. وكتبت: «الأصولية على كافة أشكالها هى اختزال مفترس للإيمان»[٨٥٢] وقد خلصت أرمسترونج فى كتابها إلى: «لا يستطيع الإنسان أن يتحمل الفراغ والخواء، سوف يملئون الفراغ عن طريق خلقهم محورا آخر للمعنى، وآلهة الأصولية ليست بالبدائل الجيدة عن الله، وإن كان علينا أن نخلق إيمانًا حيويا يتماشى مع القرن الواحد والعشرين، فإنه يلزم أن تتأمل فى تاريخ الله بعض التحذيرات والدروس»[٨٥٣].

وفى أحدث إصدارات أرمسترونج «الصراع فى سبيل الله» حذرت قائلة: «تمثل الأصولية خيبة أمل وانسلاخا وقلقا وغضبا واسع الانتشار، إلى حد لا تستطيع أية حكومة أن تخاطر بتجاهله». وأضافت أنه قد تم إحراز بعض التقدم فى التعامل مع مشكلة الأصولية[٨٥٤]، وقالت: إن الحل ليس فى الإجبار أو الكبت، حيث يؤدى ذلك إلى الانتقام ويفاقم عملية التعصب والتطرف.

وتقول: «إن الأصوليين يرون المؤامرة فى كل مكان، وأحيانًا ما يتملكهم الغضب الذى يبدو شيطانيا»[٨٥٥] وأضافت أنه يجب علينا أن نعرف أن الأصولية - نظرياتها وأفكارها - تقوم على مخاوف الأصوليين. وبينما يجد العلمانيون إثارة فى العالم المعاصر، يراه الأصوليون «خاليا من الله، فارغا من المعنى، بل وشيطانا» [٨٥٦].

من وجهة النظر النفسية، الارتياب الشديد المصاحب لجنون العظمة أو جنون الاضطهاد، والتفكير المتطرف فى الانتقام لدى الأصوليين «يُوصَف - بلا شك - على أنه اختلال»، تقول أرمسترونج، ولذلك فالجدل المنطقى لا يمثل حلاً واقعياً لمخاوفهم، ويجب أن يبدأ الحل بالتعرف على «عمق ذلك الاضطراب العصبى...»[٨٥٧]، يغط الأصوليون بالاستبعاد، الكراهية، وبعض الأحيان العنف. ولا نغفل الدور الذى لعبه العلمانيون فى تأجيج غضب الأصوليين، إن لم يكن عداوتهم، عندما يظهرون عدم الاحترام للدين ولأتباعه. ولذلك يجب على العلمانيين المبادرة بتعلم «تقمص» حاجات ومخاوف وقلق الأصوليين[٨٥٨].

«تقمص» نفسيات الأصوليين، وقبول حقوقهم هو أمر مطلوب وضرورى. ومهما كانت آراء أرمسترونج، فذلك يجب ألا يعنى الجلوس على مقاعدنا لنراقب الأصوليين وهم يحولون حكومتنا إلى حكومة دينية، أو وهم يتعدون على حقوق الآخرين.

نشأ راندال بالمر - بروفيسور فى الدين، و «مؤرخ للفترة الاستعمارية»[٨٥٩] (*) - فى أسرة إيڤانجليكية، اعترف بأنه لم يعتنقها [الإيڤانجليكية] كلية، ولم يرفضها كلية، فقد تلقى ما وجده « تقاليد ثرية، وعميقة من ناحية، وملطخة بالتناقضات من ناحية أخرى»[٨٦٠]. بيَّن بالمر باستفاضة فى كتابه «اليقين المبارك»، تحت عنوان: «الفوز باستعادة الدولة: سخريات اليمين الدينى» أخطار الأصولية واليمين المسيحى. شمل ذلك مجالات متعددة، مثل حقوق المرأة، والحرية الدينية.

لاحظ بالمر أن المعمدانيين الأصوليين أداروا ظهورهم للتراث المعمدانى عندما عارضوا فصل الكنيسة عن الدولة، واستخلص نتيجة مثيرة للانتباه عن سبب حدوث ذلك:

ظنى الوحيد أنهم يعتقدون أنهم لا يتحملون مزيدا من المنافسة فى السوق الحر للأديان. يشعرون أنهم أصبحوا مغمورين تماماً بالموجات المتتالية من الثقافات

(*) المقصود بالفترة الاستعمارية فترة إنشاء المستعمرات على الساحل الشرقى لأمريكا فى القرنين السابع والثامن عشر - المترجم.

المتعددة التى رأتها الولايات المتحدة فى القرن العشرين، حتى أنهم يبحثون عن نوع من التمييز[٨٦١].

يلخص هذا بإيجاز جامع كلاً من الحاجة لإقناع الأصوليين بقيمة فصل الكنيسة عن الدولة، وبالصعوبة الهائلة لذلك الإقناع.

أصر الأسقف چون شلبى سپونج، القس الأسقفى الخلافى المشهور على أن الأصوليين يمثلون تهديداً جديًا لفهم الكتاب المقدس، فهم تهديد للدين يجب أن يؤخذ جديًا. يحاجج سپونج بأن على التيار الرئيسى للمسيحيين أن يرد على الأصوليين، وإلا «سيزيد جهل التيار الرئيسى للمسيحيين، وستتصاعد سخافات المسيحيين الأصوليين إلى مستويات جديدة». وشبّه أسلوب الأصوليين بمن يمسك بالعهد القديم بـ «قبضة المنهج الحرفى عديم العقل»[٨٦٢]. ثابر سپونج على وسم الأصولية بأنها تهديد حقيقى وخطير للمسيحية الصحيحة. لم يتحفظ سپونج فى نقده للأصولية، فكتب ـ على سبيل المثال ـ «وظيفة رئيسية للديانة الأصولية، هى دعم الناس الخائفين والذين يفتقدون فى أعماقهم الأمان»[٨٦٣].

يشكل الأصوليون خطراً حقيقيًا على كل من المسيحيين الليبراليين، والآخرين الذين أدركوا أن المجتمع العلمانى فقط هو الذى بمقدوره أن يكون مستقراً، وأن يحمى الحرية الدينية للأصوليين، ومؤمنى التيار الرئيسى، وغير المؤمنين.

يصف لويد چيه أڤريل نفسه بأنه «مسيحى إيڤانجليكى ذو توجه ليبرالى»[٨٦٤]، ويدين الأصولية بأنها ـ فى الأساس ـ غير أمريكية، بملاحظة أن الأصوليين معادون للتراث الأمريكى الأصيل، حتى بتشويههم له، ويصف الأصوليين بأنهم يتطلعون إلى تغيير جذرى، برغم أنهم يزعمون أنهم محافظون[٨٦٥].

يصور أڤريل حقيقة مهمة. يجب على العلمانيين ألا يديروا ظهورهم للمسيحيين المتدينين، والذين بمقدورهم أن يكونوا حلفاء فى محاولات حل المشاكل التى تمثلها الأصولية. لا يوافق أڤريل على بعض صور فصل الكنيسة عن الدولة التى قد يريدها الانفصاليون المتشددون، ومع هذا، فهو يحاجج بفعالية فى سبيل التزام رئيسى بالحرية الدينية، كأساس جوهرى للأمريكيين[٨٦٦].

كتب بروس باور، الأسقفى الليبرالى فى «سرقة عيسى: كيف تخون الأصولية المسيحية؟ ـHow Fundamentalism Betrays Christianity?» : «خلف التأكيد الصاخب للأصوليين على اليقين، هناك فى معظم الأحوال فراغ روحى شديد الوطأة»(٨٦٧).

«إذا كنت تريد أن تدمر فكرة كنيسة الحب، وللأبد، فعليك أن تستهدف عيسى الحقيقى، وتلحق اسمه بوحش حاقد متعطش للدماء. هذا أقصى ما ترنو إليه المسيحية القانونية [الأصولية] فى أقصى تطرفها»(٨٦٨).

يماثل استنتاج باور استنتاج أرمسترونج، وعرض ما هو أكثر من التماس عاطفى للعودة إلى مسيحية المحبة الصادقة المنفتحة (كنيسة المحبة)، عوضًا عن أى حل عام للأصولية. ومع هذا، فإن باور ـ مثله مثل أڤريل وبالمر وسپونج ـ مثل للمسيحى الذى يود الأصوليون استهدافه كعدو فى «المعركة الملكية» كما يستهدفون المواطنين غير المؤمنين.

تؤكد الكاتبة الكاثوليكية الرومانية لورين دوكوين أن الأصولية عاطفية وصعبة على الكاثوليك ـ حتى على قادتهم ـ أن يباروها.

تشكو من أن الأصوليين جامدون، ومبرمجين لدرجة أن الجدال معهم يكاد يكون غير مجد.

يغش الغضب والانفعال حكم الأصوليين ومنطقهم(٨٦٩).

نقلت عن ويليام جالاجر قوله:

لدى كل الأجوبة لكل ما يعظ به الأصوليون . . .

ولكن فى معظم الحالات، لا أتعامل مع ناس منفتحين فى استكشافهم الحقيقة، فهم مدربون على الاعتقاد فى أجوبة وانتقادات قياسية، ولن يتزحزحوا عنها. يمكنك أن تقول أى شىء تريده، ولكن لن يفيد هذا مقدار ذرة، لأنهم لا يشتركون فى المناقشة بعقل منفتح ونية طيبة(٨٧٠).

قد يجد البعض شكوى جالاجر تهكمية. لن يكون من الصعب المجادلة بأن

الكاثوليك أيضا «مدربون على الاعتقاد فى أجوبة وانتقادات قياسية»، ولكن شكواه أوجزت صعوبة رئيسية لكل من يريدون مواجهة الأصولية.

المنظور الإنسانى

شملت مقالات «الأصولية الجديدة: الاستجابة الإنسانية الجديدة» (٨٧١) حلولاً وتحليلات متعددة للصعوبات التى تواجه إيجاد حلول لتهديدات الأصولية. كتب ڤيم بولو مقالته عن الأصولية الإسلامية منذ أكثر من خمس عشرة سنة، ولكنها توقعت بدقة ما سيواجهه العلمانيون فى الاتحاد السوڤييتى - وغيره - من الأصوليين المسلمين. توقع أن العلمانيين سيجدون الأصوليين المسلمين معادين بوجه خاص للحرية الدينية، وأن المشاكل التى ستنجم سوف تكون صعبة الحل (٨٧٢).

وفى نفس مجموعة المقالات، عبّر ألبرتو هيدالجو تونون عن تشاؤمه فى مواجهة الأصولية:

لا يستطيع النقد الفلسفى والعلمى عمل الكثير ليقلل من التأثير الاجتماعى الكبير للأصولية، التى تدعمها جماعات الضغط القوية - تكون أحيانا كنائس وأحزابا سياسية - بتعاطف وسائل الإعلام، وخصوصًا بوسائل الخداع (٨٧٣).

قدم الفيلسوف پول كورتز، فى مقاله الافتتاحى فى «الأصولية الجديدة» العلاج الأوسع لتهديدات كل أنواع الأصولية، وهى نصيحة جديرة بالاتباع، فقد ناشد:

أعتقد أنه علينا أن نسرع فى عملية تعليم عبر العالم، خصوصًا فى العالم الثالث - أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وآسيا - لا يمكننا أن نقنع بالاعتناق المهذب لمبادئنا فى مجتمعاتنا المعزولة، ولكن يجب أن نقتحم التحديات فى الدول النامية فى العالم (٨٧٤).

وأضاف أن على العلمانيين أن يرفضوا «الصمت عن انتقاداتهم القوية للكتاب المقدس، القرآن، كتاب المورمون وغيرها مما يُسمى «الوثائق المقدسة» يجب ألا يتردد العلمانيون فى الهداية ضد الهداة»(٨٧٥).

يجب علينا أن نجعل معنى للعالم الذى نعيش فيه. ولا يمكننا ذلك إلا باختبار كل الفروض والنظريات بأقوى الطرق العلمية.

ونستطيع القيام بذلك، فقط إذا أدركنا أن كبير كهنة الماضى لا يسعه أداء المهمة. ليس علماء الإلهيات أو التصوف هم من سيرشدنا الطريق، ولكن رجال وعلماء فيزياء الفلك[٨٧٦].

أكد چيرالد إيه. لارو - فى نفس مجموعة المقالات - أن على العلمانيين الالتزام بالتعليم الأصيل فى أوسع معانيه، ليس المحدود فيما يحدث فى المدارس، ولكن تعليم فى كل مؤسسات المجتمع. وهو يلح على هزيمة «مجهودات الجناح اليمينى المتطرف» للأصوليين. بنشر المعلومات والتحليلات الدقيقة فى أوسع نطاق، حتى يتم النجاح. تشمل هذه المجهودات المعلومات عن المناهج التى يمكن الوصول للنتائج العلمانية باتباعها، وتحليل فهمنا للأخلاق، مع يقظة مستمرة إزاء أخطار الأصولية، ورفض مستمر ومثابر للاستسلام لضغوط الأصوليين[٨٧٧].

كما لاحظ كورتز بسخرية «لا بأس من الدين، طالما لا تأخذه بجدية زائدة»[٨٧٨]. والأصوليون هم من يأخذونه بجدية زائدة. محاولة إقناعهم بألا يأخذوه بجدية زائدة، يأخذك مباشرة إلى قادة الأصوليين. كثير منهم يخبرون أتباعهم بأن أى معارضة لهم هى من فعل الشيطان. إذا كان فى الإمكان سيادة العقلانية فى العالم، فالتعليم - فى أوسع معانيه الممكنة - هذا السبيل لذلك، كما يحاجج كورتز ولارو.

ولكنه غير عقلانى - للأسف - أن تعتقد أن كل البشر سيتبعون العقلانية. نحن نحتاج إلى ترياقات حقيقية وعلمية للأخطار المفرطة للأصولية. ولذلك يجب أن تكون الحلول محدودة عن محاولة تحقيق عقلانية عالمية. يجب على الأمريكيين ألا يغبنوا أنفسهم ومجتمعهم. ويجب أن تكون الأهداف واسعة تمامًا، مع إدراك صعوبة تحقيقها والمحافظة عليها.

الحل الذى نجح باعتدال، ما زال هو أفضل الحلول المتاحة، المجتمع العلمانى، والحرية الدينية.

ولكن هناك ضغوط شديدة على هذا الحل، ولن يستمر هذا الحل ما لم تكن هناك جهود مستمرة للمحافظة عليه ودعمه. يجب تأمين هذا الحل بإجماع الشعب عليه، مع دستور يكفل الحياد الدينى للحكومة على كافة المستويات. يجب الحفاظ ـ بدقة ـ على فصل قوة العاطفة الدينية ـ للخير أو للشر ـ عن القوة العملية الهائلة للحكومة. بهذه الطريقة فقط، يمكن منع الأصولية من تدمير الإنسانية.

وجهات نظر أخرى

(علماء الإنسان، الفلاسفة، علماء الديموجرافى، وأصوليون سابقون)

فى كتاب «نوعنا: من نحن؟ من أين جئنا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟» ـ ينفى كاتب علم الإنسان الشهير مارڤين هاريس فهم علم الإنسان كل ما يتعلق بالدين، ولكنه يتمسك بالأمل فى شرح كل أعمال الدين[٨٧٩].

بالإضافة لذلك يلخص ما أصبح مفهومًا الآن على أنه نظرة ثاقبة ـ محتملة ـ للأصولية من الداخل. يحاجج بأن فهم الإنسانية للدين وتطوره ـ دائما ـ معقد، ودائمًا يشمل تبادلاً. لم يكن فقط طاعة لتوجيهات كائنات فوق الطبيعة:

كان هناك دافع بارز منذ بداية الفكر «الروحانى» [الرحلة الأولى لما يعرفه هاريس على أنه دين وليس خرافة] أراد نوعنا ـ دائما ـ آلهة وأرواحا أخرى لتمده بأنواع معينة من الفوائد. . . مرارًا وتكرارًا كانت فوائد ـ طلباتنا المستقبلية ـ دنيوية محسوسة: الشفاء من الأمراض، النجاح فى التجارة، الأمطار لسقى الزرع، النصر فى المعركة. لم تكن طلبات الخلود، والبعث بعد الموت، والنعيم الأبدى على نفس الأهمية، ولم تخل أيضًا من أن يتدخل فيها الآلهة لتقديم البضائع والخدمات. حتى لو كانت «طلباتنا المستقبلية» لا تتجاوز تلقى المساعدة حتى نتصرف وفقًا لرغبات المقدس، أو تحقيق السلام الداخلى، وأى دوافع أخرى سامية، فهى فى النهاية خدمة نبحث عنها. هل كان هناك على الإطلاق دين لا يسأل عن ماذا يمكن للآلهة أن تفعل للبشر، وماذا يمكن للبشر أن يفعلوا للآلهة؟ لا أظن ذلك[٨٨٠].

حتى تقنع أصوليا بأن يتخلى عن «المطلق» لصالح حرية الآخرين، يجب أن يكون هناك تبادل قوى متاح.

كذلك يجب مخاطبة الحاجات العاطفية. وإذا أردنا إقناع الأصوليين ليحدوا أساليبهم فى «المعركة الملكية»، فعلى العلمانيين أن يجدوا ـ على الأقل ـ أساليب لينخرطوا معهم فى جدال حقيقى. لن يتغيروا ـ الأصوليون ـ هم وحلفاؤهم ما لم يتم تبادل الأفكار. علق الفيلسوف كايث پارسونز فى كتاب «لماذا أنا لست مسيحيًا؟» (نفس العنوان لكتاب برتراند راسل) على صعوبة مثل ذلك الجدل:

هل يمكن للاعتقاد أن يجادل اللا اعتقاد، أو فقط يعظه؟ عندما تتصارع الآراء العالمية، هل هناك إمكانية للجدل، أم تبادل الألقاب والبلاغة؟ عندما تكون المواقف متباعدة جداً بدون أرضية مشتركة تكفى حتى لبدء الجدل، فينتهى الأمر بأنهم ـ فقط ـ يتكلمون إثر بعضهم البعض[٨٨١].

استخلص پارسونز «الاتصال المثمر ممكن»، وأضاف بين قوسين «أعتقد أن للمسيحيين ولغير المؤمنين أرضية مشتركة من الاعتقادات والقيم والمعايير تكفى لانخراطهم فى جدل مثمر . . . . (برغم أن بعض أنصار نظرية الخلق ـ كما جاءت فى التوراة ـ والأصوليين يغرونى بالشك فى إمكانية ذلك)»[٨٨٢].

حالة الدين فى العالم وفى الولايات المتحدة حالة معقدة، وهناك كل المؤشرات على أن ذلك التعقيد سوف يزداد وتزداد معه الأخطار. لاحظ توبى لستر فى مقالة أن الخريطة الدينية تتغير، وبدرجة أن ما قد نصرف النظر عنه اليوم على أنه أصولى، أو جماعة متعصبة، أو بدعة «العصر الجديد» المتهافتة، قد يصبح الطائفة الأكبر فى المستقبل[٨٨٣].

نقل لستر عن داڤيد باريت، محرر «الموسوعة المسيحية للعالم» بأن هناك «تسعة آلاف وتسعمائة ديانة ـ متميزة ومنفصلة ـ فى العالم. وأنها تزداد كل يوم بمعدل ديانتين أو ثلاث»[٨٨٤].

لاحظ أيضا لستر ما كتبه عالم الاجتماع البريطانى كوهين كامپل من عدة سنوات ماضية عن نمو الأصولية.

قال كامپل : قد تكون العلمانية عاملاً مهمًا فى توليد وازدهار نوعيات أشد من الأصوليين الدينيين . وقد ينتج هذا من اختزال تأثير الديانة «المؤسسة»[885] .

يستمر عدد الأديان فى الازدياد، ويكسب الأصوليون قوة أكبر على مستوى العالم . وعلى هذا، سوف تزداد المشاكل التى تسببها الأصولية، وسوف تتسع الصعوبات فى حل تلك المشاكل . **أجرى فريق من الباحثين فى جامعة «سيتى» فى نيويورك - يتكون من بارى . إيه . كوزمين، وإيجون ماير، وأريلا كايزار - دراسة معاصرة عن «مسح الهوية الدينية الأمريكية، عام ٢٠٠١م» . وأفادت نتائجهم أنه فقط ١٦٪ وصفوا أنفسهم بأنهم علمانيون، أو علمانيون لحد ما»[886] .**

كان سؤال الدراسة هل تعتبر نفسك متدينا أم علمانيا؟ **لم تشمل الدراسة قياس نسبة الأصوليين، ولكن يبدو معقولاً استنتاج أنها [نسبة الأصوليين] لا تزيد عن (٣٧٪)، وهى نسبة من قالوا عن أنفسهم «متدينون» فى مقابل «متدينون لحد ما» (٣٨٪)، «علمانيون لحد ما» (٦٪)، «علمانيون» (١٠٪)، وهناك ٩٪ أفادوا بأنهم «لا يعلمون» أو «رفضوا الإجابة»[887] .**

سألت الدراسة عن نوعية الديانة . **وأفاد (١ , ١٤٪) بأنه «ليس لهم ديانة» . جزء صغير منهم اختاروا «ملحد»، «لا أدرى» أو «إنسانى» . (٤ , ٥٪) رفضوا الإجابة[888] .**

التحول عن الأصولية عاطفى وصعب . بين ذلك مجموعات عديدة من المقالات .

بدأ دان باركر، قائد «مؤسسة التحرر من الدين» مستقبله كواعظ أصولى . كثير من مقالاته فى «فقدان الإيمان فى الإيمان»[889]، وصفت الرحلة المؤلمة بعيدا عن حياة الأصولية . وفى «ترك الجماعة : شهادات أصوليين سابقين»[890]، قدم إداورد باينسكى أكثر من ثلاثين قصة شخصية لأصوليين سابقين، وفيهم باركر، الذى أصبح فيما بعد متدينا ليبراليا، أو غير مؤمن . ويصف «التحول المدهش : لماذا يتحول البعض للإيمان، والبعض الآخر يهجر الدين؟» التحول من وإلى الأصولية، ومن وإلى الأديان الأخرى على مستوى العالم .

يفيد تلخيص ممعن فى البساطة للمقالات الأخيرة، بأن التحول إلى الدين دافعه الأكثر احتمالاً هو العاطفة، ومن الناحية الأخرى، التحول عن

الدين ـ وخصوصًا الدين الأصولي ـ دافعه الأكثر احتمالاً هو رحلة فكرية عقلانية (٨٩٢).

تبين الشهادات إلى أن التحول عن الأصولية له مسارات متعددة. ولكن هناك بعض المشتركات، منها الخوف من الوصول فى النهاية لمواجهة ما هو غير معقول. كثير منهم تشبثوا بالحاجة لدعم اجتماعى، وجاءهم ـ أحيانًا ـ من مصادر غير متوقعة، وفى أحيان أخرى تخلت عن دعمهم ـ بصورة مؤلمة ـ مصادر ظنوا أنه يمكنهم الاعتماد عليها. عادة ما كان هناك ارتياح حقيقى، مع إحساس بزيادة السلطة الذاتية، من إدراك إمكانية الهروب من الأصولية (٨٩٣).

مثلان من «ترك الجماعة: . . .» يظهران تعقيدات الترك بالنسبة للأفراد. تحول داڤيد مونتويا من معمدانى أصولى إلى قسيس معمدانى من نوع مختلف فى كانساس. كان صراعه مع الأصولية شخصيًا ومؤلمًا تمامًا، له ولزوجته.

وليس فى هذا اختلاف عن بقية الشهادات، ولكن كانت له صعوبات أخرى، كان هناك اغتياب، سياسات شريرة فى جمعية معمدانيى الجنوب. وتم كل ذلك باسم المسيح والدفاع عن الكتاب المقدس من جانب الأصوليين.

وما زال مونتويا قلقًا من الأصولية، وكتب:

هناك ظلام زاحف ليحتوى أمريكا وبقية العالم، ظلام تزداد شيطانيته خلال سعيه ليدمج نظامه السياسى الدينى مع النظام السياسى للحكومة العلمانية(٨٩٤).

مثال آخر، هو فاريل تيل، والذى شهد فى كتاب باينسكى. كان تيل واعظًا أصوليًا فى «كنيسة المسيح»، معتقداً فى عصمة الكتاب المقدس، ودارسًا جاداً للكتاب المقدس. **واستمر فى دراسة الكتاب المقدس خلال بعثته التبشيرية فى فرنسا «لتحرير الشعب هناك من هرطقة الكاثوليكية». قاده ذلك فى النهاية لاكتشاف أن «عصمة الكتاب المقدس» لا يمكن فى الواقع الدفاع عنها.**

ترك المسيحية، وترك كنيسته وأصبح «لا أدريًا». ولكنه استمر فى دراسة الكتاب المقدس باجتهاد، وهو الآن محرر «النشرة المتشككة» وهى جريدة مخصصة لفحص حرفية الكتاب المقدس. قد يكون تيل الآن أول المتخصصين فى الأمة فى دراسة استحالة الحفاظ على مبدأ العصمة الحرفية للكتاب المقدس:

أصبحت مهتما بقضية إحياء الأصولية المسيحية، والميل فى الحكومة لمداهنتها. تبين الأحداث فى إيران ودول الشرق الأوسط الأخرى ماذا يمكن أن يحدث إذا استحوذ الأصوليون على السلطة السياسية(٨٩٥).

تبين تلك كل الشهادات والتحليلات أن ترك الأصولية أمر صعب بالنسبة للأفراد والمجتمعات. وكل منها تؤيد بقوة الحلول التى تشمل التعليم وشبكات الدعم الاجتماعى. أخيراً، تدعم الشهادات دفاعًا روحيا عن الفصل بين الكنيسة والدولة فى كل منعطف.

العلمانية كحل: الطريقة الأمريكية

يعتقد علماء الإنسان أن الدين ـ فيما يبدو ـ حاجة أساسية للإنسان، وعلى هذا، لن يكون من السهل مساءلة أو تغيير الاعتقادات الدينية بعقلانية. ويشير الفلاسفة إلى الصعوبة الهائلة، فى حتى القدرة على تبادل أفكار مفيدة بين الأصوليين والعقلانيين.

يبدو «التيار الرئيسى» أو «الليبرالى» للمتدينين فى الضياع بالنسبة لأى حلول مع الأصوليين.

ويقول الصحافيون، والديموجرافيون، ومؤرخو الديانة: إن التدين ـ خصوصًا دين الأصوليين ـ يتزايد بمعدل انفجارى، وهو بالتأكيد كذلك، على الأقل بالمقارنة بفترات أخرى من التاريخ [الأمريكى]. من كل منطقة، نعلم أن الأصولية مثابرة، بل والاحتمال الأكبر أنها تزدهر. وحتى أولئك الذين فى قمة الخوف منها، وقمة الحاجة لحلول لها، يوافقون على أنه ليست هناك حلول متاحة الآن، وبكل تأكيد ليست هناك حلول سهلة.

ومع هذا، فما الذى يجعل التخلى عن الأصولية بهذه الصعوبة؟. يلعب الضغط الاجتماعى للعائلة والأصدقاء دوراً حاسمًا، قد يصل الأمر إلى اضطراب عصبى من جراء اليقين بأن من يتخلى عن إيمانه فمصيره إلى الجحيم بعد الموت. وهناك أيضا الثوران الذى عادة ما يصاحب ذلك التخلى. ونظراً

للأهمية القصوى التى يوليها الأصوليون للمعتقدات الدينية، فالشخص الذى يتخلى عن الأصولية، قد يضطر لتغيير مسكنه، بل وزوجته. وهناك أيضا الحاجة لإيجاد اهتمامات وأصدقاء جدد. حيث تنحصر اهتمامات الأصوليين فى الكنيسة وأعضائها(٨٩٦).

مكرراً، تتمحور الحلول كلها ـ برغم صعوبتها ـ على المجتمع العلمانى، والدفاع عنه يحتاج إلى سلسلة من المداخل. يجب على العلمانيين الانخراط فى السياسة، وأن تكون لهم إرادة الاهتمام والالتزام السياسى. ويجب تدعيم ـ بفعالية ـ التعليم من رياض الأطفال إلى الجامعة. ويجب على العلمانيين أن يظهروا معارضة الأصوليين للمدارس العامة. وقد رأينا فى الفصول السابقة انتشار المعارضة للمدارس العامة، وذلك مثل آخر لتعارض الأصولية مع «الأمريكية». يجب أن يشمل التعليم العام استخدام العلمانيين الفعال لوسائل الإعلام. إنه من الضرورى بصفة خاصة مضادة استغلال الأصوليين الواسع لوسائل الإعلام.

يجب تدعيم العلوم الأصيلة، دون أى قيود دينية، مع رفض أى استنتاجات مُسبّقة. يجب تدعيم وتشجيع الاحترام للعلوم والعقل والتفكير النقدى والتشكيك الصحى. وأخيراً يجب مراقبة الحفاظ على مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة ومداومة التدقيق فى ذلك لمنع انتهاكه.

لا يمكننا إغفال الاحتياجات الضرورية للبشر، العاطفية والاجتماعية. يجب الوفاء بتلك الاحتياجات، و احترام الحرية الدينية يستلزم احترام أصحاب الأفكار الأصولية، حتى ونحن نجابه معتقداتهم، ويجب ألا ننسى ذلك.

يشير المنطق والخبرة إلى أن كل البشر يميلون للاعتقاد بأنهم على صواب فى وجهات نظرهم الدينية. حتى «اللاأدريون» غالبًا ما يكونون متأكدين من صوابهم فى استحالة معرفة أى إنسان، ويبين ذلك أحد ملصقاتهم «لا أدرى» مناضل... أنا لا أعرف، ولا أنت أيضًا تعرف!.

المسألة الرئيسية ليست من هو صواب فى دينه، وليست هى النجاح فى إقناع الآخرين، ولكنها كيفية التعايش معًا تحت ظل الاختلاف. قد لا يكون من

الضروري إقناع الأصولي بالتخلي عن بعض أو معظم معتقداته، ولكن الضروري فقط هو إقناعه بالانضمام مع الآخرين في الاتفاق على قيمة رئيسية: الحرية. ولكن هذا يقارب من أن يكون هدفًا مستحيل التحقيق.

عادة ما يكون الأصوليون مقتنعين بأنه من «تدنيس المقدسات» الكلام عن قيمة تعلو عن دفاعهم الضاري لأصولهم. مستحيل أن يكون من السهل إقناع أولئك المتشربين باليقين المطلق في معتقداتهم، وأنهم تلقوها من الله، بأهمية الحرية الدينية للجميع.

الحلول الوحيدة هي الإقناع والتعليم، وحين يتعسر تغيير العقول، يصبح الدفاع عن فصل الكنيسة عن الدولة بتطبيق القوانين حاسمًا. يجب إقناع الأصوليين - حبذا عن طريق التعليم - أن الحرية الدينية إما أن تكون للجميع، أو ليست لأي جماعة. وكما كتب توماس چيفرسون منذ حوالي ٢٠٠ سنة «ينبغي على كل رجل يقدر حريةً لاعتقاد لنفسه، أن يقاوم انتهاك حرية الاعتقاد للآخرين، وإلا تعرض - مع تغيير الظروف - ضميره هو لنفس الانتهاك»[٨٩٧]. يجب أن يتعلم كل فرد في المجتمع عن الحقيقة وأهمية بيان چيفرسون.

وللأصوليين الذين يعانون من معتقداتهم، هناك حل أكثر عمومية لكثير من أخطار الأصولية، ويصلح لهم حتى مع بقائهم على أصوليتهم، وهو الحل الأمريكي العظيم الذي كتبه الرئيس چون آدمز: بالرغم من المعرفة والاهتمام القليلين في الوقت الحاضر لتفاصيل تشكيل الحكومات الأمريكية، سواء في أوروبا أو أمريكا. . . . لن يكون هناك مطلقًا ادعاء بأن أي شخص عمل في تلك الخدمة قد تخاطب مع الآلهة، أو كان تحت تأثير سماوي بأي درجة، أكثر من أولئك الذين يعملون في المراكب أو المنازل، أو عمال التجارة أو الزراعة، وسوف يكون التسليم للأبد بأن هذه الحكومات جاءت فقط باستخدام العقل والمدارك[٨٩٨].

أسست الولايات المتحدة أول حكومة علمانية ذات شأن، مشكلة لتقود أول مجتمع علماني بحق في التاريخ.

وبرغم ذلك، كان الكثير من مواطنيها وقادتها - كما هو الحال الآن - متدينون.

لا يمكننا أن نكون ديبلوماسيين لدرجة أن نتخلى عن الحقيقة الرئيسية، لا يمكننا تحمل ذلك. أولئك الملتزمون ـ بلا حيود ـ بالأصولية، معادون للديمقراطية، وعلى ذلك فهم ـ حرفيا ـ غير أمريكيين.

لن يكون ـ مطلقا ـ من السهل الوصول إلى ضحايا الأصولية من النساء فى الزيجات المؤذية، أو الأطفال الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم، ولكن فى مجتمع علمانى، يؤيد بقوة التعليم والتفكير النقدى، حتى أولئك الضحايا سيكون لهم فرصة.

قد لا تتم مطلقا معرفة أسباب الهجوم على الولايات المتحدة فى ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، ولكن يحتمل أن يكون ـ على الأقل جزئيًا ـ السبب هو أننا دولة علمانية، مما يهدد الإسلام الأصولى. وسبب آخر ـ أقل احتمالاً، ولكنه يبقى محتملاً ـ هو أننا دولة مسيحية، كما يزعم الأصوليون المسيحيون.

الحكومة العلمانية التى لا تتخذ قرارات دينية لمواطنيها، هى حكومة مبنية على أفكار مثل التى أعلنها توماس چيفرسون:

تمتد سلطات الحكومة ـ فقط ـ لتلك الأفعال التى تؤذى الآخرين. ولن يؤذينى أن يقول جارى: إن هناك ٢٠ إلها، أو بأنه لا توجد آلهة مطلقًا.

فهذا لا يسرق جيبى ولا يكسر رجلى [٨٩٩].

وكما كتب مايكل بوكنر فى «الجذور غير المسيحية للرابع من يوليه»:

تمثل نظرية الحكومة التى قدمها إعلان الاستقلال، انفصالاً راديكاليًا عن التقاليد اليهو ـ مسيحية، والتى تعود لآلاف مضت من السنين. تستمد الحكومة سلطتها من إجماع المحكومين، وليس من إرادة الله. نزلت الحكومة درجة من كونها أداة غضب الله، إلى كونها اختراعا إنسانيا، يمكن تغييرها حسب رغبة من أتى بها. بل يذهب دستورنا لأبعد من ذلك فى لا إلهيته، فهو لا يحفل بالتوسل إلى الله، أو العناية الإلهية، عندما يضع السلطة العليا فى «نحن، الشعب»[٩٠٠].

الحل هو مجتمع علمانى، يصر على احترام حقوق وعقائد الأصوليين مع حقوق وعقائد كل الآخرين، وهذه هى القيمة الأمريكية الأجدر بالحماية، وبأن

نفخر بها ونعمل على نشرها. لا تخص هذه الفكرة أى دين، ولكنها تفيد الجميع، عدا أولئك الذين يصرون على «المطلق»، إنها تسامح الجميع إلا أولئك الذين لا يتسامحون مع أى اختلاف.

إذا هذا هو الحل الذى يقنع الأصوليين بالتخلى عن دينهم؟ حسنًا، سوف يساعد على ذلك. إنه من الصعب تخيل «إنسانيين علمانيين» يقتلون أولئك الذين يختلفون معهم. ولكن لا، بكل تأكيد إن الأمر ليس بتلك البساطة. معظم المسيحيين لا يأخذون الكتاب المقدس جديًا أو حرفيًا عندما يأمر بقتل غير المؤمنين. كذلك كثير من المسلمين لا يأخذون نصوصهم المقدسة بتلك الجدية أو بتلك البساطة.

التعصب يمكن أن يغذيه أفكار أخرى بالإضافة للأفكار الدينية، وأثبت ذلك قادة متنوعون مثل ستالين وپول پوت. ولكن مذابح القتل الجماعى لها سمة مشتركة: اليقين. إنه الإخلاص الأعمى للأفكار، والإخلاص القوى الذى يجعل المتعصبين مستعدين للقتل والموت فى سبيلها.

قدرة وقوة أمريكا الأولى هى فى شعبها، ولكنها أيضًا فى اختراع وفى الإصرار على الإخلاص لحكومة علمانية، تحتها يأخذ الكل الدين أو عدم الدين جديًا لأى درجة يريدون، إلا فى أن تأخذ الحكومة جانب أحد فى الدين، وإلا فى أن يقتلوا المخالفين لهم. **ليس المجتمع العلمانى هو الذى لا يسمح بالدين، ولكنه يجب أن يكون المجتمع الذى يسمح لكل الأديان والفلسفات أن تتنافس فى السوق الحر للأفكار، على دعم الأفراد.**

المجتمع العلمانى - وليس المجتمع الأصولى - هو المجتمع الوحيد الذى فيه الحرية الدينية متاحة للجميع، ومأمونة للكل. كل التابعين لأى أغلبية دينية فى أى فترة من فترات التاريخ يتوجب عليهم المشاركة فى الالتزام بحقوق الأقليات، على الأقل لأنه من الجائز أن يصبحوا فى الغد مكان إحدى تلك الأقليات.

علمانى تعنى محايدا بالنسبة للدين. قد يصعب على تابعى أى دين - أو حتى غير المتدينين - قول هذا.

روى متى عن عيسى: «من ليس معى فهو ضدى، ومن لا يجمع معى فهو يفرق» ١٢ : ٣٠. برغم ذلك، الحياد الرسمى هو الوسيلة الوحيدة لتجنب المخاطر الخطيرة للعودة للحروب الصليبية المقدسة، المذابح المنظمة، القمع، الاضطهاد، وما يشبه اليقين، الإرهاب أيضًا. تلك الفواجع تصيب كلاً من الأصوليين والعلمانيين، والحاجة ليتعلم الجميع ذلك ملحة ومستمرة. أولئك الذين يقدرون تلك الحاجة، عليهم ألا ينتظروا أن يقوم الآخرون بالعمل، والذى يشمل العمل السياسى لدعم التعليم والعلمانية.

كما ذكرنا من قبل، يجب على التعليم الذى ننشده أن يكون واسعًا ومحددًا. ويجب أن يكون ذلك التعليم صريحًا ولا يلين فى مواجهة الدعاية الزائفة للأصوليين. ويجب أيضًا أن يحوى إدانة محددة للأصوليين الذين يعتقدون أنهم فوق القانون، والذين يعتقدون أن حقوق الآخرين أقل من حقوقهم، والذين ينوون استخدام العنف فى سبيل عقائدهم.

لن يكون الأمر سهلاً، ولكن على الأمريكيين ألا يخلدوا للراحة. علينا ألا نفشل فى إقناع كل شخص - أصولى، إنسانى علمانى، وكل الآخرين - بأن المجتمع العلمانى - والذى فيه فصل مؤكد بين الكنيسة والدولة - هو الحل الضرورى. تكلفة الفشل فى ذلك باهظة، سيكون بمقدور الناس الذين على يقين من الحاجة لحماية أصول دينهم إن يأتوا بأعمال رهيبة. يمكنهم التفكير فى أعمال مثل قصف المبانى - التى تمثل المجتمع العلمانى - التى يعمل فيها أبرياء يعيشون بحرية حياة مسالمة، بطائرات نفاثة محملة بالوقود.

***

Chapter 1 Notes

[1] James C. Dobson, Children at Risk, 27.
[2] Philip Smucker and Michael Stachell, "Hearts and Minds," U.S. News & World Report, 15 October 2001, [online] [cited 15 October 2001]; available at http://www.usnews.com/usnews/issue/011015/ideas/taliban.htm.
[3] James Dobson, Parenting Isn't For Cowards (Word Publishing, 1997), 104, cited in Albert J. Menendez, Three Voices of Extremism: Charles Colson, James Dobson, D. James Kennedy (Silver Spring, MD: Americans for Religious Liberty, 1977), 52.
[4] Dobson, Parenting, 106.
[5] "'White Rose' Activists Preach Violence Against Abortion Clinics, Gays," Church & State April 2001 [online] [cited 20 October 2002]; available at http://www.au.org/churchstate/cs4016.htm.
[6] "'White Rose."
[7] "'White Rose."
[8] David C. Trosch, letter to Congress, 16 July 1994, quoted in Maxine Parshall, "The 'Reverend' David C. Trosch to 'Dear Congressman,'" Perspectives Fall 1994, 1-3.
[9] Barbara M. Jones, Libraries, Access, and Intellectual Freedom: Developing Policies for Public and Academic Libraries (Chicago: American Library Association, 1999), 84-85.
[10] Kimberly Blaker, "U.S. breeds its own religious extremists," San Francisco Examiner, 20 September 2001.
[11] Bill Baird and Joni Scott, "A test of our resolve: the religious right's attack on freedom," The Humanist, (September/October 2000, cited in WilsonSelect Plus_FT [database online] [cited 4 June 2001]), 14-21, quoted in Kimberly Blaker, "U.S. breeds its own religious extremists," San Francisco Examiner, 20 September 2001.
[12] Blaker, "U.S. breeds."
[13] "Catholic Church Blamed for Backing 'Clones' of Islamic Terrorists," The Catalyst November 2001, 11.
[14] "Catholic Church."
[15] "Catholic Church."
[16] "Catholic Church."
[17] "Catholic Church."
[18] "Catholic Church Blamed for Backing 'Clones' of Islamic Terrorists," The Catalyst, Catholic League for Religious and Civil Rights website, 21 September 2001 [online][cited 22 September 2001]; available at http://www.catholicleague.org/01press_releases/pr0301.htm#CATHOLIC%20CHURCH%20BLAMED%20FOR%20BACKING%20"CLONES"%20OF%20ISLAMIC%20TERRORISTS.
[19] Michael Stoll, letter to anonymous, 14 November 2001.
[20] A freelance production assistant who briefly did some work for Mag Rack shared this information when we spoke over the phone. It is noted that, according to a letter from Mag Rack in response to my attempts to follow up with the freelance production assistant, the freelancer did not have the authority to speak on behalf of Mag Rack, Rainbow Media, or "American Catholic," nor did the freelancer claim to have been speaking on any of their behalf during our telephone conversation.
[21] Michael Connor of Mag Rack, the video-on-demand service from Rainbow Media that includes "American Catholic," letter to the author 22 October 2002.
[22] "Palm Beach Post Justifies Anti Catholicism," The Catalyst, March 2002 [online][cited 1 March 2002]; available at http://www.catholicleague.org/catalyst/2002_catalyst/3-02.htm#NAPA%20VALLEY%20MUSEUM%20DISPLAYS%20DEFECATING%20POPE.

[23] "Catholic League's 2001 Annual Report on Anti-Catholicism," [online] [cited 17 October 2002]; available at http://www.catholicleague.org/2001report/media2001.html.
[24] Michael Stoll, letter to Kimberly Blaker, 25 February 2002.
[25] Jones, Libraries, 84-85.
[26] "About AD/HD," Children and Adults with Attention-Deficit/Hyperactivity Disorder website [online] [cited 19 May 2002]; available at http://204.29.171.80/framer/navigation.asp?charset=utf-8&cc=US&frameid=1565&lc=en-us&providerid=262&realname=CHADD&uid=1725424&url=http%3A%2F%2Fwww.chadd.org%2F.
[27] Andrew Adesman, "Does My Child Need Ritalin?" Attention! April 2001, 38.
[28] T. Dwaine McCallon, "If he outgrew it, what is he doing in my prison?" National Attention Deficit Disorder Association website [online] [cited 25 April 2002]; available at http://add.about.com/gi/dynamic/offsite.htm?site=http%3A%2F%2Fadd.org%2Fimages2%2Fprison.htm.
[29] "CHADD Applauds International Consensus Statement on AD/HD issued by Nation's Leading Clinicians," Children and Adults with Attention-Deficit/Hyperactivity Disorder website [online] [cited 25 April 2002]; available at http://chadd.org/press.cfm?cat_id=10&subcat_id=29&press_year=2002&press_id=27
[30] "General Information," The Mackinac Center for Public Policy website [online][cited 22 February 2002]; available at http://www.mackinac.org/join/default.asp?ID=1542.
[31] "Purpose & Mission," The Mackinac Center for Public Policy website [online][cited 22 February 2002]; available at http://www.mackinac.org/1662.
[32] Curt Guyette, "Non-Partisan – Not!" Metrotimes.com [online] [cited 25 April 2002]; available at http://www.johnengler.com/002.html.
[33] James Ferency, Mackinac Center for Public Policy Watch [online] [cited 25 April 2002]; available at http://scnc.mindnet.org/~ferencyj/forward.html.
[34] Terry L. Coomer, "Is Ritalin the Answer?" For the Love of the Family Ministries website [online] [cited 27 June 2002]; available at http://www.churchpages.org/fortheloveofthefamily/articles/isritalintheanswer.htm.
[35] "Known Funding of the Mackinac Center," The Mackinac Center for Public Policy Watch website [online] [cited 27 January 2002]; available at http://scnc.mindnet.org/~ferencyj/funding.html.
[36] "Known Funding."
[37] "The Mother Jones 400: Richard M. DeVos Sr. (with Helen)," MotherJones.com, 5 March 2001, [online] [cited 28 January 2002]; available at http://www.motherjones.com/web_exclusives/special_reports/mojo_400/12_devos.html.
[38] "The Mother Jones 400."
[39] "Council for National Policy: (CNP) and Scientology," Cephas Ministry Inc. website [online][cited 27 January 2002]; available at http://newsletters.cephasministry.com/ncp8.html.
[40] "A Pledge to Children and Families," Citizens Commission on Human Rights website [online][cited 27 January 2002]; available at http://www.cchr.org/educate/aptcafl.htm.
[41] "A Pledge."
[42] Mary Eberstadt, "Why Ritalin Rules," Policy Review, Heritage Foundation website [online] [cited 27 June 2002]; available at http://www.heritage.org/policyreview/apr99/eberstadt_print.html.

Chapter 2 Notes

[43] "Terry Preaches Theocratic Rule 'No More Mister Nice Christian' is the Pro-Life Activist's Theme for the '90's," The News-Sentinel (Fort Wayne, IN), 16 August 1993, quoted in B. A.

Robinson, "Reacting to Religious Diversity: Religious Exclusivism, Pluralism, and Inclusivism," Ontario Consultants on Religious Tolerance website [online] [cited 28 May 2002]; available at http://www.religioustolerance.org/rel_plur.htm.
[44] Jeffrey S. Victor, "Forecasting the Future of Religion: The Next 50 Years," The Humanist May/June 1996, 21.
[45] Richard J. Gelles and Ann Levine, Sociology: An Introduction, 5th ed. (New York: McGraw-Hill, 1995), 470.
[46] Gelles, Sociology, 465.
[47] Richard Swift, "Fundamentalism: Reaching for Certainty," New Internationalist August 1990. Replicated in SIRS CD-ROM, 7.
[48] Swift, "Fundamentalism," 7.
[49] Victor, "Forecasting," 21.
[50] Associated Press, "Political Religious Extremists Reject the King James Version of the Bible," Marriage Project-Hawaii website [online] [cited 22 April 2002]; available at http://members.tripod.com/~MPHAWAII/Religion/KingJamesBible.htm.
[51] Cheryl Mullenax, "Akhenaten, Visionary or Heretic?" Akhenaten, The Sun King website [online] [cited 5 March 2002]; available at http://www.angelfire.com/ny/akhenaten/index1.html.
[52] Swift, "Fundamentalism," 4.
[53] Michael Lienesch, Redeeming America Piety & Politics in the New Christian Right (Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1992), 247-48.
[54] Field, "Oliver Cromwell, Hero or Villain?" Schoolhistory.co.uk website [online] [cited 28 March 2002]; available at
http://www.schoolhistory.co.uk/year8links/civilwar/Cromwellheroorvillain.
[55] "The Mayflower Compact," The University of Oklahoma Law Center-A Chronology of U.S. Historical Documents website [online] [cited 16 April 2002]; available at
http://www.law.ou.edu/hist/mayflow.html.
[56] "The Mayflower Compact," The History Place-American Revolution website [online] [cited 16 April 2002]; available at
http://www.historyplace.com/unitedstates/revolution/mayflower.htm.
[57] "The Constitution of the United States of America," The University of Oklahoma College of law-A Chronology of U.S. Historical Documents website[online] [cited 21 March 2002]; available at http://www.law.ou.edu/hist/constitution/.
[58] Edward M. Buckner and Michael E. Buckner, eds., Quotations That Support the Separation of State and Church, 2nd ed. (Atlanta: Atlanta Freethought Society, 1995), 3.
[59] Alan Brinkley, American History: A Survey, Volume I: To 1877, 9th ed. (New York: McGraw-Hill, Inc., 1995), 86-7.
[60] Brinkley, American History, 86-7.
[61] William Martin, With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America (New York: Broadway Books, 1996), 2.
[62] David S. Noss, A History of the World Religions, 10th ed. (Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 1999), 518.
[63] Noss, A History, 518.
[64] Brinkley, American, 86-7.
[65] Brinkley, American, 86-7.
[66] Brinkley, American, 86-7.
[67] Martin, With God, 3.
[68] Martin, With God, 3.
[69] Martin, With God, 3.
[70] Martin, With God, 3-4.
[71] Brinkley, American, 188-89.
[72] Martin, With God, 4.
[73] Martin, With God, 4-5.
[74] Martin, With God, 4-5.

[75] Michael S. Horton, "The Legacy of Charles Finney," in Premise [electronic journal], (Vol.II No. 3 27 March 1995 [cited 5 April 2002]); available at http://capo.org/premise/95/march/horton-f.html.
[76] Martin, With God, 5-6
[77] Martin, With God, 4.
[78] Martin, With God, 5-6.
[79] Noss, A History, 521.
[80] Lienesch, Redeeming, 247-248.
[81] Lattin, "Apocalypse," 4.
[82] Noss, A History, 522.
[83] Noss, A History, 522
[84] Noss, A History, 522.
[85] Lattin, "Apocalypse," 32-38.
[86] Scott Appleby, "Unflinching Faith: What Fires Up the World's Fundamentalists?" in U.S. Catholic, December 1989, 1, quoted in "Fundamentalism and Its Motivation," Sphaira-A Symbol of Unity website [online] [cited 24 February 1998]; available at http://incolor.inetnebr.com/mdavis/fundmntl.htm.
[87] Lattin, "Apocalypse," 3.
[88] Jim Strayer, Telephone interview by author, 2 June 2002.
[89] John Shelby Spong, Rescuing the Bible From Fundamentalism: A Bishop Rethinks the Meaning of Scripture. (New York: HarperCollins, 1992), 15
[90] Gary Leak and Brandy Randall in the Journal for the Scientific Study of Religion (1995) quoted in Michael Franklin and Marian Hetherly, "How Fundamentalism Affects Society," in The Humanist, 1 September 1997, 26.
[91] Leak, Journal.
[92] "The Rapture: Hoax or Hope?" Ontario Consultants on Religious Tolerance website [online] [cited 6 April 2002]; available at http://www.religioustolerance.org/rapture.htm.
[93] "The Rapture."
[94] "The Rapture."
[95] B. A. Robinson, "Millennialism: Competing Theories," Ontario Consultants on Religious Tolerance website [online] [cited 6 April 2002]; available at http://www.religioustolerance.org/millenni.htm.
[96] Lattin, "Apocalypse," 8.
[97] Martin, With God, 7.
[98] "They Said What?!? The Religious Rights Quotes," The Humanist Society of Gainesville website [online] [cited 15 March 2002]; available at http://www.lipsio.com/gainesvillehumanists/quotes.htm.
[99] Martin, With God, 7.
[100] Charles B. Strozier, Apocalypse on the Psychology of Fundamentalism in America (Boston: Beacon Press, 1994), 120.
[101] Strozier, Apocalypse, 121.
[102] Mark Twain, Letters from the Earth, ed. Bernard DeVoto (Greenwich, Conn.: Fawcett Publications, 1970).
[103] Robinson, "Millennialism."
[104] Edward Hindson, "What Will It Be Like To Be Left Behind," The Tim LaHaye School of Prophecy website [online] [cited 14 May 2002]; available at http://www.schoolofprophecy.com/left_behind.html.
[105] Martin, With God, 353-54.
[106] Robinson, "Millennialism."
[107] Strozier, Apocalypse, 120.

[108] Swift, "Fundamentalism," 8.
[109] Gelles, Sociology, 459.
[110] Victor, "Forecasting," 22.
[111] Swift, "Fundamentalism," 2.
[112] Gelles, Sociology, 470.
[113] Gelles, Sociology, 470-71.
[114] Lattin, "Apocalypse," 5.
[115] Strozier, Apocalypse, 254.
[116] Norman F. Furniss, The Fundamentalist Controversy, 1918-1931 (Hamden, CT: Archon, 1963), 35.
[117] Gelles, Sociology, 470-71.
[118] Appleby, "Unflinching Faith," 1.
[119] Scott R. Appleby, "The God Squads," in Notre Dame Magazine, summer 1995, Replicated in SIRS CD-ROM, 11.
[120] Rob Boston, "Weekend Warriors," Church & State 55, no. 6 (2002): 7.
[121] Gelles, Sociology, 453.
[122] Kay Marie Porterfield, Blind Faith: Recognizing and Recovering From Dysfunctional Religious Groups (Minneapolis: CompCare Publishers, 1993), 71.
[123] Appleby, "The God Squads," 33-38.
[124] Appleby, "Unflinching Faith," 1.
[125] Appleby, "Unflinching Faith," 2.
[126] Flo Conway and Jim Siegelman, Holy Terror: The Fundamentalist War on America's Freedoms in Religion, Politics and Our Private Lives (Garden City: Doubleday, 1982), 4.
[127] Bruce Hunsberger, "Religion and Prejudice: The Role of Religious Fundamentalism, Quest, and Right-wing Authoritarianism," in Journal of Social Issues, 51 (1995): 121.
[128] Appleby, "The God Squads," 11.
[129] Swift, "Fundamentalism," 14.
[130] Gelles, Sociology, 469.
[131] Strozier, Apocalypse, 253.

Chapter 3 Notes

[132] Robert Thoburn, The Children Trap (1986), quoted in David C. Berliner, "Educational Psychology meets the Christian right: differing views of children, schooling, teaching, and learning," Teachers College Record Spring 1997, 159, cited in WilsonSelectPlus_FT [database online] [cited 5 June 2001].
[133] Prov. 29.15, Revised Standard Version.
[134] Michael Franklin and Marian Hetherly, "How Fundamentalism Affects Society," The Humanist, 57, September/October (1997): 25-2.
[135] 2 Kings 2.24, RSV.
[136] Prov. 22.15, RSV.
[137] Carolyn Holderread Heggen, "Religious Beliefs and Abuse," Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Hurt or Heal, Catherine Clark Kroeger and James R. Beck eds. (Grand Rapids, MI: Baker, 1996), 17.
[138] Such research that is in agreement includes that of Ellison, Bartkowski, and Segal as well as Ellison and Sherkat.
[139] Henry Danso, Bruce Hunsberger, and Michael Pratt, "The Role of Parental Religious Fundamentalism and Right-Wing Authoritarianism in Child-Rearing Goals and Practices," Journal for the Scientific Study of Religion, 36 no. 4 (1997): 497.
[140] Pam Belluck, "Many States Ceding Regulations to Church Groups," New York Times, 27 July, 2001, sec. A.
[141] "Spanking on the decline in U.S. schools," USA Today, 2 December 1996, sec. A.

[142] Eli H. Newberger, The Men They Will Become: The Nature and Nurture of Male Character, (Cambridge, MA: Perseus Publishing, 2001), 75.
[143] David C. Berliner, "Educational Psychology Meets the Christian Right," Teachers' College Record, Spring, (1997): 381-416.
[144] Rick Bragg, "Christian School Questioned Over Discipline for Wayward," New York Times, 5 July 2001, Late edition, East Coast, sec. A.
[145] Bragg, "Christian School."
[146] Charles N. Sharpe, "Pastor's Letter," Heartland Ministries, Heartland Ministries [online] [cited 6 November 2001]; available at http://www.heartland-ministries.org/pastorsletter.htm.
[147] Jill Young Miller, Atlanta Journal Constitution, 26 February 2002, Metro Edition, sec. B.
[148] Lolita Wolf, "Lolita's Predictions & Predilections," Leather Page.com [online] [cited 10 April 2002]; available at http://leatherpage.com/columns/lolita/lw000925.htm.
[149] "Got Kids? Spank Them, Group Says," Detroit News, Associated Press, Features sec., 24 Sept. 2000, [online] [cited 15 March 2002]; available at http://detnews.com/2000/features/0009/26/a03-125033.htm.
[150] James C. Dobson, "Hot Topics: Spanking," Focus on the Family website [online] [cited 25 March 2002]; available at http://www.family.org/docstudy/solid/a0014858.html.
[151] DYG, Inc., "What Grown-ups Understand about Child Development" [online] [cited 2 April 2002] http://www.zerotothree.org/executivesummary.pdf.
[152] B.D.Schmitt, "Spanking," Clinical Reference Systems, Annual 2000, 1461.
[153] Wendy Walsh, Family Relations, vol. 51, issue 1, 81-88.
[154] "Spanking Makes Children Violent, Antisocial," excerpt from the "American Medical Association News Update," 13 August 1997 [online] [cited 20 March 2002]; available at http://wwwave.org/DataBase/SPANKING_Children.htm.
[155] "The Spanking-Depression Connection," Canadian Medical Association Journal, 161, no. 7, 5 October (1999).
[156] Erica Good, "Findings Give some Support to Advocates of Spanking," New York Times, 25 August, 2001, sec. A.
[157] Harold Grasmick, Robert Bursik Jr., and M'lou Kimpel, Violence and Victims, 1991, cited in Michael Franklin and Marian Hetherly, "How Fundamentalism Affects Society," The Humanist, September (1997): 25-26.
[158] Elinor Burkett and Frank Bruni, A Gospel of Shame, (New York: Viking Penguin,1993), 6.
[159] J. Alford, M. Grey, and C.J. Kasper, "Child molesters: Areas for further research," Corrective and Social Psychiatry and Journal of Behavior Technology Methods and Therapy, 34 (1988): 4 cited in Ruth Miller, Larry S. Miller, and Miller,Mary R. Langenbrunner, "Religiosity and child sexual abuse: A risk factor assessment," Journal of Child Sexual Abuse, vol. 6, issue 4 (1997): 15-34.
[160] Michael Powell, Lois Romano, The International Herald Tribune, 14 May, 2002, Bankok edition, Section A.
[161] Jim Seghers, "Catholic Fundamentalism, What is That," Apologetic and Other Free Essays, Totus Tuus Ministries website [online] [cited 31 March 2002]; available at http://www.totustuus.com/essays.htm.
[162] Alford, "Child molesters," 4.
[163] Teresa Watanabe, "Sex Abuse by Clerics—A Crisis of Many Faiths," Los Angeles Times, 25 March 2002, sec. A.
[164] According to Hull & Burke (1991), cited in Jackie J. Hudson, "Characteristics of the Incestuous Family," Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Hurt or Heal, Catherine Clark Kroeger and James R. Beck eds. (Grand Rapids, MI: Baker, 1996), 71-72.

[165] Jackie J. Hudson, "Characteristics of the Incestuous Family," Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Hurt or Heal, Catherine Clark Kroeger and James R. Beck eds. (Grand Rapids, MI: Baker, 1996), 72.
[166] Hudson, "Characteristics," 77.
[167] Hudson cites Finkelhor, Herman and Hirschman, Hull and Burke, and Jehu.
[168] Hudson, "Characteristics," 77.
[169] Hudson, "Characteristics," 77 citing Cohen.
[170] Hudson, "Characteristics," 77 citing Herman & Hirschman, Trepper & Barrett, and Jehu.
[171] Ruth Miller, Larry S. Miller, and Miller,Mary R. Langenbrunner, "Religiosity and child sexual abuse: A risk factor assessment," Journal of Child Sexual Abuse, vol. 6, issue 4 (1997): 15-34.
[172] Miller,"Religiosity," 15-34.
[173] Miller,"Religiosity," 15-34.
[174] Miller,"Religiosity," 15-34.
[175] Miller,"Religiosity," 15-34.
[176] David Thibodeau and Leon Whiteson, A Place Called Waco (New York: Public Affairs, 1999), 107-108.
[177] "Why Exempt Churches from Reporting Child Abuse?" USA Today, 22 March, 2002, sec. A.
[178] Prov. 2.6 RSV.
[179] Vincent M. Wales, "Hitler, Gun Control, and School Prayer," The Atheist Attic, [online] [cited 22 March 2002]; available at http://www.bee.net/cardigan/attic/120101.htm.
[180] 19th Century Schoolbooks website, University of Pittsburg Library System, Nietz Full Text Database, [online] [cited 1 April 2002]; available at http://digital.library.pitt.edu/nietz.
[181] Elmer Schwieder and Dorothy Schwieder, A Peculiar People: Iowa's Old Order Amish, (Ames, Iowa: State University Press, 1987), 114.
[182] Debi S. Edmund, "Different rules for public and private schools," The Education Digest, vol. 65a, Issue 3a, 1 November (1999), 2.
[183] Belluck, "Many States."
[184] "Support for Homeschooling on the Rise," USA Today, 30 August 2001, sec. D.
[185] Patrick Basham, "Homeschooling: From the Extreme to the Mainstream," Public Policy Sources, vol. 51, (Vancouver, BC: Frazer Institute, 2001), [online] [cited 30 March 2002]; available at http://www.fraserinstitute.ca/admin/books/files/homeschool.pdf.
[186] Loretta F. Meeks, Wendall A. Meeks, and Claudia A. Warren, "Racial desegregation: Magnet schools, vouchers, privatization, and homeschooling," Education and Urban Society;" vol. 33, Issue 1, November (2000): 88-101.
[187] Stacey Bielick, Kathryn Chandler, and Stephen P. Broughman, "Homeschooling in the United States: 1999," Education Statistics Quarterly (2002) [online] [cited 24 March 2002]; available at http://nces.ed.gov/pubs2002/quarterly/fall/q3-2.asp.
[188] Bielick, "Homeschooling."
[189] William Blake is very popular in religious studies. He used the imagery of the Christian lamb, easily led by the shepherd. Blake was certainly religious, and did indeed believe in angels, but a comprehensive study of his work or his life reveals this image to be a satirical reference to those too easily led.
[190] Alfred Darnell and Darren E. Sherkat, "The Impact of Protestant Fundamentalism on Educational Attainment," American Sociological Review, 62 (1997): 309-11. cited in Kimberly Blaker, "Christian Fundamentalism: A Growing Danger," (paper presented at the Student Scholars Conference for Students at Michigan's Two-Year Colleges, Lansing, Mich., 26 September 1998) 5.
[191] Darnell and Sherkat, "The Impact," 309-311.
[192] Azam Kamguian, "Remove God from the Schools," Institute for the Secularism of Islamic Society, (17 May, 2002) [online] [cited 11 June, 2002] available at http://www.secularislam.org/Default.htm.

[193] Kamguian, "Remove God."
[194] Mallica Dutt, "God's Guerillas," New Internationalist, August 1995, 16-17.
[195] Robert Simonds, How to Elect Christians to Public Office, (1985) quoted in David C. Berliner, "Educational Psychology meets the Christian right: differing views of children, schooling, teaching, and learning," Teachers College Record, Spring (1997), cited in WilsonSelectPlus_FT [database online] [cited 5 June 2001], 3-4.
[196] Simonds, How to.
[197] Thoburn, The Children, 3.
[198] Thoburn, The Children, 3.
[199] Randy Moore, "Educational Malpractice: Why Do So Many Biology Teachers Endorse Creationism?" Skeptical Inquirer, vol. 25, no. 6, November/December, 2001, 38-43.
[200] Roger Doyle, "Down with Evolution!," Scientific American, vol. 286, no. 3, March 2002, 30.
[201] Katherine Gleeson, "Teens and Taboos: Fact and Fiction," ZPG Backgrounder winter 1990-91, replicated in SIRS CD-ROM, 1-7.
[202] "Teenagers' Sexual and Reproductive Health," Alan Guttmacher Institute website [online] [cited 30 March 2002]; available at http://www.agi-usa.org/pubs/fb_teens.html.
[203] Gleeson, "Teens and Taboos," 3-4.
[204] Gleeson, "Teens and Taboos," 6.
[205] Douglas Kirby, "No Easy Answers: Research Findings on Programs to Reduce Teen Pregnancy," March 1997, Washington DC: The National Campaign to Prevent Teen Pregnancy website [online] [cited 20 March 2002]; available at http://teenpregnancy.org/resources/data/report_summaries/no_easy_answers/default.asp.
[206] Susan Motamed, "Condom Availability and Responsible Sexuality Education," Planned Parenthood website [online] [cited 15 March 2002]; available at http://www.plannedparenthood.org/articles/sexed.html.
[207] Fritz Detwiler, Standing on the Premises of God (New York: New York University Press, 1999), 85.
[208] "Group says YMCA promotes witches," Associated Press, 24 January 2002 [online] [cited 27 Feb. 2002]; available at http://www.canoe.ca/CNEWSWorldTrade/home.html.
[209] "Group says."
[210] Donna Harrington-Lueker, "Book Battles," American School Board Journal, February (1991).
[211] Detwiler, Standing, 78.
[212]John M. Swomley, "The 'Power' of Prayer," The Humanist, vol. 60, no. 1, (2000): 38, replicated in WilsonSelectPlus_FT [database online] [cited 5 June 2001].
[59] Edd Doerr, Catholic Schools: the Facts (Silver Spring, MD: Americans For Religious Liberty, 1993), 149.
[214] It should be noted that Catholic schools are not presented here as fundamentalist. They are given as examples of religion in education.
[215] Jodie Morse, "Letting God Back In," *Time*, 22 October 2001 [online] [cited 3 Feb. 2002]; available at http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171,1101011022-179476,00.html.
[216] "Letting God Back In."
[217] "Letting God Back In."
[218] Matt. 6.5, RSV.
[219] Exod. 20, 1-17, RSV.
[220] Andrea J. Sedlak and Diane D. Broadhurst, Executive Summary of The Third National Incidence Study of Child Abuse and Neglect, U.S. Department of Health and Human Services Administration for Children and Families Administration on Children, Youth and Families National Center on Child Abuse and Neglect, September 1996. (Cited 20 March 2002) Available at http://www.calib.com/nccanch/pubs/statinfo/nis3.cfm.

[221]Betty Lou Bettner and Amy Lew, Raising Kids who Can (New York: Harper Perennial, 1992), 45.
[222] H. Stephen Glenn and Jane Nelson, Raising Self-Reliant Children in a Self-Indulgent World (Roseville, California: Prima Publications, 2000), 191-92.
[223] K.M. Brigman, "Churches helping families" Family Perspectives, volume 18 (1984) 77-84.
[224]Pamela Warrick, "The Fall From Spyglass Hill," Los Angeles Times 29 April 1998, sec. E.

Chapter 4 Notes

[225] "Report of the Baptist Faith and Message Study Committee to the Southern Baptist Convention," Southern Baptist Convention website [online] [cited 15 April 2002]; available at http://sbc.net/default.asp?url=bfam_2000.html.
[226] David Phinny, "Baptists tell Wives to Submit," ABCNews.com 10 June 1998, [online][cited 5 February 2002]; available at http://abcnews.go.com/sections/us/DailyNews/baptistcon980610.html.
[227] Lynn Hunt et al., The Challenge of the West: Peoples and Cultures from the Stone Age to 1640, (Lexington, MA: D.C. Heath and Company, 1995), 1:19.
[228] Richard Dawkins note to Kimberly Blaker 24 October 2002.
[229] Alan Brinkley, American History: A Survey, Volume I: To 1877 9th ed. (New York: McGraw-Hill, Inc., 1995), 291-92.
[230] "Women in American History by Encyclopedia Britannica," Britannica Online [online] [cited 8 May 2002]; available at http://women.eb.com/women/articles/coverture.html.
[231] Carole Pateman, 1988 "The Sexual Contract" http://instruct.uwo.ca/anthro/211/slavery.htm.
[232] Brinkley, American History, 291-92.
[233] Brinkley, American History, 291-92.
[234] Brinkley, American History, 291-92.
[235] Kimberly Blaker, "In Remembrance of Women's Freedom," Rochester Woman, March 2002, 23.
[236] Webster's New World Encyclopedia (New York: Prentice Hall, 1992), 981.
[237] Susan Faludi, Backlash (New York: Anchor Books, 1991), 232-233.
[238] William Martin, With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America (New York: Broadway Books, 1996), 162.
[239] Martin, With God, 162.
[240] Faludi, Backlash, 232.
[241] Faludi, Backlash, 235.
[242] Faludi, Backlash, 235.
[243] Faludi, Backlash, 235-36.
[244] Faludi, Backlash, 236.
[245] Faludi, Backlash, 236.
[246] Faludi, Backlash, 233.
[247] Mallika Dutt, "God's Guerillas," New Internationalist August 1995,17.
[248] John W. Wright, ed., The New York Times 2001 Almanac (New York: Penguin Putnam Inc., 2000), 400.
[249] Robert D. Culver, "A Traditional View: Let Your Women Keep Silence," quoted in David M. Scholer, "The Evangelical Debate over Biblical 'Headship,'" Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Hurt or Heal, eds. Catherine Clark Kroeger and James R. Beck (Grand Rapids, MI: Baker Books, 1996), 36-7.
[250] "The Woman's Role in the Plan of God," Biblical Viewpoints Publications published by Church of God in Christ, Mennonite [online] [cited 13 June 2001]; available at http://www.bibleviews.com/womanrole.html.
[251] "The Woman's Role," 2.
[252] Charles W. Peek, George D. Lowe, and L. Susan Williams, "Gender and God's Word: Another Look at Religious Fundamentalism and Sexism," Social Forces 69 (1991): 1206.

[253] Peek, "Gender and God," 1215.
[254] Tracey Ann Martin, "The Truth Behind. . . Promise Keepers," For NOW The Official Publication of the Western Wayne County Chapter March 1997
[255] "Myths and facts about the Promise Keepers," in National Organization for Women website [online] [cited 4 May 1998], 1.
[256] Martin, With God, 161.
[257] "The Woman's Role," 3-4.
[258] Alice P. Mathews, "How Evangelical Women Cope with Prescription and Description," Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Hurt or Heal, eds. Catherine Clark Kroeger and James R. Beck (Grand Rapids, MI: Baker Books, 1996), 86-7.
[259] J.M. Miles, The Femine Principal: A Woman's Discovery of the key to total fulfillment (1975), 42, cited in Alice P. Mathews, "How Evangelical Women Cope with Prescription and Description," Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Hurt or Heal, eds. Catherine Clark Kroeger and James R. Beck (Grand Rapids, MI: Baker Books, 1996), 86-7.
[260] Mathews, "How Evangelical," 87.
[261] Mathews, "How Evangelical," 100.
[262] Mathews, "How Evangelical," 88.
[263] Mathews, "How Evangelical," 100-01.
[264] Mathews, "How Evangelical," 100-01.
[265] Mathews, "How Evangelical," 100-01.
[266] Mathews, "How Evangelical," 101-02, quoting the surveyed women's responses.
[267] Mathews, "How Evangelical," 102, quoting the surveyed women's responses.
[268] Mathews, "How Evangelical," 103.
[269] "Christians Are More Likely to Experience Divorce Than Are Non-Christians," Barna Research Online, 21 December 1999 [online][cited 12 February 2002]; available at http://www.barna.org/cgi-bin/PagePressRelease.asp?PressReleaseID=39&Reference=D.
[270] "Christians Are More."
[271] Carolyn Holderread Heggen, "Religious Beliefs and Abuse," Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Hurt or Heal, eds. Catherine Clark Kroeger and James R. Beck (Grand Rapids, MI: Baker Books 1996), 21.
[272] John M. Swomley, Abortion and Public Policy (Silver Spring, Maryland: Americans for Religious Liberty, 1994), 418-19.
[273] U.S. Department Of Justice, U.S. Bureau of Justice Statistics, Statistics on Violence Against Women: 1995 [online] [cited 9 April 2002]; available at http://www.cfpa.org/programswomen/9704summitreport/appendix.cfm.
[274] Richard J. Gelles and Ann Levine, Sociology: An Introduction 5th. Ed. (New York: McGraw-Hill, Inc., 1995), 58.
[275] Gelles, Sociology, 58.
[276] Gelles, Sociology, 59.
[277] Gelles, Sociology, 59.
[278] Gelles, Sociology, 60.
[279] V. Michael McKenzie, Domestic Violence in America, (Lawrenceville, VA: Brunswick Publishing Corporation, 1995), 92.
[280] Michael Franklin and Marian Hetherly, "How fundamentalism affects society," The Humanist, 57, September/October 1997, 25, in WilsonSelectPlus-FT [database online] [cited 5 June 2001].
[281] Heggen, "Religious Beliefs," 16-24.
[282] Heggen, "Religious Beliefs," 17.
[283] McKenzie, Domestic Violence, 56.
[284] McKenzie, Domestic Violence, 58.

[285] Heggen, "Religious Beliefs," 18.
[286] Shirley Gillett, "No Church to call Home," Women, Abuse, and the Bible: How Scripture Can Be Used to Heal or Hurt eds. Catherine Clark Kroeger and James R. Beck (Grand Rapids, MI: Baker Books, 1996), 107-08.
[287] Heggen, "Religious Beliefs," 24.
[288] Christine E. Gudorf, "The worst sexual sin: Sexual violence and the church," Christian Century, 6-13 January 1993, 21.
[289] Franklin, "How Fundamentalism,"1.
[290] Heggen, "Religious Beliefs," 18.
[291] Faludi, Backlash, 233.
[292] Russ Bellant, The Coors Connection (Cambridge, MA: Political Research Associates, 1990), cited in "Group Watch: Heritage Foundation," February 1991 [online] [cited 10 March 2002]; available at http://www.publiceye.org/research/Group_Watch/Entries-62.htm.
[293] Bellant, The Coors.
[294] John Ashcroft, "Remove Perverse Incentives," Policy Review September 1996 [online] [cited 14 June 2001]; available at http://www.policyreview.org/sept96/symp.html.
[295] James Dobson, Straight Talk, 92, cited in Albert J. Menendez, Three Voices of Extremism: Charles Colson, James Dobson, D. James Kennedy (Silver Spring, MD: Americans for Religious Liberty, 1977), 64.
[296] James Dobson, "Revive the 'Marriage Culture,'" Policy Review September 1996 [online] [cited 14 June 2001]; available at http://www.policyreview.org/sept96/symp.html.
[297] William S. Lind and William H. Marshner, Cultural Conservative: Toward a New National Agenda, cited in Paul M. Weyrich, "Reverse an Anti-Marriage Bias," Policy Review September 1996 [online] [cited 14 June 2001]; available at http://www.policyreview.org/sept96/symp.html.
[298] Carl J. Cunio, "The Withering of Trade Union Patriarchy," [online] [cited 10 March 2002]; available at http://socserv2.socsci.mcmaster.ca/vol001.003/DOMESTIC.HTM.
[299] Lind, Cultural.
[300] David Blankenhorn, "Find the Will," Policy Review September 1996 [online] [cited 14 June 2001]; available at http://www.policyreview.org/sept96/symp.html
[301] Blankenhorn, "Find the Will."
[302] D. James Kennedy, "Praise the Two-Parent Family," Policy Review September 1996 [online] [cited 14 June 2001]; available at http://www.policyreview.org/sept96/symp.html.
[303] Kennedy, "Praise the Two-Parent."
[304] Dan LeRoy, "West Virginia Gives $100 Marriage Welfare Bonus," Women's Enews available on National Organization for Women website [online] [cited 29 January 2002]; available at http://www.now.org/eNews/aug2001/081401westvirginia.html.
[305] "Fathers Count Bill: Warm and Fuzzy or Cold and Calculated," National Organization for Women website [online] [cited 29 January 2002]; available at http://www.now.org/nnt/winter-2000/viewpoint.html.
[306] "Fathers Count Bill."
[307] Patrick F. Fagan, "How U.N. Conventions on Women's and Children's Rights Undermine Family, Religion, and Sovereignty," The Heritage Foundation Background Executive Summary 5 February 2001[online] [cited 15 June 2001]; available at http://wwwheritage.org/library/backgrounder/bg1407es.html
[308] Fagan, "How U.N.," 2.
[309] "Survey: Religion Affects Teen Sex," National Center for Policy Analysis website [online] [cited 8 May 2002]; available at http://www.ncpa.org/iss/soc/pd100301f.html
[310] Denise Golumbaski, Research Analyst, Federal Bureau of Prisons, letter to Mr. Swift, [online] [cited 7 September 1999]; available at http://www.holysmoke.org/icr-pri.htm.
[311] BOES.ORG [online] [cited 9 April 2002]; available at http://www.boes.org/urgent/gwbush02.html.
[312] Alabama Code Section 13A-12-200.2 (1998).

[313] ACLU Newswire 27 November 2000 [online] [cited 25 January 2002]; available at http://www.aclu.org/news/2000/w112700.html.
[314] ACLU Newswire.
[315] ACLU Newswire.
[316] "Churches, Political Authoritarians Support Alabama Dildo Ban," American Atheist Flashline 1 March 1999 [online] [cited 25 January 2002].
[317] "Churches."
[318] Heather Corinna, "Women shalt not pleasure in Alabama," Maxi Magazine [online] [cited 19 October 2001]; available at http://www.maximag.com/current/vibes/index.html.
[319] Maxine Parshall, note to the author, May 2002.
[320] Parshall, letter.
[321] ACLU Newswire 27 November 2000 [online] [cited 25 January 2002]
[322] Gerald C. Davison and John M. Neale, Abnormal Psychology, 7th ed. (New York: John Wiley & Sons, Inc.), 388-89.
[323] Davison, Abnormal Psychology, 388-89.
[324] Gillett, "No Church," 110-11.
[325] Gillett, "No Church," 111.
[326] Davison, Abnormal, 385.
[327] Davison, Abnormal, 387.
[328] Christopher G. Ellison and Patricia Goodson, "Conservative Protestantism and Attitudes Toward Family Planning in a Sample of Seminarians," Journal for the Scientific Study of Religion, 36, no. 4 (1997): 512-15.
[329] Ellison, "Conservative," 512-15.
[330] Ellison, "Conservative," 512-15.
[331] Janet E. Smith, "Barnyard Morality," America, 13 August 1994, 14.
[332] "105th Congress: Rolling Back Women's Rights," National Organization for Women, October 1998 [online][cited 12 March 2002]; available at http://www.now.org/issues/election/analysis1998/key.html.
[333] "105th Congress."
[334] Flo Conway and Jim Siegelman, Holy Terror: The Fundamentalist War on America's Freedoms in Religion, Politics and Our Private Lives (Garden City: Doubleday, 1982), 103.
[335] National Conference of Catholic Bishops, "Pastoral Plan for Pro-life Activities," Priests for Life website 20 November 1975, [online] [cited 14 March 2002]; available at http://www.priestsforlife.org/magisterium/bishops/75-11-20pastoralplanforprolifeactivitiesnccb.htm.
[336] National Conference.
[337] National Conference.
[338] Conway, Holy Terror, 104.
[339] Conway, Holy Terror, 104.
[340] Conway, Holy Terror, 104-05.
[341] Conway, Holy Terror, 104-05.
[342] Conway, Holy Terror, 105.
[343] Conway, Holy Terror, 105.
[344] "Major U.S. Supreme Court Rulings on Reproductive Health and Rights," Planned Parenthood website [online] [cited 6 May 2002]; available at http://www.plannedparenthood.org/about/narrhistory/court-23.html.
[345] Tanya Melich, The Republican War Against Women (New York: Bantam Books, 1996), 236.
[346] Michael Lienesch, Redeeming America Piety & Politics in the New Christian Right (Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1993), 259.
[347] Martin, With God, 355.

[348] Martin, With God, 355.
[349] Martin, With God, 355.
[350] Martin, With God, 355.
[351] Time, 14 June 1993, 48-51, quoted in Jill Smolowe, "New, Improved and Ready for Battle," in Human Sexuality 94/95, 19th ed., ed. Ollie Pocs (Guilford, CT: The Dushkin Publishing Group, 1994), 116.
[352] Martin, With God, 355-56.
[353] Conway, Holy Terror, 109.
[354] Swomley, Abortion, 419.
[355] Wright, The New York, 480.
[356] Bill Baird and Joni Scott, "A Test of our resolve: the religious right's attack on freedom," The Humanist, September/October 2000, 14-21, cited in WilsonSelect Plus_FT [database online] [cited 4 June 2001.
[357] David C. Trosch, "Has Rome Become the Seat of the Anti-Christ?" Most Holy Family Monastery [online] [cited 6 May 2002]; available at http://www.trosch.org/jpi/history-ref-jp2.htm.
[358] American Civil Liberties Union, 2001 Workplan, 3.
[359] American Civil Liberties Union, 4.
[360] American Civil Liberties Union, 4.
[361] Swomley, Abortion, 416.
[362] John M. Swomley, "The Pope Versus the Bible," The Humanist November/December 1997, 36.
[363] "Republican Platform Puts Fetus Before Mother," New York Times, 27 September 1988, A34 quoted in John Swomley, Abortion and Public Policy, 417.
[364] Swomley, Abortion, 417.
[365] Conway, Holy Terror, 111.
[366] "Church, Medicine and Women," CBS Health Watch by Medscape [database online] [cited 15 June 2001]; available at http://cbshealthwatch.medscape.com/cx/viewarticle/231433.
[367] John M. Swomley, "The 'Partial-Birth' Debate in 1998," The Humanist March/April 1998, 7.
[368] Swomley, "The Partial-Birth."
[369] Wright, The New York, 370.
[370] Percentage based on 320 to 600 abortions performed per year as reported in Swomley, "The 'Partial-Birth,' Debate in 1998," The Humanist, March/April 1998, pages 6-7 and the 1,184,758 total abortions reported in the United States in 1997 as reported in John W. Wright, The New York Times Almanac 2001, 371.
[371] John M. Swomley, "The Population Wars," The Humanist July/August 1998, 26.
[372] Swomley, "The Partial-Birth," 5.
[373] Swomley, "The Partial-Birth," 5.
[374] Swomley, "The Partial-Birth," 6.
[375] Swomley, "The Partial-Birth," 6.
[376] Linda Rocawich, "Desperation: Before Roe v. Wade, After Roe is Reversed" in Human Sexuality 94/95, 19th ed., ed. Ollie Pocs (Guilford, CT: The Dushkin Publishing Group, 1994), 119.
[377] Vandana Shiva, Third World Network Features, 1 September 1994 [online] [cited 20 October 2002]; available at http://www.iisd.ca/linkages/Cairo/twnpop.txt citing Flora Davis, Moving the Mountain: the Women's Movement in America since 1960.
[378] Shiva, Third World.
[379] Rocawich, "Desperation,: 119.
[380] Baird and Scott, "A Test," 2.
[381] Rocawich, "Desperation," 119.
[382] Wright, The New York, 480.
[383] Rocawich, "Desperation," 121-22.
[384] Swomley, Abortion, 423.

[385] Swomley, "The Population," 25.
[386] "It's Time for a Change – A 'See Change,'" Catholics for a Free Choice website [online] [cited 7 May 2002]; available at http://www.seechange.org/.
[387] Swomley, "The Population," 25.
[388] American Civil Liberties Union, 3.
[389] Baird and Scott, "A Test," 8.
[390] Baird and Scott, "A Test," 8.
[391] Swomley, Abortion, 420.

Chapter 5 Notes

[392] Christian Arsenal, 2001. "Archive Quotes: Week of November 25, 2001." (Memphis, Tennessee: ChristianArsenal.com [cited 29 May 2002]); available from http://www.christianarsenal.com/ArchivesQuotes.htm.
[393] Promise Keepers Annual Conference, 1993.
[394] John M. Swomley, "War and the Population Explosion: Some Ethical Implications," Christian Ethics Today: Journal of Christian Ethics online June 2002 [online] [cited 25 June 2002]; available at http://www.christianethicstoday.com/Issue/016/War%20and%20the%20Population%20Explosion%20-%20Some%20Ethical%20Implications%20By%20John%20M%20Swomley_016_16_.htm.

[395] Swomley, "War and the Population."
[396] "Low-income Children in the United States: A Brief Demographic Profile," National Center for Children in Poverty website [online] [cited 24 June 2002]; available at http://cpmcnet.columbia.edu/dept/nccp/ycpf.html.
[397] "Poverty Rates for Children by Family Type," Luvenberg Income Study [online] [cited 24 June 2002]; available at http://www.lisproject.org/keyfigures/childpovrates.htm.
[398] Based on data from the self-reported enrollment of churches as listed in the 2001 Yearbook of American and Canadian Churches, published on the American Religion Data Archive (www.arda.org), and data obtained from U.S. Census Bureau, Poverty in the United States 2000. Figures are for 1998 to 1999 averages.
[399] Charles Zastrow and Karen K. Kirst-Ashman, Understanding Human Behavior and the Social Environment, Third ed., (Chicago: Nelson-Hall Publishers, 1994), 492-93.
[400] Zastrow, Understanding Human, 492-93.
[401] Zastrow, Understanding Human, 492-93.
[402] Zastrow, Understanding Human, 492-93.
[403] Zastrow, Understanding Human, 492-93.
[404] General Social Survey.
[405] Shawna Vogel, "Teen Pregnancy Worldwide," ABC News, 2000 [online] [cited 19 March 2002]; available at http://abcnews.go.com/sections/living/DailyNews/pregrates000224.html.
[406] Vogel, "Teen Pregnancy."
[407] Data obtained for the Morality Weekly Report 1997, except California, Iowa, New Hampshire, Oklahoma, and Florida from the Alan Guttmacher Institute (1999) "Teenage Pregnancy: Overall Trends and State-by-State Information."
[408] Tim Stafford, "Inside Crisis Pregnancy Centers," Christianity Today 17 August 1992, 20-23.
[409] Stafford, "Inside Crisis," 20-23.
[410] Stafford, "Inside Crisis," 20-23.
[411] Stafford, "Inside Crisis," 20-23.

[412] George Brown Tindall, America: A Narrative History vol. 1 (New York: W.W. Norton & Company, 1984), 568.
[413] William Martin, With God on Our Side: The Rise of the Religious Right in America (New York: Broadway Books, 1996), 4.
[414] Alan Brinkley, American History: A Survey, Volume I; To 1877, 9th ed. (New York: McGraw-Hill, Inc., 1995), 373.
[415] Tindall, America, 568.
[416] Brinkley, American History, 373.
[417] Kimberly Blaker, "African-Americans Who Took a Stand."
[418] Forrest G. Wood, The Arrogance of Faith: Christianity and Race in America from the Colonial Era to the Twentieth Century (New York: Alfred A. Knopf, 1990), 106-7.
[419] "Inerrancy as Defined by: Conservative Protestants, Catholics & Liberal Christians," Religious Tolerance website [online] [cited 30 June 2002]; available at http://www.religioustolerance.org/inerran1.htm.
[420] "Inerrancy as Defined."
[421] Wood, The Arrogance, 107.
[422] B.A. Robinson, "Christian Reconstructionism, Dominion Theology, and Theonomy," Ontario Consultants on Religious Tolerance [online] [cited 14 June 2002]; available at http://www.sullivan-county.com/nf0/fundienazis/cr.htm.
[423] Robinson, "Christian Reconstructionism."
[424] God's Order Affirmed in Love website [online] [cited 30 June 30, 2002]; available at http://www.melvig.org/.
[425] God's Order
[426] Patricia Lines, "Private Edication Alternatives and State Regulation," Journal of Law and Education 12, no.2 Spring 1983, 191, found in Susan Rose, "Christian Fundamentalism and Education in the United States," Fundamentalisms and Society (Chicago: University of Chicago Press, 1993), 462.
[427] "Characteristics of Private Schools:1987-1988," p. 2, found in Susan Rose, "Christian Fundamentalism and Education in the United States," Fundamentalisms and Society (Chicago: University of Chicago Press, 1993), 462.
[428] Nancy Ammerman, Bible Believers, 177 found in Susan Rose, "Christian Fundamentalism and Education in the United States," Fundamentalisms and Society (Chicago: University of Chicago Press, 1993), 462.
[429] Susan Rose, "Christian Fundamentalism and Education in the United States," Fundamentalisms and Society (Chicago: University of Chicago Press, 1993), 462.
[430] "Religious Private Schools Most Segregated in U.S.," 25 June 2002, Research Matters at Harvard University website [online] [cited 20 October 2002]; available at http://www.law.harvard.edu/groups/civilrights/press_releases/private_schools.html.
[431] Rose, "Christian Fundamentalism," 462.
[432] Kimberly Hohman, "Bob Jones Bends," About.com [online] [cited 30 June 2002]; available at http://racerelations.about.com/library/weekly/aa030600a.htm.
[433] Jay Reeves, Associated Press, "Book Links found of Bob Jones University with Alabama Klan," [online] [cited 14 June 2002]; available at http://www.geocities.com/hylesjack/bjuklan.htm.
[434] "A look inside the wacky world of Bob Jones University," [online] [cited 14 June 2002]; available at http://www.nobojo.com/minorities.html.
[435] "A look insidê."
[436] Jonathan Paite, "Letter from Bob Jones University," The Multiracial Activist, link found at Kimberly Hohman, "Bob Jones Bends," About.com [online] [cited 30 June 2002]; available at http://racerelations.about.com/library/weekly/aa030600a.htm.
[437] Paite, "Letter from."
[438] "BoJo and Politics," [online] [cited 14 June 2002]; available at http://www.nobojo.com/politics.html.

[439] General Social Survey, 2000.
[440] "News in Brief," Freethought Today April 2001, 11.
[441] "News in Brief."
[442] Allie Martin and Jody Brown, "Lesbian-Raised Daughter Rebuts Doctors' Stance on Same-Sex Parenting," Agape Press, 13 February 2002 [online] [cited 24 June 2002]; available at http://headlines.agapepress.org/archive/2/132002a.asp.
[443] Dennis Coon, Introduction to Psychology: Exploration and Application (Minneapolis/St. Paul: West Publishing Company, 1995), 615.
[444] American Civil Liberties Union, 2001 Workplan.
[445] Peter Hanson, "The Hatred Behind the Defense of Marriage Act," The Online Daily of the University of Washington, [online] [cited 28 June 2002]; available at http://archives.thedaily.washington.edu/1996/093096/hanson93096.html.
[446] Del Stover, "The At-Risk Students Schools Continue to Ignore," in Oppression and Social Justice: Critical Frameworks 4th ed., ed. Julie Andrzejewski (Needham Heights, MA: Ginn Press, 1993), 261. Reprinted from The Education Digest, May 1992, vol. 57, no. 9, 36-40.
[447] Stover, "The At-risk," This 30% figure is widely quoted from Paul Gibson's section of Report of the Secretary's Task Force on Youth Suicide, entitled "Gay Male and Lesbian Youth Suicide." This report was commissioned and published by the U.S. Department of Health and Human Services in 1989. The statistic was later repudiated and removed, but it is unclear if this was due to any reason besides pressure from the Religious Right (since the statistic gave schools strong motivation to provide counseling and resources for gay and lesbian students).
[448] Stover, "The At-Risk," 262.
[449] Stover, "The At-Risk," 261.
[450] Stanton L. Jones, "The Loving Opposition," Christianity Today 19 July 1993: 19-25.
[451] Jones, "The Loving," 19-25.
[452] Julie Cart, "Wyoming Campus Mourns Slaying of Gay Student," Los Angeles Times, 13 October 1998, A-1.
[453] Julie Cart, "Killer of Gay Student Is Spared Death Penalty -- Courts: Matthew Shepard's father says life in prison shows 'mercy to someone who refused to show any mercy.'" Los Angeles Times, 5 November 1999, A-1.
[454] Based on the Federal Bureau of Investigation Uniform Crime Reporting Program statistics on hate crimes for 1999 and US Census statistics on minority population for 2000. Gay, lesbian, and bisexual population is estimated liberally at 10%. As the actual population of active gays and lesbians is probably quite a bit smaller, they are statistically even more likely to be targeted for hate crimes than ethnic minorities.
[455] David Doege, "Anger at his homosexuality led Dahmer to kill, psychiatrist says," Milwaukee Sentinel, 7 February 1992.
[456] Gerald C. Davison and John M. Neale, Abnormal Psychology, 7th ed. (New York: John Wiley & Sons, Inc.), 382.
[457] Davison, Abnormal Psychology, 382.
[458] General Social Survey, 1984 and 2000.
[459] Ethics and Religious Liberty Commission, "The Case Against Disney: Twenty-three reasons (and counting) to beware of the 'Magic Kingdom,'" Ethics and Religious Liberty Commission 2002 [online] [cited 3 May 2002]; available at http://www.erlc.com/Culture/Disney/1997/case.htm.
[460] Concerned Women for America, "In Defense of Marriage," CWFA.org, 29 February 2000 [online] [cited 2 June 2002]; available at http://www.cwfa.org/library/family/2000-01-31_ca-prop-22.shtml.
[461] Bruce Hunsberger, "Religion and Prejudice: The Role of Religious Fundamentalism, Quest, and Right-wing Authoritarianism," Journal of Social Issues, 51 (1995): 118.

[462] Michael Franklin and Marian Hetherly, "How Fundamentalism Affects Society," The Humanist, 1 September 1997, 26.
[463] Franklin, "How Fundamentalism," 26.
[464] A review of studies was conducted by Batson, Schoenrade, and Ventis (1993) cited in Hunsberger, "Religion," 114-16.
[465] Hunsberger, "Religion," 114-16.
[466] Hunsberger, "Religion,"113.
[467] Hunsberger, "Religion," 118.
[468] Hunsberger, "Religion," 121.
[469] Hunsberger, "Religion," 123.
[470] Hunsberger, "Religion," 123.
[471] Hunsberger, "Religion," 126.
[472] C.D. Batson, W.L. Ventis, and P. Schoenrade, Religion and the individual: A social-psychological perspective (New York: Oxford University Press, 1993), referenced in Bruce Hunsberger, "Religion and Prejudice: The Role of Religious Fundamentalism, Quest, and Right-wing Authoritarianism," Journal of Social Issues, 51 (1995): 122.
[473] Hunsberger, "Religion," 122.
[474] Allport, 1954, cited in Hunsberger, "Religion," 124.
[475] Glock & Stark, 1966, cited in Hunsberger, "Religion," 124.
[476] Eisinga et al., 1990, cited in Hunsberger, "Religion," 124.
[477] Adorno et al., 1950; Altemeyer, 1988, cited in Hunsberger, "Religion," 124.
[478] Rokeach, 1960, cited in Hunsberger, "Religion," 124.
[479] Altemeyer, 1981, cited in Hunsberger, "Religion," 124.
[480] Mark Nathan Cohen, Culture of Intolerance: Chauvinism, Class, and Racism in the United States (New Haven: Yale University Press, 1998), 299.
[481] Cohen, Culture, 299.
[482] Cohen, Culture, 297.
[483] Cohen, Culture, 297.
[484] Cohen, Culture, 299-300.
[485] Richard J. Gelles and Ann Levine, Sociology: An Introduction 5th. Ed. (New York: McGraw-Hill, Inc., 1995), 453.
[486] Rodney Stark, Sociology, 7th ed. (Belmont, CA: Wadsworth Publishing Company, 1998), 391.
[487] Gelles, Sociology, 453
[488] Stark, Sociology, 391.
[489] Stark, Sociology, 391.
[490] Stark, Sociology, 394.
[491] Stark, Sociology, 392.
[492] Stark, Sociology, 394-95.
[493] Stark, Sociology, 394-95.
[494] Gelles, Sociology, 456.
[495] Flo Conway and Jim Siegelman, Holy Terror: The Fundamentalist War of America's Freedoms in Religion, Politics and Our Private Lives (Garden City: Doubleday, 1982), 5.
[496] Conway, Holy Terror, 5.
[497] Conway, Holy Terror, 5.
[498] Doni P. Whitsett, "A Self Psychological Approach to the Cult Phenomenon," Clinical Social Work Journal vol. 20, no. 4, Winter 1992, 369.
[499] Whitsett, "A Self Psychological."
[500] Whitsett, "A Self Psychological," 363.
[501] Donald C. Swift, "A Short History of Cults in America," in Cults, ed. Jill Karson (San Diego: Greenhaven Press, Inc., 2000), 29.
[502] Johan D. Vander Vyver, "Religious Fundamentalism and Human Rights," Journal of International Affairs, 50 (1996): 29.

[503] "An Overview of the ICC/ICOC." REVEAL.org, 2002 [online] [cited 10 March 2002]; available at http://www.reveal.org/abouticc/overview.html.
[504] Daily Bruin, UCLA publication, date unknown
[505] Whitsett, "A Self Psychological," 365.
[506] Whitsett, "A Self Psychological," 371-72.
[507] Whitsett, "A Self Psychological," 371-72.
[508] Whitsett, "A Self Psychological," 371-72.
[509] Based on data obtained from the U.S. Bureau of Justice statistics, 1999 violent crime rates and data obtained from American Religion Data Archive, 1990 Church and Church Membership State Report.
[510] Steve Chapman, "Praise the Lord, Pass the Ammo," Chicago Tribune [online] [cited 4 July 2000]; available at www.losingmyreligion.com/articlesl/passtheammo/html.
[511] E. Currie, "Fighting Crime," Working Papers 9 (May/June 1982): 26-35, found in D. Stanley Eitzen and Doug A. Timmer, Criminology: Crime and Criminal Justice (New York: MacMillan Publishing Company, 1985), 571.
[512] Marguerite Holloway, "The Aborted Crime Wave?" Scientific American, December 1999.
[513] David Minzey in a letter addressed to Gael Parr, reprinted by Libertus.net, Brisbane, Australia [online] [cited 24 June 2002]; available at http://libertus.net/censor/docarchive/920820-398az.html#michigansp.
[514] Coon, Introduction.
[515] Coon, Introduction, 523.
[516] Christine E. Gudorf, "The worst sexual sin: Sexual violence and the church," Christian Century, 6-13 January 1993, 21.
[517] Gudorf, "The worst," 21.
[518] Tom Economus, "Catholic Pedophile Priests: The Effect on U.S. Society," The Linkup website [online] [cited 21 February 2000]; available at http://www.thelinkup.com/stats.html.
[519] Economus, "Catholic Pedophile."
[520] Coon, Introduction, 522.
[521] Paul O'Brien, letter to Kimberly Blaker, 7 September 1997
[522] O'Brien, letter.
[523] O'Brien, letter.
[524] O'Brien, letter.
[525] O'Brien, letter.
[526] O'Brien, letter.
[527] "What Makes Serial Killers Tick?" The Crime Library website [online] [cited 20 June 2002]; available at http://www.crimelibrary.com/serials/what/whatabuse.htm.
[528] Franklin, "How Fundamentalism," 27.
[529] Franklin, "How Fundamentalism," 27 cited as the conclusion of Ryan W. LaMothe, Ph.D.,
[530] Martin E. Marty, "Crime Data," The Christian Century, in WilsonSelectPlus_FT [database online] (117, no. 4 2000-[cited 5 June 2001]) p. 167.
[531] "Pharmacist at center of cancer drug scare was innovative, driven by desire to succeed," Jefferson City News-Tribune 5 September 2001 Online Edition.
[532] "Pharmacist."
[533] Freethought Today, September 1991, 12.
[534] Marty, "Crime Data."
[535] Karen Armstrong, The Battle for God (New York: Alfred A. Knopf, 2000), 364.
[536] Charles B. Strozier, Apocalypse on the Psychology of Fundamentalism in America (Boston: Beacon Press, 1994) cited in Don Lattin, "Apocalypse Now?" Common Boundary May/June 1996, 32-38. Replicated in SIRS CD-ROM, 4.

537 Charles B. Strozier, Apocalypse on the Psychology of Fundamentalism in America (Boston: Beacon Press, 1994), 72.
538 Strozier, Apocalypse.
539 Scott R. Appleby, "The God Squads," Notre Dame Magazine summer 1995, 33-38. Replicated in SIRS CD-ROM, 9.
540 Appleby, "The God Squads."
541 Skipp Porteous, "Olson calls militia to Montana," [online] [cited 19 October 2001]; available at http://www.ifas.org/fw/9605/militia.html.
542 Skipp Porteous, "Field Manual of the Free Militia: Foreword," January 1996, [online] [cited 19 October 2001]; available at http://www.rickross.com/reference/militia9.html.
543 Kenneth Stern, A Force Upon the Plain: The American Militia Movement and the Politics of Hate (Simon & Schuster, 1996) quoted at "Armed & Dangerous: Militias Take Aim in Virginia and North Carolina" Eye on the Christian Right website [online] [cited 18 June 2002]; available at http://www.sullivan-county.com/news/mine/militia.htm.
544 Stern, A Force.
545 Porteous, "Field Manual."
546 Larry Pratt, "What Does the Bible Say About Gun Control?" Chalcedon Report February 2000 [online] [cited 24 June 2002]; available at http://www.chalcedon.edu/report/2000feb/pratt.shtml.
547 Pratt, "What Does."
548 Pratt, "What Does."
549 Pratt, "What Does."
550 John Anderson, "Itching for a Fight," About.com, [online] [cited 19 October 2001]; available at http://pirateradio.about.com/library/weekly/aa052901b.htm.
551 "Summer Camps," Camp Peniel website [online] [cited 28 May 2001]; available at http://www.camppeniel.org/scamp.htm.
552 "Thoughts," Camp Peniel website [online] [cited 28 May 2002]; available at http://www.camppeniel.org/thoughts.htm.
553 "Thoughts."
554 "Summer Camps."
555 "Summer Camps."
556 "Thoughts."
557 "Thoughts."
558 "Picture Gallery," Camp Peniel website [online] [cited 28 May 2002]; available at http://www.camppeniel.org/pg1.htm.
559 "High Court Pops Floating Bubble Zones," Christianity Today 28 April 1997, 84.
560 "Violence Continues: Links Between Militants and Militia," Westchester Coalition for Legal Abortion, Inc. Coalition Online [online] [cited 24 June 2002]; available at http://www.wcla.org/97-spring/sp97-06.html.
561 Tom Burghardt, "Gods, Guns, & Terror: Missionaries to the Preborn" [online] [cited 15 November 2002]; available at http://www.webcom.com/~pinknoiz/right/bacorr1.html.
562 "Violence Continues."
563 "Violence Continues."
564 Adam Hochschild, "Changing Colors," Mojo Wire [online] [cited 21 October 2002]; available at http://www.motherjones.com/mother_jones/MJ94/hochschild.html.
565 Don Lattin, "Apocalypse Now?" Common Boundary May/June 1996, 32-38. Replicated in SIRS CD-ROM, 1.
566 Lattin, "Apocalypse," 1.
567 Swift, "A Short," 29.
568 Lattin, "Apocalypse," 1.
569 Strozier, Apocalypse, 253.
570 Lattin, "Apocalypse," 6.
571 Strozier, Apocalypse, 90-91.

[572] Strozier, Apocalypse, 91.
[573] Armstrong, The Battle, 362.
[574] Armstrong, The Battle, 362.
[575] Porteous, "Olson calls."
[576] John M. Swomley, "The Population Wars," The Humanist, July/August 1998, 24.
[577] Information combined from two sources: Coon, Introduction, 397 and Robert N. Barger, Ph.D., 2000. "A Summary of Lawrence Kohlberg's Stages of Moral Development" University of Notre Dame [online] [cited 2 June 2002]; available at http://www.nd.edu/~rbarger/kohlberg.html.
[578] Information combined.
[579] Coon, Introduction, 397.
[580] Emile Durkheim, On Morality and Society (Chicago, Illinois: The University of Chicago Press, 1973).
[581] Durkheim, On Morality, 145-146.
[582] Durkheim, On Morality, 145-146.
[583] "Social Theory Reading Notes" [online] [cited 24 June 2002]; available at http://www.belmont.edu/sociology/classes/theories.htm.
[584] David Riesman, The Lonely Crowd (Binghamton, New York: Yale University Press, 1961), 9-17.
[585] "Social Theory."
[586] "Social Theory."
[587] "Social Theory."
[588] "The Book of Genesis," book 1 of The Holy Bible, King James Version, University of Michigan Humanities Text Initiative, 1996 [online] [cited 29 May 2002]; available at http://www.hti.umich.edu/k/kjv. chapters 1-48.
[589] "The Hang Ten Campaign," The Interfaith Alliance [online] [cited 31 May 2002]; available at www.interfaithalliance.org/Resources/tenc.pdf.
[590] "The Hang Ten."
[591] American Civil Liberties Union, "Posting of the Ten Commandments: Quick Takes" American Civil Liberties Union [online] [cited 31 May 2002]; available at http://www.aclu.org/clis/tencommandments.html.
[592] Associated Press, "Ten Commandments Take Center Stage," 7 January 2000 [online] [cited 31 May 2002]; available at http://www.aclu.org/news/2000/w010700b.html.
[593] "The Book of Exodus," book 2 The Holy Bible, King James Version, University of Michigan Humanities Text Initiative, 1996 [online] [cited 29 May 2002]; available at http://www.hti.umich.edu/k/kjv. chapter 20, verse 12.
[594] "The Book of Exodus," verse 13.
[595] Department of Health and Human Services, Accountability Report, 1999 Department of Health and Human Services [online] [cited 14 June 2002]; available at http://www.hhs.gov/of/reports/account/acct99/misc/century.html.
[596] "The Book of Exodus," ch. 20 v. 14.
[597] Ian Robertson, Sociology, 3rd ed. (New York, New York: Worth Publishers, Inc. 1987), 225.
[598] "Grounds for Divorce FAQ," Nolo Press, 2002 [online] [cited 2 March 2002]; available at http://www.nolo.com/lawcenter/faqs/detail.cfm/objectID/6191B9DC-00BF-42CA-A5ADA95C2AEC5196.
[599] US Census Bureau, Number, Timing, and Duration of Marriages and Divorces: 1996 (Washington, D.C.: US Census Bureau, 1996) 6-7.
[600] J. Hare, "Long-lasting Marriages: Why Do They Survive?" Oregon State University Extension Service 2002 [online] [cited 11 February 2002]; available at http://eesc.orst.edu/agcomwebfile/edmat/html/ec/ec1460/ec1460.html.

[601] US Census Bureau, Number.
[602] "The Book of Exodus," ch. 20 v. 15.
[603] "The Book of Exodus," ch. 20 v. 16.
[604] David R. Weissbard, "Bearing Witness: True and False." The Unitarian Universalist Church, [online] [cited 11 February 2002]; available at http://members.aol.com/uurockford/s96-11rpt.htm.
[605] "The Book of Exodus," ch. 20 v. 17.

Chapter 6 Notes

[606] Wallace v. Jaffree, 105 U.S. 2479 (1985).
[607] First Amendment, Bill of Rights, United State Constitution.
[608] Religious Freedom Amendment, H.J.Res 78, 8 May 1997.
[609] Robert Boston, Why The Religious Right Is Wrong (Buffalo: Prometheus Books, 1993), 50.
[610] Boston, 51.
[611] Boston, 55.
[612] Boston, 53.
[613] Boston, 56.
[614] John M. Swomley, Religious Liberty and the Secular State (Buffalo: Prometheus Books, 1987), 18.
[615] Boston, 60.
[616] Boston, 61.
[617] Boston, 65.
[618] Boston, 65.
[619] Letter to the Danbury Baptists (1802).
[620] Wallace v. Jaffree.
[621] Boston, 223.
[622] Boston, 223.
[623] Boston, 224.
[624] Robert S. Alley, The Supreme Court on Church and State (New York: Oxford University Press, 1988), 3.
[625] Alley, 6.
[626] Boston, 96.
[627] Boston, 97.
[628] Everson v. Board of Education, 330 U.S. 1 (1947).
[629] Everson.
[630] McCollum v. Board of Education, 333 U.S. 203 (1948).
[631] Zorach v. Clauson, 343 U.S. 306 (1952).
[632] Engel v. Vitale, 370 U.S. 421 (1962).
[633] School District of Abbington Township v. Schempp, 374 U.S. 203 (1963).
[634] Lemon v. Kurtzman, 403 U.S. 602 (1971).
[635] Stone v. Graham, 449 U.S. 39 (1981).
[636] Wallace v. Jaffree.
[637] Lee v. Weisman, 505 U.S. 577 (1992).
[638] Santa Fe Independent School District v. Doe, 530 U.S. 290 (2000).
[639] Board of Education v. Mergens, 496 U.S. 226 (1990).
[640] Good News Club v. Milford Central School, 553 U.S. 98 (2001).
[641] Epperson v. Arkansas, 393 U.S. 97 (1968).
[642] Edwards v. Aguillard, 482 U.S. 578 (1987).
[643] Employment Division v. Smith, 496 U.S. 913 (1990).
[644] Rob Boston, "Evangelism, Public Schools and The Supreme Court," Church & State, January 2001, 8.
[645] Rob Boston, "In Don We Trust?," Church & State, May 2001, 8.

[646] Steve Benen, "Monumental Mistake," Church & State, December 2001, 4.
[647] Steve Benen, "Leap of Faith," Church & State, March 2001, 4.
[648] Rob Boston, "Faith –Based Backlash," Church & State, April 2001, 4.
[649] Joseph Conn, "Dilulio Departs," Church & State, October 2001, 13.
[650] "Should You Pay Taxes to Support Religious Schools?," Faith and Freedom Series, Americans United for Separation of Church and State.
[651] John M. Suarez, "School Vouchers – Yesterday, Today and Forever." Secular Humanist Bulletin, 14 no.2 (1998), 8.
[652] David C. Berliner and Bruce J. Biddle, The Manufactured Crisis (Reading: Addison-Wesley Publishing Company, 1995).
[653] Suarez, 9.
[654] Zelman v. Simmons-Harris, 122 S. Ct. 2460 (2002).
[655] Rob Boston, "Supreme Mistake," Church & State, July/August, 2002, 4.
[656] Rob Boston, "Voucher Victory," Church & State, September, 2002, 7.
[657] Committee for Public Education and Religious Liberty v. Nyquist, 413 U.S. 756 (1973).
[658] Sloan v. Lemon, 413 U.S. 825 (1973).
[659] Rob Boston, "The Blaine Game," Church & State, September, 2002, 4.
[660] Bush v. Holmes, 767 So. 2nd 668 (Fla. App. 2000), review denied, 790 So. 2nd 1104 (2001), opinion on remand (Fla. Cir. Ct., Aug. 5, 2002).
[661] Edd Doerr, Albert J. Menendez, and John M. Swomley, The Case Against School Vouchers (Americans For Religious Liberty, 1995) and Albert J. Menendez, Visions of Reality: What Fundamentalist Schools Teach (Buffalo: Prometheus Books, 1993).
[662] "Foundation's 'Scopes II' Victory Halts Illegal Bible Instruction." Freethought Today, March 2002.

Chapter 7 Notes

[663] "I do guerilla warfare": Norfolk Virginian-Pilot, 9, November 9, 1991.
[664] Frederick Clarkson, Eternal Hostility: The Struggle Between Theocracy and Democracy (Monroe, Maine: Common Courage Press, 1997), 84.
[665] Mark Silk, Spiritual Politics: Religion and America Since World War II (New York: Simon and Schuster, 1988), 99-100.
[666] "The Candidates, the platforms, and Church State-Issues," Church & State, 33 (September 1980), 6-10.
[667] John M. Swomley, "Neo-fascism and the religious right," The Humanist January/February 1995, 3-6.
[668] Swomley, "Neo-fascism," 3-6.
[669] Oklahoma City, World, Nov. 16, 1999.
[670] Scott Appleby, "The God Squads," Notre Dame Magazine summer 1995, 33-38.
[671] Appleby, "The God," 33-38.
[672] William Martin, With God on Our Side (New York: Broadway Books, 1996), 353.
[673] Martin, With God, 353.
[674] Martin, With God, 353.
[675] Martin, With God, 353.
[676] Rodney Clapp, "Democracy as Heresy," Christianity Today, 20 February 1987.
[677] Martin, With God, 354.
[678] Martin, With God, 354.
[679] Jerry Falwell, Listen America! (New York: Doubleday-Galilee, 1980).
[680] Falwell, Listen America!, 202.
[681] Falwell, Listen America!,205.

682 Falwell, Listen America!
683 Rob Boston, Close Encounters with the Religious Right (New York: Prometheus, 2000), 107.
684 Stephen L. Carter, God's Name in Vain (New York: Basic Books, 2000), 45.
685 Rob Boston, Why the Religious Right is Wrong, (New York: Prometheus, 1993), 234.
686 Richard Swift, "Fundamentalism Reaching for Certainty," New Internationalist, August 1990.
687 Martin, With God, 317.
688 Martin, With God, 317.
689 Ralph Reed, Active Faith, (New York: Free Press, 1996), 140.
690 Sidney Blumenthal, "Christian Soldiers," The New Yorker, 18 July 1994.
691 Reed, "I do guerilla," Norfolk Virginian-Pilot, 9, November 9, 1991.
692 Joseph L. Conn, "Judgement Day," Church & State, September 1996.
693 Martin, With God, 318.
694 Joe Conason, "Christian Coalition Enters New York City," The Freedom Writer, May/June 1992.
695 Tanya Melich, The Republican War Against Women (New York: Bantam Books, 1996), 291.
696 Reed, Active Faith, 200-207.
697 Joseph L.Conn, "Power Trip," Church & State, October 1995.
698 Boston, Close Encounters, 68.
699 Boston, Close Encounters, 71.
700 Boston, Close Encounters, 72.
701 Pat Robertson, "Message from the President," Christian Coalition of America website [online] [cited 13 June 2001]; available at http://www.cc.org/aboutcca/patmessage1.html.
702 Charleston Gazette, July 5, 2000
703 Sonja Barisic, "Falwell Says Antichrist Probably on Earth Now," Associated Press dispatch, 16 January 1999.
704 Barisic, "Falwell Says."
705 John Harris, "God Gave U.S. 'What We deserve,' Falwell says," Washington Post, 14 September 2001.
706 Skip Porteus, Freedom Writer, December 1995.
707 Boston, Close Encounters, 190.
708 Martin, With God, 341-42.
709 Rob Boston, "Family Feud," Church & State , May 1998.
710 Boston, Close Encounters, 186.
711 John M. Swomley, "Right-Wing Strong-Arming," The Humanist, September/October 1998, 40.
712 Boston, Close Encounters, 189.
713 Martin, With God, 355.
714 Scott DeNicola, "Girl Scouts Lose their Way," Citizen, 21 February 1994.
715 Boston, Why the Religious, 98.
716 Boston, Why the Religious, 99.
717 John Swomley, "One Nation Under God," The Humanist, May/June 1998, 6.
718 Swomley, "One Nation," 6.
719 John Swomley, "A League of the Pope's Own," The Humanist January/February 1998, 32.
720 Swomley, "A League," 32.
721 Swomley, "A League," 32.
722 Swomley, "A League," 32.
723 Swomley, "A League," 32.
724 Boston, Close Encounters, 236.
725 Neal Tannahill, American Government: Policy and Politics, 4th ed. (New York: HarperCollins, 1995), 110.
726 Flo Conway and Jim Siegelman, Holy Terror: The Fundamentalist War on America's Freedoms in Religion, Politics and Our Private Lives, (New York: Dell, 1984), 143.

[727] Conway, Holy Terror, 144.
[728] Mike Phillips, "Tet offensive: Attack stunned American public" The Cincinnati Post, April 26, 2000.
[729] Boston, Why the Religious, 135.
[730] Rob Boston, "Operation Precinct," Church & State, July/August 1994.
[731] Gary North, Political Polytheism, 601.
[732] Martin, With God, 325.
[733] Martin, With God, 340.
[734] Boston, Why the Religious, 114.
[735] "School Bible Reading Survey," Church & State 13 (January 1960): 5.
[736] Joseph L. Conn, "Reagan Backs Government Sponsored School Prayer," Church & State 35 (June 1982): 3.
[737] Swomley, "Right Wing," 40.
[738] Boston, Close Encounters, 108.
[739] Boston, Why the Religious, 121.
[740] Boston, Why the Religious, 121
[741] Boston, Why the Religious, 52.
[742] Boston, Close Encounters, 17.
[743] "Statement on Teaching Evolution," National Association of Biology Teacher [online] [cited 21 October 2002]; available at http://www.nabt.org/sub/position_statements/evolution.asp.
[744] Boston, Close Encounters, 110.
[745] Carter, God's Name, 152.
[746] Jonathan Sarfati, "Refuting Evolution," Answers in Genesis Ministries website 1998 [online] [cited 14 April 2002]; available at http://answersingenesis.org/docs/1341.asp.
[747] Nicholas Humphrey, "What Shall We Tell the Children?" from Amnesty Lecture, Oxford, 21 February 1997 printed in *Edge* [online] [cited 14 November 2002]; available at http://www.edge.org/3rd_culture/humphrey/amnesty.html.
[748] "The Righteous Empire: A Short History of the End of History and Maybe Even of the GOP," The New Republic, 22 October 1984, 18-24.
[749] Martin, With God, 234.
[750] Appleby, "The God Squads," 33-38.
[751] Martin, With God, 217
[752] Martin, With God, 217.
[753] Martin, With God, 217.
[754] "Whose Prayer Does God Hear?" Ecumenical Trends, Graymore Ecumenical Institute, vol. 10, no. 1, January 1981, 12.
[755] Martin, With God, 221.
[756] Martin, With God, 222.
[757] Martin, With God, 222.
[758] Martin, With God, 225.
[759] Thomas, Cal (with Dobson, Ed) Blinded by the Might (Grand Rapidsm MI, Zenderrman Publishing House 1999)
[760] Boston, Close Encounters, 37.
[761] Hanna Rosin, "The Moral Minority: Thomas Was Among the Right, Now They Find Him Wrong," Washington Post, 18 March 1999.
[762] Herb Silverman "Indoctrination," Charleston Post and Courier, January 8, 1995, Letter to the Editor.
[763] D. James Kennedy and Jim Nelson Black, Character and Destiny: A Nation in Search of its Soul (Grand Rapids, Michigan: Zondervan Publishing House, 1994), 76.

[764] Martin, With God, 325
[765] Martin, With God, 366.
[766] http://www.bju.edu/
[767] Jake Tapper, "Joncsing For Votes," Salon.com, 3 February 2000 [online].
[768] Bill Baird and Joni Scott, "A test of our resolve: the religious right's attack on freedom," The Humanist, September/October 2000, 14-21 cited in WilsonSelect Plus_FT [database online] [cited 4 June 2001], 5.
[769] American Civil Liberties Union, 2001 work plan, 6-7.
[770] American Civil Liberties Union, 6-7
[771] American Civil Liberties Union, 5.
[772] American Civil Liberties Union, 7.
[773] "Candidate says there are probably still closet atheists," A.P. Charleston News & Courier, May 3, 1990.
[774] "Avoiding professor's legal trap," Charleston News & Courier, May 16, 1990, editorial.
[775] John Whitehead, The Second American Revolution, (Elgin, Illinois: David C. Cook, 1982).
[776] Deposition of Carroll A. Campbell, Jr., March 3, 1995, Case no. 94-CP-40-3594
[777] "Atheists have rights, too," Spartanburg Herald-Journal, August 13, 1995, editorial.
[778] "Gov. David Beasley wants...," Charleston Post and Courier, October 31, 1995.
[779] Heather Campbell "Professor still fighting for his religious rights," Cougar Pause. April 16, 1997.
[780] "Freedom for all," Herald-Journal, Spartanburg, SC,May 30, 1996, editorial.
[781] Conway, Holy Terror, 338.
[782] Gary North, Tools of Dominion (Tyler, Texas: Institute for Christian Economics, 1990), 1190-1216.
[783] Clarkson, Eternal Hostility, 10.
[784] Clarkson, Eternal Hostility, 10.
[785] Federal News Service, 3 February 1994.
[786] Michael Kinsley, "Martyr Complex," *The New Republic*, 13 September 1993.
[787] Mallica Dutt, "God's Guerrillas," New Internationalist , August 1999, 17.
[788] Appleby, "The God Squads," 10.
[789] Michael Lienesch, Redeeming America Piety & Politics in the New Christian Right (Chapel Hill, NC:Unversity of North Carolina Press, 1993), 249-52.
[790] Lienesch, Redeeming, 249.
[791] Richard J. Gelles and Ann Levine, Sociology: an Introduction 5th ed. (New York: McGraw-Hill, 1995), 472.
[792] Curt Sytsma, "A Humanist Manifesto," cited in Corliss Lamont, The Philosophy of Humanism (Amherst, New York: Half-Moon Foundation 8th ed., 1997), xv.

Chapter 8 Notes

[793] Curtis Lee Lawes, "Convention Side Lights," The Watchman Examiner, 1 July 1920, 834.
[794] Interfaith Alliance Foundation and Americans United for Separation of Church and State, "The Christian Coalition's 'Road to Victory' Conference: Warning: Hazards Ahead," September, 1995, 8-11, http://www.interfaithalliance.org/tia/final.rtf [online] [cited 28 April 2002].
[795] See, for example, Adib Rashad, "Fundamentalism: A Christian Word," http://www.escape.ca/~dkost/fundamentalism.htm
[796] Maureen Dowd, "Sacred Cruelties," New York Times, 7 April 2002, section 4, 15.
[797] Harish Desai, "Religious strife in India: Attack, more deaths bring clampdown," Atlanta Journal and Constitution, 17 March 2002, C-4; and Barry Bearak, "Angry and ashamed, Indian Prime Minister tours riot-torn state," New York Times, 5 April 2002, A-3.
[798] Michael Casey, "Attackers kill 14 in Indonesia massacre," Associated Press, Atlanta Journal and Constitution, 29 April 2002, A-5.

[799] D'Arcy Doran, "Miss World leaves, but unrest continues," Associated Press, Buffalo News, 24 November 2002, A-3.
[800] See, for an example of this, Nicholas D. Kristof, "Stoning and Scripture," New York Times, 30 April 2002, A-31.
[801] The Qur'an and Traditions, VIII. 39-42.
[802] The Qur'an and Traditions, IX. 5-6.
[803] See, for example, these books by Ibn Warraq: Why I Am Not A Muslim (Amherst, NY: Prometheus Books, 1995); The Quest for the Historical Muhammad (Amherst, NY: Prometheus Books, 2000); and What the Koran Really Says: Language, Text, and Commentary (Amherst, NY: Prometheus Books, 2002); also see Parvin Darabi and Romin P. Thomson, Rage Against Evil: The Courageous Life and Death of an Islamic Dissident (Amherst, NY: Prometheus Books, 2000); and Paul Fregosi, Jihad in the West: Muslim Conquests from the 7th to the 21st Centuries (Amherst, NY: Prometheus Books, 1999).
[804] Lawrence Davidson, Islamic Fundamentalism (Westport, Connecticut: Greenwood Press, 1998), 85.
[805] Bernard Lewis, "What Went Wrong," The Atlantic Monthly, January 2002, 43.
[806] Lewis, "What Went," 45.
[807] Lewis, "What Went," 45.
[808] Ibn Warraq, Why I Am Not a Muslim (Amherst, NY: Prometheus Books, 1995), 359.
[809] Warraq, Why I Am, 360.
[810] Gregory J. Rummo, "Calling Christians 'Taliban' is Slander," 14 March 2002, American Family Association Online [online] [cited 16 June 2002]; available at http://www.afa.net/culture/gr031402.asp in partially quoting Daniel Pipes, The Record, 10 January 2002.
[811] Richard Swift, "Fundamentalism: Reaching for Certainty," New Internationalist 4 August 1990 reprinted in SIRS CD-ROM 1997.
[812] Microsoft Encarta Encyclopedia 2000.
[813] Takbeer (Karachi), 23 November 1989, found in Mumtaz Ahmad, "Islamic Fundamentalism in South Asia: The Jamaat-I-Islami and the Tablighi Jamaat of South Asia," in Martin E. Marty and R. Scott Appleby Fundamentalisms Observed (University of Chicago Press: Chicago, 1991), 457-58.
[814] Mashriq (Lahore), 6 November 1989, found in Mumtaz Ahmad, "Islamic Fundamentalism in South Asia: The Jamaat-I-Islami and the Tablighi Jamaat of South Asia," in Martin E. Marty and R. Scott Appleby Fundamentalisms Observed (University of Chicago Press: Chicago, 1991), 458.
[815] Mumtaz Ahmad, "Islamic Fundamentalism in South Asia: The Jamaat-I-Islami and the Tablighi Jamaat of South Asia," in Martin E. Marty and R. Scott Appleby Fundamentalisms Observed (University of Chicago Press: Chicago, 1991), 458.
[816] Abul Ala Maududi, The Islamic Law and Constitution (Lahore: Islamic Publications, 1980), p. 263, quoted in Ann Elizabeth Mayer, "The Fundamentalist Impact on Law, Politics, and Constitutions in Iran, Pakistan, and the Sudan," Fundamentalisms and the State, eds. Martin E. Marty and R. Scott Appleby (Chicago: The University of Chicago Press, 1993), 113-14.
[817] Homa Hoodfar, "Bargaining with Fundamentalism: Women and the Politics of Population Control in Iran," Global Reproductive Health Forum [online] [cited 30 May 2002]; available at http://www.hsph.harvard.edu/Organizations/healthnet/gender/docs/hoodfar.html.
[818] Richard Swift, "Fundamentalism: Reaching for Certainty," New Internationalist 4 August 1990 reprinted in SIRS CD-ROM 1997.
[819] "Pakistan: Insufficient Protection of Women," Amnesty International, [online] [cited 6 June 2002]; available at

http://web.amnesty.org/802568F7005C4453/0/B681F17BF82BE7BE80256B8100631267?Open&Highlight=2,women,Islam,beating.
[820] "Pakistan: Insufficient Protection."
[821] "Pakistan: Insufficient Protection."
[822] Azam Kamguian, "Crimes of Honour," Institute for the Secularisation of Islamic Society [online] [cited 27 May 2002]; available at http://www.secularislam.org/women/honor.htm.
[823] Richard Lacayo, "About face," Time 3 December 2001.
[824] "What is Female Genital Mutilation?" Amnesty International, [online] [cited 6 June 2002]; available at
http://web.amnesty.org/802568F7005C4453/0/3B10EA18B5DF096E802569A5007186E4?Open.
[825] "What is Female."
[826] Philip Smucker and Michael Satchell, "Hearts and Minds," U.S. News 15 October 2001 [online] [cited 15 October 2001]; available at
http://www.usnews.com/usnews/issue/011015/ideas/taliban.htm.
[827] O. N. Trisal, "Islamic Fundamentalism in Kashmir," Kashmir Information Network website [online] [cited 8 June 2002]; available at http://www.kashmir-information.com/Miscellaneous/trisal.html.
[828] Trisal, "Islamic Fundamentalism."
[829] "Sudan: Suppression of Information," News from Africa Watch, 30 August 1990, 23-24, quoted in Ann Elizabeth Mayer, "The Fundamentalist Impact on Law, Politics, and Constitutions in Iran, Pakistan, and the Sudan," Fundamentalisms and the State, eds. Martin E. Marty and R. Scott Appleby (Chicago: The University of Chicago Press, 1993), 113-14.
[830] "Sudan: Suppression," 23-24.
[831] Akbar S. Ahmed, "Pakistan's Blasphemy Law: Words Fail Me," Washington Post, 17 May 2002.
[832] "Malaysia: Christian Persecution in Malaysia," International Christian Concern website [online] [cited 7 June 2002]; available at
http://www.persecution.org/humanrights/malaysia.html.
[833] "Bosnia and Herzegovina–Christian Persecution in Bosnia and Herzegovina," International Christian Concern website [online] [cited 7 June 2002]; available at
http://www.persecution.org/humanrights/bosnia.html.
[834] "Middle East," Microsoft Encarta Encyclopedia 2000.
[835] James A. Haught, Holy Hatred: Religious Conflicts of the '90s (Amherst, NY: Prometheus Books), 124-25.
[836] Haught, Holy Hatred, 129.
[837] Albert J. Menendez, Visions of Reality: What Fundamentalist Schools Teach (Buffalo: Prometheus Books, 1993), 8-9.
[838] See, for example, Randall Balmer, Blessed Assurance: A History of Evangelicalism in America (Boston: Beacon Press, 1999), 28-30.
[839] Colin Campbell, "Faith Seems Increasingly Linked with Killing Others," Atlanta Journal and Constitution, 14 March 2002, A-14.
[840] Miroslav Hroch and Anna Skybova, Ecclesia Miltans: The Inquisition, translated by Janet Fraser (Germany: Edition Leipzig, 1988).
[841] Leonard W. Levy, Blasphemy: Verbal Offense Against the Sacred, from Moses to Salman Rushdie, (New York: Alfred A. Knopf, 1993), 65-69.
[842] The widespread use of the Bible by clergymen in the American South to support slavery (and, later, segregation and racial discrimination) is well-documented. See, for example, Edward T. Babinski, Leaving the Fold: Testimonies of Former Fundamentalists (Amherst, NY: Prometheus Books, 1995), 35-39; "Alabama candidate for U.S. House says Bible justifies slavery," Dallas Morning News, 10 May 1996, 7-A; E.N. Elliott, Cotton is King and Pro-Slavery Arguments (Augusta, GA: Pritchard, Abbott, & Loomis, 1860); E. W. Heaton, Everyday Life in Old Testament Times (NY: Charles Scribner's Sons, 1956), 142-143; and Judy

Elliott, "Author takes fresh look at the Good Book—and slavery," Marietta (Georgia) Daily Journal, 7 June 1998.
[843] See for example, Daniel Jonah Goldhagen, Hitler's Willing Executioners: Ordinary Germans and the Holocaust (New York: Alfred A. Knopf, 1996); or Robert P. Ericksen and Susannah Heschel, eds., Betrayal—German Churches and the Holocaust (Minneapolis: Fortress Press, 1999).
[844] Dayton (Tennessee) Herald-News, 15 February 2002.
[845] Rod L. Evans and Irwin M. Berent, Fundamentalism: Hazards and Heartbreaks (LaSalle, Illinois: Open Court, 1988), 153.
[846] Evans, Fundamentalism, 154.
[847] Marlene Winell, Leaving the Fold: A Guide for Former Fundamentalists and Others Leaving Their Religion (Oakland, CA: New Harbinger Publications, Inc., 1993).
[848] Kimberly Blaker, "Christian Fundamentalism: A Growing Danger," first-place research paper in the category of philosophy/religious studies in the Student Scholars at Michigan's Two-Year Colleges 1998 conference.
[849] Frederick Clarkson, Eternal Hostility: The Struggle Between Theocracy and Democracy (Monroe, Maine: Common Courage Press, 1997), 203.
[850] Clarkson, Eternal Hostility, 203-216.
[851] Robert Boston, Close Encounters with the Religious Right: Journeys Into the Twilight Zone of Religion and Politics (Amherst, NY: Prometheus Books, 2000), 261-270.
[852] Karen Armstrong, A History of God: The 4000-Year Quest of Judaism, Christianity and Islam (New York: Alfred A. Knopf, 1994), 391.
[853] Armstrong, A History, 399.
[854] Karen Armstrong, The Battle for God, (New York: Alfred A. Knopf, 2000), 364.
[855] Armstrong, The Battle, 368.
[856] Armstrong, The Battle, 368.
[857] Armstrong, The Battle, 368.
[858] Armstrong, A History.
[859] Balmer, Blessed Assurance, 140.
[860] Randall Balmer, Mine Eyes Have Seen the Glory: A Journey into the Evangelical Subculture in America, Expanded Edition (New York: Oxford University Press, 1993), 277.
[861] Balmer, Blessed Assurance, 101.
[862] John Shelby Spong, Rescuing the Bible from Fundamentalism: A Bishop Rethinks the Meaning of Scripture (San Francisco: Harper San Francisco/Harper Collins Paperback, 1992), 247.
[863] Spong, Rescuing, 5.
[864] Lloyd J. Averill, Religious Right, Religious Wrong: A Critique of the Fundamentalist Phenomenon (New York: The Pilgrim Press, 1990), 12.
[865] Averill, Religious, 103.
[866] Averill, Religious, 157-175.
[867] Bruce Bawer, Stealing Jesus: How Fundamentalism Betrays Christianity (New York: Crown Publishers, 1997), 307
[868] Bawer, Stealing Jesus, 326-327.
[869] Lorene Hanley Duquin, When a Loved One Leaves the Church (Huntington, Indiana: Our Sunday Visitor, Inc., 2001) 152-153.
[870] Duquin, When a Loved, 152.
[871] The Academy of Humanism, Neo-Fundamentalism: The Humanist Response (Buffalo: Prometheus Books, 1988).
[872] Vern Bullough, "The Return to Islamic Fundamentalism," The Academy of Humanism, Neo-Fundamentalism: The Humanist Response (Buffalo: Prometheus Books, 1988), 51.

[873] Alberto Hidalgo Tuñon, "The Dilemma of Fundamentalism," The Academy of Humanism, Neo-Fundamentalism: The Humanist Response (Buffalo: Prometheus Books, 1988), 91.
[874] Paul Kurtz, "The Growth of Fundamentalism Worldwide," The Academy of Humanism, Neo-Fundamentalism: The Humanist Response (Buffalo: Prometheus Books, 1988), 20.
[875] Kurtz, "The Growth," 21.
[876] Kurtz, "The Growth," 24.
[877] Gerald LaRue, "The Threat of Neo-Fundamentalism," The Academy of Humanism, Neo-Fundamentalism: The Humanist Response (Buffalo: Prometheus Books, 1988), 38.
[878] Paul Kurtz, personal interview, October 2001.
[879] Marvin Harris, Our Kind: Who We Are, Where We Came From, Where We Are Going (New York: Harper & Row, Publishers, 1989), 401.
[880] Harris, Our Kind, 414.
[881] Keith M. Parsons (editor: Edward M. Buckner), Why I Am Not a Christian (Roswell, Georgia: The Freethought Press, Atlanta Freethought Society, 2000), 1.
[882] Parsons (editor: Edward M. Buckner), Why I Am Not.
[883] Toby Lester, "Oh Gods!," The Atlantic Monthly, February 2002, 37.
[884] Lester, "Oh Gods!" 38.
[885] Lester, "Oh Gods!" 39.
[886] Barry A. Kosmin, Egon Mayer, and Ariela Keysar, American Religious Identification Survey, 2001 (New York: Graduate Center of the City University of New York, 2001), 17.
[887] Kosmin, American, 19.
[888] Kosmin, American, 13.
[889] Dan Barker, Losing Faith in Faith: From Preacher to Atheist (Madison, Wisconsin: Freedom From Religion Foundation, Inc., 1992).
[890] Edward T. Babinski, ed., Leaving the Fold: Testimonies of Former Fundamentalists (Amherst, NY: Prometheus Books, 1995).
[891] Bob Altemeyer and Bruce Hunsberger, Amazing Conversions: Why Some Turn to Faith and Others Abandon Religion (Amherst, NY: Prometheus Books, 1997).
[892] Altemeyer, Amazing, 212-13.
[893] Babinski, Leaving the Fold: Testimonies of Former Fundamentalists, throughout, but especially in the "Introduction," 15-17.
[894] David Montoya, "The Political Disease Known as Fundamentalism," in Babinski, Leaving the Fold: Testimonies of Former Fundamentalists, 132.
[895] Farrell Till, "From Preacher to Skeptic," in Babinski, Leaving the Fold: Testimonies of Former Fundamentalists, 294.
[896] Maxine Parshall, Email Correspondence to Kimberly Blaker, May 2002.
[897] Thomas Jefferson, letter to Benjamin Rush, April 21, 1803; from Daniel B. Baker, ed., Political Quotations (Detroit: Gale Research, Inc., 1990), 189.
[898] John Adams, "A Defence of the Constitutions of Government of the United States of America" [1787-1788]; from Adrienne Koch, ed., The American Enlightenment: The Shaping of the American Experiment and a Free Society (New York: George Braziller, 1965), 258.
[899] Notes on the State of Virginia, Query XVII, Torchbook Edition, (New York: Harper & Row Publishers, 1964,) 152.
[900] Michael E. Buckner, "The UnChristian Roots of the Fourth of July," Secular Web [online] [cited 8 March 2002]; available at http://www.infidels.org/library/modern/features/2000/buckner1.html.

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣- مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤- موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية).	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧- نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠- وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١- النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣- قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧- صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩- حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى بلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مي التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البريرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: يوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرئ	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٢٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٢٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٢٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٢٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٢٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٢٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٢٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٢٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٢٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٢٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٢٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٢٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٢٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٢٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٩-	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا ورببيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد التنة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	آرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن ڤان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر في عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوچية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة التفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سبهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جي دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتاة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠- الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١- الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢- الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤- فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧- أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨- فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩- معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١- درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤- ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥- جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦- جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧- جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨- جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩- جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠- جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين

٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى	بشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤- اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥- الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧- حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥- فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠- خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢- أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣- الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥- المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨- تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩- إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠- الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروری
٧٥٣- التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤- الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦- ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧- تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨- الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد

٧٥٩- النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠- الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢- المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣- الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦- الشرق المتخيل	تيرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧- الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨- حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩- أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥- مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧- الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨- صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١- الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢- المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جمال عبد المقصود
٧٨٣- العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤- الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦- المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧- العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨- سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩- الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠- الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١- العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦- آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى

٧٩٧- الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨- الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن
٧٩٩- سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وچان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	آنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	فيليب روچيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أمل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور

٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوريان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى
٨٣٧- عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس فلهاوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١- ميرات الترجمة: الطب التجريبى	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧- نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا	القاضى فان بملن	لطيفة سالم
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى
٨٦٢- ببغاء الكاكاتو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣- لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤- أوراق فلسطينية	نورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥- فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية)	ديفيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩- تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠- عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١- عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧٢- كتاب الطاو	لاوتسو	محسن فرجانى

٨٧٣-	معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤-	النهر الخالد (مج١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٥-	النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٦-	دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧-	أدب الجدل والدفاع فى العربية	موريتس شتيتشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠-	الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١-	التنويريون ودورهم فى خدمة المجتمع	جلال آل أحمد	هويدا عزت
٨٨٢-	ميراث الترجمة: أغانى شيراز (جـ١)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣-	ميراث الترجمة: أغانى شيراز (جـ٢)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤-	تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥-	روح الإرهاب	جان بودريار	بدر عرودكى
٨٨٦-	الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧-	غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨-	أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت
٨٨٩-	ميرات الترجمة: سارتورس	وليم فوكنر	ميخائيل رومان
٨٩٠-	منخبات أشعار فراغى	مخدومقلى فراغى	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١-	مفاوضات مع الموتى	مارجريت أتوود	عزة مازن
٨٩٢-	تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣-	عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤-	الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥-	وادى الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦-	شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧-	اختراق الجزيرة العربية	ديفيد جورج هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨-	الإسلام والعلم	برويز أمير على بهائى	محمود خيال
٨٩٩-	الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال
٩٠٠-	تيارات نقدية محدثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٩٠١-	مختارات من شعر لى جاو شينج	لى جاو شينج	عبد العزيز حمدى
٩٠٢-	آلهة مصر القديمة وأساطيرها	روبرت أرنولد	مروة الفقى
٩٠٣-	أفلام ومناهج (مج١)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٤-	أفلام ومناهج (مج٢)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٥-	تراث الهند	ج. ت. جارات	جلال السعيد الحفناوى
٩٠٦-	أسس الحوار فى القرآن	هيربرت بوسة	أحمد هويدى
٩٠٧-	أرثر.. متعة الحياة (رواية)	فرانسواز جيرو	فاطمة خليل
٩٠٨-	الحلقة النقدية	ديفيد كوزنز هوى	خالدة حامد
٩٠٩-	الفنون والآداب تحت ضغط العولمة	جووست سمايرز	طلعت الشايب
٩١٠-	بروميثيوس بلا قيود	دافيد س. ليندس	مى رفعت سلطان

٩١١-	غبار النجوم	جون جريبين	عزت عامر
٩١٢-	ميرات الترجمة: ترجمات يحيى حقى (جـ١)	روايات مختارة	يحيى حقى
٩١٣-	ميرات الترجمة: ترجمات يحيى حقى (جـ٢)	مسرحيات مختارة	يحيى حقى
٩١٤-	ميرات الترجمة: ترجمات يحيى حقى (جـ٣)	ديزموند ستيوارت	يحيى حقى
٩١٥-	المرأة في أثينا: الواقع والقانون	روجر جست	منيرة كروان
٩١٦-	الجدلية الاجتماعية	أنور عبد الملك	سامية الجندى وعبدالعظيم حماد
٩١٧-	موسوعة كمبريدج (جـ١)	نخبة	إشراف: أحمد عتمان
٩١٨-	موسوعة كمبريدج (جـ٤)	نخبة	إشراف: فاطمة موسى
٩١٩-	موسوعة كمبريدج (جـ٩)	نخبة	إشراف: رضوى عاشور
٩٢٠-	خليل جبران: حياته وعالمه	چين جبران وجبران خليل جبران	فاطمة قنديل
٩٢١-	لله الأمر (رواية)	أحمدو كوروما	ثريا إقبال
٩٢٢-	الموريسكيون فى إسبانيا وفى المنفى	ميكيل دى إيبالثا	جمال عبد الرحمن
٩٢٣-	ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	ناظم حكمت	محمد حرب
٩٢٤-	حتشبسوت: عظمة وسحر وغموض	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٥-	رمسيس الثاني: فرعون المعجزات	كريستيان دى روش نوبلكور	فاطمة عبد الله
٩٢٦-	ترحال في صحراء الجزيرة العربية (جـ٢، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٧-	ترحال في صحراء الجزيرة العربية (جـ٢، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٩٢٨-	سجون الضوء	كيتى فرجسون	عزت عامر
٩٢٩-	نشأة الإنسان (مجـ١)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٠-	نشأة الإنسان (مجـ٢)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣١-	نشأة الإنسان (مجـ٣)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٢-	ميرات الترجمة: حدائق السحر في دقائق الشعر	رشيدالدين العمرى	إبراهيم الشواربى
٩٣٣-	اللاعقلانية الشعرية	كارلوس بوسونيو	على منوفى
٩٣٤-	محنة الكاتب الأفريقى	تشارلز لارسون	طلعت الشايب
٩٣٥-	تاريخ الفن الألماني	فولكر جيبهارت	علا عادل
٩٣٦-	بيولوجيا الجحيم	إد ريجيس	أحمد فوزى عبد الحميد
٩٣٧-	هيا نحكى (قصص أطفال)	أحمد ندالو	عبدالحى سالم
٩٣٨-	الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيدجر	بيير بورديو	سعيد العليمى
٩٣٩-	سجن العقل	ستيفن جونسون	أحمد مستجير
٩٤٠-	اليابان الحديثة: قضايا وآراء	مجموعة مقالات	علاء على زين العابدين
٩٤١-	الجماليات لم يولدن بعد	آى كويئى أرماه	صبرى محمد حسن
٩٤٢-	القرن الجديد	إريك هوبسبوم	وجيه سمعان عبد المسيح
٩٤٣-	لقاء فى الظلام	مختارات من القصص الأفريقية	محمد عبد الواحد
٩٤٤-	الكونترباص	باتريك زوسكيند	سمير جريس
٩٤٥-	ميرات الترجمة: أحلام يقظة جوال منفرد	چان چاك روسو	ثريا توفيق
٩٤٦-	الزار ومظاهره المسرحية فى إثيوبيا	ميشيل ليريس	محمد مهدى قناوى
٩٤٧-	ماوراء المعنى والحقيقة	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٩٤٨-	أفريقيا منذ عام ١٨٠٠	روناك أوليفر وأنتونى أتمور	فريد چورچ بورى

٩٤٩- مقبرة الصدأ	أندريه فيش	نافع معلا
٩٥٠- فى علم الكتابة	چاك ديريدا	منى طلبة وأنور مغيث
٩٥١- الاتهام (رواية)	فريدريش دورينمات	عماد حسن بكر
٩٥٢- العبد ومسرحيات أخرى	أميرى بركة	نعيمة عبد الجواد
٩٥٣- مختارات من الشعر الإسبانى (جـ٢)	نخبة من الشعراء	على عبد الرءوف البمبى
٩٥٤- الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية فى عهد محمد على	فرد لوسون	عنان الشهاوى
٩٥٥- الطب والأطباء	سيلفيا شيفولو	ماجدة أباظة
٩٥٦- نعم، ليست لدينا نيوترونات	أ. ك. ديونى	سمير حنا صادق
٩٥٧- الحركات الاجتماعية: (١٧٦٨-٢٠٠٤)	تشارلز تلى	ربيع وهبة
٩٥٨- أصوات على هامش الحرب	مريام كوك	صلاح حزين
٩٥٩- الموريسكيون فى الفكر التاريخى	ميغيل أنخيل بونيس	وسام محمد جزر
٩٦٠- محمد على الكبير	الأمير عثمان إبراهيم وكارولين وعلى كورخان	هدى كشرود
٩٦١- ميراث الترجمة: شعر الرعاة	مختارات من الأدب اليونانى	محمد صقر خفاجة
٩٦٢- مدخل إلى الفلسفة	وليام جيمس إيرل	عادل مصطفى
٩٦٣- منتخبات شعرية	حسن رضا خان الهندى	فاطمة سيد عبد المجيد
٩٦٤- أصول التطرف	كيمبرلى بليكر	هبة رءوف وتامر محمد عبد الوهاب

رقم الإيداع ٢٠٩٨٦ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-09-1448-7

المجلس الأعلى للثقافة

أمريكا بأقلام أمريكية

أكدت الولايات المتحدة الأمريكية دورها كدولة مؤثرة فى شئون العالم بانهائها الحرب العالمية الثانية. عندما قادت هجوم الحلفاء فى أوروبا على ألمانيا، والقت بقنبلتيها الذريتين على هيروشيما ونجازاكى فى اليابان، فى إشارة الى تفوقها العلمى والعسكرى.

منذ ذلك الوقت، يزداد نفوذ وتفوق الولايات المتحدة فى مختلف المجالات... علميا وعسكريا وماليا وسياسيا واعلاميا وثقافيا.... ويتقلص نفوذ الدول الأخرى، بما فى ذلك الاتحاد السوفييتى - الذى انهار فى بداية العقد الأخير من القرن العشرين - وفرنسا، مع تذبذب دور بريطانيا صعودا وهبوطا، وبداية صعود الصين فى العقد الأخير.

يخطط الأمريكيون لجعل القرن الواحد والعشرين قرنا أمريكيا، تنفرد فيه الولايات المتحدة بقيادة العالم.

لأى درجة سينجحون فى ذلك؟ ولأى مدة؟.... لا يستطيع أحد الجزم.

تقدم هذه السلسلة كتبا لمفكرين أمريكيين، فى مختلف المجالات ومن مختلف الاتجاهات.

هذا الكتاب

٢٠/-

تتصدر الأصولية الإسلامية وسائل الإعلام العالمية، منذ عقد أو أكثر.. كذلك صدرت مئات الكتب - بمختلف اللغات - تتكلم عن خطر تلك الأصولية الإسلامية على العالم.

وهناك بجانب - أو قبل الأصولية الإسلامية - كل من الأصولية اليهودية والأصولية المسيحية.

نادرًا ما تظهر الأولى فى وسائل الإعلام أو تصدر عنها دراسات أو كتب... أما الأصولية المسيحية فما صدر عنها فى الولايات المتحدة وحدها يتجاوز الألف كتاب... فهى بالنسبة لليبراليين والعلمانيين في الولايات المتحدة خطر حقيقى على الدستور.. والحرية السياسية والدينية.. وعلى التعليم وتربية الأطفال.. وعلى الصحة النفسية والجنسية.. وعلى الأطفال والمرأة.. وعلى الأقليات العرقية والدينية.. وعلى الشواذ (المثليين)...

اشترك فى تحرير مادة الكتاب مجموعة من المتخصصين فى الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة.

6 223002 801633